شؤون فلسطينية

٤٠

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٠ — كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** : الدكتور أنيس صايغ .

٥ **الخطاب التاريخي للأخ أبو عمار في دورة فلسطين : الحرب تندلع من فلسطين والسلم يبدأ من فلسطين .**

٢٠ **القصة الكاملة لادراج القضية في الامم المتحدة** ، الدكتور نبيل شعث .

٣٢ **قمة الرباط واحتمالات الموقف الاسرائيلي** ، صبري جريس .

٤٠ **آفاق دولية بعد الرباط** ، سمير عطاالله .

٤٧ **قمة الرباط في المنظور الغربي** ، ادريس الخالدي .

٥٦ **ضم فلسطين الوسطى الى شرقي الاردن ١٩٤٨ — ١٩٥٠** ، عصام سخنيني .

٨٤ **وسائل الاعلام الامبركية وحرب تشرين** ، الدكتور ميشال سليمان .

١٠١ **رمزية الدلالة في رواية القضية الفلسطينية** ، صالح ابو اصبع .

١١٠ **اثر قيام اسرائيل على وضع المنظمة الصهيونية العالمية** ، الدكتور كميل منصور .

١٣٨ **مراجعات** : الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ — ١٩٤٨ ، نبيل أيوب بدران . المؤتمر الاول للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، هاني حوراني . ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة ، عزالدين المناصرة .

١٥٠ **ثقافة** : الياس خوري .

١٥٧ **رسائل** : (١) رسالة من بروكسل : عندما لا تفي أرض الميعاد بوعودها ، أو قضية اليهود السوفيات الفارين من اسرائيل ، نعيم خضر . (٢) من أمستردام : الراي العام الهولندي والقضية الفلسطينية ، عقيل هاشم . (٣) من ستوكهولم : حول التصويت لجانب منظمة التحرير الفلسطينية ، هـ. د. (٤) من نيويورك : الحملة الاعلامية الصهيونية ومحاضرة دايان في جامعة نيويورك ، سلمى حداد . (٥) من موسكو : الصحف السوفياتية والقضية الفلسطينية خلال شهر اكتوبر ١٩٧٤ ، ساميه الغونو .

١٨٣ **تقارير** : (١) مقارنة تكنولوجية بين طائرتي « ميغ — ٢٣ » و« ميغ — ٢٥ » وطائرات « الفانتوم » و« توم كات » و« ايغل » ، محمود عزمي. (٢) ردود الفعل الاردنية تجاه بيان مؤتمر القاهرة الثلاثي ، ع. ش . (٣) الرئيس فورد والنزاع العربي — الاسرائيلي ، الدكتور عوده أبو ردينه . (٤) تحليل لاتجاهات الدعاية الصهيونية اغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ ، أ. خ.

٢٠٠ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا. (٣) المناطق المحتلة، عيسى الشعيبي وحمدان بدر. (٤) اسرائيليات ، ص. ج. ويوسف حمدان وحنه شاهين وعماد شقور . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٣/١٠ — ١٢/١١/ ١٩٧٤ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

المسيرة الفلسطينية تثبت جدارتها . والشعب الفلسطيني ، الصامد الثائر المعطاء ، يفرض نفسه . والبندقية الفلسطينية ، التي أرهبت العدو في الارض المحتلة وخارجها، تصرخ بصوت أعلى فيسمعها العالم كله . وفي مدى شهر واحد يسير حقنا نحو أهدافه البعيدة والسامية خطوات وخطوات ، ان عنـد تصويت مندوبي الدول في الجمعية العمومية للامم المتحدة على مشروع قرار مناقشة القضية الفلسطينية وتمثيل الشعب الفلسطيني ، او في مباحثات ، ثم قرارات ، مؤتمر القمة العربي في الرباط ، أو ، اخيرا ، في يوم فلسطين ، يوم المجد ، في قاعة الجمعية العمومية ، حينما تكلم قائد الثورة نيابة عن ثلاثة ملايين وربع المليون فلسطيني ، تكلم باسمهم وبصوتهم وبرأيهم وبعزمهم وبصدقهم . ويعبر الملايين الثلاثة والربع مع قائدهم ، في يوم فلسطين ، من مرحلة النكبة والنكسة والشتات الى مرحلة الشروع في النصر . والنصر مراحل ، والنصر خطوات ، والنصر مثابرة واستمرار في الجهاد والتضحيات . لكننا في الثالث عشر من نوفمبر وضعنا أقدامنا في عتبته . فقد عاشنا العالم بأسره . وسمع صوتنا ، جليا وحازما ، ورأى بندقيتنا وفهم معناها . ولم نعد نحتاج الى جواز مرور . فقد فرض صمودنا نفسه .

واذ ينظر الفلسطيني اليوم الى المستقبـل ، يتلمس الطرق لمواصلة المسـيرة واستئناف الانتصارات ، ويضع الخطط ليكون الغد أكثر اشراقا وليكون التحرير أقرب منالا ، يلتفت الفلسطيني في الوقت نفسه الى الوراء التفاتة اعتراف وتقدير ، حتى لا ينسى أن الشوط الذي قطعه انما تمكن منه بالبذل : بالشهداء وبالدماء وبالمشاق . والثمن الغالي الذي قدمناه لنصل الى حيث نحن مطلوب منا ، والمزيد منه ايضا ، لنحقق اشراقة الغد ولنحرر الارض بعد ان حررنا النفس . وقد لا نقدر على تلمس الطريق الممتد امامنا ، وقد نعجز عن استيعاب هذه الانتصارات التي نحياها ، ما لم ندرك أهمية تحرير النفس ودوره المباشر في تحرير الارض ـــ أي ما لم ندرك حقيقة الثورة التي نخوضها منذ عشر سنوات ، والاثر الذي خلفته فينا وفي العدو وفي العالم وفي الاحداث . ومن هنا رأت « شؤون فلسطينية » ان تكون مشاركتها في الاحتفال بيوم فلسطين بجهد خاص تبذله ، بمحرريها وكتابها ، لرصد آثار الثورة الفلسطينية في عشر سنوات ، في مختلف النواحي والمجالات ، بعدد ممتاز يصدر في الذكرى العاشرة لاطلاق الرصاصات الاول ، في اليوم الاول من يناير . أما هذا العدد فاننا نحاول ان نرصد فيه خفايا دخول فلسطين ، قضية ومنظمة ، الجمعية العمومية للامم المتحدة ، من جهة ، والابعاد المباشرة لقرارات الرباط بالاعتراف بالمنظمة ممثلا شرعيا وحيدا لشعب فلسطين . وبسرنا ان نفتتح العدد بخطاب قائد الثورة الفلسطينية في الامم المتحدة بنصه الحرفي الرسمي . وهو ، في نهـاية الامر ، أبلـغ من أي تفسير له او تعليق عليه . فقد كان صوت فلسطين الصحيح ، صوت الايمان بالحق وبالثورة وبالعدالة وبالخير .

الخطاب التاريخي للاخ ابو عمار في يوم فلسطين

الحرب تندلع من فلسطين والسلم يبدأ من فلسطين

سيدي الرئيس ،

اشكر لكم دعوتكم منظمة التحرير الفلسطينية لتشارك في هذه الدورة من دورات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة . واشكر كل الاعضاء المحترمين في هيئة الامم المتحدة الذين اسهموا في تقرير ادراج قضية فلسطين على جدول اعمال هذه الجمعية وفي اصدار قرار بدعوتنا لعرض قضية فلسطين .

انها لمناسبة هامة ان يعود بحث قضية فلسطين الى هيئة الامم المتحدة . واننا نعتبر هذه الخطوة انتصارا للمنظمة الدولية كما هو انتصار لقضية شعبنا . وان ذلك يشكل مؤشرا جديدا على ان هيئة الامم اليوم ليست هيئة الامم الامس ، ذلك لان عالم اليوم ليس هو عالم الامس .

فقد اصبحت هيئة الامم اليوم تمثل ١٣٨ دولة واصبحت تعكس بصورة نسبية اوضح ارادة المجموعة الدولية ، ومن ثم فقد اصبحت اكثر قدرة على تطبيق ميثاقها ومبادىء الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، واكثر قدرة على نصرة قضايا العدل والسلام .

وهذا ما بدأ يلمسه شعبنا وتلمسه شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الامر الذي اخذ يعلي مكانة هذه المنظمة الدولية في عيون شعبنا وعيون بقية الشعوب ، ويزيد من الامال التي تعلقها شعوب العالم على مساهمة هيئة الامم المتحدة في نصرة قضايا السلم والعدل والحرية والاستقلال ، وتشييد عالم خال من الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها بما فيها الصهيونية .

سيدي الرئيس ،

اننا نعيش في عالم يطمح للسلام والعدل والمساواة والحرية ، يطمح الى ان يرى الامم المظلومة الرازحة تحت الاستعمار والاضطهاد العنصري وهي تمارس حريتها وحقها في تقرير المصير ، يطمح الى ان يرى العلاقات الدولية بين الدول كافة تقوم على اساس المساواة والتعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وتأمين السيادة الوطنية .

وما زالت دول آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية تواجه اعتداءات ضارية على نضالها من أجل تغيير النظام الاقتصادي العالمي الحالي بنظام اقتصادي عالمي جديد أكثر معقولية ومنطقية ، وقد عبرت هذه البلدان عن ذلك في مؤتمر « المواد الاولية والتنمية » حيث لا بد من أن يوضع حد لعمليات النهب والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة وعرقلة جهودها من أجل التنمية والسيطرة على ثرواتها ورفع الحيف عن أسعار موادها الاولية .

وكذلك فان هذه الدول ما زالت تواجه عراقيل امام مطالبها العادلة المعبر عنها في مؤتمر البحار في كراكاس ، ومؤتمر السكان، ومؤتمر التغذية ، ولا بد للهيئة الدولية من أن تقف بحزم الى جانب النضال من أجل احداث تغييرات جذرية في النظام الاقتصادي العالمي لان ذلك وحده يتيح للشعوب المتخلفة امكانية التقدم بسرعة . ولا بد لهذه الهيئة من أن تقف بحزم ضد القوى التي تحاول تحميل مسؤولية التضخم المالي على كاهل البلدان النامية ، خاصة البلدان المنتجة للبترول ، وان تشجب التهديدات التي تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة .

سيدي الرئيس ،

ما زال السباق على التسلح على اشده في العالم ، الامر الذي يهدد العالم بضياع ثرواته وتبديد جهوده على هذا السباق ، فضلا عن ابقائه في خيار انفجارات مسلحة خطيرة . ان الحد من السباق على التسلح ، وصولا الى تدمير الاسلحة النووية وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية في ميدان تقدم العلوم وزيادة الانتاج وتحقيق الرفاه للعالم . هذا ما تتوقع الشعوب أن تعمل هيئة الامم المتحدة باتجاهه . وما زال الاضطراب على أشده في منطقتنا . فالكيان الصهيوني متشبث بالاراضي العربية التي احتلها ويتابع عدوانه علينا بجانب استعداداته العسكرية المحمومة بشن حرب عدوانية جديدة ستكون الخامسة من سلسلة حروبه العدوانية ولنا أن نتحسب مع ما يصدر من اشارات عنه من أن تكون حربا نووية تحمل الفناء والدمار .

سيدي الرئيس ،

ان العالم بحاجة الى أقصى الجهود من أجل تحقيق مطامحه في السلم والحرية والعدل والمساواة والتنمية وفي مكافحة الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها بما فيها الصهيونية لان هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق آمال الشعوب كافة بما في ذلك شعوب الدول التي تعارض هذا الطريق . انه طريق لتكريس مبادىء ميثاق هيئة الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان . اما بقاء الوضع الحالي فلن يفعل اكثر من ان يبقى العالم معرضا لاخطر الصراعات المسلحة ، للكوارث الاقتصادية والانسانية والطبيعية .

سيدي الرئيس ،

رغم هذا الوضع المتأزم الذي يسود العالم برغم ما في عالمنا من قوى ظلام وتأخر فان عالمنا اليوم يعيش اياما مجيدة . انه يشهد انهيار العالم القديم عالم الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها وابرزها الصهيونية ويشهد الاتجاه التاريخي العظيم لشعوب العالم نحو انبثاق عالم جديد تنتصر فيه القضايا العادلة ، واننا واثقون من انتصار هذه القضايا .

سيدي الرئيس ،

ان قضية فلسطين تدخل كجزء هام بين القضايا العادلة التي تناضل في سبيلها الشعوب التي تعاني الاستعمار والاضطهاد ، واذا كانت الفرصة قد اتيحت لي ان اعرضها امامكم فانني لن أنسى ان مثل هذه الفرصة يجب ان تتاح لكل حركات التحرر المناضلة ضد العنصرية والاستعمار . ولهذا فانني باسم هؤلاء المناضلين من أجل الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ادعوكم ان تعيروا قضاياهم، كما قضيتنا ، من همومكم واهتمامكم الاولوية ذاتها مما يشكل مرتكزا اساسيا لحماية السلم في العالم وتكريس عالم جديد تعيش الشعوب في ظلاله بعيدا عن الاضطهاد والظلم والخوف والاستغلال ، ولهذا فانني سأعرض قضيتنا ضمن هذا الاطار وفي سبيل هذا الهدف .

واننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولي فان ذلك تعبير في حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسي والدبلوماسي مكملا معززا لنضالنا المسلح وتعبير عن تقديرنا للدور الذي يمكن للامم المتحدة ان تقوم به في حل المشكلات العالمية ، بعد ان تغيرت بنيتها في صالح اماني الشعوب وفي حل مشكلتنا التي تتحمل فيها هذه المؤسسة الدولية مسئولية خاصة .

ان شعبنا يتكلم وهو يتطلع الى المستقبل اكثر مما هو مقيد بماسي الماضي واغلال الحاضر . واذا كنا ، ونحن نتحدث عن الحاضر نعود الى الماضي فلاننا نريد أن نوضح بداية الطريق الذي تشقه الى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم عامة ، وحركات التحرير خاصة . واذا كنا نعود الى جذور قضيتنا فلانه ما زال بين الحاضرين هنا من يحتل بيوتنا ويرتع في حقولنا ويقطف ثمار أشجارنا ويدعي أننا اشباح لا وجود لها ولا تراث ولا مستقبل . ولان هنالك من كان يتصور ، والى وقت قريب ، وربما حتى الان ، ان مشكلتنا هي مشكلة لاجئين ، او أن مشكلة الشرق الاوسط هي مشكلة خلاف على حدود بين الدول العربية وبين الكيان الصهيوني او يتصور ان شعبنا يدعي حقوقا ليست له ويقاتل دونما سبب معقول ومشروع الا الرغبة في تعكير السلام وارهاب الاخرين . ولان هناك بينكم واعني الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من يمون عدونا بطائراته وقنابله وكل أدوات الفتك والتدمير ويقف منا موقف العداء ويعمد الى تشويه حقيقة المشكلة ، كل ذلك على حساب الشعب الاميركي وعلى حساب

رفاهيته وعلى حساب الصداقة التي نتطلع اليها مع هذا الشعب العظيم الذي نكن له ولتجاربه في النضال من اجل حريته ووحدة اراضيه كل تقدير .

وانني لانتهز هذه المناسبة لاتوجه الى الشعب الاميركي واخاطبه من مكاني هنا أن يقف مع شعبنا الشجاع المناضل . أن يقف مع الحق والعدالة . ان يتذكر بطله جورج واشنطن الذي ناضل لاستقلال امريكا وحريتها . ويتذكر ابراهام لنكولن الذي وقف مع المحرومين والمعذبين ويتذكر وصايا ويلسون الاربع عشرة والتي يتبناها شعبنا ايمانا بهذه المبادىء الانسانية العظيمة .

واتوجه الى الشعب الاميركي واتساءل ! هل هذه التظاهرات المعادية التي تنطلق في الخارج هي وجهه الحقيقي . وما هي الجريمة التي ارتكبها شعبنا ضد الشعب الاميركي ...

لماذا هذا الوجه المعادي . هل هو لصالح اميركا . هل هو لصالح الجماهير الاميركية . حتما لا . وارجو ان يتذكر الشعب الاميركي أن صداقته مع أمتنا العربية هي أهم وهي أبقى وهي انفع .

سيدي الرئيس ،

ان شرحنا لجذور قضيتنا نابع من ايماننا بأن العودة الى اصول القضايا التي تشغل العالم امر ضروري عند تلمس الحلول لها . وهذا منهج نطرحه على السياسة الدولية لتأخذ به بعد ان عانت الكثير وعانت الشعوب معها من محاولات تجاهل الاصول والقفز عليها او انكارها رضوخا واستسلاما للامر الواقع .

ترجع جذور المشكلة الفلسطينية الى اواخر القرن التاسع عشر او بكلمات اخرى الى ذلك العهد الذي كان يسمّى عصر الاستعمار والاستيطان وبداية الانتقال الى عصر الامبريالية حيث بدأ التخطيط الصهيوني — الاستعماري لغزو ارض فلسطين بمهاجرين من يهود اوروبا كما كان الحال بالنسبة للغزو الاستيطاني لافريقيا . في تلك الحقبة التي توطدت فيها بسطوة عتاة الاستعمار القادمين من الغرب الى افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية للاستيطان واقامة المستعمرات وممارسة أشد اشكال الاستغلال والاضطهاد والنهب لشعوب القارات الثلاث . انها الحقبة التي ما زلنا نشهد اثارها العنصرية البشعة في الجنوب الافريقي وكذلك في فلسطين .

وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون افكار «التمدين والتحضير» لتبرير الغزو والنهب والعدوان في افريقيا وغيرها . كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين بموجات المهاجرين الصهاينة . وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون الدين واللون والعرق واللغة لتمرير عملية استغلال الشعوب واخضاعها بالتمييز والتفرقة والارهاب في افريقيا ، كذلك استخدمت هذه الاساليب لاغتصاب الوطن الفلسطيني واضطهاد شعبه ومن ثم تشريده .

وكما استخدم الاستعمار ، وقتئذ ، المحرومين والفقراء والمستغلين كوقود لنار عدوانه ، ومرتكزات للاستيطان ، كذلك استخدم الاستعمار العالمي والقادة الصهاينة اليهود المحرومين والمضطهدين في اوروبا كوقود للعدوان ومرتكزات للاستيطان والتمييز العنصري.

ان الايديولوجية الصهيونية التي استخدمت ضد شعبنا لاستيطان فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب استخدمت في الوقت ذاته لاقتلاع اليهود من جذورهم في اوطانهم المختلفة ولتغريبهم عن الامم . انها ايديولوجية استعمارية استيطانية عنصرية تمييزية رجعية تلتقي مع اللاسامية في منطلقاتها، بل هي الوجه الاخر للعملة نفسها. فعندما نقول ان تابعي دين معين هو اليهودية ، ايا كان وطنهم ، لا ينتسبون الى ذلك الوطن ولا يمكنهم ان يعيشوا كمواطنين متساوين مع بقية المواطنين من الطوائف الاخرى ، فان ذلك التقاء مباشر مع دعاة اللاسامية ، وعندما يقولون ان الحل الوحيد لمشكلتهم هو ان ينفصلوا عن الامم والمجتمعات التي هم جزء منها عبر تاريخ طويل ، ثم يهاجرون ليستوطنوا ارض شعب اخر ويحلوا محله بالقوة والارهاب يأخذون من غيرهم الموقف نفسه الذي اخذه دعاة اللاسامية منهم .

ومن هنا نلاحظ مثلا العلاقة الوثقى بين رودس وهو يبسط استعماره الاستيطاني في جنوب شرقي القارة الافريقية وبين هرتزل الذي راح يخطط ويصمم لاستعماره الاستيطاني على ارض فلسطين. وعندما حصل هرتزل على شهادة حسن سلوك استعماري استيطاني من رودس قدمها للحكومة البريطانية ليستصدر منها قرار التأييد والدعم مقابل ان يبني على ارض فلسطين قاعدة للاستعمار تؤمن مصالحه في اهم النقاط الاستراتيجية في الشرق الاوسط .

وهكذا باشرت الحركة الصهيونية متحالفة مع الاستعمار العالمي غزوتها لبلادنا . واسمحوا لي أن اوجز بعض الحقائق التالية حولها :

● كان عدد سكان فلسطين عند بداية الغزوة عام ١٨٨١ وقبل قدوم أول موجة استيطان حوالي نصف مليون نسمة كلهم من العرب ، مسلمين ومسيحيين ومنهم حوالي عشرون الفا من يهود فلسطين يعيشون جميعا في كنف التسامح الديني الذي اشتهرت به حضارتنا .

● وكانت فلسطين ارضا خضراء معمورة بشعبها العربي الذي يبني الحياة في وطنه ويغني ثقافته .

● وعمدت الحركة الصهيونية الى تهجير حوالي خمسين الف يهودي اوروبي بين عامي ١٨٨٢ و١٩١٧ لاجئة الى شتى اساليب الاحتيال لتغرسهم في ارضنا . ونجحت في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا ، فجسد التصريح حقيقة التحالف الصهيوني الاستعماري . وعبر هذا التصريح عن مدى ظلم الاستعمار للشعوب حيث أعطت بريطانيا وهي لا تملك وعدا للحركة الصهيونية وهي لا تستحق . وخذلت عصبة الامم بتركيبها القديم شعبنا العربي وتبخرت

وعود ومبادىء ويلسون في الهواء وفرضت علينا قسرا الاستعمار البريطاني بصورة الانتداب . وتعهد صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الامم المتحدة صراحة بالتمكين للغزوة الصهيونية من ارضنا .

● وعلى مدى ثلاثين عاما بعد صدور تصريح بلفور نجحت الحركة الصهيونية مع حليفها الاستعماري في تهجير مزيد من يهود اوروبا واغتصاب اراضي عرب فلسطين . وهكذا أصبح عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٧ حوالي ستماية الف يملكون اقل من ٦٪ من اراضي فلسطين الخصبة . بينما كان تعداد عرب فلسطين حوالي مليون وربع المليون نسمة .

● وبفعل تواطؤ الدولة المنتدبة مع الحركة الصهيونية ودعم الولايات المتحدة لهما صدر عن هذه الجمعية وهي في بداية عهدها التوصية بتقسيم وطننا فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وسط تحركات مريبة وضغوط شديدة ، فقسمت ما لا يجوز لها ان تقسم : ارض الوطن الواحد . وحين رفضنا ذلك القرار فلاننا مثل ام الطفل الحقيقية التي رفضت ان يقسم سليمان طفلها حين نازعتها عليه امرأة اخرى . ومع ذلك فقد منح قرار التقسيم المستوطنين الاستعماريين ٥٤٪ من ارض فلسطين . وكأن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة اليهم ، فشنوا حربا ارهابية ضد السكان المدنيين العرب واحتلوا ٨١ ٪ من مجموع مساحة فلسطين وشردوا مليون عربي . مغتصبين بذلك ٥٢٤ قرية ومدينة عربية . دمروا منها ٣٨٥ مدينة وقرية تدميرا كاملا محاها من الوجود . وحيث فعلوا ذلك أقاموا مستوطناتهم ومستعمراتهم فوق الانقاض وبين بساتيننا وحقولنا .

ومن هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينية ، ان هذا يعني أن اساس المشكلة ليس خلافا دينيا او قوميا بين دينين او قوميتين وليس نزاعا على حدود بين دول متجاورة ، انه قضية شعب اغتصب وطنه وشرد من ارضه لتعيش اغلبيته في المنافي والخيام .

وقد استطاع هذا الكيان الصهيوني وبدعم من دول الاستعمار والامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ان يتحايل على هيئة الامم لقبوله في عضويتها ومن ثم على شطب قضية فلسطين من جدول اعمالها ، وتضليل الرأي العام العالمي بتصوير المشكلة كمشكلة لاجئين بحاجة الى عطف المحسنين او اعادة توطينهم في بلاد الاخرين .

على أن هذه الدولة العنصرية التي قامت على أساس الاستعمار الاستيطاني لم تكتف بكل ذلك حيث جعلت من نفسها قاعدة للامبريالية وراحت تتحول الى ترسانة من الأسلحة لاكمال مهمتها في اخضاع الشعوب العربية والعدوان عليها طمعا في المزيد من التوسع على الارض الفلسطينية والاراضي العربية . فسالى جانب عشرات الاعتداءات التي شنتها هذه الدولة ضد البلاد العربية قامت بحربين توسعيتين كبيرتين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ عرضت خلالهما السلم العالمي لخطر حقيقي .

فقد كان من نتائج العدوان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧ ان احتل العدو سيناء المصرية حتى مشارف السويس ، واحتل الجولان السورية فضلا عن احتلاله للارض الفلسطينية حتى نهر الاردن ، الامر الذي شكل وضعا جديدا في منطقتنا وخلق ما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط . ومما جعل الوضع يتفاقم اكثر اصرار العدو على استمرار الاحتلال وتكريسه ، مشكلا رأس حربة للاستعمار العالمي ضد امتنا العربية . وقد ضرب عرض الحائط بكل قرارات مجلس الامن ونداءات الرأي العام العالمي للانسحاب من الاراضي التي احتلها بعد حزيران ولم تجد كل المساعي السلمية والدبلوماسية لردعه عن هذه السياسة التوسعية ، فما كان أمام أمتنا العربية وفي مقدمتها دولتا مصر وسوريا الا ان تبذل الجهود المضنية في الاستعداد العسكري من أجل الصمود اولا في وجه هذه الغزوة الهمجية المسلحة بالقوة ، وثانيا من اجل تحرير تلك الاراضي واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني بعد استنفاد كل الوسائل السلمية . وضمن هذا الاطار اندلعت الحرب الرابعة ، حرب تشرين لتؤكد للعدو الصهيوني عقم سياسته الاحتلالية التوسعية واعتماده على شريعة القوة العسكرية ، ولكن رغم ذلك فان قادة الكيان الصهيوني ما زالوا بعيدين عن الاتعاظ بهذه الدروس ، فهم يعدون العدة للحرب الخامسة ليعودوا من جديد الى سياسة مخاطبة العرب بلغة التفوق العسكري سياسة العدوان والارهاب والاخضاع والحرب .

سيدي الرئيس ،

لشد ما يتألم شعبنا حين يسمع تلك الدعايات التي تقول ان اراضيه كانت صحراء فعمرها المستوطنون الاجانب ، وان وطنه كان خاليا من السكان ، وانه لم يتضرر احد من بني البشر نتيجة قيام هذا الكيان الاستيطاني . لا .. يا سيدي الرئيس ، يجب أن تدحض هذه الاكاذيب من على هذا المنبر العالمي ، ويجب ان يعرف الجميع ان فلسطين كانت مهدا لاقدم الحضارات والثقافات واستمر شعبها العربي ينشر الخضرة والبناء والحضارة والثقافة في ربوعها طوال الاف السنين ويرفع لواء التسامح الديني ضاربا المثل على حرية العقيدة وحارسا أمينا على مقدسات جميع الاديان في وطنه . وانني كأحد أبناء بيت المقدس احتفظ لنفسي ولشعبي بذكريات جميلة وصور رائعة عن مظاهر التآخي الديني التي كانت تتألف في مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة بها . ولم ينقطع شعبنا عن ذلك الا بعد تمكن الغزوة الصهيونية الهمجية من اقامة دولة اسرائيل وتشريده . ولكنه ما زال مصمما على الاستمرار في اداء دوره الحضاري والانساني على ارض فلسطين ، ولا يسمح بأن تتحول هذه الاراضي الى بؤرة للعدوان على الشعوب ، والى معسكر عنصري ضد الحضارة والثقافة والتقدم والسلام . ولهذا فان شعبنا لا يستطيع الا ان يواصل تراث أجداده في الكفاح ضد الغزاة ، وان يحمل شرف المسؤولية في الدفاع عن وطنه وعن امته العربية وعن الثقافة

والحضارة ومهد الديانات السماوية . وتكفينا نظرة سريعة لمواقف اسرائيل العنصرية عندما دعمت منظمة الجيش السرية في الجزائر، وفي دعمها للمستعمرين في افريقيا سواء في الكونغو وانغولا وموزمبيق وزمبابوي وروديسيا وجنوبي افريقيا وفي وقوفها الى جانب حكومة فيتنام ضد الثورة الفيتنامية ، فضلا عن مواقفها المتتابعة في هذا السياق الى جانب الاستعماريين والعنصريين في كل مكان وعرقلتها لعمل لجنة تصفية الاستعمار ورفضها التصويت لمصلحة استقلال بلدان افريقيا ووقوفها ضد مطالب بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وبلدان عديدة اخرى في مؤتمرات « المواد الاولية والتنمية »، و« قانون البحار » و« السكان » و« التغذية » . كل ذلك يعطي دليلا اضافيا على صورة العدو الذي اغتصب بلادنا ، ويكشف عن شرف النضال الذي نخوضه ضده . اننا ندافع عن حلم المستقبل ، وهو يدافع عن اساطير الماضي .

سيدي الرئيس ،

ان لهذا العدو الذي نواجهه سجلا حافلا ضد اليهود أنفسهم فهنالك في داخل الكيان الصهيوني تمييز عنصري بشع ضد اليهود الشرقيين . واذا كنا ندين بكل ما أوتينا من قوة مذابح اليهود تحت الحكم النازي ، فان القادة الصهاينة كان يبدو ان همهم الاكبر حينذاك هو استغلالها لتحقيق الهجرة الى فلسطين .

سيدي الرئيس ،

لو كان تهجيرهم الى فلسطين بهدف العيش كمواطنين متساوين معنا بالحقوق والواجبات لكنا افسحنا المجال لهم ضمن امكانات وطننا ، كما حدث مع عشرات الالاف من الارمن والشركس الذين ما زالوا بيننا اخوة مواطنين مثلنا تماما ، اما أن يكون هدف ذلك اغتصاب ارضنا وتشريدنا وتحويلنا الى مواطنين من الدرجة الثانية وانزال المعاملة نفسها بنا فهذا ما لا يمكن ان ينصحنا احد القبول به او الاذعان له . ولهذا فان ثورتنا منذ البداية لا تقوم على اسس عرقية او دينية عنصرية ، وليست موجهة للانسان اليهودي من حيث كونه انسانا وانما هي موجهة ضد العنصرية الصهيونية وضد العدوان . وبهذا المعنى فان ثورتنا هي أيضا من أجل الانسان اليهودي . اننا نناضل من أجل ان يعيش اليهود والمسيحيون والمسلمون بمساواة في الحقوق والواجبات وبلا تمييز عنصري او ديني .

أ ـ اننا اذن يا سيادة الرئيس نفرق بين اليهودية وبين الصهيونية . وفي الوقت الذي نعادي الحركة الصهيونية الاستعمارية ، فاننا نحترم الدين اليهودي واننا نحذر اليوم ، وبعد قرابة قرن من بروز هذه الحركة العنصرية ، من ان خطرها يتزايد ضد اليهود في العالم ، وضد شعبنا العربي وضد أمن العالم وسلامته. فالصهيونية لا تزال

متمسكة بتهجير اليهود من أوطانهم واصطناع قومية لهم يستبدلون بها قومياتهم الاصلية . ان الصهيونية تتابع نشاطها التخريبي هذا على الرغم من ظهور فشل الحل الذي قدمته ، وان ظاهرة النزوح من التجمع الاسرائيلي المستمرة منذ تيامه والتي ستقوى مع سقوط قلاع الاستعمار الاستيطاني العنصري في العالم ، لدليل على هذا الفشل .

ب — اننا ندعو جميع الشعوب والحكومات لمجابهة مخططات الصهيونية الرامية الى تهجير مزيد من يهود العالم من أوطانهم ليغتصبوا وطننا . وندعوهم في الوقت نفسه للوقوف في وجه اي اضطهاد للانسان بسبب دينه او جنسه او لونه .

ج — وانني أتساءل يا سيادة الرئيس، لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مسؤولية مشكلة الهجرة اليهودية اذا كانت لا زالت مثل هذه المشكلة في مخيلة البغض ؟. وأتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة، ان وجدت ، المسؤولية فيفتحوا بلادهم الكبيرة الرقعة والقادرة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم ؟.

سيدي الرئيس ،

ان الذين ينعتون ثورتنا بالارهاب ، انما يفعلون ذلك لكي يضللوا الرأي العام العالمي عن رؤية الحقائق ، عن رؤية وجهنا الذي يمثل جانب العدل والدفاع عن النفس ووجههم الذي يمثل جانب الظلم والارهاب .

ان الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والارهابي ، فمن يقف في جانب قضية عادلة ومن يقاتل من أجل حرية وطنه واستقلاله ضد الغزو والاحتلال والاستعمار لا يمكن أن تنطبق عليه بأي شكل من الاشكال صفة ارهابي والا اعتبر الشعب الامريكي حين حمل السلاح ضد الاستعمار البريطاني ارهابيا واعتبرت المقاومة الاوروبية ضد النازية ارهابا ، واعتبر نضال شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ارهابا . لا يا سيدي الرئيس ان هذا هو الكفاح العادل والمشروع والذي يكرسه ميثاق هيئة الامم والاعلان العالمي لحقوق الانسان . أما الذي يحمل السلاح ضد القضايا العادلة .. الذي يشن الحرب لاحتلال أوطان الاخرين ونهبهم واستغلالهم واستعمارهم فذلك هو الارهابي وأعماله هي التي يجب أن تدان وينسحب عليه لقب مجرم حرب ذلك ان عدالة القضية هي التي تقرر عدالة السلاح .

سيدي الرئيس ،

ان الارهاب الصهيوني الذي ارتكب بحق الشعب الفلسطيني لاجلائه عن وطنه واقتلاعه من أرضه مدون لديكم في وثائق رسمية وزعت في الامم المتحدة . لقد ذبح الالاف من ابناء شعبنا في قراهم ومدنهم وأجبر عشرات الالوف تحت نار البندقية وقصف المدافع

والطائرات أن يتركوا بيوتهم وما زرعوا في أرض أجدادهم . وكم من مرة أجبر فيها ابناء من شعبنا نساء وأطفالا وشيوخا على الخروج من دون زاد او ماء وأرغموا على تسلق الجبال والتيه في الصحراء. ان الكوارث التي حلت عام ١٩٤٨ بأهالي المئات من القرى والمدن في السهل والجبل ، في القدس ويافا واللد والرملة والجليل ، لم ولن ينساها من عانى أهوالها لحظة لحظة رغما عن التعتيم الاعلامي العالمي الذي نجح في اخفاء هذه الاهوال كما أخفى اثر ٣٨٥ قرية ومدينة فلسطينية دمرت في حينه وأزيلت من الوجود . ان نسف ١٩ الف منزل على مدى السنوات السبع الاخيرة أي ما يساوي تدمير مائتي قرية فلسطينية اخرى تدميرا كاملا والاعداد الضخمة من مشوهي الارهاب والتعذيب ومن في السجون لا يمكن ان يطمسه التعتيم الاعلامي . لقد وصل ارهابهم الى الحقد حتى على شجرة الزيتون في بلادي التي اعتبروها علما شامخا يذكرهم بسكان البلاد الاصليين ، يصرخ ان الارض فلسطينية ، فراحوا يعملون على اقتلاعها او قتلها بالاهمال والتحطيب . ماذا يمكن ان يسمى تصريح غولدا مائير عندما عبرت عن « قلقها من الاطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل صباح » . انهم يرون في الطفل الفلسطيني والشجرة الفلسطينية عدوا يجب التخلص منه . يا سيادة الرئيس ، طيلة عشرات السنين وهم يتعقبون قيادات شعبنا الثقافية والسياسية والاجتماعية والفنية بالارهاب والقتيل والاغتيال والتشريد . لقد سرقوا تراثنا الحضاري ، وفولكلورنا الشعبي وادعوه لهم ومدوا ارهابهم الى مقدساتنا في مدينة السلام القدس الحبيبة وعمدوا الى افقادها طابعها العربي المسيحي الاسلامي من خلال تهجير سكانها وضمها لدولتهم ، ولا حاجة لان نسترسل في ذكر المسجد الاقصى وسرقة ثروات كنيسة القيامة والتشويه الذي لحق بعمرانها وطابعها الحضاري .. فالقدس بروعتها وبالعبق التاريخي المسيطر عليها تشهد لاجيالنا المتعاقبة التي مرت عليها تاركة في كل ركن من أركانها اثرا خالدا وبصمة حنونة ولمسة حضارية ونبضة انسانية .

وليس غريبا ان تتعانق في سمائها الرسالات السماوية الثلاث وتتهادى في ركبها وآفاقها تنير للبشرية طريق جلجلتها وهي تحمل أشواكها وآلامها لترسم مستقبلها بكل ما فيه من آمال وأماني ومعطيات .

سيدي الرئيس ،

ان العدد القليل من العرب الفلسطينيين الذين لم يستطع العدو تهجيرهم من أرضهم عام ١٩٤٨ هم الآن لاجئون على أرضهم وقد عوملوا في القانون الاسرائيلي كمواطنين من الدرجة الثانية ، بل والثالثة باعتبار أن اليهود الشرقيين هم مواطنو الدرجة الثانية ومورست ضدهم كل أشكال التمييز العنصري والارهاب وصودرت أراضيهم وممتلكاتهم ، وتعرضوا لمذابح دامية كما حدث في قرية كفرقاسم ، وهجروا من قراهم وحرموا من العودة لها كما حدث

لاهالي قريتي كفربرعم وأقرت . كما ان أهلنا عاشوا هناك ثمانية عشر عاما تحت الحكم العرفي لا يحق لهم الانتقال من مكان الى مكان مجاور دون اذن مسبق من الحاكم العسكري . تصور ، يا سيادة الرئيس ، في الوقت الذي يسن فيه المشرع الاسرائيلي قانونا يعطي حقا تلقائيا بالمواطنية لاي يهودي يهاجر الى أرضنا فور أن يطأها ، يسن قانونا آخر يعتبر الفلسطينيين الذين بقوا في فلسطين ولم يكونوا في قراهم أو مدنهم ساعة احتلالها محرومين من المواطنية .

سيدي الرئيس ،

ان سجل حكام اسرائيل الحافل بجرائم الارهاب يمتد ليشمل عددا من أبناء أمتنا العربية الذين بقوا تحت الاحتلال في سيناء أو الجولان كما ان ذكرى جريمة قصف مدرسة بحر البقر ومصنع ابوزعبل في مصر العربية ما زالت ماثلة للاذهان ، واما تدمير مدينة القنيطرة السورية ما زال شاهدا لكل من يريد ان يرى ما يفعله الارهاب ، واذا فتح سجل الارهاب الصهيوني على جنوبي لبنان وهو الارهاب الذي ما زال مستمرا ، فسوف تقشعر الابدان من هول ما يرتكب من أعمال القرصنة والقصف والعدوان ، بما في ذلك تهجير المدنيين وتدمير بيوتهم وخطفهم وحرق مزارعهم الى جانب الاعتداءات المستمرة على سيادة الدولة اللبنانية ، والاعداد لسرقة مياه نهر الليطاني . ولنذكر في هذا المجال بالمقررات العديدة التي صدرت عن هذه المنظمة ، والتي تدين اسرائيل بارتكاب الاعتداءات ضد الدول العربية وبالاعتداء على حقوق الانسان ، وفيما يتعلق بضم القدس وتغيير وضعها السابق للاحتلال وادانتها لمخالفات متعددة لبنود اتفاقيات جنيف في حالة الحرب .

سيدي الرئيس ،

ان التأمل بكل هذه الاعمال لا يمكن أن يطلق عليه من وصف غير وصف الارهاب الهمجي ، ومع ذلك يتجرأ اولئك الارهابيون الغزاة العنصريون على تسمية نضالات شعبنا العادلة بالاعمال الارهابية . هل يوجد ثمة تجرؤ على الباطل والتزييف أشد من هذا . واننا نقول ان على أولئك الذين اغتصبوا أرضنا وارتكبوا من جرائم الارهاب والتمييز العنصري أكثر مما فعل ويفعل العنصريون في جنوبي افريقيا ، ان يتذكروا قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة الذي أعلن طرد جنوبي افريقيا من عضويتها ، لان ذلك هو المصير المحتوم لكل الدول العنصرية التي تطبق شريعة الغاب وتغتصب وطن الاخرين وتضطهدهم .

سيدي الرئيس ،

لقد قاوم شعبنا الفلسطيني خلال ثلاثين عاما تحت الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني كل محاولات انتزاع أرضه ، وناضل

في ثورات ست ، ومن خلال عشرات الانتفاضات الشعبية ومن أجل احباط المؤامرة ليبقى على ارضه وفوق تراب وطنه ، قدم في سبيل ذلك ولغاية ١٩٤٨ ثلاثين الف شهيد (أي ما يوازي ٦ ملايين امريكي بالنسبة لعدد السكان اليوم) .

وعندما اقتلعت غالبيته من الارض الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨ ظل يقاوم في ظروف صعبة محاولات افنائه . وحاول شعبنا بكل الطرق استمرار نضاله السياسي من أجل حقوقه ، دون جدوى. وناضل للحفاظ على وجوده فتعلم ابناؤه في النزوح والشتات وكدحوا تحت أصعب الظروف ليستطيعوا الاستمرار ، وأصبح لدى الشعب الفلسطيني آلاف الاطباء والمهندسين والاساتذة والعلمـــاء توجهوا بعملهم وأمكانياتهم للاقطار العربيـــة المحيطة بوطنهـــم المغتصب فساهموا في البناء والتعمير والتطوير وحصلوا على دخل استخدموه لمساعدة أقربائهم الصغار والعجائز الذين استحال عليهم مغـــادرة مخيمات النزوح . علم الاخ أخاه وأخته وحافظ على والديه وربى أولاده ولكنه ظل يحلم في قلب ذاته بالعودة الى فلسطين .. ظل فلسطينيا متمسكا بوطنه لا يهتز ولاؤه لها ولا تهن عزيمته ولا يفتر حماسه . لم يغره شيء للتخلي عن فلسطينيته ووطنه فلسطين . لا ولم ينسه الزمن اياها كما توقع المتوقعون .

وعندما خابت آمال شعبنا بالاسرة الدولية التي نسيته وتغافلت عن حقوقه وثبت لشعبنا عجز النضال السياسي وحده عن استعادة شبر ارض من وطنه لجأ شعبنا الى الثورة الفلسطينية وأعطاها كل امكانياته المادية والبشرية وخيرة شبابه .. وواجه شعبنا ببسالة ارهابا اسرائيليا لا يتخيله بشر ليثنيه عن طريق النضال .

لقد قدم شعبنا في السنوات العشر الاخيرة مـــن نضاله آلاف الشهداء وأضعافهم من الجرحى والمشوهين والاسرى والمعتقلين من أجل الا يفنى او يذوب ومن أجل انتزاع حقه في تقرير مصيره على وطنه وفي عودته الى ترابه .

وتعيش جماهير شعبنا الان تحت الاحتلال الصهيوني تقاوم بكل الكبرياء المتأصلة فيها ، بكل الشموخ الثوري الملازم لها سواء من زج منها في السجون والمعتقلات او من يعيش داخل السجن الكبير في قفص الاحتلال . يقاومون من أجل البقاء والوجود . يناضلون من أجل أن تبقى الارض عربية ويكافحون الطغيان والظلم والارهاب بشتى صوره المأساوية الخطيرة .

ومن خلال ثورة شعبنا المسلحة تبلورت قيادتـــه السياسيـــة وترسخت مؤسساته الوطنية وبنيت حركة التحرير الوطنية التي تضم كل فصائله وتنظيماته وقدراته والتي جسدتها منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن خلال حركة التحرير الوطنية الفلسطينية نضج نضال شعبنا وتعددت أساليبه فشمل النضال السياسي والاجتماعـــي بالاضافة للنضال المسلح، واندفعت منظمتنا تساهم في بناء الانسان الفلسطيني

المؤهل لبناء المستقبل الفلسطيني وليس فقط لتعبئته لمواجهة تحديات الحاضر .

وتعتز منظمة التحرير الفلسطينية بأنها وهي تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الارهاب الصهيوني ، قامت بمآثر عديدة حضارية وثقافية فشكلت مؤسسات البحث العلمي ، والتطوير الزراعي والرعاية الصحية واحياء التراث الحضاري لشعبنا ، وتطوير الفولكلور الشعبي ، وخرجت من بين صفوفها عددا من الشعراء والفنانين والكتاب الذين يسهمون في تطوير الثقافة العربية، وربما امتد ذلك الى الثقافة العالمية ، وكان المحتوى لكل ذلك يحمل طابعا انسانيا عميقا أثار اعجاب كل الاصدقاء الذين اطلعوا عليه وكنا بذلك النقيض لعدونا الذي قام على هدم الحضارة والثقافة بترويج الافكار العنصرية والاستعمارية وكل ما هو معاد للشعوب والتقدم والعدل والديمقراطية والسلام .

سيدي الرئيس ،

لقد اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية شرعيتها من طليعتها في التضحية ومن قيادتها للنضال بكافة أشكاله، واكتسبتها من الجماهير الفلسطينية التي أولتها قيادة العمل واستجابت لتوجيهها ... واكتسبتها من تمثيل كل فصيل ونقابة وتجمع وكفاءة فلسطينية في مجلسها الوطني ومؤسساتها الجماهيرية . وقد تدعمت هذه الشرعية بمؤازرة الامة العربية كلها لها . كما تكرس هذا الدعم في مؤتمر القمة العربي الاخير بتأكيد حق منظمة التحرير الفلسطينية في اقامة السلطة الوطنية المستقلة على كل الاراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها بصفتها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني .

كما ان شرعيتها تعمقت من خلال دعم الاخوة في حركات التحرر ودول العالم الصديقة المناصرة التي وقفت الى جانب المنظمة تدعمها وتشد ازرها في نضالها من أجل حقوق الشعب الفلسطيني .

وهنا لا بد أن أعلن بكل اعتزاز شكر ثوارنا وشعبنا للمواقف المشرفة التي وقفتها مع نضال شعبنا دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والدول الاسلامية والدول الافريقية والدول الصديقة في اوروبا وكذلك الاصدقاء في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

سيدي الرئيس ،

ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وهي بهذه الصفة المعبرة عن رغبات وأماني هذا الشعب وهي بهذه الصفة تنقل اليكم تلك الرغبات والاماني وتحملكم مسؤولية تاريخية كبيرة تجاه قضيتنا العادلة .

سيدي الرئيس ،

لقد تعرض شعبنا لويلات الحرب والدمار والتشريد سنين

طويلة ، ودفع شعبنا من دماء أبنائه وأرواحهم ما لا يعوّض بثمن . وعانى من الاحتلال والتشريد والنزوح والارهاب ما لم يعان منه شعب آخر . ولكن ذلك كله لا يجعل شعبنا حاقدا يحلم بالانتقام ، كما انه لا يجعلنا يا سيادة الرئيس نقع في سقطة عدونا العنصرية او نفقد الرؤية الحقيقية في تحديد أعدائنا واصدقائنا .

اننا ندين كل الجرائم التي ارتكبت ضد اليهود وكل انواع التمييز الصريح والمقنع الذي عانى منه معتنقو اليهودية .

سيدي الرئيس ،

انني ثائر من أجل الحرية . وأعرف ان كثيرين من الجالسين في هذه القاعة كانوا في مثل المواقع النضالية التي أقاتل منها الان . واستطاعوا من خلال نضالهم أن يحولوا أحلامهم الى حقائق . انهم شركائي في الحلم اذن . من هنا أسألهم أن نمضي في تحويل الحلم المشترك بمستقبل السلام في هذه الارض الفلسطينية المقدسة الى حقائق ساطعة .

لقد وقف المناضل اليهودي أهود اديف في المحكمة العسكرية الاسرائيلية قائلا : انا لست مخربا ... انا من المؤمنين باقامة الدولة الديمقراطية على هذه الارض . انه الان في غياهب سجون الزمرة العسكرية الصهيونية مع زملاء له .

ويمثل الان ، أمام هذه المحاكم ذاتها، أمير شجاع من امراء الكنيسة المسيحية هو المطران كبوجي . انه يرفع اصابعه بعلامة النصر — شعار ثوارنا — ويقول : « انني أعمل من اجل السلام في فلسطين ليعيش الجميع على أرض السلام بسلام » . وسيلقى هذا الامير الراهب المصير ذاته في غياهب السجون .

فلماذا لا أحلم ، يا سيادة الرئيس ، وآمل ، والثورة هي صناعة تحقيق الاحلام والامال . فلنعمل معا على تحقيق الحلم في أن أعود مع شعبي من منفاي لاعيش مع هذا المناضل اليهودي ورفاقه ، ومع هذا المناضل الراهب المسيحي واخوانه في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي والمسلم في كنف المساواة والعدل والاخاء .

الا يستحق هذا الهدف الانساني النبيل ان أناضل من أجل تحقيقه مع كل الشرفاء في العالم ؟ ولعل أروع ما في هذا الهدف العظيم هو انه من أجل فلسطين .. ارض القداسة والسلام. ارض الاستشهاد والبطولة .

لقد ناضل اليهود يا سيادة الرئيس في أوروبا وهنا في أميركا من أجل أوطان لا طائفية تنفصل فيها الدول عن الكنيسة وقاتلوا ضد التمييز على أساس الدين . فكيف يمكن لهم أن يرفضوا هذا النموذج الانساني المشرف على الارض المقدسة ، أرض السلام والمساواة ؟ وكيف يمكن لهم أن يستمروا في دعم أكثر دول العالم انغلاقا وتمييزا وتعصبا ؟

انني أعلن أمامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية اننا عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة من أجل فلسطين الغد فنحن نشمل في تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الان في فلسطين ويقبلون العيش معنا في سلام ودون تمييز على أرض فلسطين .

انني بصفتي رئيسا لمنظمة التحرير وقائدا لقوات الثورة الفلسطينية أدعو اليهود فردا فردا ليعيدوا النظر في طريق الهاوية الذي تقودهم اليه الصهيونية والقيادات الاسرائيلية وهي التي لم تقدم لهم غير النزيف الدموي الدائم والاستمرار في خوض الحروب واستخدامهم كوقود دائم لها .

اننا ندعوكم للخروج الى مجال الاختيار الرحب بعيدا عن محاولات قيادتكم لغرس عقدة المسادا وجعلها قدرا لكم .

اننا نقدم لكم أكرم دعوة .. أن نعيش معا في اطار السلام العادل في فلسطيننا الديمقراطية .

انني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية أعلن هنا اننا لا نريد اراقة نقطة دم يهودية أو عربية ... ولا نستعذب استمرار القتال دقيقة واحدة اذا حل السلام العادل المبني على حقوق شعبنا وتطلعاته وأمانيه .

انني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية أتوجه اليكم أن تقفوا مع نضال شعبنا من أجل تطبيق حقه في تقرير مصيره . هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة .. وانني أتوجه اليكم أيضا أن تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال أشجاره حرا سيدا متمتعا بكافة حقوقه القومية ليشارك في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانات وطاقات وليحمي قدسه الحبيبة كما فعل دائما عبر التاريخ ويجعلها قبلة حرة لجميع الاديان بعيدا عن الارهاب والقهر .

كما أتوجه اليكم بأن تمكنوا شعبنا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطني على أرضه .

لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية الثائر .. فلا تسقطوا الغصن الاخضر من يدي .

سيادة الرئيس ...

الحرب تندلع من فلسطين والسلم يبدأ من فلسطين .

القصة الكاملة لادراج القضية في الامم المتحدة

الدكتور نبيل شعث

ارتبطت الامم المتحدة بالنسبة للشعب الفلسطينـــي بالتقسيم وبالقرار رقم ٢٤٢ مرورا بعشرات القرارات والادانات لاسرائيل التي صدرت عن أجهزة الامم المتحدة والتي لم يكن لها تأثير فعلي على مجرى الاحداث . لهذا كان من الطبيعي ان تثـار تساؤلات وتحفظات عديدة عن جدوى الطلب باعادة عرض القضية الفلسطينية مجددا وكبند مستقل على جدول أعمال الدورة التاسعة والعشرين للامم المتحدة . لكن الحقيقة ان هناك مجموعة من المتغيرات التي لا بد وان نأخذها بالاعتبار ومنها :

أولا : ان الامم المتحدة في العام ١٩٧٤ ليست الامم المتحدة عام ١٩٤٧ حين كانت المنظمة الدولية مجرد صنيعة اميركية ، وكانت الدول الاعضـــاء أساسا هي الدول الغربية ودول أميركا اللاتينية وحفنة من دول آسيه وافريقيه مما اضطر الدول الغربية الى اعطاء الاتحاد السوفياتي صوتين اضافيين (روسيا البيضاء واوكرانيا) بغية زيادة عدد أصوات الدول التي لا تدور في الفلك الاستعماري . أما اليوم فهناك ١٣٨ دولة عضوا في الامم المتحدة معظمها من دول العالم الثالث . صحيح ان بعض هذه الدول ضعيف التأثير وفقير الى درجة ان بعض الدول لا تستطيع ان تدفع ثمن تذكرة سفر لوزير خارجيتها لحضور الدورة العادية للجمعية العامة . المهم ان عدد الدول التي انضمت الى الامم المتحدة حديثا هي دول تحررت بعد صراع دموي طويل كان آخرها غينيا بيساو . وهذا مما جعل الامم المتحدة من حيث نوعية أعضائها مختلفة عن الامم المتحدة التي كانت عام ١٩٤٧ حين أصدرت توصية بتقسيم فلسطين . ويبلغ عدد الدول غير المنحازة والدول الاشتراكية الاعضاء ٨٧ عضوا .

- ثانيا : حين كنا نذهب الى الامم المتحدة بعد العام ١٩٤٨ ، كنا نتحدث عن شعب فلسطين اللاجيء المشرد الجريح . لم يكن هناك ثورة تناضل وشعب له وجود ملموس تمثله قيادة سياسية واحدة . لم يكن هناك نضال مسلح مما جعل من الذهاب الى الامم المتحدة بديلا للنضال وليس مؤازرا بينما يمثل الذهاب الى الامم المتحدة في هذه الفترة أحد أوجه النضال في الوقت الذي لا يزال فيه الوجه الرئيسي والاساسي للنضال هو النضال المسلح في ظل ثورة مسلحة .

ثالثا : لقد حدث تغير فعلي في وزن المجموعة العربية في الامم المتحدة فبالاضافة الى وجود ٢٠ دولة عربية عضو في الامم المتحدة ، وبالاضافة الى القوة الاقتصادية الهائلة والضاغطة التي تمثلها ، هناك مظاهر أخرى لهذه القوة منها مثلا ان رئيس الجمعية

---

* هذا المقال مستمد من ندوة مغلقة عقدها الدكتور نبيل شعث رئيس الوفد الفلسطيني التحضيري للدورة التاسعة والعشرين للامم المتحدة بعد عودته من نيويورك وعقب ادراج القضية في جدول اعمال الدورة .

العامة لهذه الدورة التاسعة والعشرين عربي ، وان اللغة العربية اصبحت لغة رسمية في الامم المتحدة ، وان هناك أربعة من نواب السكرتير العـــام للامم المتحدة عرب ، وأخيرا فان السكرتير العام فالدهايم يدين بانتخابه للعرب وبالتحديد للفلسطينيين ذلك انه شخصيا يعرف أن الاخوة الدكتور فايز صايغ وسعدات حسن وبرهان حماد هم الذين كتلوا الدول العربية لاسقاط منافس فالدهـــايم الفنلندي جاكنسون الموالـــي للصهيونية .

رابعا : ان الذهاب الى الامم المتحدة هذه المرة هو محصلة موقف فلسطيني قوي لانه نتاج ثورة مسلحة لا زالت منذ عشر سنين تقاتل وتواجه الصعاب وتجتاز المحن . في العام الماضي وحده حصلت منظمة التحرير الفلسطينية على اعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وعلى انها ممثلة هذا الشعب في أربع مؤتمرات دولية هي مؤتمر القمة العربي السادس ومؤتمر عدم الانحياز ومؤتمر القمة الافريقي ومؤتمر القمة الاسلامي.

وبسبب هذا الموقف القوي ، فان منظمة التحرير حين ذهبت هذه الدورة الى الامم المتحدة ، فانما ذهبت لتطور ولتحدث قفزة في نوعية القرارات الايجابية والهامة التي تعترف للشعب الفلسطيني بحقه في تقرير المصير وحقه في العودة والتي صدرت سنويا منذ العام ١٩٦٩ .

كان ممثل المنظمة في الامم المتحدة لا يتمتع بأية صفة ، وانما كان بحكم عضويته الشكلية في احد الوفود العربية ، يدخل الامم المتحدة ، وكانت تعطى له فرصة التحدث امام اللجنة السياسية الخاصة عندما يبحث تقرير المفوض العـــام لوكالة الغوث ، بالاستناد الى صيغة قانونية مفادها أن هناك من يريد أن يضيف الى معلومات اللجنة السياسية الخاصة شيئا جديدا . وهذا يعني انه لم يكن لمنظمة التحريـــر اية صفة رسمية ولم يكن معترفا لها بأي دور أساسي ، وانما كانت تعتبر طرفا مهتما يسمح له ، بعد تقديم طلب من احدى الدول الاعضاء ، بالتحدث أمام اللجنة السياسية الخاصة لمرة واحدة فقط ولكن ليس كممثل للشعب الفلسطيني . أكثر من ذلك ، فان كلام ممثل المنظمة لم يكن يسجل في المحاضر الكاملة للامم المتحدة .

منذ عام ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٧٣ تصاعدت القرارات المناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني تصاعدا مستمرا . في البداية صار هناك اقرار ان للشعب الفلسطيني حقوقا مشروعة ثم ترجمت هذه الحقوق المشروعة لتعني حق العودة ، ثم أضيف لها حق تقرير المصير ومن ثم حق النضال بما في ذلك الكفاح المسلح ، لكن هذا لم يحدث تحت بند فلسطين وانما اضيفت في اللجنة القانونية السادسة التـــي تناقش قضايا الشعوب المضطهدة والمستعمرة . هنا أضيفت فقرة اعتبـــر الشعب الفلسطينـــي بموجبها من ضمن الشعوب المضطهدة التي لا تتمتع بحق تقرير المصير والتي لها الحق بالنضال بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح من أجل تقرير المصير . وفي العام ١٩٧٣ وحين كانت الظروف السياسية مؤاتية بعد حرب تشريـــن مباشرة حيث ان قضية فلسطين تبحث عادة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في الامم المتحدة اي بعد ثلاثة أسابيع من حرب اكتوبر وبعد أيام قليلة من نهاية الحرب ، لذلك صدر أقوى قرار بالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني ونال أكبر عدد من الاصوات اي ٨٧ صوتا . وكان هذا اكبر عدد من الاصوات يحصل عليه قرار يتعلق بالشعب الفلسطيني ، لكن هذا القرار جاء ايضا تحت بند « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين » كما جاء بشكل غير مباشر حيث ان مناقشة حقوق الشعب الفلسطيني تثار دائما من خلال استذكار القرار ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٨ الذي يعطي الشعب الفلسطيني الحق في العودة . وكل القرارات

التي تأتي هي فعـــلا تأكيد وتأييد وتصعيد لهذا القرار بأن حقيقة مشـــكلة اللاجئين الفلسطينيين لا يمكن بحثها بدون تأكيد حق الفلسطينيين في العودة حيث ان أهم حل لمشكلتهم هو العودة ، وبالتالي فلا عدل ولا سلام في المنطقة الا بعودة الفلسطينيين وممارسة حقهم في تقرير المصير . كان ذلك يأتي متفرعا عن قرار بعودة اللاجئين صدر عام ١٩٤٨ . من جملة كل ذلك نجد اننا كنا في العام ١٩٧٤ ، بصدد تحول هام وتصعيد رئيسي بالنسبة لما نطلبه من الامم المتحدة .

رابعا : لماذا الامم المتحدة الان وبهذه الصيغة ؟ أضيف لكل ما قلته انه بطبيعة الحال هناك ظروف موضوعية مؤاتية لان تطرح الثورة الفلسطينية قضيتها بشكل اكثـــر وضوحا وأكثر عمقا عام ١٩٧٤ وهي ظروف رحبة تعطي للثورة الفلسطينية قدرة على أن تحصل على عدد أكبر من الاصوات وان تحصل على دعم كبير يساهم في دعـــم النضال الفلسطيني أضيف الى ذلك ان الذهاب الى الامم المتحدة بهذا الشكل وبهذا الاطار يعطي للثورة القدرة على التحرك في جبهات أقوى عديدة وليس فقط في جبهة الامم المتحدة ، بمعنى ان قرارا يصدر عن الامم المتحدة يؤكد شرعية النضال الفلسطيني وشرعية تمثيله للشعب الفلسطيني هو قرار يلزم مؤيديه الزاما أدبيا بأن يسمحوا للثورة الفلسطينية بالعمل بين ظهرانيهم وبالحصول على دعم متصاعد من جماهيرهم. مثلا فان موافقة ايطاليا على أن منظمة التحريـــر الفلسطينية هـــي الممثل للشعب الفلسطيني يعطي منظمة التحرير الفلسطينية خطوة هامة للمطالبة بأن تعمل منظمة التحرير للحصول على دعم الجماهير الايطالية بدون ملاحقة البوليس الايطالي ، بل هي تعطي القوى الثورية والتقدمية في ايطاليا سلاحا تقاتل به من أجل شرعية عملها في دعم الثورة الفلسطينية وتعطي هذه القوى سلاحا في حصار العدو الاسرائيلي . وبالتالي فان خطوة مثل هذه ، اذا أحسن استغلالها ، تعطي للثورة مدا في الحصول على منابر في دول مختلفة بل وحتى في الدول الصديقة التي كانت تؤيد او تدعم الثورة دعما لفظيا عاما ، يمكن تعميق دعمها ويمكن حصار العدو الاسرائيلي من خلالها بعد تصعيد القرارات الداعمة للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني . كذلك فان تأكيد الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني هو بالضرورة عامل معاكس لكل الحلول التصفوية الاستسلامية التي تحاول اميركا فرضها على المنطقة من خلال تحالفهـــا مـــع الاردن واسرائيل وهو امر تتنبه اليه اسرائيل تماما وتنبهت اليه اميركا تماما . ان اسرائيل واميركا تريان في قرار مثل القرار الذي حصلنا عليه عنصرا معرقلا بل وناسفا لكـــل محاولات التسوية التصفوية الامريكية الاسرائيلية الاردنية التي تجري في هذه المرحلة. ان قرارا بالاضافة الى ذلك يدعم حقوق الشعب الفلسطيني ويؤكد ان قضيته قضية سياسية اي قضية ارض وشعب وقيادة وثورة هو بالضرورة عنصر هـــام في ضرب المخططات الاسرائيلية الرامية الى تصفية الوجود الحقيقي للشعب الفلسطيني ويبرز الرابطة بين الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية . واظن ان ذلك واضح تماما من ردود فعل العدو الاسرائيلي . وهو ما سأتعرض له فيما بعد . ان قرارا مثل هـــذا يعطي الثورة الفلسطينية اسلحة تناور بها وتحاول بها ان تتصدى للمناورات المعاكسة التي تسعى فعلا لاسكات الصوت الفلسطيني والتي تحاول اخماد القدرة الفلسطينية على التصدي عربيا ودوليا وفلسطينيا .

وبالتالي فان هناك عوامل عديدة تجعل الذهاب الى الامم المتحدة في هذه المرحلـــة عملا نضاليا وهاما وذا اثر تاريخي .

طبعا هناك السؤال اليس من سلبيات ؟ هناك في الذهاب الى الامم المتحدة بطبيعة الحال سلبيات محتملة لو اننا ، اولا جعلنا انتصاراتنا في الامم المتحدة تشكل قناعات

رئيسية بأن هذا النضال هو اسهل واجدى وافعل . ولو ان هذا ادى الى تراخ وفتور في العمل الجماهيري بين الجماهير العربية والفلسطينية والعمل العسكري المسلح على الارض الفلسطينية . لو ان انتصاراتنا تؤدي الى هذا فبطبيعة الحال يكون الذهاب الى الامم المتحدة سلبيا ، الا ان هذه القضية مرتبطة بما سنفعله نحن بهذه الانتصارات وليست متعلقة بالانتصارات ذاتها . ثانيا لو ان انتصاراتنا في الامم المتحدة تجعلنا نميل الى الانغماس في العمل السياسي الدولي وتجعلنا اقرب الى القبول بالتسويات الدولية التي تحرم الشعب الفلسطيني من حقوقه وهي نتيجة معكوسة لما يجب ان تؤدي اليه هذه القرارات — ولكن يمكن دائما تصور امكانية ان يعكس الانسان النصر الى هزيمة — وكم من جيوش انتصرت ولكن قياداتها خسرت المعركة بعد الانتصار وكم جيوش انهزمت وتمكنت قياداتها هي وجماهيرها من الاستمرار من أن تحول الهزيمة الى نصر . **وبالتالي فان السلبيات الرئيسية للعمل في الامم المتحدة لا تكمن في الانتصار ذاته وانما تكمن في أن يجر هذا الانتصار الى التراخي والتهاون ، فيتصرف بالانتصار تصرفا يحبط النتائج الايجابية له . وهذه في حقيقة الامر قضية ذاتية راجعة لقوانا ، لقوى الثورة وفي ماذا تفعل بهذا الانتصار .**

بطبيعة الحال كانت هناك اراء تتصور ان الذهاب الى الامم المتحدة في هذه المرحلة سيجر الفلسطينيين الى الاعتراف بالعدو الاسرائيلي . يجب ان ننظر الى هذه القضية بمنظار واضح . ذهاب الثورة الفلسطينية الى الامم المتحدة لا يعتبر على الاطلاق اعترافا بالعدو الاسرائيلي لمجرد ان العدو الاسرائيلي ممثل في الامم المتحدة . هناك مئات الامثلة التي أصبح فيها الوضوح القانوني لا يشوبه شك في ان اي عضو في الامم المتحدة لا يفترض قبوله في الامم المتحدة اعتراف بقية الاعضاء به . والدول العربية كلها لا تعترف باسرائيل وهناك دول لا تعترف بالصين كما ان الصين لا تعترف بدولة اسرائيل مثلا ، ومع ذلك جميعها في الامم المتحدة .

ليس خطرا أن تعترف بي دول تعترف بعدوي الصهيونيْ ، بالعكس هذا انتصار لنا . اننا ننتقل من مرحلة حيث الاعتراف بالعدو الصهيوني يعني نزع الاعتراف بالشعب الفلسطيني الى مرحلة حيث اطراف ثالثة تعترف بنا وبعدونا الصهيوني حتى نستطيع أن نصل المرحلة الثالثة وهي أن الاعتراف بنا يجب ان يشكل الغاء للاعتراف بالعدو الصهيوني وهو الذي نسعى اليه بمعنى اننا نسعى الان لكي نحصل من الامم المتحدة على اعتراف بان الثورة الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لكل الشعب الفلسطيني لتكون الخطوة الثانية ان الثورة الفلسطينية هي الممثل الشرعي لكامل التراب الفلسطيني . والخطوة الاولى يجب ان تكون المقدمة الطبيعية للخطوة الثانية وبالتالي فقد تنبأ معظم المعلقين السياسيين والصحافيين بان قرارا بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية هو التوطئة الاساسية والاولى لطرد اسرائيل من الامم المتحدة . ولذلك فانه بمجرد صدور هذا القرار خرج مندوب اسرائيل تيكواه من قاعة الامم المتحدة لكي يقول للصحافيين : « سننسحب فورا من الامم المتحدة » . وسارعت السفارة الاسرائيلية تطوق هذا الاعتراف وتمنع وكالات الانباء من نشره ومع ذلك فقد صدر بصورة تعليق من وكالة انباء C.B.S. التي قالت ان الامم المتحدة قد ادخلت صوتا جديدا ولكنه لن يمثل اضافة صافية لاصوات الامم المتحدة لان دخول الصوت الفلسطيني سيعقبه خروج الصوت الاسرائيلي .

ان قرار عزل جنوب افريقيا من الامم المتحدة هو قرار فسرته كافة وكالات الانباء والمراقبين الدوليين بانه يعطي المثل ويعطي السابقة بطرد وعزل اسرائيل من الامم المتحدة . طالما ان الشعب الفلسطيني وثورته تصر على عدم الاعتراف بالعدو بل على

النضال ضده حتى التحرير فهذا هو الشرط والضمان الاساسي . **لا يهمني ان يعترف بي من يعترفون بعدوي ولكن الذي يهمني ان لا ادفع انا ثمنا لاعتراف العدو بي اعترافي به . هذا هو الشرط الاساسي الذي يجب أن نتمسك به طيلة نضالنا حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني .**

هناك ايضا مقولة تقول بان الذهاب الى الامم المتحدة والحصول على انتصار من الامم المتحدة هو انتصار زائف ، هو انتصار سيجير لصالح من يطالبون بجنيف والدولة الفلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني والاعتراف بسياسة اسرائيل والدخول بالتسوية والى غير ذلك من المقولات . هذه المقولة انتشرت بشكل كبير حتى عند ذهابي الى امريكا ومناقشتي مع الاخوة العرب أبناء الجالية العربية هناك . كان هذا التصور يشق الجالية ويشتتها ويحيرها ويبلبلها بشكل كبير ولكن الحقيقة اذا اخذنا بهذا التصور الذي يرى ان انجازا هاما للشعب الفلسطيني وللثورة الفلسطينية في الامم المتحدة هو شيء سيء لانه بانتصار منظمة التحرير في الامم المتحدة تقوى قدرتها على المساومة وبالتالي تقوي قدرتها على الدخول في خطوات الحل السلمي في التسوية ، وبالتالي تزداد قدرة قياداتها على تحقيق الدولة الفلسطينية الى غير ذلك ، لو طبقنا هذا المنطق — وبالمناسبة انا لا أقول انه منطق تصوري بل هو المنطق المطروح تماما — فان نفس المنطق سيقول ان اية معركة عسكرية نكسبها في فلسطين هي ايضا تقوي قدرة الثورة الفلسطينية على المساومة ، ويمكن تجييرها الى الحل السلمي . وانها تجعل المنظمة اقرب الى الدولة الفلسطينية . ولو قلنا ايضا ان الوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار منظمة التحرير في هذه المرحلة هي ايضا تقوي قدرة المقاومة على المساومة وبالتالي يمكن تجييرها الى الحل السلمي وبالتالي تقرب من الدولة الفلسطينية . اذن نخرج بالنتيجة الاتية : علينا ان نخسر معركتنا السياسية وعلينا ان نخسر معاركنا العسكرية وعلينا ان نشق وحدة الشعب الفلسطيني وعلينا ان نقضي على كل انتصار فلسطيني وعلينا ان نحجم عن كل عمل نضالي لان هذه الاعمال اذا تمت من خلال اطار منظمة التحرير الفلسطينية تمكن القيادة من ان تجيرها للحل السلمي ولزادت قدرة المنظمة على المساومة واقتربت الدولة وحلت الكارثة . هذا المنطق في الحقيقة منطق خطير ومنطق مرفوض تماما لانه عندئذ يصبح على الثورة الفلسطينية أن تضرب استراتيجيتها الرئيسية خوفا من نوايا قيادتها التي قد تؤدي الى انحرافات تكتيكية يعني ان توقف الكفاح المسلح لئلا تستخدمه القيادة في الانحراف ، أن توقف العمل النضالي خوفا من ان يجير مرحليا لعمل غير مرض عنه وهكذا . هذا المنطق منطق مرفوض . المنطق الصحيح في هذه المرحلة هو ان الثورة الفلسطينية تسعى بكل قواها وكوادرها لتعميق الكفاح المسلح لتدعيم الوحدة الوطنية الفلسطينية ، للحصول على انتصارات استراتيجية لان هذه الانتصارات تمكن الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بل والشعب العربي كله ان يستفيد منها باستمرار النضال وتعميقه . وهي مكاسب نضالية تغذي وتنمي قدرة الثورة على الاستمرار . ومن يقول بأنه غير قادر على استثمارها يطرح طرحا عاجزا او يقول بأنه غير قادر على الاستمرار بالثورة .

والاستمرار بالثورة يكون اكثر امكانية لو انتصرت الثورة مما لو انها انهزمت . وتحقيق الانتصارات السياسية والعسكرية هو سلاح من يريدون الاستمرار بالثورة وليس سلاحا بأيدي من يريدون ايقافها ، او على الاقل فقط من يتصور انهم يريدون ايقافها . هذه هي الحقيقة في الموقف النظري والطرح الرئيسي الذي ميز ذهابنا الى الامم المتحدة وبالتالي كان الذهاب من هذا المنطق تماما ، وكان تحركنا في الامم المتحدة

كله من هذا المنطق وكان التأكيد دائما : **نحن لسنا قادمين للامم المتحدة لكي نعقد صفقات او نوقع على تسويات او ندخل في مفاوضات . نحن قادمون الى تلك المنظمة الدولية التي اخرجتنا عام ٤٧ لاجئين بلا وطن ، نعود اليها لكي نؤكد ان مشكلة الشعب الفلسطيني ليست مشكلة لاجئين وانما هي مشكلة شعب وثورة وحركة تحرير على ارض اغتصبت** . وان على منظمة الامم المتحدة ان تؤكد هذا الحق التاريخي لان مسؤوليتها في نزع الصيغة الفلسطينية عن الارض الفلسطينية لا تقل عن مسؤولية غيرها من الدول والمنظمات . كان طرحنا دائما ان الثورة الفلسطينية التي تناضل الان من اجل شرعيتها وتأكيد حق الشعب الفلسطيني في النضال (بطبيعة الحال لا داعي للتكرار نقول مئة مرة ان شرعيته هي أمر أعطته اياها سواعد المقاتلين ونحن لسنا ذاهبين الى الامم المتحدة لنحصل على الشرعية) . كان ضروريا تأكيد ذلك ولكنه امر واقع . ونحن نذهب الى الامم المتحدة لكي نؤكد شرعيتنا النضالية بشرعية سياسية دولية تمكننا من استمرار النضال واننا اذ نحصل عليه سيعطينا القوة على الاستمرار حتى تحرير فلسطين وانشاء الدولة الديمقراطية الفلسطينية التي تشكل الحل الوحيد لقضية فلسطين .

ننتقل الان الى الحديث عما تم انجازه فعلا .

الادراج

تم ادراج بند فلسطين وذلك بتوافق الآراء . هناك فرق بين التوافق والاجماع .

ففي الامم المتحدة صيغة اسمها صيغة التوافق Consensus هذه الصيغة لا تعني الاجماع Acclamation كل الذي تعنيه ان الدول لا تريد التصويت على بند معين وهي تعفي نفسها مشقة التصويت لكنها تقول في الوقت نفسه انها غير مستعدة لمنع حدوث شيء معين . هي ليست بالضرورة موافقة عليه . لكن هي على غير استعداد لمعارضته . عندما مر ادراج قضية فلسطين بالتوافق Consensus كان معنى ذلك ان الولايات المتحدة الاميركية ومن يدور في فلكها لم ترد ان تدخل المعركة مبكرا . بل قالت فلتدرج فلسطين في جدول الاعمال دون تصويت حتى لا يتم الفرز الان . بمعنى ان الولايات المتحدة حاولت في البداية ان لا تفرز لان عملية التصويت تفرز بشكل واضح من مع ومن ضد . عملية التوافق لا تعطي دلالة على موازين القوى انما كل الذي تقوله اننا لسنا مستعدين لخوض المعركة الان . قد كان ذلك ضروريا من وجهة نظر الولايات المتحدة الاميركية ، العدو الرئيسي او القطب الرئيسي لمعسكر العدو في هيئة الامم المتحدة . الادراج سبق وصول كيسنجر الى المنطقة . كانت الولايات المتحدة تريد ان يذهب كيسنجر الى المنطقة اذ كان ذهابه اليها جزءا هاما من الاستراتيجية الاميركية في هذه المرحلة دون ان تعطي مسبقا رأيا واضحا بتصويت واضح حول ادراج قضية فلسطين . واضح تماما ان العدو الاسرائيلي لم يقبل هذا طبعا . العدو الاسرائيلي يفهم تماما التناقض الرئيسي . اي ليس لديه اية غموض حول التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي ، العدو الاسرائيلي يفهم تماما ان التناقض الرئيسي والاساسي هو مع الثورة الفلسطينية ومع الشعب العربي لذلك فالعدو الاسرائيلي عارض قضية الادراج ولكن رئيس الجلسة العامة الذي هو الاخ بوتفليقة لم يأخذ معارضة مندوب العدو الصهيوني في الاعتبار ، وقال (موافقة بالتوافق) مع ان موقف المندوب الاسرائيلي بشكل واضح كان ضد عملية التصويت . وبالتالي مرت قضية الادراج بسهولة . قضية الادراج وقع عليها ٥٤ دولة ثم لحقها ٩ دول اخرى في تبني القرار ثم التصويت على القرار . لاحظوا ان التسع دول الاخرى هي دول

معظمها من الدول الاشتراكية . والواقع ان الاتحاد السوفيتي لم يوقع القرار وان أيده . ذلك لان صيغة ادراج قضية فلسطين نقدت موقف الامم المتحدة عام ٤٧ والاتحاد السوفيتي اعتبر ان ذلك النقد يشمله لان الاتحاد السوفيتي عام ٤٧ كان مع قرار التقسيم . لذلك الاتحاد السوفيتي لم يكن من الدول التي وقعت على قرار الادراج . قرار الادراج كان هاما جدا في حد ذاته لان قرار الادراج ينص على :

ان القضية المطروحة في البند ١٠٨ هي قضية فلسطين The Question of Palestine وليس المشكلة الفلسطينية او القضية الفلسطينية حيث ان هناك مشكلة فلسطينية في لبنان ومشكلة فلسطينية في قطر ومشكلة فلسطينية في كاراكاس . ولكن هناك قضية فلسطين واحدة . وهذا يفسر لنا لماذا جن جنون العدو الاسرائيلي لان دعوة منظمة التحرير بعد ذلك كانت باعتبار ان الشعب الفلسطيني هو الطرف الرئيسي في قضية فلسطين وان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل للشعب الفلسطيني . وبالتالي لو اردنا ان نأخذ القرار بصيغة قانونية فان هذا القرار حقيقة يلغي الوجود الاسرائيلي قانونا طبعا . (لا نريد الدخول في تأكيد ان الوجود الاسرائيلي لا يلغي قانونا انما يلغي بالتحرير على ارض الوطن) ولكنا نقول ان حقيقة ان القرار خطير جدا لهذه الاعتبارات . ان الادراج تم تحت بند قضية فلسطين . وتمت الدعوة بصفة ان الشعب الفلسطيني الطرف الرئيسي في قضية فلسطين ومن هنا كانت اهمية الخطوة الثانية وهي دعوة المنظمة ، وهي التي مرت في الواقع في مراحل عديدة .

الدعـــوة

كان البند (١٠٨) اخر بند في الامم المتحدة . ومع ذلك فقد تم تقديم البند من ١٠٨ الى واحد وذلك من خلال الاتصال بمكتب الرئاسة اي الرئيس بوتفليقة الذي خدمنا في انه اعفانا من معركة تصويت اجرائي . فقدم بند ١٠٨ الى واحد ثم حول البند واحد الذي ظل اسمه ١٠٨ الى الهيئة العامة .

علينا ان نلاحظ الفرق بين الهيئة العامة والجمعية العامة . الهيئة العامة هي Plenary Session الذي نسميه بالعربية الجمعية العامة . لكن بالانجليزية كلمة General Assembly تعني الجمعية العامة ، وكل اللجان المتفرعة منها . اذن عندما نقول ان منظمة التحرير دعيت الى الجمعية العامة قد نفسر هذا ليس فقط الى الهيئة العامة وانما الكلام في اية لجنة من اللجان . لذلك اضطررنا الى خوض معركة بتوجيه قضية فلسطين الى الهيئة العامة ومررناها بالكواليس ، اي لم يحدث تصويت عليها . وبعد تحقيق ذلك كان لا بد ان نضيف الى قرار دعوة المنظمة كلمتي In Plenary Session حتى يتم كلام منظمة التحرير في الهيئة العامة وليس في احدى اللجان الخاصة . هنا كانت المشكلة الرئيسية لان هذه اول سابقة في تاريخ الامم المتحدة . لم يسبق لمنظمة ليست دولة ان تحدث مندوبها في الجمعية العامة . وسبق فقط لدولة ليست عضوا وهي الفاتيكان ان قداسة البابا بولس السادس تحدث في الهيئة العامة وكان اول رئيس دولة ليست عضوا يتحدث في الهيئة العامة ولكنه تحدث فقط ولم يشارك في المناقشات . وبالتالي لم يكن هناك وفد للفاتيكان ، لم تكن هناك مقاعد للفاتيكان ، لم يكن هناك صيغة تستطيع الفاتيكان ان تمارس من خلالها العمل في الامم المتحدة . لذا فان قرار دعوة منظمة التحرير الى الهيئة العامة هو سابقة دولية خطيرة في حد ذاتها .

بدأت المعركة اذن وبدأنا في صياغة القرار بدعوة المنظمة . كانت المعركة عربية اولا ، المعركة العربية اخذت عدة اشكال منها شكل عدم اضافة كلمة In Plenary

وجعل القضية مائعة اي دعوة الجمعية العامة للمنظمة باعتبار انه ما دمنا قد قررنا ان قضية فلسطين ستدرس في Plenary اذن لا بد لمنظمة التحرير ان تتحدث في Plenary ولكن هذا ليس صحيحا لان قضية قبرص ستطرح هذا العام In Plenary ولكن ممثل الاتراك في قبرص لن يسمح له بالتحدث في اللجنة العامة في الجمعية العامة وانما ستخصص جلسات للاستماع اليه في اللجنة السياسية الاولى ثم تعود الجلسات الى الانعقاد كجمعية عامة . وقد تم التصويت على قبرص وفسرت هذه القضية فيها. وكان يخشى ان تكون تلك سابقة تحرمنا نحن من الدخول ولكنا اوضحنا ان قبرص شيء وفلسطين شيء اخر لان المتكلم هو ممثل اقلية تركية داخل دولة عضو في الامم المتحدة معترف بها تريد ان تتحدث بالرغم من وجود مندوبها الشرعي . بينما نحن الشعب الفلسطيني لسنا قادمين كالاقلية الفلسطينية في اسرائيل ، نحن قادمون كالشعب الفلسطيني الذي ينازع اسرائيل على كامل التراب الفلسطيني وبالتالي نحن لسنا قادمين كاقلية داخل حكومة شرعية . لذا لا يمكن تطبيق ما طبق على قبرص علينا . وقد نجح هذا الطرح الى حد كبير في استقطاب عدد كبير من الدول منهم قبرص واليونان وتركيا الدول الثلاث التي وقعت في مشكلة اين تتحدث قبرص . الثلاثة صوتوا مع قرار دعوتنا الى الهيئة العامة .

كانت هناك صيغة التمثيل . بطبيعة الحال كان القرار الاول يشير الى تمثيل المنظمة على ان مؤتمر القمة العربي وعدم الانحياز الافريقي والاسلامي كلها اعترفت بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا . كان الاردن يقف ضد ذلك .. ولم يكن الاردن وحده لاعتبارات عديدة . مثلا كان هناك بعض الوفود العربية التي رأت اننا لو اصررنا على اضافة الصيغ التي ووفق عليها في المؤتمرات الاخرى وكلها مؤتمرات آسيوية وافريقية اساسا ، ان ذلك سيمنع الدول الغربية والامريكية اللاتينية من التصويت الى جانب القرار . ومع ذلك فقد تمكنا من الوصول في النهاية الى الصيغة التي طرحت وتقول « ان الجمعية العامة اذ تعتبر ان الشعب الفلسطيني هو الطرف الرئيسي في قضية فلسطين تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الممثل للشعب الفلسطيني الى الاشتراك في مداولات الهيئة العامة . وكلكم تدركون الفرق بين ممثل، و « الممثل » وما نزال نذكر جميعا قرار ٢٤٢ ومشكلة الـ التعريف هذه . بالنسبة لنا كان التعبير بالانجليزية هو The Representative اي « الممثل » للشعب الفلسطيني .

ان صيغة الممثل الشرعي الوحيد صيغة غير موجودة في الامم المتحدة. وكان اصرارنا على كلمة The واضحا جدا وبالفعل تمكنا من التغلب على الصعاب الناتجة عن ذلك.

التوقيع على مشروع الدعوة

ننتقل الان الى مرحلة التوقيع على مشروع الدعوة . حسب قوانين الامم المتحدة ليس من الضروري اطلاقا ان يوقع على قرار ما اكثر من دولة واحدة ، يعني قرارنا هذا كان يمكن لاي دولة ان تقدمه ، ويكفي ان تقدمه ليصبح مشروعا لقرار يجب مناقشته تحت البند ١٠٨ . ولكن اصرارنا على ان يوقعه ٦٩ دولة وهو ما يساوي الاغلبية المطلقة كان يعني حقيقة ضربة سياسية . كنا نريد ان لا نقدم هذا القرار للهيئة العامة الا وقد تم التصويت عليه لان الدول التي تتبنى قرارا ملتزمة بالتصويت معه بل ليس من حقها التكلم ضده او شرح تصويتها عليه . في الامم المتحدة صيغة اسمها شرح التصويت Explanation of vote . من حق كل دولة ان تتكلم لصالح مشروع معين او ضده ولكن من حقها ايضا سواء تكلمت او لم تتكلم ان تشرح أسباب تصويتها على القرار قبل التصويت او بعده .

هناك دول عديدة مستعدة لان تصوت معك وقد ظهر هذا واضحا اذ حصلنا على ٦٩ موقعا للتبني بينما حصلنا على ١٠٥ أصوات صوتت مع القرار عندما طرح . الفرق هو في حساسية موضوع التبني . من يتبنى قرارا يجعل نفسه في زمرة الموافقين متضامنين متكافلين كلجنة مشتركة من أجل قضية ما بل يجعل عليهم ان يعملوا كجماعة واحدة تنتخب من يمثلها الذي هو أول من يقدم القرار وتنتخب من يذهب بالقرار رسميا الى السكرتير العام وتنسق العمل فيما بينها . هناك العديد من الدول التي كان من الصعب ان نحصل على توقيعها لكنها بعد ذلك كانت مستعدة للتصويت على القرار . بالنسبة لوفد الاردن رفض التوقيع ، وطيلة فترة الاعداد للتصويت ، كنا نقدر انه لن يصوت مع القرار . ولكنه فاجأ الجميع بالتصويت مع القرار . حتى ان وكالات الانباء نقلت الخبر اولا بأنه ضد رغم صورة تصويته بالموافقة على لوحة التصويت .

الدول التي تحدثنا معها كانت تقول ان الضغط الاردني كان يحدث مباشرة على العواصم ولم يكن يحدث من خلال الاستشارات مع الوفود . الصين وقعت على القرار وقالوا لنا بالنسبة لفلسطين يجوز لها ما لا يجوز لغيرها .

الدول التي وقعت على طلب الدعوة في النهاية تمثل كل الدول الاشتراكية ما عدا البانيا (رفض مندوب البانيا التوقيع ، بسبب موقفهم السياسي من الاتحاد السوفييتي وعدم مشاركته التوقيع على شيء) ، كل الدول الافريقية الهامة ما عدا كينيا . عندما أقول ما عدا كينيا فان ذلك يعني بالاضافة الى الاربع دول التي لا توقع لنا ابدا وهي ملاوي وسوازيلاند وبوتسوانا وليسوتو وهي كلها لها علاقات مع جنوب افريقيا . كينيا هي الدولة الافريقية الوحيدة التي لم توقع على القرار . ولا دولة اوروبية تبنت القرار وكذلك امريكا اللاتينية لم يوقع القرار منها الا جامايكا وترينيداد ، انتيدو وجويانا وكوبا وهي كلها دول صغيرة بسبب رفض الدول الكبيرة تبني القرار .

يوم التصويت حدثت فعلا المظاهرة الامريكية بكل ثقلها . حتى يوم التصويت كان الامريكان يدعون لمن يسألهم من الوفود انهم لن يصرحوا بموقفهم لاحد وان موقفهم سيقررونه يوم التصويت . طبعا الامريكان حاولوا اربع محاولات : اولها كان دور الوفد الامريكي الاساسي في محاولة احباط قضية التصويت على القرار ، وفعلا قالوا للوفد اللبناني ومعظم الوفود العربية الاخرى : لماذا تريدون التصويت ولماذا تريدون القرار ؟ لماذا لا نمرر القضية كما مررنا قضية الادراج أي تكتب منظمة التحرير رسالة للرئيس بوتفليقة سيقرأها للجمعية العامة ويقول لقد استلمت رسالة من منظمة التحرير الفلسطينية تقول نرجو دعوتنا للاستماع الينا عند مناقشة قضية فلسطين ويقول ولا أعتقد ان لديكم اعتراضا على ذلك فلا يعترض الا المندوب الاسرائيلي وتتم كتلك المرة ويتم بالتوافق .

وبالفعل حاولت كل الدول الضغط على الدول العربية من أجل ذلك ، الا اننا وقفنا أي ناضلنا نضالا كبيرا داخل المجموعة العربية ثم داخل المجموعات الاخرى ضد هذا الاجراء لانه يحرم اولا منظمة التحرير من قرار يذكر ان الشعب الفلسطيني هو الطرف الرئيسي ، يحرمنا من قضية ان منظمة التحرير هي الممثل للشعب الفلسطيني ويصبح القرار اجرائيا بحتا أي لا معنى له .

بعد ان فشلوا في ذلك لجأوا الى محاولة ثانية، قالوا: ليحضروا ولكن ليكن حضورهم الى اللجنة السياسية وليس في الهيئة العامة وعندما افشلنا هذه المحاولة ، دخلوا في محاولة تأجيل البند كله للعام القادم . تعرفون ان بند ازمة الشرق الاوسط في العام الماضي أجل لهذا العام بحجة ان كيسنجر يقوم بعملية فك الارتباط وان هناك جهودا

حثيثة من أجل السلام في المنطقة قد تؤدي الى قرار جديد في مجلس الامن فلا داعي للجمعية العامة ان تعطل هذا الاجراء . وقد حاولوا ذلك قبل عملية الاقتراع بالنسبة لنا ، قائلين ان كيسنجر ذاهب للمنطقة فاصبروا حتى تحل القضايا الخ... ولا داعي الى الاصرار على عملية الاقتراع هذا العام ، فليمر القرار ونعترف بمنظمة التحرير ثم نؤجل المناقشة للعام القادم . احبطنا هذه المؤامرة ايضا . وعند احباط جميع المناورات تحولت امريكا الى الهجوم السافر المباشر . الهجوم بدأ يوم وصول كيسنجر الى تل ابيب ، ثم يومي السبت والاحد في غياب الجمعية ، عن طريق اتصالاتها بالعواصم . يوم الاثنين يوم القرار ، من التاسعة صباحا حتى الخامسة والنصف ساعة التصويت على القرار كان الوفد الامريكي يتكون على الاقل من ثلاثين شخصا منتشرين داخل القاعات وفي الدهاليز من أجل الضغط على الدول بالوقوف ضد القرار بأي طريقة كانت وبأي شكل كان . استعملت امريكا كل اللعب والحيل التي استخدمتها عام ١٩٤٧ ولكن الوضع اختلف بين ٤٧ ، ٧٤ . وحتى لا نخدع أنفسنا فان امريكا ايضا نجحت . طبعا كان يمكن ان نحصل على الـ ١٥٠ صوتا ولكننا حصلنا على ١٠٥ أصوات ضد أربعة ، وعشرين امتناع وتسعة تغيبوا . أي ان هناك في الواقع ٣٣ دولة اما امتنعت عن التصويت او صوتت ضد او لم تأت الى الجلسة في يومها . وكان هذا حصيلة الفعل الامريكي وليس الفعل الاسرائيلي . وزير خارجية غواتيمالا كان مثلا مرشحا لرئاسة منظمة الدول الامريكية . قال له الامريكان : لن نؤيدك اذا صوت مع مشروع القرار الفلسطيني . استجاب ولم يحضر الجلسة . هندوراس الدولة التي تعاني من أسوأ كارثة فيضانات هددت بوقف عمليات الاغاثة فاختفى مندوبها بعد ان كان من اشد المتحمسين لمشروع القرار .

تعرفون ان قرار جنوب افريقيا فاز بأغلبية ١٢٥ صوتا أي كان من الممكن لنا ان نحصل على ١٢٥ صوتا لولا النشاط الامريكي المكثف . استخدموا كل الوسائل في الضغط ضغطا سافرا ومكشوفا ، شخصيا وسياسيا واقتصاديا خصوصا على دول أمريكا اللاتينية حتى نجحوا في تغيير مواقف بعض الدول التي كانت قد أعلنت تأييدها لنا .

وقد ارسل مندوب كولومبيا رسالة شخصية القيت في قاعة الجلسة على اثر تلقيه أمرا من حكومته بالغاء تكليفها بالتصويت معنا . قال فيها انهم مع قضية فلسطين ومع الشعب الفلسطيني ، وانهم كانوا ضد التقسيم وانه لا يجوز ان تنتزع أرض من شعب وان تبنى دولة معادية غريبة على هذه الارض بموافقة دول تبعد آلاف الاميال عن هذه الارض ، وقال ان فلسطين ليست ارضا على أطلس ، وانما هي ارض وشعب ونحن مع هذا الشعب ، مع حقه على كامل ارضه ، وحقه ان تمثله ثورته ، ونحن نعترف بهذه الحقوق جميعها ، ونحن معها حتى النهاية . وقال انه يمتنع عن التصويت بسبب الضغوط الامريكية التي تريد ان تعيد العالم الى الحلف المقدس الذي كان في القرن التاسع عشر وان تحول هذا المكان الى مكان رياء ونفاق ، وان تنتزع من الشعوب حقها في تقرير مصيرها » .

التصويت

وكانت آخر مناورة للوفد الامريكي بعد ان انتهت قائمة المتحدثين وبلغت الساعة الخامسة والنصف ، ان بدأ هو وعدد من وفود الدول التابعة بتسجيل طلب شرح التصويت قبل اجرائه ، بهدف اضاعة الوقت وتأجيل التصويت . طبعا كانت هناك بعض الوفود الصديقة التي ارادت ان تلقي خطابات مطولة ولكننا نجحنا في ثنيها عن

ذلك حتى لا نقع في المطب الاميركي . ولكننا كنا قد شكلنا لجانا من الاخوة أعضـــاء الوفود العربية والصديقة لضمان تواجد الاعضاء في قاعة الجلسة لحظة التصويت كما ان رئيس الجمعية العامة أجل شرح التصويت الى ما بعده ، وبذلك فوت هدف الوفد الامريكي .

وبالتالي في الخامسة والنصف تماما أجري التصويت وحصلنا على المائة وخمسة أصوات . . بطبيعة الحال لما انتهى التصويت او ظهرت النتيجة كان هناك شعور عجيب جدا في القاعة لانه حقيقة انتصار تاريخي . الوفود كانت تعانق بعضها وصاح عضو في الوفد التنزاني بأعلى صوته : تحيا فلسطين . . .

كان الموقف موقفين : اسرائيل حتى تلك اللحظة كان موقفها عنيفا جدا ولكن لا يقارن بموقفها عند التصويت . كان آلون قد تكلم في الجمعية العامة وبعد ذلك نشرت السفارة الاسرائيلية وثيقة « هامة » ضد منظمة التحرير ، المهم ان هذه الوثيقة أعطيت للجامعة العربية كوثيقة للامم المتحدة فحولتها الجامعة العربية لنا للرد عليها . لم يكن ممكنا الرد عليها فهي تقول الآتي : يقول ميثاق منظمة التحرير انها ضد بقاء دولة اسرائيل ، وانها تعتمد الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين ، والنقاط العشرة الاخيرة التي صدرت في المجلس الوطني تصر على استمرار الكفاح المسلح حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني وانشاء الدولة الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني وبالتالي فمنظمة التحرير هي دولة هدفها تدمير دولة عضو في الامم المتحدة . بعد ذلك تعرض الوثيقة ٦٥ عملية قامت بها المنظمة كمثال انها منظمة تستهدف قتل دولة . المهم في هذه الوثيقة انها تعتبر مقتل وصفي التل مثلا عملية فدائية موجهة ضد اسرائيل . وكل ما ورد في المذكرة صحيح .

مثلا قال آلون : ان يطلب منا ان نعترف بالمنظمة هو كمن يطلب من دولة ان تنتحر ، ان نعترف بمنظمة التحرير وان نقبل بقرار دعوة منظمة التحرير هو قرار بالانتحار وكيف تطلبون منا الانتحار بل ان مناقشة قضية فلسطين في هذه الجمعية يهز في حد ذاته الجذور الاساسية التي ارتكزت عليها اسرائيل فكيف تطلبون منا الموافقة عليها . دكتور فايز صايغ كان رئيس وفد الكويت في اثناء بحث قضية فلسطين وكان آخر المتحدثين وما قاله هو فقط ما قاله آلون . قال : يقول آلون ان الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية هو انتحار لاسرائيل ويقول آلون ان مناقشة قضية فلسطين في حد ذاته يهز الاسس التي نشأت عليها اسرائيل ونحن نوافق تماما .

أعتقد ان الموقف الامريكي كان موقفا تكتيكيا بمعنى ان امريكا كانت تحاول تأجيل التصويت لليوم الثاني حتى تضمن عشرين صوتا أخر . امريكا حاولت ان تفعل ذلك لانها تريد ورقة مساومة حتى يبقى الاردن الطرف الرئيسي للتعاون معه . لكن الموقف بالنسبة لاسرائيل غير تكتيكي ، بالنسبة لاسرائيل أي اعتراف بالشعب الفلسطيني او بمنظمة التحرير ينسف فعلا الجذور الرئيسية والاساسية التي ترتكز عليها اسرائيل وهو بذلك قرار تاريخي هام يجب علينا ان نتمسك به وان نناضل لتصعيده وان نستفيد منه في صراعاتنا ونضالاتنا المستقبلية . من التفاصيل الخاصة بمواقف بعض الدول هناك بريطانيا التي كان موقفها معاديا وتسندها في ذلك المانيا الغربية بدرجة كبيرة والدانمارك بدرجة أقل ، وقفت هذه الدول داخل مجموعة السوق الاوروبية لتبتز من فرنسا موقفا محايدا لان بريطانيا والمانيا هددتا فرنسا ان هي وقفت مع القرار ان يصوتا ضد القرار فان هي امتنعت عن التصويت امتنعوا عن التصويت وبالتالي فقد كان الموقف ابتزازا لفرنسا ، مع ذلك فرنسا وقفت ضد الابتزاز البريطاني وصوتت

مع القرار وجذبت معها من داخل السوق ايرلندا وايطاليا ومن خارج السوق فنلنده والنرويج والسويد والنمسا . بطبيعة الحال تغير موقف البرتغال بعد الانقلاب ووقفت معنا اسبانيا واليونان ومالطا وهي دول تقف معنا عادة . اليابان وقفت معنا موقفا بتروليا . قال المندوب الياباني في معرض رده عن استفسار من أحد المندوبين العرب عما اذا كان سيصوت الى جانب مشروع القرار « ان الحكومة اليابانية هي دائما مع العرب » . ولما الح عليه المندوب العربي أجاب « لا أستطيع ان أجيب عن التصويت فعلي ان أستشير حكومتي لكننا لم نغير موقفنا من العرب أبدا » . عندها كتب له المندوب العربي ورقة فيها ما يلي : « سعادة السفير : لا تصويت ، لا بترول » . فصوتت اليابان معنا .

ختاما لا بد من القول انها كانت جولة ، وكانت جولة فيها انتصارات وشارك فيها مشاركة هائلة الاخوة من هنا بالاتصال المباشر مع الاخوة أعضاء الوفد هناك . كما شارك فيها اخواننا في حركات التحرير والدول الاشتراكية والافريقية والاسيوية مشاركة هامة جدا كانت في رأيي تمثل خطوة على المسيرة . لكن للمرة الـ ١٠٦ أكرر ما لا يحتاج الى تكرار **التحرير هو أساسا عمل نضالي مسلح جماهيري يتم هنا ويتم على ارضنا المحتلة ويتم في كل أماكن تواجد شعبنا الفلسطيني وحيث هناك نقاط صراع بين الشعب العربي وبين العدو الاسرائيلي والامريكي وبالتالي فان استمرار النضال هو الشرط الاول والاساسي لتحقيق النصر .**

قمة الرباط واحتمالات الموقف الاسرائيلي

صبري جريس

كان من بين القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي السابع ، المنعقد في مدينة الرباط في اواخر تشرين الاول ١٩٧٤ ، قراران مهمان للغاية : اولهما ذلك الذي يدعو الى « تاكيد حق الشعب الفلسطيني في العوده الى وطنه وتقرير مصيره ، وتاكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطه الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، على اية ارض فلسطينية يتم تحريرها ، وتقوم الدول العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى جميع المستويات ... » ، وثانيهما ذلك الذي يعلن « التزام الدول العربية كلها بتحرير جميع الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني » ، ثم التاكيد على « عدم قبول اي محاولة لتحقيق اي تسويات جزئية ، انطلاقا من القضية القومية ووحدتها » . واهمية هذه القرارات من حيث ارساؤها اسس العمل العربي الجماعي الموحد ، استعدادا لمجابهة المحاولات التي تبذل لايجاد حل للازمة في المنطقة ، واضحة للغاية .

أن كلا من القرارين المذكورين مهم بحد ذاته ، فالقرار الاول الذي يؤكد حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه ، ثم حقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة على الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها ، بينما تتعهد دول المواجهة العربية بمساندتها لهذه السلطة عند قيامها ليس الا خاتمة المطاف لجهود طويلة ومضنية قدمها الشعب الفلسطيني في الماضي ، من خلال ممارسته كفاحه في سبيل الحصول على حقوقه الوطنية ، بأساليب مختلفة . وقد اثرت هذه الجهود ، وبشكل خاص خلال السنتين الاخيرتين ، في مناسبات عديدة عندما اعترف العديد من الدول العربية والاسلامية والافريقية والاشتراكية بحقوق الشعب الفلسطيني هذه ، الى ان وصلت موجة الاعترافات الى قمتها مع تصويت ١٠٥ دول ، من بين الـ ١٣٨ دولة الاعضاء في الامم المتحدة مؤيدة دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، بصفتها ممثلة الشعب الفلسطيني ، الذي هو « الطرف الرئيسي في قضية فلسطين » ، للاشتراك في بحث القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، فيما يمكن اعتباره وكأنه شبه اعتراف من قبل تلك الدول بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية وبحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيله . كذلك لا تخفى اهمية مثل هذا القرار وتأثيره في دعم الانجازات التي حققها الشعب الفلسطيني لجهة الاعتراف بحقوقه على الصعيد الدولي ، بعد حسم الخلافات العربية حول هذه المسألة ، خاصة بعد ما تردد اخيرا من موقف الاردن بشأنها ، ثم الخروج بموقف عربي موحد منها ، يحظى بتأييد كل الدول العربية ، دون استثناء ، ويقطع الطريق على اية محاولات قد تبذلها القوى المعادية للالتفاف حول هذا الاعتراف العالمي والعربي بالشعب الفلسطيني وبحقوقه الوطنية . واذا كان قرار الاعتراف هذا على هذه الدرجة من الاهمية ، فأن القرار الثاني الداعي الى عدم قبول اي محاولة لتحقيق اي تسويات جزئية ، من خلال تأكيد التزام الدول العربية كلها بتحرير

جميع الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، لا يقل اهمية عنه ، ان لم يكن يزيد على ذلك ، خاصة في ضوء الظروف الراهنة التي تمر بها المنطقة بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص والمحاولات الدائمة التي تبذلها القوى المعادية للوصول الى حلول جزئية للازمة الحالية .

ان الموقف العربي الموحد الناجم عن القرارين المذكورين ، والذي يحظى بتأييد عدد كبير من دول العالم ، ليس الا فاتحة عهد جديد بالنسبة للنشاط الفلسطيني ، اذ يضع القضية الفلسطينية في موضعها الصحيح باعتبارها قضية العرب الاولى ، وبالتالي يفرض على الشعب الفلسطيني وقيادته مسؤولية كبيرة ، بعد ان حصل على موافقة عربية ودولية لتسلم مقاليد اموره بنفسه ، مما يضعه بالتالي في مواجهة صدامية حادة مع اسرائيل والقوى الامبريالية التي تدعمها ، باعتباره رأس الحربة العربية الموجهة ضد هذه القوى ، ويجبره على اتخاذ خطوات وقرارات كان حتى الان ، احيانا ، في حل من القيام بها رغم علاقتها الوثيقة بحاضره ومستقبله .

بعد ان ربح الشعب الفلسطيني جولته على الصعيدين العربي والعالمي ، يجد نفسه الان وجها لوجه — نظريا على الاقل — في مقابل اطماع اسرائيل ومخططاتها الهادفة لابتلاعه او « تقرير مصيره » حسب ما يحلو لها ، تؤيدها في ذلك ، على الاقل ، دولة واحدة من الدول الكبرى ، هي اميركا ، مع ما تتمتع به من نفوذ في المنطقة او خارجها ، على الصعيد العالمي . ومن هنا لا بد من محاولة للوقوف على ما يمكن لاسرائيل ان تتخذه من خطوات لمجابهة هذا الوضع الجديد .

لا شك أن قرارات مؤتمر الرباط قد قلبت مخططات اسرائيل بالنسبة للتسوية الراهنة راسا على عقب ، بدلالة تلك التصريحات التي اطلقها العديد من المسؤولين الاسرائيليين ، وما تنطوي عليه من تهديد ووعيد ، يذكرنا بلهجة الحديث التي كانت سائدة في اسرائيل قبل حرب تشرين ١٩٧٣ . ولا شك ايضا ان حراجة الموقف الاسرائيلي ، بعد الاعلان عن هذه القرارات ، تكاد تشبه ذلك الوضع الذي طرأ بعد حرب تشرين مباشرة ، ان لم تكن تزيد عنه صعوبة . فمنذ تشرين وحتى اليوم ، مرورا باتفاقيات فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية والمرحلة الاولى من مؤتمر جنيف ثم الزيارات التي قام بها وزير الخارجية الاميركي للمنطقة لايجاد حل للازمة ، استطاع الاسرائيليون بلورة موقف خاص بهم لمجابهة الوضع الجديد الذي طرأ على المنطقة اثر الحرب . وليس من الصعب الوقوف على حقيقة الموقف الاسرائيلي « الجديد » هذا ، رغم الغموض الذي يكتنف بعض جوانبه ، اذ انه لا يزال عمليا ، امتدادا للمواقف الاسرائيلية السابقة السائدة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، بل منذ التوقيع على اتفاقيات الهدنة بين العرب واسرائيل لسنة ١٩٤٩ ، ويركز اساسا على الوصول الى حلول جزئية لازمة المنطقة ، تستطيع اسرائيل بموجبها تأمين مصالحها بواسطة اتفاقيات منفردة مع كل دولة عربية على حدة ، خاصة مع دول المواجهة المباشرة الثلاث : مصر وسوريا والاردن . ويظهر هذا الموقف على أشد ما يكون وضوحا بالنسبة لمصر بالذات ، حيث يبدو ان اسرائيل ، ورغم التصريحات التي يطلقها بعض المسؤولين الاسرائيليين من حين لاخر حول ضرورة الاحتفاظ بهذا الجزء او ذاك من سيناء ، مستعدة في نهاية الامر الى الانسحاب من معظم انحاء سيناء ، وربما كلها — وحاليا مقابل موافقة مصر على انهاء حالة الحرب معها فقط ، بعد ان كان في السابق اصرار اسرائيلي على عقد سلام كامل بين البلدين . والواضح ان اسرائيل تأمل ، باتخاذها هذا الموقف ، اخراج مصر من حلبة الصراع في المنطقة وتحييدها ، وبالتالي ابعاد دول المغرب العربي والسودان ، وقطع الطريق

عليها لمنعها من التدخل بشكل فعال في أية أزمة قد تنشب في المستقبل ، كذلك تستطيع اسرائيل بهذه الطريقة ضمان الهدوء على حدودها الجنوبية ، مما يمكنها من توجيه كامل قواها ، عند الضرورة ، نحو دول المشرق العربي . اما بالنسبة للموقف من سوريا ، فلا تزال اسرائيل تعلن حتى الان — رسميا على الاقل — انه لا مكان هناك لانسحاب اسرائيلي آخر في الجولان ، رغم الاصوات التي سمعت مؤخرا والداعية الى اعادة النظر في هذا الموقف من سوريا والاتجاه نحو تقديم تنازلات اخرى في الجولان ، لاضعاف امكان نشوب حرب جديدة بمبادرة من السوريين والحد من حماسهم في تأييدهم للفلسطينيين .

واذا كان الموقف الاسرائيلي على هذه الدرجة من « الوضوح » و « البساطة » بالنسبة لمصر وسوريا ، فانه ليس كذلك بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة . فهذه المناطق ، بحسب المفهوم الصهيوني ، ليس الا « جزءا من ارض — اسرائيل » — وعلى الاصح « أرض — اسرائيل الغربية » — وهناك قطاعات واسعة من الاسرائيليين « المتطرفين » الذين يطالبون بالاحتفاظ بها وضمها الى اسرائيل نهائيا ، بينما يميل « المعتدلون » الى عدم اتخاذ مثل هذه الاجراءات الحادة ، مفضلين بدلا من ذلك ايجاد ترتيبات معينة للابقاء على « علاقة » ما بتلك المناطق خاصة وانها ، مع المناطق المحتلة سنة ١٩٤٨ ، تضم نحو نصف ابناء الشعب العربي الفلسطيني . وليس هناك ، على حد علمنا ، موقف اسرائيلي « رسمي » معلن وواضح تجاه مصير هذه المناطق ومستقبلها ، غير انه ليس من الصعب الوقوف على أسسه ، من خلال ما صدر عن حكام اسرائيل من تصريحات وتعليقات واجراءات وردود فعل خلال السنوات السبع الاخيرة . ويبدو ، استنادا الى هذا ، ان الموقف الذي قد يحظى بموافقة اكثرية الاسرائيليين ، وان كانت اكثرية ضئيلة ، على الصعيدين الرسمي والشعبي ، هو ذلك الذي يدعو الى عدم ضم هذه المناطق بأكملها رسميا الى اسرائيل ولسبب واحد على الاقل وهو المحافظة على طابع اسرائيل اليهودي — الصهيوني وتأمين حكم الاكثرية اليهودية فيها في المستقبل ، والاكتفاء بضم القدس القديمة مع ضواحيها ، مع الاتجاه للمطالبة بتعديل الحدود في وسط اسرائيل ، بمحاذاة مثلث جنين — طولكرم — نابلس لمنح اسرائيل عمقا في تلك المنطقة ، رغم الصعوبات التي تعترض ذلك بسبب كثافة السكان العرب هناك وعدم الرغبة في ضمهم الى اسرائيل وزيادة سكانها العرب . كذلك تتجه اسرائيل ، بالاضافة الى ذلك ، الى الاصرار على الاحتفاظ بقوات عسكرية في المناطق الحساسة داخل الضفة الغربية ، وخاصة على امتداد الحدود مع نهر الاردن « لضمان أمنها » ، والسماح باستيطان الاسرائيليين في أماكن معينة هناك ، خاصة منطقة الاغوار . وحتى تكتمل الصورة ، لا بد ايضا بعد الانسحاب الاسرائيلي من المنطقة ، من الابقاء على الحدود مفتوحة بينها وبين اسرائيل والسماح بانتقال البضائع والعمال من منطقة لاخرى ، وذلك في نفس الوقت الذي تبقى فيه الجسور مفتوحة بين الضفتين الغربية والشرقية ايضا ، مما يكفل لسكان الضفة الغربية ، ومن ورائهم سكان قطاع غزة — ولسكان اسرائيل بالطبع — منفذا الى العالم العربي . ولقد ظهر بعد الحرب وكأن تغييرا ما قد طرأ على الموقف الاسرائيلي هذا ، عندما قام حزب العمل الحاكم باقرار برنامج انتخابي جديد ، أعلن فيه أن هناك مكانا لاقامة دولة واحدة الى الشرق من اسرائيل وحتى الصحراء ، يجد فيها الاردنيون والفلسطينيون تعبيرا عن هويتهم القومية — وكانت هذه ايضا أول مرة يذكر فيها الحزب كلمة « الفلسطينيين » في وثيقة رسمية تصدر عنه — ولكن يبدو ان هذا « التغيير » لا يحمل أي معنى حقيقي ، ويتضح أنه أقر باعتباره تسوية مقبولة لدى

معظم أجنحة الحزب المتصارعة ، في وقت لم يستطع فيه أي جناح حسم الموقف لصالحه .

انطلاقا من مثل هذا المخطط تجاه الضفة الغربية ، لم يكن غريبا أن جاءت ردود الفعل الاسرائيلية على قرار مؤتمر الرباط المؤيد اقامة سلطة وطنية فلسطينية على أية أرض يتم انسحاب اسرائيلي منها ، عصبية للغاية ومفعمة بالتهديد والوعيد . وسبب ذلك واضح للغاية ، اذ ان اقامة مثل هذه السلطة يقلب المخطط الاسرائيلي بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة رأسا على عقب ، حيث ان سلطة كهذه لا بد ان تمارس حقوق سيادة كاملة على تلك الارض الفلسطينية ، وهي الحقوق التي تتعارض ، جملة وتفصيلا ، مع المخططات الاسرائيلية من أساسها . كذلك فان مجرد اقامة هذه السلطة لا يمكن الا ان تكون الخطوة الاولى على طريق اعادة فتح الملف الفلسطيني ، وابتداء من اول ورقة فيه ، بما يحتويه من حقوق ومطالب فلسطينية تجاه الحركة الصهيونية واسرائيل ، تسبق قيام اسرائيل بنحو نصف قرن من الزمن ، ان لم يكن أكثر من ذلك . وان لم يكن من الممكن القيام بهذا في المرحلة الحالية ، حيث ينصب الاهتمام العالمي والغربي أساسا على تصفية نتائج عدوان ١٩٦٧ ، فان المستقبل كفيل بايجاد المناسبة الملائمة لذلك ، وهذا في نفس الوقت الذي لا تستطيع اسرائيل مطالبة تلك السلطة الفلسطينية بعقد « سلام » معها ، ما دام الشعب الفلسطيني لم يحصل على حقوقه الكاملة ، خاصة بالنسبة للمناطق المحتلة من فلسطين سنة ١٩٤٨ .

ان حراجة الموقف الاسرائيلي بعد مؤتمر الرباط واضحة للغاية ، اذن ، ولدرجة تجبر المرء على التساؤل عن طبيعة الاجراءات التي قد تتخذها اسرائيل للخروج من هذا المأزق . وهذا على الرغم من ان الاسرائيليين أنفسهم يعملون على زيادة موقفهم حراجة ، ليس فقط باعلانهم انهم يرفضون الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واصرارهم على عدم وجود علاقة بينها وبين الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، وانما بتأكيدهم ايضا انهم يرفضون حتى التفاوض مع الاردن بشأن مصير تلك المناطق ، اذ اتضح ان اي اتفاق اسرائيلي معه قد يجير فيما بعد لصالح منظمة التحرير ، او ان الاردن ينوي اشراك المنظمة في حكم تلك المناطق بعد انسحاب اسرائيل منها . ولكن مثل هذه التصريحات ، من ناحية ثانية ، لا يمكن ان تشكل بحد ذاتها موقفا اسرائيليا متماسكا يمكنه الوقوف في وجه تحديات مؤتمر الرباط ، واستنادا الى ردود فعل فقط ، اذ لا بد ايضا من المبادرة الى اتخاذ اجراءات اسرائيلية مضادة لمواجهة قرارات هذا المؤتمر او محاولة تطويقها والتخفيف من وقعها . ويبدو من ردود الفعل الاسرائيلية الفورية على قرارات مؤتمر الرباط من جهة ، ومن مخططات اسرائيل ومواقفها في الماضي من محاولات تسوية ازمة المنطقة من جهة اخرى ، ان هناك أربعة خيارات امام اسرائيل ، للعمل ضمنها لمواجهة الوضع الراهن في المنطقة .

ان اول تلك الخيارات هو ذلك الذي يحظى بموافقة غلاة التوسعيين الاسرائيليين ، الداعي الى « انهاء » الاحتلال الاسرائيلي لتلك المناطق بطريقة « بسيطة » للغاية ، وذلك بفرض القانون الاسرائيلي عليها وضمها رسميا الى اسرائيل . وقد ظهر تأثير هذا الاتجاه على الصعيد الرسمي ، حالا بعد الاعلان عن قرارات مؤتمر القمة ، عندما تبنى بعض المسؤولين الاسرائيليين تلك الدعوات المنادية بتقوية الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، دعما للوجود اليهودي فيها وخطوة على الطريق نحو ضمها . غير ان نظرة أشمل الى طبيعة مثل هذه الاجراءات تظهر انها لا يمكن ان تصل الى درجة من الجدية ، يمكن معها اعتبارها ردا على قرارات مؤتمر الرباط . ان ضم الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل لا يزال يعتبر حتى الان من بين الاجراءات التي لا

تحظى بموافقة أكثرية الاسرائيليين ، وان تكن هذه ـــ مرة اخرى ـــ أكثرية ضئيلة ، اذا ان الخوف مما قد تجره مثل هذه الخطوة من تأثير على طابع اسرائيل اليهودي في المستقبل والاصرار على تجنب « الخطر السكاني » العربي لا يزال في محله، والنظريات الصهيونية العنصرية التي تفضل دولة يهودية « نقية » قدر الامكان ، وان كانت صغيرة الحجم على دولة كبيرة ، مهما بلغ حجمها ، لا يشكل اليهود أكثرية مطلقة فيها ، لا تزال نافذة المفعول . كذلك فان الظروف الموضوعية غير مناسبة لاتخاذ مثل هـــذا الاجراء ، وان كانت اسرائيل قد امتنعت عن تنفيذه منذ ١٩٦٧ وحتى اليوم ، وخاصة بعد الحرب بالذات عندما اكتفت باعلان ضم القدس القديمة وضواحيها فقط اليها ، تاركة مصير المناطق الاخرى ليحسم فيما بعد ، فمن المستبعد ان تتخذ هذه الخطوة الان وعيون العالم بأسره مفتوحة على ما يجري في تلك المناطق ، وعلى موقف اسرائيل من القضية الفلسطينية عامة ، في حين يبدو ان اميركا ـــ آخر حلفائها ـــ تطالبها باتخاذ موقف أكثر ليونة وواقعية تجاه هذه القضايـــا . والشيء نفسه ينطبق على تقويـــة الاستيطان اليهودي في تلك المناطق ، اذ ليس سرا ان عمليات الاستيطان هناك ، وخاصة في الضفة الغربية ، لم تتخذ مرة طابعا « جديا » رغم الضجة الكبيرة التي تثار حولها ، عربيا او اسرائيليا ، من حين لآخر ، ولا يزال النشاط الاستيطاني هناك يترنح بين مد وجزر . كذلك يبدو ، من ناحية ثانية ، ان « سلاح الاستيطان » التقليدي هذا ، الذي خدم الصهيونية كثيرا في الماضي بمساعدتها على مجابهة عرب فلسطين بسياسة الامر الواقع ، بواسطة اقامة المستوطنات اليهودية في قلب المناطق العربية الصرفة لايجاد موطىء قدم للتوسع الصهيوني فيها فيما بعد ، قد فقد الكثير من قوته السحرية، اذ ان مطالبة اسرائيل بالانسحاب من المناطق المحتلة تتم اليوم ، الى حد ما ، بسبب اقامة المستوطنات اليهودية في تلك المناطق بالذات . وعليه يبدو ان اسرائيل لا تستطيع الرهان على اتخاذ اجراءات ضم المناطق المحتلة اليها او تقوية الاســـتيطان اليهودي فيها للخروج من المأزق الذي يواجهها .

وفي مقابل الخيار الاول ، الداعي الى الضم والتوسع، هناك ايضا اتجاه ثان مناقض له يدعو الى انسحاب اسرائيلي ، من طرف واحد ، من تلك المناطق مع الاحتفاظ بأجزاء صغيرة منها ضرورية « لتعديل » حدود اسرائيل ، ويؤيد هذا الاتجاه تيار آخر يدعو الى منح الاستقلال الذاتي لسكان تلك المناطق من الفلسطينيين ، بعد العمل عـــلى تصحيح الخطأ الذي ارتكبته السياسة الاسرائيلية في تعاملها معهم بالســـعي نحو « خلق » زعامة محلية لهم تستطيع التفاوض مع اسرائيل بشأن مصيرهم . غير انه يبدو أن هذا الاتجاه ليس أوفر حظا من اتجاه الضم والتوسع ، ان لم يكن اقل منه . فالمطالبة بانسحاب اسرائيلي ، من جانب واحد ، من تلك المناطق لا تحظى الا بتأييد قلة من الزعماء الاسرائيليين لا يزيد عددها على عدد أصابع اليد الواحدة ، رغم ما كانت ـــ وربما لا تزال ـــ تتمتع به من نفوذ في اسرائيل ، وليس في مقدورها بالتالي تحريك السياسة الاسرائيلية الرسمية في هذا الاتجاه . كذلك فان المطالبـــة بمنح الاستقلال الذاتي لسكان المناطق المحتلة او الموافقة على اجراء المفاوضات معهم ، والتي لا يمكن ان تتم الا بعد اعتراف بهم من قبل اسرائيل ، وان كان اعترافا ضمنيا على الاقل ، باعتبارهم جهة مؤهلة للتفاوض بشأن حل المشكلة الفلسطينية ، قد تكون غير حميدة العواقب او مأمونة الجانب بالنسبة لاسرائيل . فاعتراف اسرائيلي باولئك السكان ، او بزعامتهم ، باعتبارهم طرف « صالح » للتفاوض مع اسرائيل لا يحتم ، بالطبع ، تصرفهم على النحو الذي تريده هي بالضبط ، والذين قد يطالبون عندئذ ، مثلا ، بمنحهم الاستقلال الكامل او اعلانهم انهم يعتبرون منظمة التحرير الفلسطينية

ممثلا لهم ، بحيث قد تجد اسرائيل نفسها في وضع تعود معه المنظمة « ومخربيها » الى مواجهتها من شباك الاعتراف بسكان المناطق المحتلة ، بعد ان حاولت طردها من باب الاصرار على مفاوضة الدول العربية والاردن . وعليه يبدو ايضا ان الخيار الثاني هذا غير واقعي بالنسبة للتحركات الاسرائيلية .

اضافة الى الاتجاهين الذين مر ذكرهما ، هناك ايضا اتجاه ثالث ، هو ذلك الذي يدعو الى اللجوء لاستعمال القوة ، مرة اخرى ، واستغلال اول فرصة مناسبة لشن الحرب على الدول العربية ، في محاولة لاعادة ترتيب اوضاع المنطقة بشكل مريح لاسرائيل ، ينقذها من ورطتها الحالية . وهناك دلائل كثيرة تشير كلها الى ان دوائر عديدة في اسرائيل ، منها ما يتمتع بنفوذ وتأثير واضحين لدى صانعي القرارات هناك ، تسعى للوصول الى صدام مسلح مع العالم العربي او تقوم بالاستعدادات الواسعة لمجابهة مثل هذا الوضع . فعسكر اسرائيل ، منذ نهاية حرب تشرين او على الاقل منذ توقيع اتفاقيتي فصل القوات بين اسرائيل من جهة ومصر ثم سوريا من جهة اخرى ، وبعد ان استتب الهدوء على تلك الجبهات ، راحوا يشحذون سيوفهم بهمة ونشـــاط بالغين . والاستعدادات العسكرية الاسرائيلية جارية على أسرع ما يكون ، بعد ان قامت المؤسسة العسكرية باعادة تنظيم شامل لكافة أجهزتها ، في ضوء دروس حرب تشرين ، وتم دعمها بالمال والرجال واحدث الاعتدة الحربية . كذلك يشتم من تصريحات بعض الزعماء الاسرائيليين ، وعلى رأسهم عدد من العسكريين البارزين ، شوق وحماس حارين لخوض حرب جديدة مع العرب ، والانتقام منهم لما الحقوه باسرائيل من اهانة وخسائر مادية وبشرية خلال حرب تشرين ، ومن ثم اعادة فرض هيبة العسكرية الاسرائيلية على المنطقة من جهة واعادة اعتبارها لها داخل اسرائيل من جهة اخرى . غير انه ، في مقابل ذلك ، هناك تخوف واضح لدى العديدين من « عقلاء القوم » في اسرائيل من امكان نشوب حرب جديدة ، ومبررات تخوفهم هذا وجيهة للغاية . فالحرب السابقة ، حرب تشرين ، أدت الى مقتل نحو ٢٥٠٠ اسرائيلي ، بحسب البيانات الاسرائيلية الرسمية ، وكان هذا العدد من القتلى كافيا لاحداث زلزال أصاب النظام الاسرائيلي في أسسه ، ودفع بالعديدين ، وعلى رأسهم بعض المفكرين وقادة الرأي في اسرائيل ، الى ابداء شكوكهم علنيا حول جدوى المشروع الصهيوني في فلسطين ، بينما كاد يظهر وكأن هناك محاولة لاعادة نظر شاملة في المواقف الاسرائيلية الاساسية برمتها . ولهذا ، وبما ان هناك شبه قناعة لدى معظم الاسرائيليين ان حربا جديدة ، مهما كانت نتائجها ، لا بد ان تؤدي الى سقوط عدد آخر من القتلى لا يستهان به ، يتجه اولئك الى العمل نحو منع نشوب تلك الحرب ، التي قد لا تحمد عقباها لجهة تأثيرها على الكيان الاسرائيلي . كذلك فقد كان للحرب الاخيرة تأثير سيء على اوضاع اسرائيل الاقتصادية ، ولدرجة يبدو معها وكأن المساعدات الاميركية السخية التي تتلقاها اسرائيل لا تكفي لانقاذ اقتصادها ، الذي يتدهور يوما بعد يوم . ولهذا يخشى ان تؤدي حربا جديدة الى انهيار كامل في الاقتصاد الاسرائيلي ، يشل قدرة اسرائيل على استيعاب المهـــاجرين الجدد ويدفع المهـــاجرين القدامى الى ترك البلد ، مما قد يســـدد ضربة حادة الى أحد الاسس المهمة التي تقوم اسرائيل عليها . الا ان الاهم من هذا كله هو شعور العديدين من الاسرائيليين ان حربا جديدة ، حتى وان انتهت بانتصـــار اسرائيلي ساحق مثل ذلك الذي حدث سنة ١٩٦٧ ـــ وهناك الكثيرون ممن يبدون شكوكهم في امكان انهاء حرب أخرى بين اسرائيل والعرب على غرار ما حدث سنة ١٩٦٧ ، خاصة بعد تعاظم القوة العسكرية العربية ـــ فان انتصارا كهذا ، ان تم ، لن يستطيع حل المشاكل السياسية المعلقة بين العرب واسرائيل ، تماما كما لم يستطع

انتصار ١٩٦٧ حلها . يضاف الى هذا ان هناك تخوفا ملموسا للغاية من لجوء العرب، في حالة كهذه ، الى استعمال سلاح النفط ثم سلاح المال ، مما قد يجر ازمة طاقة او ازمة مالية عالمية ، تضطر اسرائيل الى دفع ثمنها غاليا ، بحيث قد تجد نفسها في عزلة تامة في العالم ، تفوق تلك التي ذاقت طعمها خلال حرب تشرين ، على ما يجره مثل هذا الوضع من خطر عليها . وعليه يبدو ان سير اسرائيل في اتجاه الحرب مع العرب ، وان كان له ما يؤيده من وجهة النظر الاسرائيلية ، فهناك ايضا ، في مقابل ذلك ، ما يدفع في عكس هذا الاتجاه ، بحيث يبقى احتمال الحرب واحدا من الخيارات المفتوحة أمام اسرائيل .

أما الخيار الرابع — والاخير — فانه ليس الا محاولة المحافظة على الوضع الراهن والاستمرار في المساعي الاسرائيلية الهادفة للوصول الى حلول جزئية مع الـدول العربية ، رغم قرارات مؤتمر الرباط ، ومن خلال اتجاه للتفاوض مع كل دولة عربية على حدة من جهة واخراج الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية من الحلبة من جهة اخرى . ويبدو ان هذا هو الخيار الوحيد المفتوح أمام اسرائيل حاليا ، ولدى الزعماء الاسرائيليين ، استنادا الى تجاربهم الماضية على الصعيدين العالمي والعربي ، ما يكفي من الاسباب الموجبة التي تدفعهم لمحاولة الاستمرار في هذا الاتجاه . فعلى الصعيد العالمي ، اولا ، ورغم تصويت ١٠٥ دول في الامم المتحدة الى جانب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشة القضية الفلسطينية ، يصعب القول ان هذا التطور كان مفاجئا للغاية بالنسبة لاسرائيل ، فسجلات الامم المتحدة ، منذ عرض قضية فلسطين عليها سنة ١٩٤٧ وحتى اليوم ، تحتوي على العديد من القرارات والتوصيات المؤيدة لحقوق الفلسطينيين ، بهذا الشكل او ذاك ، وهي القرارات التي استطاعت اسرائيل بمناوراتها ابطال مفعولها بأكملها والاستمرار في اتباع السياسة الخاصة بها وكأن شيئا لم يكن . ولهذا ، وان كانت القرارات التي صدرت او التي ستصدر عن الدورة الحالية للجمعية العمومية للامم المتحدة اكثر «قسوة» من القرارات السابقة ، لا يزال يراود اسرائيل الامل بأنها لن تعدم حيلة للتملص من نتائجها . والشيء نفسه ينطبق ، ثانيا ، على مقررات مؤتمر القمة في الرباط على الصعيد العربي، فسجلات مؤتمرات القمة العربية — وعلى رأسها لآآت الخرطوم الثلاث — وكذلك سجلات النشاط العربي السياسي ، في علاقات الدول العربية مع بعضها بعضا ، تحتوي على العديد من البيانات والتصريحات والمواقف التي لا تقل شدة عما صدر عن مؤتمر الرباط ، ولكن على الرغم من ذلك استطاعت اسرائيل أن تجتاز تلك المراحل بسلام . ولهذا لا يستغرب المرء ان تعود اسرائيل ، بعد امتصاص صدمة الاعلان عن قرارات مؤتمر الرباط بفترة قصيرة ، الى لهجتها السابقة معلنة ان الكلمة الاخيرة في الموقف العربي الموحد من مساعي التسوية الحالية لم تقل حتى الان في العالم العربي ، وانه لا زال هناك مكان لمحاولة الوصول الى حلول جزئية ، ومع كل دولة على حدة ، وان اسرائيل تستطيع التملص من نتائج « القرارات الفلسطينية » التي أصدرها المؤتمر وتحييد منظمة التحرير الفلسطينية وحصر تأثيرها بواسطة استمرار المحاولات للوصول الى حل مع الاردن بشأن الفلسطينيين ، رغم اعلان الملك حسين عن التزامه بقرارات المؤتمر . وينبغي الا نستغرب ايضا ان رأينا اسرائيل تتقدم بعروض « سخية » جديدة لدول المواجهة العربية المحيطة بها ، وتلمح الى استعدادها عن تقديم « تنازلات » اخرى لتلك الدول لزعزعة موقفها الموحد . ومن الواضح ، من ناحية ثانية ، ان مثل هذا الاتجاه ينم على تحديات جديدة للفلسطينيين عامة ولمنظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها خاصة ، لا بد من مواجهته بتجاوز مرحلة ردود الفعل والانتقال الى مرحلة

المبادرة بالفعل ، وذلك بتثبيت الانجازات التي حصلت عليها على الصعيدين العالمي والعربي وتحويلها الى واقع ملموس ، يصعب على الصديق والعدو معا تجاهله . ولهذا يبدو أن ضرورة اقامة حكومة فلسطينية مؤقتة ، تحول التعاطف والتأييد العربي والعالمي للفلسطينيين وحقوقهم الى اعتراف عملي واضح من جانب تلك الدول ، أصبحت الآن حاجة ملحة أكثر من أي وقت في الماضي ، خاصة وان مثل هذه الحكومة قد تحظى باعتراف عدد كبير من دول العالم ، يزيد على عدد تلك الدول التي تعترف باسرائيل نفسها ، بينما تقطع اقامة مثل هذه الحكومة خط الرجعة على أية محاولة لتمييع التأييد الممنوح للفلسطينيين من قبل هذه الدولة او تلك ، او التراجع عنه في المستقبل ان طرأت ظروف جديدة . كذلك لا بد من التذكير الى انه في الوقت الذي اصطلحت فيه شعوب العالم ، منذ بداية ما يسمى بعصر القوميات ، على التعامل مع بعضها البعض بواسطة ما يعرف بأنه حكوماتها ، يبدو انه لا بد من اقامة حكومة للشعب الفلسطيني ، أسوة بباقي الشعوب .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة

(وقائع وتفاعلات)

والكتاب عرض مفصل وشامل لتطورات حرب اكتوبر من جميع جوانبها : العسكرية ، السياسية ، الاعلامية والاقتصادية ، أعدهـا مجموعة من الباحثين كل حسب اختصاصه باشراف الدكتور أسعد عبد الرحمن .

٥٦٤ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف اليها بدل اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسخك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

آفاق دولية بعد الرباط

سمير عطاالله

« ان ما يحدث الآن هو انتقام من اوروبا القرن التاسع عشر » .

فاليري جيسكار ديستان

هذا الكلام قاله الرئيس الفرنسي في المؤتمر الصحافي الشهير الذي تخطى فيه مواقف الجنرال ديغول نفسه عندما أصبح ، اول زعيم اوروبي مسؤول ، يتحدث عن الوطن الفلسطيني ، ملزما فرنسا بذلك ، وربما الاسرة الاقتصادية الاوروبية كلها ، بأول اعادة اعتراف رسمية بفلسطين .

وعندما تحدث جيسكار ديستان عن « الانتقام من اوروبا القرن التاسع عشر » لم يشر الى العرب علنا بالطبع ، لكنه لم يكن يقصد أحدا غيرهم . كان يقصد هذه القوة الهائلة التي نبتت فجأة لتعود واحدة من أهم القوى العالمية ، بعدما ظلت ، طوال قرون عدة ، تنتقل من نير استعماري الى آخر ، وكان يقصد بالتأكيد هذا الشعب الذي خرج مفاجأ ومهزوما من حرب ١٩٦٧ ، لكي يتحول خلال سنوات قليلة الى قبضة حقيقية تعصر راحتها عنق اسرائيل وتعصر أطراف أصابعها عنق العالم الغربي كله ، أمام الاطلسي وخلفه .

الى عامين خليا ، كان مثل هذا الكلام يبدو شعرا او ضربا من فنون الخطابة . لكنه الآن يبدو دون الحقيقة بكثير : لم يعد هناك متفرجون في النزاع العربي ــ الاسرائيلي. لم يعد هناك حياد ولم تعد القضية الفلسطينية مسألة قابلة للتأجيل ، فهي ، اخيرا قد اقتحمت العالم .

كيف ؟ ولماذا ؟ هل هو النفط ؟ هل هو الفلسطينيون ؟ هل هو حرب تشرين ؟

الثلاثة معا . ومعهم ايضا ، وهذا الاهم ، بروز الامة العربية للمرة الاولى ، بحكامها وليس بشعوبها فقط كما كانت العادة من قبل ، أمة واحدة موحدة من المحيط الى الخليج . هذه المرة لم تترك امارة واحدة خارج القضية ، ولم يبق أحد خارج القضية . واذا كان امتداد الجبهة العسكرية قد انحصر في الجولان والسويس ، فان الجبهة القومية كانت مفتوحة على امتداد الوطن العربي كله ، برغم مفارقاته التنظيمية والايديولوجية وحتى الاجتماعية .

هكذا قام ، بالنسبة الى الغرب ، واقع جديد . فقد كان من بديهيات التكوين الاستعماري ، انه يتكل على تفسخ الشعوب والامم . وقد مارس الاستعمار البريطاني هذا التفسخ في البلاد العربية أكثر من أي مكان آخر ، كذلك مارسته فرنسا ، أحيانا منفردة واحيانا بالاشتراك مع بريطانيا . ثم جاء استعمار فوستر دالاس بينما كانت الامة العربية في بداية النهضة من الكبوة الطويلة ، ومارس السياسة نفسها ، طارحا هذه المرة فكرة الاحلاف والمعاهدات .

لكن عاما بعد آخر أخذت الدول العربية تتجه في خط الوحدة العامة ، كلما ازداد

وعيها لواقعها من جهة وكلما تعاظم وعيها لقضيتها من جهة اخرى . ولا نظلم رسل الوحدة العربية اذا قلنا ان هذه الوحدة وصلت الى ذروة تكاملها العام ، مع وصـــول القضية الفلسطينية الى ذروة الادراك في عقول الشعب العربي . فالواضح ان البعد القومي لحرب تشرين لا ينتهي في الجولان وسيناء بقدر ما يمتد الى فلسطين نفسها ، والحرب لم تكن لاستعادة « اراض » مفصلة في القرارات الدولية بقدر ما كانت حرب استعادة الارض . اعادة التاج الى الام ، الى الرمز .

هذه ، كانت الصورة ، منذ صباح السادس من تشرين . يومها ، قدر لي ان اكون في الامم المتحدة بالذات ، وهناك شاهدت عملاقا عربيا يخرج من القمقم . مرة واحدة. هناك شاهدت العالم يعترف بالوطن العربي ـــ بعضه مرغم وبعضه عن حب ـــ وهناك بعد عام ، سوف يعترف هذا العالم بالجزء العربي الذي كان يرفض قبل الان ان يصدق انه يراه فعلا ! فلسطين .

● في بداية ١٩٧٣ جاء وفد صحافي من المانيا الغربية بدعوة رسمية الى بيروت. وبين المقابلات التي شملتها الزيارة واحدة مع محرري «النهار» . كان أعضاء الوفد يسألون والمحررون يجيبون . وكان الموضوع واحدا طبعا : فلسطين والفلسطينيون .

كان معظم أعضاء الوفد الالماني من الصحافيين المتقدمين في السن ، كما كان معظمهم يبدو وكأنه يريد ان يفهم فعلا او على الاقل ان يتفهم . غير ان واحدا منهم ، وكان الاصغر سنا ، بدا وكأنه يريد أن يناقش لا ان يسمع .

وقد سألني هذا عما اتوقعه كصحافي يكتب في القضايا الدولية . وكان فحوى الجواب : ان الجسم الكوني شبيه الى حد كبير بالجسم البشري والتـــاريخ يدل ، وخصوصا تاريخ هذا الجزء من العالم ، ان الجسم الكوني ، كالجسم البشري ، لا يلبث ان يرفض الاجسام الغريبة والمزروعة مهما طالت المدة او مهما كانت عملية الزرع ناجحة . ولكي لا أبعدك كثيرا عن اوروبا أحب ان اعطيك ايرلندا الشمالية كمثال . فقد بدا لزمن طويل ان الايرلنديين قبلوا او تقبلوا المستوطنين الذين جيء بهم من اسكوتلندا وغيرها خلال مرحلة اذلال ايرلندا . لكن فجأة قامت ثورة الوطنيين ولا تزال قائمة حتى الآن ... وبالتالي فان أبسط ما نتوقعه هو انتفاضة في الداخل من الوطنيين ضد المستوطنين ، تدعم او توازي الثورة التي شبهرها الذين تشردوا مـــن الفلسطينيين ، في وجه العالم ، مع العلم طبعا ان الغزو الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ لم يعد غزوا لفلسطين وحدها بل كشف ما كنا نقوله للعالم عن كونه غزوا استيطانيا يهدد العالم العربي كله ...

ولم يرق هذا الجواب كثيرا للصحافي الالماني الغربي الذي جاء ... يناقش . وكان هذا ، بالفعل ، موقف معظم الالمان ، وبالطبع موقف معظم الاوروبيين الذين غسلت أدمغتهم طوال ربع قرن بدعاية صهيونية مركزة . أما المانيا الرسمية ، المانيا الدولة ، فلم يكن موقفها بعيدا ايضا عن هذا الموقف . كانت هناك قناعة اوروبية عامة ، باستثناء الموقف الفرنسي الموضوعي الذي اتضح في ايار ١٩٦٧ وما بعد ذلك ، بأن العرب قوة مفككة سوف يظل من السهل على اسرائيل قهرها ، خصوصا ما دامت هذه مدعومة بالقوة الاميركية بدون حساب .

... ثم وقعت حرب تشرين . أدركت اوروبا قبل غيرها ـــ وخصوصا المانيـــا الغربية ـــ انها مخطئة كثيرا في حساباتها وانه أصبح من السهل جدا الان على العرب قهر اسرائيل برغم القواعد الدولية القائمة وانهم استطاعوا ان يحطموا اسطورتها العسكرية برغم الجسر الجوي الاميركي الذي لا سابقة له ، بعدما استطاعوا عزلها

نهائيا على الصعيد السياسي، العزل الذي وصل الى ذروته هذا العام في الامم المتحدة.

المهم ، انه في نيسان الماضي عقدت في الامم المتحدة دورة استثنائية تاريخية للبحث في الموارد الطبيعية ردا على مؤتمر مواجهة الدول المنتجة للنفط الذي عقد في واشنطن في شباط ١٩٧٤ . وجاء وزير خارجية المانيا الغربية آنذاك ورئيسها الحالي فالتر شيل لكي يلقي كلمة السوق الاوروبية في الدورة .

وفوجيء الكثيرون « بنعومة » الخطاب ، خصوصا وان الرئيس هواري بومدين كان قد القى اطروحة تاريخية في الدفاع عن العالم الثالث ضد مطامع الدول الصناعية.

... وتبين فيما بعد ان فالتر شيل وضع خطابه بعد التشاور مع الزعيم الجزائري، وحرص على صياغته بصورة لا تغضب الدول العربية .

وكما يقول المثل العامي « هاالله هاالله يا دني ... » فالدولة التي ضحت بكل العلاقات العربية من أجل الرغبات الاميركية والاعتراف باسرائيل في الستينات ، صارت تشاور واحدا من أكثر الزعماء العرب تصلبا .

في عام واحد تطور الموقف الالماني من عدائي الى أقل عداء الى متفهم ... مع انه لا يزال بعيدا جدا عن ان يكون موقفا موضوعيا .

لقد اخذنا التطور في الموقف الالماني كمثال واحد في طبيعة وتطور الرؤيا الدولية الى القضية الفلسطينية خصوصا والقضية العربية عموما . وهو مثال على نوعية واحدة من البلدان الاوروبية والغربية ، لا يزال عددها مع الاسف كبيرا . لكن ثمة ثلاثة مواقف جوهرية ، على صعيد الافاق الدولية ، تستحق الدرس والمقارنة .

اولها الموقف السوفياتي (ومعه طبعا الكتلة الاشتراكية) لكونه مؤيدا تماما ، وثانيها الموقف الفرنسي ، لكونه أكثر المواقف الغربية انفتاحا واستقلالية ، وثالثها الموقف الاميركي لكونه الاكثر عداء .

ان في المواقف الثلاثة تطورا أساسيا مهما بدا في الظاهر وكأن هذه المواقف لا تزال واحدة. فالواقع ان القوى الثلاث عدلت كثيرا في جوهر نظرتها الى القضية الفلسطينية، مع ان منطلقاتها في ذلك لا تزال واحدة .

● للموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية منطلق واحد، هو المنطلق الايديولوجي، برغم ما يرافق هذا الموقف من تطلعات للدولة السوفياتية نفسها ، أي التطلع الى المصالح التي قامت او يمكن أن تقوم مع عالم عربي متطور .

لكن الموقف السوفياتي الجوهري لم يتغير ولم يتعدل . عندما بدا في احدى المراحل ان المصالح السوفياتية مهددة بالخطر ، بل على العكس ازداد تأييدا ودعما لـــدول المواجهة وللثورة الفلسطينية خصوصا وللدول العربية المنفتحة على موسكو بصورة عامة . اذ لم يكن ممكنا ولن يكون ممكنا للاتحاد السوفياتي ان يتخذ مواقف تتناقض مع فكره وتركيبه وتاريخه ، مهما فرضت المواقف المعاكسة عليه ، او مهما بلغ شأن سياسة الانفراج والوفاق مع الولايات المتحدة الاميركية .

والدليل طبعا ان مسار الموقف السوفياتي ظل كما هو ، او بالاحرى ازداد تعمقا ، بعد تغير القيادة السوفياتية وذهاب نيكيتا خروشوف الذي سجل اول توجه جـــدي نحو العالم العربي عندما كانت الثورة المصرية في بداياتها .

لكن لا بد من ملاحظة التطورات الايجابية التي طرأت على الموقف السوفياتي من « صفقة الاسلحة التشيكية » الى السد العالي الى حرب ١٩٦٧ الى الموقف اليوم ، الموقف المتكامل من الثورة الفلسطينية .

في العام ١٩٥٦ اتخذ نيكيتا خروشوف « موقف الصواريخ » الشهير ضد محور العدوان الثلاثي على مصر . غير ان ذلك الموقف لم يأخذ صداه العالمي لان موسكو كانت غارقة آنذاك في أتون الحرب الباردة مع العالم الرأسمالي . ومن هنا فان قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل خلال حرب حزيران ، مع انه لم يصل الى حد سحب الاعتراف بالكيان الصهيوني ، كانت له أهمية أضخم بكثير . ذلك ان الظروف الدولية كلها كانت قد تغيرت في العقد الذي مضى على العدوان الاول ، وكان الاتحاد السوفياتي قد فرض نفسه فعلا دولة كبرى متفوقة عسكريا وعقائديا وسياسيا في تزعم العالم ، ولذا فان قطع العلاقات مع اسرائيل كان ، بين امور أخرى ، تكريسا لانقسام العالم فعلا للمرة الاولى حول ما كان العالم قد اقترفه قبل عشرين عاما تماما من ذلك التاريخ : تقسيم فلسطين .

هذا الموقف ايضا وضع الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية في صف المواجهة المعلن الى جانب الدول العربية في وجه اسرائيل من جهة ، وفي وجه الولايات المتحدة من جهة اخرى . وبالتالي فان اي خطوة مقبلة كان سيتخذها الاتحاد السوفياتي سوف تكون خطوة الى الامام . وهكذا ، بالفعل ، لم يعد الدعم السوفياتي مقتصرا على تأييد الدول العربية في استعادة الاراضي المحتلة ، بل تعداها تدريجا الى حد التعامل مع الثورة الفلسطينية على اساس كونها السلطة الوطنية الحية .

ومن قبيل الانصاف والبديهيات التاريخية ، ان الدولة السوفياتية لم تذهب في تأييد قضية ما ، المدى الذي ذهبته في تأييد القضية العربية ، الا ربما في كوبا ، مع اختلاف الظروف والمضاعفات بين الوضعين .

الموقف السوفياتي كان ، من دون اي شك ، بداية العزلة الاسرائيلية على المسرح الدولي . ومع انه لم يكن عنصرا مباشرا ، مثلا ، في مقاطعة القارة الافريقية لاسرائيل ، فان موقفه اثر بالتأكيد ، والى حد بعيد جدا ، على نظرة القارة الاوروبية الى الصراع العربي — الاسرائيلي في السنوات العشر الاخيرة على الاقل .

الى أين تذهب موسكو من هنا ؟ وماذا بعد هذا التعاقد العاطفي والسياسي الذي لا يوازيه حجم اي تعاطف آخر بين السوفيات وبين اي أمة اخرى ؟ وماذا الآن ، خصوصا الآن ، بعد قيامة الوطن الفلسطيني ؟

ان أي حديث عن « النوايا » السوفياتية هو في الواقع تشكيك في عشرين عاما من الدعم السوفياتي . وان اي محاولة للمقارنة او اي محاولة لطرح القضية العربية في مزاد الانفراج والوفاق الدولي ، هي ايضا ضمن نطاق هذا التشكيك . اذ ليس منتظرا ان تتخلى موسكو عن القضية الفلسطينية في ذروة آمالها ، هي التي لم تتخل عنها في ذروة آلامها .

بل ان أي تقييم للموقف السوفياتي يظل ضمن نطاق البديهيات . فالمرء لا يترقب اصدقاءه على مفترق الطرق . انه يتوقع اعداءه فقط .

● بعضنا يرد الموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية الى العام ١٩٦٧ ، أي يوم وقف الجنرال ديغول يعلن حظر الاسلحة على الدول المتقاتلة في الشرق الاوسط بينما كان يعلن هذا الحظر عمليا ، وانطلاقا من رؤيا تاريخية واضحة ، على اسرائيل ، باعتبارها كانت تعتمد على السلاح الفرنسي الى حد بعيد .

لكن الواقع أن حرب حزيران كانت مجرد فرصة لاظهار رؤيا قديمة . أو كانت ، على الاصح ، فرصة لاظهار تحول أسبق ، في نفس القائد الفرنسي الذي اشتهر

باستقراء المستقبل . هذا التحول بدأ في العام ١٩٦١ ، يوم انتقل الجنرال ديغول من صفوف الذين ينادون « بالجزائر الفرنسية » الى تزعم المستقلين الفرنسيين المنادين بمنح الجزائر حريتها ولو كان الثمن حربا أهلية في فرنسا نفسها ... او محاولة انقلابية يقوم بها بضعة جنرالات فاشلين .

اذ هنا لا بد ان نلاحظ ان تجربة الجزائر لم تغير رؤيا ديغول بالنسبة الى حريات العالم الثالث وحده ، بل هي غيرت رؤياه ، في صورة جذرية ، الى مجمل وطبيعة العلاقات مع كل المعسكرات في العالم ، وخصوصا الى طبيعة العلاقات مع الولايات المتحدة من جهة ومع سائر أعضاء الاسرة الاوروبية من جهة أخرى .

مع قرار اطلاق رصاصة الرحمة على الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، تبين للجنرال الذي خاض حربين عالميتين ، ان عالما جديدا قد ولد . والعالم الجديد هذا أصبح يقتضي اعادة النظر في بنية العالم القديم كلها ، وبالاخص في كل أخطاء وخطايا العالم القديم الذي كان هو ، في مراحل مختلفة ، واحدا من اركانه .

وانا من الذين يقولون — في كل تواضع — ان تجربة الجزائر ، وليس الواقع الاوروبي الجديد ، كانت وراء معاهدة الصلح الالمانية — الفرنسية التي وقعت في العام ١٩٦٣ ، على الاقل من الناحية النفسية . اذ حيث اثبت شعب صغير أعزل ، مثل الشعب الجزائري ، انه قادر على قهر قوة كبرى مثل فرنسا ، لم يعد من الممكن الاستمرار في اخطاء المتعاليات القديمة ... تلك التي كانت باريس مسؤولة عنها وتلك التي لم تكن .

فالخوف الحقيقي بالنسبة الى ديغول أصبح واحدا : الخوف من ان تظل فرنسا ضعيفة . فاذا تحولت الى قوة فعلية لن تعود في حاجة الى الاعتماد كليا على « المظلة النووية الاميركية » التي كان يقول دائما انه لا يعرف متى تسحب من فوق رأس فرنسا ، ومن هنا أنشأ القوة النووية الضاربة وبدأ في بناء قوة عسكرية قادرة على الاستقلال عن الحلف الاطلسي تماما .

هذا الجنرال المتوسطي كان يعرف جيدا كيف يتطلع حوله : عبر الاطلسي رأى حليفا راغبا في التسلط بينما هو راغب في الاستقلال ... فقام وسافر الى الاتحاد السوفياتي ليقيم اول علاقات خاصة بين البلدين منذ سقوط ثلوج الروسيا على رأس نابوليون . وعبر المتوسط أيضا رأى ان تلك البلدان التي عذبها الاستعمار الفرنسي ذات زمان ، بدأت تعود اليها سواعدها، فانصرف الى تحسين العلاقات بقدر المستطاع مع المغرب العربي ثم مع المشرق العربي ، محاولا ان يفتح لفرنسا صفحة جديدة مكتوبة بحبر المستقبل .

والواقع ان الموقف الفرنسي في حرب حزيران ، كانت قد سبقته اقامة علاقات طبيعية بين باريس والعواصم العربية، بعيدة عن ذكريات الجزائر وبنزرته والسويس .

لكن هل ذهب ديغول الى حد اتخاذ موقف فلسطيني ؟

الجواب يتوقف على كيف نفسر رؤيا الرجل . وانا بين الذين يعتقدون ان اول تمهيد للموقف الفلسطيني الذي أعلنه جيسكار ديستان في الشهر الماضي ، كان اشارة ديغول بعد حرب حزيران أو بالاحرى تفسيره ، لطبيعة اليهود في العالم ، ذلك التفسير الذي اقام عليه حملات اعلامية رهيبة في الغرب .

فقد كان ذلك الكلام ، اول اقرار غربي على هذا المستوى ، بأن ظلما حقيقيا قد الحق بالشعب العربي في فلسطين ، وكانت قيمته ان ديغول هو الذي يقوله كما كانت قيمته في انه يصدر عن رجل يعرف سلفا ما سوف يواجه من حملات .

في أي حال ، لقد وضع ديغول بلاده على الطريق الصحيح . وعندما استقال وجاء بومبيدو خلفا له ، توقع الكثيرون ان تذهب الديغولية مع ديغول ، وتوقع الكثيرون ، في صورة خاصة ، ان يظهر التحول في السياسة الفرنسية ، في الشرق الاوسط .

لكن الذي حدث ان جورج بومبيدو لم يكن ، في أي وقت ، أقل موضوعية من سلفه . وبينما كانت القضية الفيتنامية تصل الى مرحلة التكامل ، كان بومبيدو يتحدث في كل مناسبة عن حقوق الشعب الفلسطيني . ولعل بومبيدو تعرض أكثر من سلفه لحملات الصهيونية التي وصلت الى ذروة وقاحتها خلال زيارته للولايات المتحدة ، حيث لقي من الاوساط الصهيونية بذاءات اضطرت ريتشارد نيكسون الى الاعتذار عنها شخصيا .

بعد وفاة بومبيدو كانت المعركة طاحنة بين فاليري جيسكار ديستان ، مرشح الديغوليين ، وبين فرنسوا ميتران ، مرشح اتحاد اليسار .

وكانت الدول العربية تراقب معركة الانتخابات الفرنسية هذه المرة وهي أكثر اهتماما وترقبا من أي مرة سابقة . فقد بدا لفترة انه سواء فاز جيسكار ديستان او ميتران ، فان السياسة الفرنسية تجاه العرب مقبلة على تغيير لن يكون في مصلحتنا .

فالاول ليس من الحزب الديغولي نفسه بل هو زعيم الجمهوريين المستقلين الذين يدعمون الاكثرية الديغولية . وفوق ذلك فقد تعاطى دائما في شؤون المال والاقتصاد وبالتالي ليست له أي مواقف سياسية واضحة . ثم ازدادت المخاوف خلال الحملة عندما أدلى جيسكار ديستان فعلا بأقوال يمكن تفسيرها ببساطة على انها تأييد لاسرائيل . أما فرنسوا ميتران ، من جهته ، فهو مشهور بتأييده لاسرائيل وبأن الذين حوله من مؤيدي اسرائيل ، مع العلم طبعا ان تحالفه مع الحزب الشيوعي كان سيشكل ضوابط معينة اذا ما وصل الى الاليزيه .

من هنا ان تصريحات ومواقف جيسكار ديستان الفلسطينية كانت مفاجئة حقا ، اذا لم نقل مذهلة . فقد تخطى الرجل في الواقع كل المواقف التي ذهب اليها سلفاه في تزعم الجمهورية الخامسة ، عندما أصبح أول زعيم غربي في الحكم ينادي بحقوق الشعب الفلسطيني ، بمعناها الشرعي والقومي .

لقد طالب ديغول وبومبيدو من قبل بوجوب الاعتراف بهذه الحقوق غير انهما لم يصلا الى حد المطالبة باعادة قيام الوطن الفلسطيني بالصورة التي رآها الرئيس الفرنسي الحالي . والسبب واضح طبعا : ان رؤيا الرئيسين السابقين لم تكن أقل تعاطفا او رغبة في العدل ، لكن رؤيا الرئيس الحالي وجدت في الثورة الفلسطينية التي وصلت الى ذروة التكون ، تجسيدا عمليا لما يمكن ان تلزم فرنسا نفسها بها من موقف حاضري ومستقبلي ، او بالاحرى الموقف الرؤوي .

هنا ايضا لا بد من النظرة « التاريخية » الى الموقف الفرنسي : ان قرب فرنسا من المنطقة العربية وكونها شهدت « من الداخل » المظالم الاستعمارية التي بدأت مع وعد بلفور ، بالاضافة الى انها شاركت في هذه المظالم خلال مرحلة ما ، كما شاركت في التقسيمات — ان هذه العوامل التاريخية بالاضافة الى مسارعة فرنسا في تقبل وقائع العالم الجديدة ، هي التي أملت الموقف الفرنسي الموضوعي تجاه القضية الفلسطينية في مرحلتها الحاضرة .

ولا يمكن بالطبع ، وفي صورة عامة ، ان نفصل تطلع فرنسا الى مصالحها ، مثلها مثل أي دولة كبرى او صغرى . والواقع انه لو أدركت كل دولة اوروبية مصالحها الحقيقية ، او لو استطاعت هذه الدول ان تتخطى النفوذ الصهيوني المتركز في معظم

دوائرها ، لاستطاعت تلقائيا ان تفتح أعينها في نظرة أكثر موضوعية على طبيعة الصراع في الشرق الاوسط .

ان الموقف الفرنسي ، في أي حال ، يظل الموقف الوسط ، أي انه ، برغم أهميته واصالته ، يظل بعيدا عن الموقف السوفياتي ، لكنه في الوقت نفسه يظل أهم وأجمل موقف غربي من القضية الفلسطينية حتى الآن — واكثرها جرأة بالطبع .

● أخيرا ، لا آخرا ، الموقف الاميركي .

وفي هذا الموقف كتبت مجلدات ضخمة حتى الان . وفوق المجلدات كتب الشعب العربي في كل مكان ، ردة فعله تجاه الموقف الاميركي منذ هاري ترومان حتى جيرالد فورد ، أحيانا بالتظاهرات واحيانا بأعمال العنف واحيانا بالشعر العامي واحيانا بالغناء واحيانا بالاجتماعات واحيانا بالصمت واحيانا بكل الاشكال .

لكن ، الان ، بعد قمة الرباط وبعد دخول فلسطين الى الامم المتحدة في أضخم تظاهرة من نوعها في تاريخ المنظمة الدولية ، والان وقد اصبحت فلسطين على حافة هويتها ، بعد هذا كله ، هل تغير الموقف الاميركي ؟

لقد قيل الكثير في تغير الموقف الاميركي ، خصوصا بعد ازمة الطاقة وبعد ان جعل النفط العربي كل مواطن اميركي يشعر بأنه لن يكون في امكانه بعد الان ان يتجاهل الشعب العربي وحقوقه وآماله وتطلعاته ورغباته في ان يعيش ، بعد كل هذه القرون المظلمة ، بعيدا عن السيطرة الاستعمارية .

وكثيرون اعتقدوا ، خصوصا ، بعد ان فتحت اميركا بعض أبوابها أمام رسل الرأي العام العربي ، ان تغييرا جذريا قد طرأ على الموقف الاميركي . وزاد في هذا الاعتقاد ان وزير خارجية الولايات المتحدة الزم نفسه برعاية الحل السلمي في المنطقة ومن أجل ذلك قام بست جولات زار خلالها الزعماء العرب ، معلنا دائما ان الغاية من زياراته هي تأمين حل « تدريجي » لمشكلة الاراضي العربية المحتلة .

لكن ، ايضا وايضا ، هل تغير فعلا أي شيء ؟ ان أكثر الاجوبة ايجازا وافادة على هذا السؤال ، هو جواب ابو عمار في حديثه الى التلفزيون الاميركي عندما قال « لقد طرأ تعديل طفيف على الرأي العام الاميركي » .

وهذا ، على الارجح ، كل شيء . اذ ليس واضحا حتى الآن ان هناك أي تغيير آخر في الموقف الاميركي ، خصوصا فيما يتعلق بالنظرة الى فلسطين وشعب فلسطين والثورة الفلسطينية .

ولا تزال الادارة الاميركية تتصرف حتى الآن وكأنها تفاجأ عندما يقال لها ان هناك شعبا فلسطينيا وان هناك وطنا فلسطينيا لا يزال في المنفى مع ان هذا الوطن قد وصلت حدوده الى قلب نيويورك نفسها . ان الموقف الاميركي ، في كلام آخر ، لا يزال قائما على رفض القبول بالشعب الفلسطيني وتطلعاته وحقوقه البسيطة والبديهية والعادلة .

وهل يمكن لنا ، اذن ، ان نتوقع أي تغيير في الموقف الاميركي غير التعديل الطفيف على الرأي العام ؟

حتى الآن ليس هناك ما يدل على ذلك . حتى الآن لا تزال واشنطن ترسم سياساتها في الشرق الاوسط بعقلية الثلاثينات . ولكن حتى هذا الموقف لم يعد مهما . فالتصويت الاخير في الامم المتحدة لم يكرس فلسطين ويعزل اسرائيل فحسب ، بل ان ١٠٥ دول كرست فلسطين وعزلت اسرائيل والولايات المتحدة معا . وعملية العزل مستمرة ما دام الموقف الاميركي مستمرا .

قمة الرباط في المنظور الغربي

ادريس الخالدي

اعتادت وسائط الاعلام الغربي على تناول الصراع العربي — الاسرائيلي بأكبر قدر من الجهل وتشويه مدروس . وفيما عدا استثناءات قليلة ، فان تغطية هذه الوسائط لاحداث العالم العربي تأثرت بقوة لضغط صهيوني كبير ، كما تأثرت بعداء الغرب الطبيعي للحركات المعادية للامبريالية والاستعمار على شتى انواعها، ولقد انطبق هذا الموقف بصورة خاصة على قضية فلسطين .فعبر سنوات طوال،عكست صحف ومجلات اوروبا والولايات المتحدة بصورة قوية الاساطير الصهيونية عن «لا وجود» الشعب الفلسطيني ، فلقد كان نفي وجود الهوية الفلسطينية لازمة ضرورية للدعم الغربي للدولة اليهودية . ذلك ان هذا الدعم جرت فلسفته وجرى تبريره على الدوام من خلال مقولة حق اليهود بتقرير المصير ، وعلى هذا فان اي اعتراف او تسليم بوجود شعب فلسطيني ، كان سيقود الى تناقض صارخ .

وعلى مدار اكثر من ربع قرن من الزمان ، لم تكن فلسطين تعني بالنسبة لمعظم الغربيين ، سوى أنها المنطقة الجغرافية التي أسس فيها اليهود دولتهم . انما مؤخرا، وعلى الاخص منذ اكتوبر ١٩٧٣ ، بدأ هذا المفهوم بالتغيير . وتعود جذور هذا التغيير الى مذابح ايلول الاسود ، والعمليات الفدائية التي سبقت ولحقت تلك المذابح . لقد كانت ردود الفعل الاولية على هذا العنف الموجه للفلسطينيين سلبيا الى حد كبير، فيما عدا موقف قطاعات شعبية قليلة العدد والشأن ، معادية للصهيونية والامبريالية . ومع ذلك فان البذرة زرعت ، وأوجدت أساسا لاعتراف عميق بالهوية الفلسطينية في وقت لاحق . وهكذا يمكن تسجيل بدء الاعتراف بالهوية الفلسطينية الذي كان الى حد كبير استجابة لتغير الظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية . أن مدى هذا الاعتراف ، وكذلك حدوده ، يتجسدان بوضوح في ردود فعل وسائط الاعلام الغربية على قمة الرباط التاريخية .

في الانجليزية مثل معروف يقول « لا شيء مثل النجاح » . ان هذا ليس مسلمة بدهية، اذ انه يعكس الحقيقة الموضوعية القائلة ان التقدم يستولد اندفاعه الذاتي ، كما يعكس كذلك ، الميل الغربي اللافت للنظر للارتباط بما هو « فائز » .

لقد شهدت السنوات الاخيرة سلسلة متتابعة من الانتصارات السياسية والدبلوماسية البارزة التي حققها الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي . بدأ ذلك بالقمة العربية في الجزائر التي اعلنت غداة حرب اكتوبر ، اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وكانت ذروة تلك الانتصارات ، دعوة الجمعية العامة للامم المتحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولقد وجدت الصحافة الغربية نفسها مضطرة (واحيانا ميالة) لاعطاء قدر متزايد باستمرار من الاعتراف بالهوية الفلسطينية ، واعترافها تدريجيا بحق الفلسطينيين بتقرير المصير .

ومع ذلك ، فلقد بقيت هناك التباسات تحيط بموقف الحكومات العربية تجاه الدور المستقبلي لمنظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بتحرير وادارة فلسطين المحتلة ، ولقد استغلت هذه الالتباسات بصورة قوية من جانب المعلقين المساندين للصهاينة ، وكذلك من جانب العناصر الرجعية المؤيدة لاستمرار الوصاية الهاشمية على الضفة الغربية . ولقد تأملت هذه القوى ان يحدث تنكر — بطريقة ما — للطلب المشروع لمنظمة التحرير الفلسطينية بفرض السلطة الوطنية المستقلة على اي منطقة يتم تحريرها ، وان يبقى دور النظام الاردني باعتباره المفاوض الرئيسي ، والطرف الذي يبسط سيادته على الضفة الغربية ، محفوظا .

من هذا الواقع ، انطلقت **الديلي تلجراف** البريطانية المحافظة المتطرفة يوم ٢٨ اكتوبر لتكتب ما يلي :

« ان الزعيم العربي الاعظم تحضرا ، الملك حسين ، هو في الوقت الحاضر ، العنصر الرئيسي في قضية الضفة الغربية للاردن . أما نفوذ ياسر عرفات فأمر بغيض . واذا أحبط القادة العرب في الرباط مطامح عرفات ، فان هذه ستكون فرصة للرياء العربي ازاء الفلسطينيين ، ليخدم قضية السلام » .

على أن **الديلي تلجراف** لم تكن وحدها التي تتمنى انتصار الاردن في الرباط ، فان عدة صحف امريكية اطلقت تمنيات مماثلة ، مؤكدة ان اقتراب كيسنجر من « تسوية سلمية لنزاع الشرق الاوسط » ، يقوم نجاحه على استمرار الدعم العربي لموقف حسين باعتباره الطرف الذي سيتسلم في النهاية اية منطقة يتم تحريرها من الضفة الغربية . (وكما سنرى لاحقا ، فان دبلوماسية كيسنجر تستحوذ على اكبر قدر من الاستغراق والاهتمام ، في تعليقات الصحافة الامريكية على قمة الرباط ، مع اعطاء اهتمام أقل — في الغالب — للموضوعات الكبيرة المطروحة في القمة) .

لقد كانت وسائط الاعلام الغربية حساسة بصورة خاصة لمجريات قمة الرباط ، وهذا أمر مفهوم ، لوقوعها في أعقاب دعوة الامم المتحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . أضف الى ذلك ، ان الخارجية الامريكية اعلنت بكل وضوح ان الخطوة التالية في مفاوضات كيسنجر « السلمية » ، تتوقف على القرارات المنتظرة من قمة الرباط ، وحين خرجت القمة بقراراتها على الملأ ، ذهل عدد من المعلقين الغربيين . لقد تنبأ عدد كبير من الصحف بحدوث شقاق مرير بين اطراف القمة ، بل أنهم قالوا بحق ان الحكومات العربية تتمتع بقدرة خارقة على تأجيل المحتوم ، خاصة عندما يتعلق الامر المحتوم بقضية الشعب الفلسطيني المتفجرة . على ضوء هذا كتب ايفانس ونوفاك ، محررا العمود المشهور الذي يظهر اسبوعيا في عدة صحف في الوقت نفسه على امتداد الولايات المتحدة .

« احدى المفارقات العميقة في قمة الرباط الاخيرة ، انه لا أحد هنا ، بدءا من ناظر الخارجية وانتهاء بالمراتب الادنى ، أعطي أي تلميح او فكرة [من قبل الحكومات العربية] ان العالم العربي كانت لديه أية مؤشرات (من قبل الحكومات العربية) الى ان العالم العربي بأسره بما في ذلك حسين ملك الاردن وحليف الولايات المتحدة العريق والوفي ، سيتكتل وراء منظمة التحرير الفلسطينية » .

على أن بعض الصحف لم تستطع قبول الحقيقة الجديدة . وان الامريكيين بصورة خاصة ، اصيبوا بالارتباك والتحفظ بسبب القرار الاجماعي الجلي بأخذ الضفة الغربية من حسين ، واعادة تقرير مصيرها المستقبلي لايدي الشعب الفلسطيني .

ولقد عاجلت « **انترناشينال هيرالد تريبيون** » الى القول ان الاجماع الذي يقوم عليه القرار ، « موضع شبهة ، وان تخلي الاردن الظاهري عن مطالبه بالضفة الغربية ، خلف وراءه جوا من الحيرة في مؤتمر الرباط ، غريبا ولافتا للنظر ، وشعورا بأن تحفظات لم تعلن ولم تنشر قد اضيفت الى البيان » .

ولقد عكست **النيويورك تايمز** رفضا مشابها لتصديق نتائج قمة الرباط الكاملة . لقد انتهجت هذه الصحيفة خطا ثابتا مؤيدا للصهاينة وداعما للملك حسين طوال السنوات الماضية ، وكانت الصوت المعبر عن خطة كيسينجر لاعادة الضفة الغربية للسيادة الهاشمية ، ولهذا فان تعليقها على قمة الرباط ، يحمل قدرا غير مألوف من عدم الواقعية . فبعد اشارتها الى حجة الملك حسين امام القادة العرب (ان من غير المحتمل ان تبحث اسرائيل مسأله الانسحاب مع م. ت. ف.) الامر الذي يؤكده كيسينجر والاسرائيليون ، فان الصحيفة خلصت الى القول :

« المسألة الان هي ما اذا كانت الاكثرية الفلسطينية المقيمة في الاردن سوف تسمح للملك حسين ، بكل ما في الكلمة من معنى ، بأن ينفض يديه من قضيتهم بكل هذه البساطة » .

لكن هذا الاستغراق في الخيال الذي ميز ردود فعل الصحف الامريكية الاكثر تعصبا للصهيونية ، لم يمثل بالتاكيد موقف وسائط الاعلام الغربي على وجه الاجمال . فاذا نظر الى قرار الرباط من زاوية شاملة ، يبدو واضحا ان القرار كان مفاجئا بقوته وجلائه ، ونظر اليه المعلقون باعتباره ذا اهمية رئيسية بالنسبة للمجرى المقبل للصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وكفاح الشعب الفلسطيني .

على أن هناك بالطبع تفاوتا بين تقييمات وتحليلات الصحافة الغربية بعد قمة الرباط . ومع ذلك فان دراسة ما كتبته صحف ومجلات الغرب الرئيسية يكشف قدرا ملحوظا من الاجماع في الرأي في عدة جوانب . وسنتناول هذه النقاط على حدة ، ونوضحها مدعومة بالأمثلة والاقتباسات .

فيما عدا استثناءات قليلة ، اتفقت صحافة الغرب على أن قرار الدول العربية اعطاء الدعم الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، كان من ناحية **حتميا** ، ومن ناحية ثانية ، **مبررا كليا** . بل ان بعض المعلقين أشار الى ان مثل هذا القرار كان يمكن أن يكون قد صدر منذ أمد بعيد ، **فالاكونومست** ، المجلة الاسبوعية البريطانية القوية النفوذ ، توجز هذا الرأي ببراعة حين تقول :

« لقد كشف القادة العرب اغطية التمويه عن أساس العلة لنزاعهم مع اسرائيل الذي استمر حتى الان ٢٦ عاما ... لقد قدم العرب في الرباط لانفسهم خدمة تأخر أوانها كثيرا ، وذلك بترتيب سلم الاولويات ، لقد انتهى الان الوقت الذي اعتادوا فيه المراوغة بتغطية القضية المركزية باطلاق الشعارات الجوفاء عن « مشكلة اللاجئين » الفلسطينيين » .

ان في هذا النص قدرا كبيرا من الرياء البادي للعيان ، ذلك ان وسائط الاعلام الغربي ارتكبت خطيئة المراوغة ذاتها منذ أمد بعيد .

ومع ذلك فان المعلقين الاكثر واقعية وموضوعية ، بغض النظر عن مدى معارضتهم لمنظمة التحرير الفلسطينية في الماضي ، اضطروا الى التسليم تحت وطأة الاحداث ، بأنه **لم يكن هناك بديل اخر** وان هناك ملاحظة تتكرر في عدد من الصحف والمجلات ، وهي أن قرار الرباط ، كان نتيجة طبيعية **للتعنت الاسرائيلي** منذ ١٩٦٧ .

وانه لمما يثير السخرية ، ان بيان الرباط كان السبب بظهور عدد من أعنف الانتقادات التي ظهرت في الصحافة الغربية ، للسياسة الاسرائيلية . وان السبب بسيط : فلو ان اسرائيل استجابت لعروض حسين في وقت أبكر ، وأتاحت له اعادة فرض سيطرته على معظم الضفة الغربية ، لكان هذا قد أنهى كليا مسألة منظمة التحرير الفلسطينية . ظهر هذا الرأي في تحليل ايفانس ونوفاك اللذان قالا بعد اشارتهما الى الرفض الاسرائيلي المتواصل لتقديم اي تنازلات لحسين في الضفة الغربية .

« انهم الان يقطفون الثمار المرة لهذه السياسة . ان رفض اسرائيل التفاوض بنية صافية مع حسين ، كان هو ذاته السبب الحقيقي لتراجع حسين امام ضغوط معظم الدول العربية ، تراجعه عن اصراره المعلن طويلا على انه هو فقط القادر على تحقيق تنازلات اقليمية من اسرائيل ، وبعد سبع سنوات ونصف السنة ، كان صفر اليدين » .

وتستشهد المقالة بما قاله أحد رسميي الخارجية الامريكية من « اننا ناشدنا الاسرائيليين ، وتوسلنا اليهم ، وانذرناهم طوال اعوام ان يتفاوضوا من أجل عودة الضفة الغربية » .

وتدعم « **التايمز** » اللندنية ، في مقالة لمحررها المختص بشؤون الشرق الاوسط ، ديفيد هولدن ، هذا التحليل . وينتقد هولدن السياسة الاسرائيلية تجاه الضفة الغربية منذ ١٩٦٧ ، بكل حدة ، قائلا ان اسرائيل اقفلت باب المفاوضات ، وقضت على «القيادة البديلة» لمنظمة التحرير الفلسطينية بين سكان الضفة الغربية، ورفضت حتى توقيع اتفاقية لفصل القوات مع حسين . وهكذا بينما يعتقد هولدن واخرون بأن قمة الرباط وضعت الخطوات التالية لمفاوضات السلام بين العرب والاسرائيليين امام « طريق مسدود » ، فانهم يجمعون على القول ان المأزق او الطريق المسدود « **هو من صنع أيدي اسرائيل نفسها** » .

والاهم من هذا النقد للسياسة الاسرائيلية ، هو الخلاصة التي يرتبها بعض المعلقين عليه . وعلى حد قول هولدن فان « الاستمرار برفض م.ت.ف. يعني بكل بساطة الان ، مضاعفة هذه الاخطاء » .

ويتفق عدد كبير من المعلقين بصورة لافتة للنظر ، على أن قمة الرباط اعادت الصراع العربي — الاسرائيلي ، أخيرا ، الى أبعاده الحقيقية ، وذلك بوضع الفلسطينيين والاسرائيليين وجها لوجه . **فالتايمز** اللندنية (٣٠ اكتوبر) التي أشارت الى ان كلا من كيسينجر ورابين لا بد ان يكونا قد انزعجا من بيان الرباط ، اوضحت ان الموقف — على الاقل — اصبح الان واضحا ، لانه « وضع اسرائيل وجها لوجه امام قضية فلسطين ، التي هي مفتاح كل النزاع بين اسرائيل والعرب » . **واللوموند** اوسع الصحف اليومية الفرنسية تأثيرا ، كاشفت الاسرائيليين بكل صراحة ، اذ تساءلت يوم ٣ نوفمبر :

« تبقى هناك مسألة مبدئية لا بد من الاجابة عليها — نعم او لا : هل للفلسطينيين الحق بتنظيم انفسهم على رقعة فلسطين ؟ ان الاسرائيليين الذين رفضوا التسليم بهذه الحقيقة ، قاموا اخيرا بعمل القفزة : انهم يسلمون الان بأن هناك فعلا قضية فلسطينية . لكنهم لا يعرفون كيف يعالجون هذه القضية دون ان يعرضوا بلدهم لخطر جديد . ومن لا يتعاطف معهم ؟ لكن اليسوا في الواقع يهدرون وقتا ثمينا ، وقتا لا يعمل في صالحهم ؟ » .

وهكذا فان هناك اعتقادا واسعا بان قرار الرباط القى العبء على كاهل الاسرائيليين : الخطوة الثانية — هكذا يقال — يجب أن تأتي من جانبهم . فالانقسام بين العرب حول مسالة فلسطين قد يسوى اخيرا ، وان قرار الرباط ينهي اخر حجة « شرعية » استعملتها اسرائيل لرفض حق الفلسطينيين بتقرير المصير . لقد كان لهذه الحقيقة وقع عظيم — في بعض الحالات — على بعض الصحافة الغربية .

مجلة « **تايم** » كبرى مجلات « الاخبار » الاسبوعية في الولايات المتحدة ، كرست لقمة الرباط « موضوع الغلاف » الذي جعلته بعنوان « الفلسطينيون » . ولقد تعاطف هذا التحقيق الطويل ، من حيث المبدأ ، مع الشعب الفلسطيني، مشتملا على شعر لمحمود درويش ، وقصة مؤثرة لاسرة طردت من فلسطين عام ١٩٤٨ ، مع اطراء وتعريف ايجابي بأبي عمار وقيادة م. ت. ف. وعلى وجه التحديد ، فان المجلة لم تترك مجالا للشك فيما يتعلق بأهمية قمة الرباط بالنسبة لمستقبل الصراع :

« بغض النظر عن المشاعر (الاسرائيلية) تجاه قائد م. ت. ف. ، فلقد اعترف به زملاؤه العرب الان على انه الصوت السياسي للفلسطينيين اينما كانوا . ومع أن كلا من القدس وواشنطن لا تزالان تأملان ان يكون قد بقي للملك حسين دور رئيسي في المفاوضات من اجل الضفة الغربية ، فانه وببساطة لا يمكن اغفال عرفات في اي حل قد يمكن ايجاده لقضية الفلسطينيين ... فالحرب على فلسطين ستستمر الى ان يقبل الاسرائيليون التحدث مع عرفات ، والى ان يقبل عرفات التحدث مباشرة اليهم ... وبلا شك يريد الاسرائيليون السلام مع جيرانهم العرب ، على امتداد الحدود الامنة التي ينص عليها قرار الامم المتحدة . لكنهم لن يحصلوا على السلام ابدا الا اذا قبلوا بتقديم بعض التنازلات للفلسطينيين » .

ومما ضاعف من صعوبة القرارات التي تواجه الاسرائيليين الان ، حقيقة ان بيان الرباط ، وجه ضربة قاسية لمنهج كيسنجر : تسويات تدريجية ومنفردة على مختلف الجهات . لقد أغاظت هذه الحقيقة بعض الصحف الامريكية التي كانت تفضل ابقاء الهوية الفلسطينية مغمورة تحت رعاية عمان ، كما تمنى كيسينجر ان يحقق بكل وضوح .

الانترناشينال هيرالد تريبيون (٣٠ اكتوبر) التي أقرت على مضض ان م.ت.ف. غدت بصورة بارزة « عاملا حاسما لا يمكن تجنبه ، مبدئيا على الاقل » ، أصرت مع ذلك على انه لا يزال هناك مجال « للدبلوماسية عبر الخطوط الرشيدة » . ومع ذلك فان المقال الافتتاحي يستنتج انه « لا بد من التسليم بأن هذا قد غدا أمرا أبعد منالا بالنسبة لقوة حجم او تأثير قمة الرباط » .

التايمز اللندنية (٣ نوفمبر) كشفت بكل وضوح العقبات امام المفاوضات الثنائية على جانبي الطاولة : فالتعليق يقول انه طالما قد جرى استبعاد حسين من الصورة ، فان « فصل القوات » على جانبي نهر الاردن الذي سعت اليه الولايات المتحدة ، لم يعد واردا ، وانه « اذا لم يعد هناك مجال لتقدم في التسوية بالنسبة للضفة الغربية، فانه يصبح امرا مشكوكا به الى أبعد الحدود على الصعيد السياسي ، ان يقدم الرئيس السادات على خطوات اخرى نحو تسوية في سيناء » . هذه الحقائق تقود **التايمز** الى استخلاص ان مقررات الرباط « يجب اعتبارها نكسة رئيسية لسياسة التسوية المرحلية والجزئية التي يتبناها كل من اسرائيل ودكتور كيسينجر » .

هذه الحقيقة ، كشفت مضامين سياسات الدوائر الاسرائيلية الحاكمة ، واخطرها

انه لم يعد من مجال في أن تبقى الهوية الفلسطينية مطموسة في ظل التاج الهاشمي . وكما أشرنا آنفا ، فان الصحافة الغربية تدرك هذه الحقيقة جيدا . فحتى **الديلي تلجراف** الصحيفة البريطانية اليومية ذات الاتجاه الرجعي الداعم للنظام الهاشمي ، التي أشرنا سابقا الى ما كتبته من تمنيات بانتصار الاردن في الرباط ، غيرت لهجتها بعد انتهاء المؤتمر ، ففي صباح ٣ نوفمبر ، اقرت بمرارة « انه لا بد من اعادة فلسطين الى خريطة الشرق الاوسط بطريقة ما ، حتى ولو كانت جمهورية باسم م. ت. ف. » .

الصحف الاكثر تعصبا للصهيونية ، وخاصة الفرنسية ، ارعبتها هذه الحقيقة . **فالاكسبرس** (التي يلفت النظر في موضوع غلافها عن القمة انه يبدأ بتقرير من القدس بدلا من الرباط) ، كشفت عن تحيزها العميق والمتواصل للخط الاعلامي الصهيوني . وعلى حد قول مراسلها ، فان تتابع الانتصارات التي حققتها م.ت.ف. ، خلق جوا « كابوسيا » في اسرائيل ، وفرض على الاسرائيليين الاستعداد لثمن حرب :

« لكن الضربة الاخيرة جاءت من الرباط . فالعدو اللدود ، م.ت.ف ، ظفرت هناك، لقد انتهى احتمال حل قضية فلسطين بواسطة الملك حسين ... فالذي كان يرهبه الاسرائيليون اكثر من اي شيء اخر في العالم ، الذي لم يخطر على بال اكثر افتراضاتهم تشاؤما .. قد حصل : اسرائيل تجد نفسها وجها لوجه مع عرفات . لقد وقع المأزق . ان البلد ترفض هذه المواجهة مهما كان الثمن . وفي النهاية ، لا شيء سوى ضغوط وكوارث غير محسوبة الان ، قد تجبر اسرائيل على مواجهة هذا الامر ... حين يضيف السيد عرفات ، الذي أتمله الانتصار ، ان القمة المقبلة ستعقد في القدس. واسرائيل المتوترة تشعر اكثر من أي وقت مضى ، بانها تكافح من اجل بقائها . ولا يبقى في هذه الحالة من مخرج غير الحرب ، لصنع القدر ، لكسب الوقت » .

ان التعليقات الاكثر رصانة ، تتفق على ان احتمال الحرب في الشرق الاوسط، غدا بعد الرباط اعظم من قبل . لقد كتب مراسل **التايمز** اللندنية (٣ نوفمبر) من اسرائيل يقول ان احتمال ان تغير اسرائيل قريبا موقفها الرافض للتفاوض مع م.ت. ف ، هو في الحقيقة « احتمال غير قائم على الاطلاق » . ولقد أشار المراسل الى ان العرض الذي تقدم به باريف وزير الاعلام ، والقائل ان اسرائيل قد تفاوض م. ت. ف ، اذا اعترفت باسرائيل وتخلت عن مطالبتها بكل فلسطين ، هذا العرض رفضه بقية زملائه في الحكومة بصورة قاطعة ويصف المراسل « الجو » بعد قمة الرباط قائلا : « ان روح مساده تستحضر (بصيغة المجهول) من جديد » .

ان بعث الهستيريا الشوفينية لا يجد تفسيره فقط كوسيلة لرفع المعنويات المتدنية . فان الغرب يرى ان الاسرائيليين مذعورون حقا من المعاني الاهم لمقررات الرباط . ان هذه الهزيمة السياسية والدبلوماسية ، يرى عدد من المراقبين الغربيين استكمالا لها في ترد محتمل للموقف العسكري من حيث المجابهة مع المقاومة . فلقد أشاد محرر في **نيويورك تايمز** في تحليل نشر في ٤ نوفمبر « ان موقف اسرائيل العسكري مال كما يبدو نحو التردي كنتيجة لقرار حسين ملك الاردن والقادة العرب الاخرين » الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومساندة خلق دولة فلسطينية . وتتكهن المقالة « بتعاظم وتكثيف عمليات م.ت.ف العسكرية في الضفة الغربية . وبالاضافة الى ذلك فان الكاتب يجري مقارنة تاريخية مهمة ، فقرار الرباط ، كما يرى ، قد يؤدي الى :

« تعزيز الجذب السياسي الذي تستقطبه م. ت. ف بين الفلسطينيين في الضفة الغربية، تماما كما تزايد تأثير الفييت كونج (جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام)

في صيف ١٩٦٩ بعد تشكيل الادارات الحكومية الخاضعة للشيوعيين في المناطق التي كان يسيطر عليها المتمردون ... ومن المتوقع أن يؤدي خطر تكثيف حرب العصابات في الضفة الغربية كذلك الى تسريع الجهد الاسرائيلي لبناء الطاقة البشرية العسكرية » .

ومع اتفاق المراقبين الغربيين على ما تشكله مقررات الرباط من ضغط على اسرائيل ، فانهم يجمعون على ما خلقته من التزامات على م. ت. ف كذلك . ان هذه الحقيقة اساسية بالنسبة لاي مراقب يتفهم رد الفعل الغربي على انتصارات م. ت. ف الاخيرة . وكما اشرنا في مطلع هذا التقرير ، فبينما تحسنت صورة الفلسطينيين في المنظار الغربي بصورة فائقة في العام الاخير ، توجد في الوقت الراهن تحديدات ملازمة لمدى الدعم الذي يمكن ان يناله الفلسطينيون في الغرب . فبينما يوجد الان ، ولاول مرة منذ ٢٦ عاما ، اعتراف واسع بحق الفلسطينيين بتقرير المصير ، فلا أحد في الغرب يفهم هذا على انه يعني الهزيمة الكاملة للصهيونية ، واقامة دولة ذات بنية سياسية ديموقراطية علمانية على كل أرض فلسطين . فالغرب يبقى ملتزما بقوة بوجود اسرائيل . ورغم ان هذا قد يكون شديد الوضوح ، الا انه يحمل معان مهمة بالنسبة للزاوية التي يتناول بها الاعلام الغربي اهمية الرباط ، والدور المستقبلي لمنظمة التحرير الفلسطينية . لقد نشأت آمال جديدة . وعلى حد قول ديفيد هولدن في **التايمز اللندنية** (٣ نوفمبر) فان رفض اسرائيل مفاوضة م. ت. ف بحجة ان هذه المنظمة تعلن التزامها بتدمير اسرائيل « لم يعد حجة مقبولة » .

وجهة النظر هذه ليست معزولة . فان المعلقين الاخرين ، وخاصة الاكثر تعاطفا مع الصهيونية ، يأخذون التزام م. ت. ف بتحرير كامل فلسطين ، بجدية او خطورة اكبر ، لكن جميع الاراء تلتقي على انه اذا اعترفت اسرائيل بان م. ت. ف تمثل الشعب الفلسطيني ، فان م. ت. ف بالمقابل ، ستكون مضطرة لتقديم تنازلات رئيسية من جانبها . ويتنبأ عدد من التعليقات بان اسرائيل ستجد نفسها محل ضغط امريكي قوي لتقوم بذلك الاعتراف . ان **الديلي تلجراف** تعبر عن هذا الراي (٨ نوفمبر) ، ويقول ايفانس ونوفاك ان على كيسنجر ان يعاجل الى توجيه اهتمامه لاجبار اسرائيل على « أن تعترف بالوضع الجديد للضفة الغربية » . وكانت **الاكونومست** قد دعت م. ت. ف بصراحة حتى قبل قمة الرباط ، الى اعادة صياغة سياستها المعلنة . ففي ٢٦ اكتوبر ، حثت هذه المجلة قيادة م. ت. ف على « الاقرار بحق اسرائيل في الوجود » ، الامر الذي تزعم البلدان العربية الاخرى ، انها أقرته . فمن خلال تمسك م. ت. ف بقرارات الامم المتحدة ، وايقاف « الحديث عن دولة فلسطينية في الضفة الغربية تكون مرحلة اولى لاستعادة كامل فلسطين » لن يكون هناك مجال للشك في ان الصحافة الغربية سترحب بخطوة م. ت. ف. بكل حرارة .

وبعبارة ابسط ، فان هذا يعني ان وسائط الاعلام الغربية توصلت الى استنتاج ان على م. ت. ف ان تقدم في النهاية هذا التنازل عن الحقوق . انهم لا يتوقعون حدوثه على الفور . فكما بينا آنفا ، فان الاثر الفوري لقمة الرباط انها واجهت الاسرائيليين بمطالب جديدة ، لكن اذا رضخ الاسرائيليون لضغط امريكي متوقع ، وقدمت اي اعتراف لفظي ، ولو كان ذا طابع مؤقت او تجريبي ، بان م. ت. ف هي الطرف الملائم لبحث مستقبل الضفة الغربية معه ، فان جميع العيون سوف تشخص على الفور ناحية الفلسطينيين . ومن الطريف ، ان بعض المعلقين ، رغم تصريحات

قادة م. ت. ف المتكررة عن ثبات المنظمة على غاياتها ، يلتقطون مؤشرات على ان تغييرا في اهداف المنظمة ، قد **حصل فعلا** . ومن هذا ما خلصت اليه التايمز في مقالها يوم ٣٠ اكتوبر :

« فالمسألة اذن ، هي ما اذا كان السلام بين اسرائيل وم. ت. ف ممكنا . ظاهريا، جواب الطرفين سلبي . ومع ذلك فان كلا من الطرفين قد ألمح الى ان موقفه ليس نهائيا او متحجرا ، بل يتوقف على الموقف السلبي للطرف الاخر » .

ويمكن النظر الى هذه الملاحظات ببساطة على انها تمنيات المراقبين في الصحافة الغربية . ومع ذلك فان اغفالها ، دون الاهتمام بمغزاها بالنسبة للتفهم الغربي المستقبلي للصراع الجاري من حيث محتواه ، ومداه يكون خطأ فادحا . ان اقامة دولة عربية ديمقراطية علمانية في كل فلسطين ، امر يبدو في نظر جميع المراقبين الغربيين مستحيلا عمليا . ومن الجانب الايجابي ، فان التطورات الاخيرة قادت عددا من المعلقين الى ان يصدقوا اخلاص م. ت. ف في سعيها وراء مثل هذا الحل ، وانها ليست مجرد منظمة ارهابية نذرت نفسها لابادة الشعب الاسرائيلي ، كما يريد الصهاينة ان يقنعوا العالم الغربي . لكنهم يعتبرون الدولة اليهودية حقا للاسرائيليين، وان هذا الموقف غير ممكن التغير في الوقت الحاضر .

ورغم ذلك ، فان بيان الرباط ، كانت له ابعاد محتملة لتغير بعيد حتى بالنسبة لهذا المعتقد الاساسي في الصحافة الغربية . ان للاحداث منطقها الذاتي ، واذا كانت الشهور الاثنا عشر الاخيرة تقدم دلالة ما ، فانه سيكون جمودا غير مبرر افتراض ان الدعم الغربي العام للدولة اليهودية ، غير قابل للتزحزح . فقبل عام واحد ، لو قيل ان **الاكونومست** ، أو **تايمز** اللندنية ، او **تايم** الامريكية ، قد تعلن دعمها لانشاء سلطة وطنية فلسطينية في الضفة الغربية ، لكان كاتب هذه السطور سيصاب بالذهول . أما الان فان هذا حقيقة واقعة . أضف الى ذلك ان مقررات الرباط أجبرت المراقبين الغربيين ، اخيرا وبصورة درامية ، على الاقرار بالغطرسة الصهيونية ، والروحية الاكتسابية (التوسعية مجازا) ، التي طبعت الاعوام الستة والعشرين الاخيرة .

الان ، وبوجود الفلسطينيين والاسرائيليين وجها لوجه ، يدرك الغرب الاساس الشرعي لكثير مما كان الفلسطينيون يقولونه طوال الوقت ، والاعظم اهمية ، انه اصبح بصورة غير معتادة ، اكثر حساسية ازاء الرفض الاسرائيلي التقليدي لمواجهة الحقيقة . واذا ما واصل الاسرائيليون دفن رؤوسهم في الرمال ، فمن المحتمل ان يكون هناك تحول غربي عن تأييد اسرائيل . وكما قال ايفانس ونوفاك في تحليلهما من واشنطن :

« بالنسبة للولايات المتحدة ، ان تكاليف الصلة الطويلة والحميمة باسرائيل آخذة بالازدياد يوما بعد يوم . وليس هناك ما يدعو للشك بان هذه العلاقة ستبقى وطيدة ، رغم ان بعض صانعي سياسة الرئيس فورد يقولون بصورة خاصة ، ان هذه العلاقة تورط المصالح الامريكية في مخاطر تتجاوز اسرائيل ذاتها » .

ان الغرب يتوقع من الاسرائيليين تنازلات مهمة في المستقبل القريب . **اوموند** (٣٠ اكتوبر) تدعو الاسرائيليين « الى ترتيب تعايشهم مع الفلسطينيين الذين قد يألفونهم اكثر مما يعتقدون عامة » . لكن المقالة تحذر ايضا من ان الوقت يضيع على الصهاينة وتقول : « لن يربحوا شيئا بتأجيل ساعة الحقيقة ، باستخلاص الاستنتاج المناسب من ميزان القوى الجديد » . ان هذا التحذير يجد صداه في مواقع اخرى في صحافة الغرب . فان ديفيد هولدن يجمل الوضع جيدا حين يكتب قائلا انه اذا قام الاسرائيليون

بالاعتراف بان الصراع هو الان بينهم وبين الفلسطينيين :

« فانه قد يكون لا يزال في وسعهم ان ينتزعوا السلام من مخالب الجحيم . واذا لم يفعلوا ذلك ، فلن يكون بوسعهم ان يلوموا احدا سواهم اذا هم لم يحصلوا في النهاية على اي سلام على الاطلاق » .

ان المعنى واضح : ما لم تستوعب اسرائيل بطريقة ما المعنى الحقيقي لقمة الرباط، وما لم تتجاوز تعنتها التقليدي ، فانها ستخسر بسرعة الدعم الاساسي الذي لا تزال تناله من صحافة الغرب . فلقد ولى ذلك الزمن ، حين كان الصهاينة يراهنون على صبر بلا حدود ، وتسامح بلا حدود ، ودعم بلا حدود ، حتى لاعمالهم الوحشية . وانهم الان يخاطرون ، ولو بدرجة ضئيلة ، بكسب عداوة كاملة من قبل العناصر الاكثر استنارة وموضوعية في وسائط الاعلام الغربية .

يصدر قريبا عن مركز الابحاث

المجلد السادس عشر

لليوميات الفلسطينية

مجلّد ضخم مؤلف من ٦٢٠ صفحة يضم وصفا موجزا ودقيقا لما يحدث في العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مباشرة ، او ما يقال او يكتب عنها ، يوما بعد يوم .

يغطي هذا المجلد الفترة من ١٩٧٢/١٢/٣١ — ١٩٧٢/٧/١ ويضم جدولا بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية عن تلك الفترة كما يضم فهرسين الاول بالاسماء والثاني بالموضوعات الواردة في متن اليوميات .

سعر المجلد ٢٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد .

اطلبه من مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

ضم فلسطين الوسطى الى شرقي الاردن
١٩٤٨ ــ ١٩٥٠

عصام سخنيني

الضم تنفيذا لقرار التقسيم

منذ اللحظة الاولى التي بدأت فيها بريطانيه بوضع الاسس لتكوين امارة شرقي الاردن في مطلع العقد الثالث من هذا القرن تحددت لهذه الدولة وظيفة كيانية في شكل مفصل ودقيق . وقد كان صلب هذه الوظيفة ومحورها الاساسي تسهيل مهمة بريطانيه في تنفيذ سياستها الفلسطينية(١). وقد جاء قرار التقسيم في العام ١٩٤٧ محكا عمليا لهذه الوظيفة . فعلى الرغم من ان بريطانيه امتنعت عن التصويت لدى طرح مشروع قرار التقسيم في الجمعية العمومية للامم المتحدة ، الا ان أي مراجعة لسلوكية الانتداب البريطاني في فلسطين تشير بوضوح الى ان بريطانيه وان كانت قد تعهدت (بتصريح بلفور ثم بصك الانتداب) باقامة « وطن قومي » لليهود في فلسطين ، الا انها كانت حريصة على ابقاء سيطرتها الفعلية على جزء من فلسطين حتى بعد قيام هذا «الوطن» وذلك كجزء من استراتيجيتها شرقي قناة السويس . وقد أوضحت بريطانيه رسميا في كتاب أبيض أصدره تشرشل ، وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ، توجهها هذا . فقد لفتت الحكومة البريطانية في هذا الكتاب الى « ان عبارات التصريح المنوه بها [تصريح بلفور] لا تشير الى تحويل فلسطين **بجملتها** وجعلها وطنا قوميا لليهود ، بل انها تعني بأن وطنا كهذا يؤسس **في فلسطين** »(٢). أما بقية فلسطين فقد اتجهت السياسة البريطانية الى ابقاء نفوذها الفعلي فيها عن طريق ربطها بشرق الاردن الخاضعة بنظام حكمها الهاشمي خضوعا مباشرا لبريطانيه . وقد توضحت هذه الاتجاهات البريطانية عمليا في مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل في العام ١٩٣٧ والذي أوصى بأن يكون الجزء العربي من فلسطين جزءا متحدا مع شرق الاردن . وقد حرك هذا المشروع شهية الامير عبدالله فقدم مشروعا آخر للجنة ودهيد التي الفتها الحكومة البريطانية لتحقيق وسائل التقسيم وشكله (زارت فلسطين بين نيسان وتموز ١٩٣٨ وأعلنت ان التقسيم غير عملي) لحل المشكلة الفلسطينية تتشكل بموجبه « مملكة موحدة عربية من فلسطين وشرقي الاردن تحت يد ملكية عربية قادرة على القيام بمهمتها وتنفيذ تعهداتها » « وتعطي هذه المملكة ادارة مختارة لليهود في المناطق اليهودية التي تتعين خريطتها بواسطة لجنة تتألف من رجال بريطانيين وعرب ويهود ، ويكون هذا التكيف لمدة عشر سنوات » . وقد حافظ عبدالله في مشروعه على مصالح بريطانيه في المنطقة فـ « لا اعتراض على بقاء الجيش البريطاني مدة العشر سنوات هذه » و « ان ما لبريطانيا العظمى من مصالح تجري المذاكرة فيها من الان كمشروع معاهدة تهيأ لتبرم عند نهاية العشر سنوات(٣). غير ان الظروف المحلية (رفض الشعب الفلسطيني لمشاريع التقسيم ومقاومته لها) والظروف الدولية (نشوب الحرب

العالمية الثانية) أجلت تنفيذ اقتسام فلسطين بين الحركة الصهيونية وبريطانيه الى العام ١٩٤٧ عندما أخذت بريطانيه « الشرعية » الدولية بقرار التقسيم .

استعملت بريطانيه الكيان الاردني أداة لها في اقتسام فلسطين ، وقد تكثفت في هذه الاداة الوظيفة الكيانية لشرق الاردن كما لم يحدث من قبل . وقد اوضحت مذكرة نسبت الى البريجادير تشارلز كلايتون بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٤٧ موجهة الى السفير البريطاني في القاهرة ملامح الدور الاردني في التقسيم(٤). فقد ذكر كلايتون في مذكرته التي تحدث فيها عن مباحثاته مع زعماء البلاد العربية انه تبين له ان توفيق أبـــو الهدى ، رئيس وزراء الاردن آنذاك ، لا يعارض التقسيم وادلى اليه « باقتراحات لو نفذت لامكن تقسيم فلسطين التقسيم الذي نص عليه قرار منظمة الامم المتحدة دون ان تعترض البلاد العربية ... وترى الاقتراحات ... انه عند اتمام جلاء القوات البريطانيـــة عن فلسطين ... تنسحب منها القوات الاردنية المعسكرة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الانجليز الذين يعملون في جيش شرق الاردن استقالتهم ويعتزلون العمل رسميا في الجيش على أن يبقوا في البلاد . ومما لا شك فيـــه ان الثورة ستشتد في فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومـــة الاردنية عن قرارها بزحف القوات الاردنية على فلسطين بحجة تخليصهـــا مـــن الصهيونيين ... وكلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمهـــا الى المملكة الاردنية ، وستعمل القوات الاردنية جاهدة على احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي . وقد أكد لي سعـــادة رئيس وزراء شرق الاردن ان القوات الاردنية ستتحاشى مهاجمة القرى اليهودية » . وقد « أبرمت » هذه الاقتراحات في اتفـــاق توصل اليه توفيق ابو الهدى مع بيفن ، وزير خارجية بريطانيه ، في اثناء زيارة وفد رئسه ابو الهدى الى بريطانيه في الفترة من ٤٨/١/٢٤ الى ١٩٤٨/٢/٢٢ ، وقد سجل الجنرال غلوب الذي كان عضوا في الوفد الاردني ، هذا الاتفاق كما يلي : « طلب ابو الهدى مقابلة خاصة مع بيفن ... وقد طلب مني ان أصحبه كمترجم ... وقد أوضح ابو الهدى انه اذا استمرت الحالة كما هي فقد يحدث أحد أمرين (عندما ينتهي الانتداب) : اما ان يتجاهل اليهود مشروع التقسيم ويستولوا على جميع فلسطين حتى نهر الاردن ، او يعود المفتي ويحاول ان يجعل من نفسه حاكما لفلسطين العربية، وكلا الخيارين لا يناسبان بريطانيه ولا شرق الاردن ... وتقترح الحكومة الاردنية ان ترسل الفيلق العربي عبر نهر الاردن عند انتهاء الانتداب البريطاني ليحتل ذلك القسم من فلسطين المخصص للعرب ... وقد أجاب بيفن انه من الواضح ان هذا ما يجب عمله لكن لا تهاجموا المناطق المخصصة لليهود »(٥).

وهكذا تم الاتفاق مع وزارة الخارجية البريطانية على الا يتغلغل الفيلق العربي في المناطق اليهودية لدى احتلاله الاقسام العربية كما حددها قرار التقسيم ، وقد أشار بيفن في وقت لاحق أمام مجلس العموم البريطاني الى ان الفيلق العربي « قد تدخل فقط في المنطقة التي خصصتها الامم المتحدة للعرب »(٦). كذلك جرت اتصالات بين الاردن والولايات المتحدة بشأن كيفية حدوث التقسيم بمساعدة من عبدالله مقابل ان تعترف الولايات المتحدة بشرق الاردن(٧).

على الجانب الاخر كان عبدالله قد أجرى اتصالات قبيل صدور قرار التقسيم مع جولدا مايرسون (مئير فيما بعد) مديرة المكتب السياسي في الوكالة اليهودية في منتصف تشرين الثاني ١٩٤٧ في منزل بنحاس روتنبرغ في جسر المجامع وقد أكد عبدالله لمايرسون انه لن يحارب اليهود في حال صدور قرار بالتقسيم بل سيكتفي باحتلال القسم العربي من

فلسطين(٨). وقد وافقت الوكالة اليهودية مع عبدالله على ان يضم الاجزاء العربية الى مملكته على ان يبقى اليهود في أمان فيماخصص لهم(٩). وعندما راجت الانباء ان عبدالله كان على وشك الانضمام الى الدول العربية في الحرب بعثت مايرسون رسالة تستوضحه عما اذا كان اتفاقهما لا يزال ساريا « وقد حمل رسول من عبدالله جوابا مطمئنا طلب فيه عبدالله من مايرسون أن تتذكر ثلاثة أشياء : انه بدوي شريف ، وانه ملك ، وانه لا يخلف وعدا قطعه لامرأة »(١٠).

كان هناك اذن اتفاق ثلاثي (بريطاني ، اردني ، اسرائيلي) لاخراج « طبعة جديدة » من قرار التقسيم بحيث تستعمل الوظيفة الكيانية لشرق الاردن في أكفأ صورة ممكنة . ولتنفيذ ذلك انسحبت القوات الاردنية التي كانت في فلسطين بمعاونة القوات البريطانية قبل انتهاء مدة الانتداب ، وبقيت بعض المقرات والقطعات في بعض المناطق التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم : في رام الله بقي مقر لواء ومقر كتيبة وبعض السرايا ، وفي نابلس سرية وفي اريحا مقر كتيبة وبعض السرايا وفي الخليل بقيت سرية(١١). وفي ١٥ ايار ١٩٤٨ عبر الجيش الاردني مرة اخرى نهر الاردن لاخراج قرار التقسيم في صورته الاردنية .

لم يتمكن الجيش الاردني من توسيع رقعة احتلاله للارض الفلسطينية وظل عمله محصورا في منطقة القدس ــ أريحا . وعلى ميمنة الجيش الاردني في الشمال كان مسرح عمليات الجيش العراقي وعلى ميسرته في الجنوب كان الجيش المصري . وعلى حساب هذين الجيشين كان توسع عبدالله في الشمال والجنوب . ففي الشمال حاول عبدالله مع الحكومة العراقية في شباط ١٩٤٩ تأسيس ادارة مدنية أردنية في نابلس وجنين وطواكرم التي كانت جميعا بيد الجيش العراقي(١٢)، كما طلب من الوصي على عرش العراق سحب الجيش العراقي من الاماكن التي يحتلها في فلسطين لكي يحل محلها الجيش الاردني في محاولة لمد سلطة شرق الاردن السى أراض فلسطينية جديدة(١٣). وبعد توقيع اتفاقية الهدنة الدائمة تم تسليم الجبهات العراقية الى الجيش الاردني كما يلي : ٦ نيسان ١٩٤٩ تم تسليم قاطع دير نظام ، ٧ نيسان منطقة المجامع، ٧ و ٨ نسان قاطع طولكرم ــ قلقيلية ــ كفرقاسم ، ٨ نيسان منطقة وادي المالح ، ٩ نيسان المنطقة الواقعة بين وادي المالح وطرق جنين العفولة ، ١١ نيسان بقية قاطع جنين ــ العفولة حتى باقة الغربية ، وفي ٢٥ نيسان أغلق مقر القيادة العراقية في نابلس(١٤). أما في الجنوب ، منطقة عمليات الجيش المصري ، فقد أرسل عبدالله قواته الى بيت لحم والخليل واحتلهما مغتنما فرصة انشغال المصريين في مجابهة العدو في أواخر تشرين الاول ١٩٤٨(١٥). وفي أواخر نيسان ١٩٤٩ وجهت القيادة المصرية في بيت لحم مذكرة الى مفتش عام الجهاد المقدس أعلمته فيها « انه تقرر جلاء القوات المصرية عن هذه المنطقة من فلسطين وتركها أمانة في عنق حكومة شرق الاردن لحراستها لصالح أهلها العرب وسيتم ذلك في الثاني من شهر مايو ١٩٤٩ »(١٦).

وبذلك فلم يمض سوى أقل من عام على دخول الجيش الاردني ارض فلسطين حتى كان بيد هذا الجيش معظم فلسطين الوسطى التي أطلق عليها فيما بعد اسم « الضفة الغربية » منفذا بذلك جزءا مما اتفق عليه مع وزارة الخارجية البريطانية .

محاولة اكتساب الشرعية الفلسطينية

كان أكثر ما يقلق عبدالله من ناحية سياسية وهو يسعى الى ضم المناطق الفلسطينية التي تحت ادارة جيشه الى حكمه ان الهيئة العربية العليا كانت هي الجهة الرسمية التي تعترف بها الجامعة العربية ممثلة للشعب الفلسطيني ، وهو أمر يجعل مهمة

عبدالله في التصرف بمصير جزء من الشعب والوطن الفلسطينيين بالغ التعقيد . وفي المقابل فان « تفويضه » فلسطينيا بالنطق باسم الفلسطينيين كان يمكن ان يسهل هذه المهمة ويعطيها الغطاء « الشرعي » . لذلك فمنذ دخول الجيش الاردني فلسطين في منتصف ايار ١٩٤٨ اعلن عبدالله « ان الهيئة العربية العليا لم تعد تمثل عرب فلسطين »(١٧). وقد تعقدت هذه المسألة عندما أعلن في ١٩٤٨/٩/٢٢ عن تشكيل « حكومة عموم فلسطين » التي اعترفت بها دول الجامعة العربية باستثناء الاردن . وقد أبرق عبدالله الى عبد الرحمن عزام ، أمين عام الجامعة العربية في أعقاب اعلان حكومة عموم فلسطين موضحا رأيه بهذه المسألة « بما ان الجبهة الوسطى الى السهل فرام الله هي في عهدة الجيش العربي الاردني ولا تزال الامور معقدة فانا لا نستطيع ادخال يد ثانية ضمن مسؤوليات حكومتنا العسكرية وبالاخص الاشخاص الذين يرغبون في الحكم ويسعون الى ذلك ، ولحفظ الاخاء ولصيانة عصمة الجامعة العربية نصرح بأننا سوف لا نتساهل لاي تكييف أو تشكيل في أماكن **أمان الحكومة الاردنية من حدود المملكة المصرية الى حدود سوريا ولبنان** عدا ان تشكيل حكومة كهذه هو أمر يفرض على أهل فلسطين بدون اختيارهم ، وهذا لا نوافق عليه وسنجادل عنه »(١٨).

مؤتمر عمان : ولاكتساب « الشرعية الفلسطينية » اختار عبدالله وقتا مناسبا لعقد « مؤتمر فلسطيني » في عمان في اليوم نفسه الذي عقد فيه مؤتمر غزة (١٩٤٨/١٠/١) الذي دعت اليه حكومة عموم فلسطين لعرض برنامجها السياسي ونيل الثقة . وسنعرض فيما يلي لاهم جوانب « مؤتمر عمان » :

١ ــ تشكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من : الشيخ سليمان التاجي الفاروقي والشيخ سعدالدين العلمي وعجاج نويهض وحكمت التاجي الفاروقي والشيخ مصطفى الانصاري وعزت الكرزون . اما هيئة المؤتمر فشكلت على النحو التالي : الشيخ سليمان التاجي الفاروقي رئيسا ، الشيخ سعد الدين العلمي نائبا للرئيس ، عجاج نويهض سكرتيرا ، هاشم الجاعوني والدكتور نور الدين الغصين كاتبي المؤتمر(١٩).

٢ ــ مارست الحكومة الاردنية وممثلوها في الضفة الغربية (المناطق التي يسيطر عليها الجيش الاردني) أشد أشكال القمع لمنع المندوبين الفلسطينيين من الذهاب الى غزة لحضور مؤتمر حكومة عموم فلسطين من جهة ولاجبار المواطنين الفلسطينيين على التوجه الى عمان لحضور مؤتمرها من جهة ثانية . ونذكر فيما يلي بعض البرقيات التي اطلع عليها الباحث الحالي والتي تشير الى هذه المعاملة(٢٠):

أ ــ برقية بتوقيع منيف الى الفتياني بتاريخ ٤٨/١٠/٢ تنص على ما يلي : « الملك عبدالله احتجز جمال الحسيني بأريحا وبدلا من السماح لمندوبي اريحا بالحضور نقلهم حاكمها العسكري ذوقان الحسين بالقوة المسلحة الى عمان فجر امس لحضور الاجتماع المزيف الذي أقيم فيها » .

ب ــ برقية من القدس بتاريخ ٤٨/٩/٢٦ الى رئيس حكومة فلسطين في غزة وقعها يعقوب الحسيني وزكي عبد الرحيم وعبد الرحمن عريقات واديب الريماوي وشحادة حسونة ، نصت على ما يلي : « منعنا من قبل السلطة الاردنية الحضور الى غزة . نؤيدكم وأعضاء حكومتكم » .

ج ــ برقية بالتاريخ نفسه الى الجهة نفسها بتوقيع كامل عريقات ذكرت انه « فهم من مصادر موثوقة ان كل شخص يذهب لاجتماع غزة سوف يوضع عند عودته في المعتقل وسوف لا يصرح له بالعودة الى بلدته من قبل السلطات الاردنية » .

وهكذا هيأت الحكومة الاردنية الجو المناسب لمؤتمر عمان .

٣ ـ قرارات المؤتمر : أصدر المؤتمر عددا من القرارات في اختتام اجتماعه ، غير ان القرارين ١٢ و ١٣ هما صلب المؤتمر والغاية من انعقاده .

القرار ١٢ : « نظرا للصلات الوطنية والروابط القومية بين فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية فان المؤتمر يعلق على صاحب الجلالة الملك عبدالله المعظم اكبر الامال في حفظ حقوق عرب فلسطين وصيانة عروبتها ومقدساتها . والمؤتمر واثق كل الثقة من ان جلالته لن يقبل أن تفرض على عرب فلسطين حلول من قبل تلك الفئة من متزعمي فلسطين سابقا الذين ضيع الشعب الفلسطيني خلال الثلاثين عاما الماضية من سوء تصرفاتهم وأنانيتهم . **والمؤتمر يفوض جلالته تفويضا تاما مطلقا في أن يتحدث باسم عرب فلسطين ويفاوض عنهم ويعالج مشكلتهم بالشكل الذي يراه . وهو الوكيل عنا في جميع شؤون مستقبل فلسطين كما ان المؤتمر يؤيد جلالته في كل خطوة يخطوها في سبيل حل قضية فلسطين ويعتبره المرجع الوحيد لعرب فلسطين الذين منحوه كل ثقتهم واخلاصهم وأكيد ولائهم ووفائهم** » .

القرار ١٣ : « يقرر المؤتمر ارسال برقية للهيئة العربية العليا يشعرها **بانه نزع منها ثقة عرب فلسطين فهي لا تمثلهم ولا يحق لها أن تنطق باسمهم أو تعبر عن رأيهم** لان الحكومات العربية قد احتضنت قضية فلسطين ، وهي أصبحت وديعة بين أيدي ملوك العرب الذين يطمئن الشعب الفلسطيني الى مساعيهم في سبيل صيانة عروبتها وتحقيق حريتها » .

بايجاز ، كان مؤتمر عمان الخطوة الاولى التي خطاها الملك عبدالله نحو اقتناص « تفويض » شعبي فلسطيني لتمثيل الفلسطينيين والتصرف بقضيتهم ، وفي الوقت نفسه الاستناد الى هذا « التفويض » من أجل عدم الاعتراف بحكومة عموم فلسطين التي كانت تطالب بأن تشمل صلاحياتها جميع الاراضي الفلسطينية . وهكذا في ١٥/١٠/ ١٩٤٨ طالب عبدالله بحل حكومة عموم فلسطين وفي ١١/١ من العام نفسه أبلغ البرلمان الاردني ان اختلافه مع الدول العربية بشأن هذه الحكومة هو « مسألة مبدأ » ، وقد توضحت « مسألة المبدأ » هذه عندما زار القدس في ١٥ تشرين الثاني ونادى به المطران القبطي فيها « ملكا للقدس »(٢١) .

مؤتمر أريحا ١٩٤٨/١٢/١

اذا كان مؤتمر عمان هو الخطوة التمهيدية فقد كان مؤتمر اريحا الاجراء الاكثر تقدما لانتزاع موافقة شعبية فلسطينية على ضم الاجزاء العربية من فلسطين الى شرق الاردن . ولاهمية هذا المؤتمر في التاريخ الفلسطيني سنتحدث عنه هنا بتفصيل :

كان الوضع الاداري في فلسطين حتى انعقاد مؤتمر اريحا هو كما يلي : في أعقاب دخول الجيش الاردني منطقة القدس عين ابراهيم هاشم (في ١٩/٥/١٩٤٨) « حاكما عسكريا عاما لجميع المناطق في فلسطين التي يوجد فيها الجيش العربي الاردني أو يقوم بمحافظة الامن والدفاع فيها » . وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه أصدر الحاكم العسكري العام اعلانا رقم (١) أعلن فيه انه « عملا بالانابة الموجهة الي من فخامة رئيس وزراء المملكة الاردنية الهاشمية قد باشرت السلطات المخولة لي **بموجب قانون الدفاع عن شرق الاردن لسنة ١٩٣٥ والانظمة الصادرة بمقتضاه** »(٢٢) (في ١٨/١٠/٤٨ عين عمر مطر حاكما عسكريا عاما بدلا من ابراهيم هاشم(٢٣) . وكانت المناطق التي يشملها الحكم العسكري الاردني آنذاك هي القدس ورام الله والخليل ، أما سائر المناطق فكانت اما تحت الحكم العسكري العراقي أو المصري .

ان ما أردنا ابرازه في الفقرة السابقة هو انه عشية مؤتمر اريحا كانت شرق الاردن تحكم الاجزاء الفلسطينية حكما عسكريا بموجب قانون الدفاع الذي يضع جميع السلطات بيد الحاكم العسكري ويعطيه صلاحيات واسعة في كافة المجالات السياسية

والعسكرية والادارية . كذلك فان منطقة الاحتلال الاردني كانت محدودة ولا تشمل الا مساحة ضيقة من فلسطين .

من جهة ثانية كان الجيش الاردني قد قام قبيل المؤتمر بحملة واسعة ضد جيش الجهاد المقدس مما يعني غياب القوة المنظمة الفاعلة القادرة على مقاومة المخططات الاردنية . ومن جهة ثالثة فقد مهد عبدالله للمؤتمر « بأن وضع اتباعه في المراكز العليا في فلسطين فجعل مناصب حكام الالوية ورؤساء البلديات في أيدي اتباعه . أما رجال الحزب العربي الفلسطيني [المعارض لسياسة عبدالله] . . . فقد أقصاهم عن البلاد وقيد حركات من يخالف منهم . . . وفرض عليهم رقابة شديدة »(٢٤).

أما الوضع القتالي فكان كما يلي : كانت الهدنة الثانية قد أعلنت في ٤٨/٧/١٨ وفي ١١/١٦ قرر مجلس الامن أن يقيم الفرقاء هدنة دائمة . وفي ١١/٢٨ جرى اجتماع بين موشيه ديان والقائد الاردني عبدالله التل لوضع هدنة بدل اتفاق ايقاف اطلاق النار وأمر الملك التل أن يوقع على الاتفاق بسرعة ففعل الاخير ذلك في آخر أيام تشرين الثاني اي في اليوم السابق لمؤتمر أريحا .

في هذه الظروف انعقد مؤتمر اريحا في اليوم الاول من كانون الاول ١٩٤٨ . وحضره كما يقول عارف العارف زهاء ألف شخص أكثرهم من اللاجئين الذين نزحوا عن ديارهم ونزلوا الاردن(٢٥). ولكن كيف حضر هؤلاء ؟ يقول عبدالله التل : « قبل اليوم المعين لانعقاد مؤتمر أريحا تجول كلوب باشا على كتائب الجيش في فلسطين واجتمع بالضباط العرب والانجليز واطلعهم على أهمية هذا المؤتمر بالنسبة لسياسة عمان التي ترمي الى انهاء مشكلة فلسطين في أسرع وقت . وطلب كلوب من الضباط أن يؤيدوا المؤتمر ويقوموا بالدعاية اللازمة له بين الاهلين ثم يساعدوا كل من يرغب في السفر الى اريحا في ذلك اليوم ويقدموا السيارات العسكرية لنقل الوفود وعلاوة على مساعي كلوب فقد أوعزت الحكومة الاردنية الى الحاكم العسكري العـــام أن يتصل بالحكام العسكريين ويوصيهم بتأييد المؤتمر واتخاذ الوسائل التي تساعد على نجاحه . . . وكان اكبر الوفود وفد الخليل لان الشيخ الجعبري استطاع أن يحشد عددا كبيرا من المسافرين الذين لا يمانعون في قضاء عطلة يوم او يومين على حساب الحكومة . ولو كان السفر على حساب الوفود نفسها لما جاء الى اريحا سوى القلائل »(٢٦). بل أكثر من ذلك فقد ذكر العارف أن عمال الملك وحكام البلاد العسكريين اتخذوا كل ما يمكن من تدابير لنقل المخاتير والموظفين ومن لم يحضر المؤتمر أو يؤيده من الموظفين أقالوه من عمله أو أرغموه على الإستقالة(٢٧). وقد كتبت « الاهرام » « انه جيء بأعضاء المؤتمـــر في سيارات الجيش الاردني أو على نفقة الحكومة الاردنية وكانت قوى هذا الجيش تدير المؤتمر بالسوط »(٢٨).

افتتح المؤتمر عجاج نويهض فتحدث عن « المؤتمر الفلسطيني العربي الاول » الذي عقد في عمان وقال « ان الاحداث الجسام العسكرية والسياسيـــة التي طرأت على قضية فلسطين في هذه المدة قد دعت الى عقد هذا المؤتمر لتقرير مصير البلاد » وقال « ان الشعب الفلسطيني العربي يعلق على جلالة الملك عبدالله الآمال الكبار لصيانة فلسطين وحماية مقدساتها وتحقيق أمانيها وانه يفوض الملك تقرير مصيره » . وتبعه الشيخ محمد علي الجعبري ، رئيس بلدية الخليل ، بكلمة انتقد فيها الاخطاء التي ارتكبت في تسيير دفة القضية الفلسطينية . ثم تعاقب عدد من الخطباء على الكلام(٢٩).

أما بالنسبة لرئاسة المؤتمر فقد ذكر التل أن الحكومة الاردنية كانت قد استدعت الشيخ الجعبري (قبل المؤتمر) وأعطته تفاصيل الخطة والغاية من عقد المؤتمر ، ثم

عينته رئيسا للمؤتمر ووضعت له بالاشتراك مع الملك في الشونة المواد التي سيعلن المؤتمر أنه قررها بالاجماع(٣٠). وهكذا جرى « انتخاب » لجنة عليا في المؤتمر من الجعبري رئيسا والمحامي فؤاد عطاالله نائبا للرئيس وابراهيم نجم ومصطفى دباغ وفخري الشامي وسليم كمال مقررين(٣١)، كما اختيرت لجنة للمقترحات من حكمت التاجي وعثمان محمديه وكمال حنون ويحيى حموده(٣٢).

على الرغم من تركيب المؤتمر الذي جلب أعضاؤه بالقوة فهو لم يمر دون محاولة معارضة داخلية قمعت بقوة . فحينما طالب الشيخ الجعبري بمبايعة الملك عبدالله نهض بعض الشباب الفلسطينيين يشترطون لذلك أن يعمل الملك عبدالله على تحرير جميع فلسطين ، وعند ذلك أمر عمر باشا مطر (الحاكم العسكري العام الذي كان يدير أمور المؤتمر بشكل فعلي) بالقاء القبض عليهم واخراجهم من الاجتماع بالقوة(٣٣). كذلك كتب التل الذي كان قائدا عسكريا لمنطقة القدس انه حين ابلغ أمر الحاكم العسكري العام باتخاذ الوسائل التي تساعد على نجاح المؤتمر « جمعت نخبة من الشباب ورجالات القدس المخلصين واطلعتهم على نوايا عمان بشأن المؤتمر . وبعد أن تبادلنا الآراء أقر الجميع أن يسافر عن القدس وفد ينتخب لغايتين : الاولى للتظاهر بأن القدس لم تشذ عن أمر عمان والثانية ليحاول هذا الوفد التأثير في المؤتمر بادخال بعض المواد الهامة في المقررات . وقد انتخب الوفد برئاسة الدكتور موسى عبدالله الحسيني ومن جملة الاعضاء السيد علي الدجاني والاستاذ يحيى حموده . . . واتفقنا مع الدكتور موسى أن يقدم في المؤتمر بعض المقترحات التي تتعلق باستفتاء الشعب الفلسطيني لتقرير مصيره ثم الدعوة لاستئناف القتال لانقاذ فلسطين . والقى رئيس المؤتمر كلمة طويلة انهاها بتقديم المقترحات الموضوعة فوافق عليها الجميع ما عدا وفد رام الله ووفد القدس الذي اقترح زيادة بعض المواد . وقدم مقترحات القدس الدكتور موسى الحسيني فوافق عليها الجميع ولكن عندما قدمت المقترحات للحكومة الاردنية خلت من بعض مقترحات القدس وخاصة مادة الاستفتاء الحر »(٣٤).

ويدل هذان الشاهدان اللذان أوردناهما على ان ثمة فئة وطنية صغيرة شاركت بالمؤتمر لتنفذ ما يمكن انقاذه . ويؤكد عجاج نويهض أن قصد الاقلية الوطنية كان أن توجد لفلسطين من يحميها ويدافع عما تبقى من أرض عربية فيها وأن تدعو « الدول العربية بلا تمييز لاكمال تحرير فلسطين بالسيف » . لذلك كان توفيق أبو الهدى ، كما يقول نويهض ، يعرقل نشاطات تلك الفئة الوطنية من وراء ستار ليحول غاية المؤتمر نحو الاغراض التي أرادها هو وعبدالله أي محو اسم فلسطين بالمرة(٣٥). وهكذا لم تنجح هذه الاقلية الوطنية في مسعاها واستطاعت الحكومة الاردنية ان تمرر القرارات التي أرادتها في المؤتمر . وقد نصت هذه المقررات كما وردت في برقية أرسل بها المؤتمر الى هيئة الامم المتحدة على ما يلي(٣٦):

« المقرر الاول : لما كانت فلسطين جزءا من سوريا الطبيعية وكان الانتداب الذي فرض عليها بغير رضى من أهلها واستمر حتى ١٥/٥/٤٨ حائلا دون وصولها الى الاستقلال أو انضمامها الى أحد الاقطار الشقيقة المستقلة ، ولما كان أهل فلسطين اليوم يرون على ضوء الواقع من الاوضاع السياسية والعسكرية في فلسطين أن الوقت قد حان للعمل الحاسم لصيانة مستقبلهم وتقرير مصيرهم النهائي والاشتراك مع البلاد العربية المجاورة في حياة مستقلة حرة ، فان هذا المؤتمر يقرر أن تتألف من فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية مملكة واحدة وأن يبايع جلالة الملك عبدالله بن الحسين ملكا دستوريا على فلسطين .

المقرر الثاني : يشكر المؤتمر الدول العربية على ما بذلته من جهود عسكرية وسياسية لحفظ عروبة فلسطين ومقدساتها ويحيي جيوشها العربية المرابطة في مختلف أنحاء البلاد ويطلب من الدول العربية أن تتم مهمة التحرير التي أعلنتها عند دخول فلسطين .

المقرر الثالث : يطلب المؤتمر من دول الجامعة العربية ومنظمة الامم المتحدة المبادرة الى اتخاذ الوسائل الفعالة لاعادة النازحين من عرب فلسطين الى بلادهم بأقرب وقت ممكن واعطائهم التعويض المالي الكافي عما أصابهم من خسائر .

المقرر الرابع : يقرر المؤتمر أن يرفع قرار المبايعة التي أعلنت بالاجماع في هذا المؤتمر وقرار طلب توحيد البلدين الشقيقين الى حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله بن الحسين ، عاهل المملكة الاردنية الهاشمية ، بعد ارفضاض المؤتمر بلا تراخ وان يتم تبليغ المقررات بجملتها الى دول الجامعة العربية ومنظمة الامم المتحدة والممثلين السياسيين في عمان »*.

وقد حمل وفد يمثل المؤتمر المقررات هذه إلى الملك عبدالله في قصره في الشونة فرحب بها ثم عرضت على مجلس الوزراء الاردني الذي أصدر بيانا اثر ارفضاضه جاء فيه :

« درس مجلس الوزراء المقررات التي اتخذها المؤتمر الفلسطيني العربي الثاني المنعقد في اريحا يوم ٣٠ من شهر محرم سنة ١٣٦٨ الموافق اليوم الاول من شهر ديسمبر ١٩٤٨ فقرر ما يلي : اولا — ان حكومة المملكة الاردنية الهاشمية تقدر كل التقدير الرغبة التي أبداها المجتمعون وغالبية اهل فلسطين فيما يتعلق بتوحيد البلدين الشقيقين وتراه متفقا مع أهدافنا. وهي ترحب به وتسعى للوصول اليه بالوسائل الدستورية والدولية ولتنفيذه في الوقت المناسب وفيما تقضي به اساليب تقرير المصير . ثانيا — اخذت الحكومة علما برغبة المؤتمر في أن تتم الدول العربية مهمة التحرير التي أعلنتها عند دخول فلسطين وهي ترى ان الجهود قد بذلت ولا تزال تبذل لتحقيق الغاية المنشودة ، وتعتقد ان من المصلحة الوصول الى حل ملائم لهذه القضية في أسرع وقت مستطاع . ثالثا — تشارك الحكومة رغبة المؤتمرين في السعي لدى هيئة الامم المتحدة لاعادة اللاجئين الى بلادهم في أقرب وقت وتعويضهم ماليا ، وهي دائبة في مسعاها لتنفيذ هذه الرغبة . رابعا — بالنظر لما لهذا القرار من علاقة بكيان البلاد ومستقبلها ترى الحكومة ان يعرض على مجلس الامة ليبدي رأيه فيه »(٢٠٧).

وفي ٤٨/١٢/١٣ اصدر مجلس الامة الاردني بيانا جاء فيه :

---

* هذا النص الذي أثبتناه في المتن وجدناه في أكثر من مصدر الا أن ثمة مصادر أخرى أوردت القرارات في شكل مختلف . فقد أورد عبدالله التل القرارات كما يلي : « (١) يشكر المؤتمر الدول العربية على ما بذلته من جهود وتضحيات ويطلب منها جميعا مواصلة القتال لانقاذ فلسطين . (٢) القول بالوحدة الفلسطينية الاردنية ويعتبر المؤتمر فلسطين وحدة لا تتجزأ وكل حل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلا نهائيا . (٣) لا يمكن للبلاد العربية ان تقاوم الاخطار التي تجابهها وتهدد فلسطين الا بالوحدة القومية الشاملة ويجب البدء بتوحيد فلسطين وشرق الاردن مقدمة لوحدة عربية حقيقية . (٤) يبايع المؤتمر جلالة الملك عبدالله ملكا على فلسطين كلها ويحييه ويحيي جيشه الباسل والجيوش العربية التي حاربت ولا تزال دفاعا عن فلسطين . (٥) التشديد بضرورة الاسراع بارجاع اللاجئين الى بلادهم والتعويض عليهم. (٦) يقترح المؤتمر على جلالته الاشارة بوضع نظام لانتخاب ممثلين شرعيين من عرب فلسطين يستشارون في أمورها . (٧) تبلغ هذه القرارات الى منظمة الامم والجامعة العربية والدول العربية وممثلي الدول الاخرى » . أما صحيفة « الرواد » (٤٨/١٢/٣) فقد أوردت ان المؤتمر اتخذ سبعة قرارات هي : « ١ — سحب الثقة من الهيئة العربية العليا وابلاغ الجامعة العربية . ٢ — انتخاب هيئة عربية عليا جديدة بدلا من القائمة حاليا . ٣ — ان حكومة غزة لا تمثل فلسطين . ٤ — الطلب الى الحكومة الاردنية تغيير اسمها بحيث تصبح المملكة العربية الهاشمية مع ازالة الحدود بين فلسطين وشرق الاردن . ٥ — مبايعة الملك عبدالله ملكا على المملكة الهاشمية . ٦ — تعيين يوم لاجراء البيعة . ٧ — اضافة بعض الاعضاء الفلسطينيين الى مجلس الامة الاردني » .

« ان مجلس الامة الاردني يرى في قرارات مؤتمر اريحا فيما يتعلق بتوحيد شرق الاردن وفلسطين تحت تاج جلالة الملك عبدالله ما يحقق ويلائم أهداف شرق الاردن التي تتجه نحو توحيد عربي أوسع نطاقا . وقد رأى مجلس الامة الاردني المبادرة بتنفيذ هذا التوحيد واتخاذ الخطوات الدستورية والدولية اللازمة لتحقيقه»(٣٨).

ماذا كان الموقف الاسرائيلي من قرارات مؤتمر أريحا ؟ ذكرنا سابقا ما ورد عن اتفاق عبدالله مع جولدا مايرسون حول التقسيم ونضيف ان الكونت برنادوت ، الوسيط الدولي ، ذكر انه في اثناء اجتماعه مع موشيه شرتوك في ٥ آب ١٩٤٨ أقر له هذا الاخير بأن ثمة « فوائد معينة » في توحيد فلسطين العربية مع شرق الاردن(٣٩). وقد استتبع ذلك أن يكون « هناك تفاهم ضمني بين عبدالله والاسرائيليين على مسألة مقررات اريحا »(٤٠). وقد كشف عبدالله التل عن جانب من المفاوضات التي أجراها الملك عبدالله مع الاسرائيليين ليضمن موافقتهم النهائية على هذه المقررات . فقد ذكر ان الملك بعث برسالة الى الياهو ساسون (أملاها على طبيبه الخاص الدكتور شوكت الساطي في الشونة في ١٩٤٨/١٢/١١) طلب فيها ان « قرار مؤتمر اريحا يجب ان يكون بالغ الاحترام » . وفي ١٩٤٨/١٢/١٣ تم اجتماع بين الدكتور الساطي وعبدالله التل وساسون في القدس وأملى ساسون على الساطي رسالة الى الملك عبدالله اجابة على رسالته السابقة . وقد جاء في هذه الرسالة :

« (١) اذا كان جلالة سيدنا يرغب في تنفيذ مقررات اريحا فلا اعتراض لنا على ذلك . ونظن ان المستحسن ان ينفذها في أسرع وقت ممكن حتى يضع خصومه وأصدقاءه أمام الامر الواقع . وللامر الواقع أهمية كبرى عند دول أوروبا وأمريكا وقد جربنا ذلك بأنفسنا . (٢) في حالة اقدامه على تنفيذ هذه المقررات نرجو ان لا يتعرض للناحية اليهودية لا بخير ولا بشر ، ويكتفي بالقول بأنه يقدم على ذلك لانقاذ ما يمكن انقاذه ولاعادة الهدوء والسعادة الى الشعب العربي الفلسطيني . (٣) نرجوه في حالة اقدامه على تنفيذ المقررات ان لا يحدد موقفه النهائي من ناحية مصير القدس لا القديمة ولا الجديدة ... (٤) ننصح لسيدنا باعلان الهدنة الرسمية الطويلة — هدنة دائمة ... (٥) نحن ننصح لسيدنا أن يعمل بسرعة على سحب القوات العراقية من الحدود وأحلال قوات أردنية محلها للمحافظة على الامن الداخلي فقط ... (٦) ننصح لسيدنا أن يسعى جهده لسحب القوات المصرية من جنوب القدس والخليل... (٧) ننصح لسيدنا ان يتجنب بقدر الامكان وساطة الاجانب لتسوية الامور بيننا وبينه وان يفضل مثلنا المباحثات المباشرة ... (٨) اذا أعرب سيدنا عن موافقته على النقاط السبعة السالفة فان في استطاعتنا أن نؤكد له بأننا سوف نقوم بالدعاية لمقررات اريحا في جميع انحاء العالم »(٤١).

لقد رفضت حكومة عموم فلسطين ، بطبيعة الحال ، قرارات مؤتمر أريحا ونددت بدعواه النطق باسم الشعب الفلسطيني(٤٢). أما الدول العربية فمن خلال علاقات بعضها غير الطيبة مع الاسرة الهاشمية في الاردن من جهة وبسبب اعترافها بحكومة عموم فلسطين من جهة ثانية وجدت نفسها مضطرة لرفض قرارات المؤتمر . فقد عقد الامين العام لجامعة الدول العربية مؤتمرا صحافيا ندد فيه بمؤتمر أريحا وأعلن رفضه قراراته وانكر حقه بالتكلم باسم الشعب الفلسطيني. وفي مصر استدعى رئيس الديوان الملكي ممثلي الحكومات العربية وأبلغهم رسالة من الملك جاء فيها « ان الملك تلقى انباء تفيد أن مؤتمرا عقد في اريحا وشهده اللاجئون وقد اتخذ هؤلاء المجتمعون قرارات طالبوا فيها بضم فلسطين الى مملكة الاردن وان الذين شهدوا المؤتمر هم قلة بالنسبة لمجموع عرب فلسطين ، وانهم ليسوا في وضع وظروف تمكنهم من ابداء آرائهم بحرية واختيار كاملين ، وان عملهم استبداد بالاكثرية »(٤٣). كذلك ندد بالقرارات وزير الخارجية السوري في بيان أصدره في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ . أما الملك عبد العزيز بن سعود فقد أرسل رسالة (٤٨/١٢/٢٤) الى كل من الملك فاروق والملك عبدالله اكد فيها معارضته لضم فلسطين العربية الى شرق الاردن(٤٤). وقد بذل العراق وسوريا

المساعي مع الملك عبدالله في سبيل حمله على التريث في الخطوات التنفيذية لقرارات المؤتمر ، وجاء وفد عراقي مؤلف من نوري السعيد وجميل المدفعي الى عمـــان لهذا القصد فأدت هذه المساعي الى اقناع الملك بتأجيل الخطوة حيث نشر تصريح عن لسانه يعلن فيه رغبته في « مواصلة التكاتف مع الدول العربية » وموافقته على التريث في الخطوة النهائية(٤٥).

لم تكن مواقف الدول العربية « الغاضبة » هذه اكثر من ستار يخفي عجزها عن ايجاد حل حقيقي وفي الوقت ذاته كانت مجاراة لمواقف الجماهير العربية التي أدانت الملك عبدالله ووصمته بالتواطؤ مع العدو في حرب ١٩٤٨ ، وبذلك كانت الدول العربية تبرىء ذمتها من تهمة الاشتراك مع عبدالله في هذا التواطؤ (سنعـــود الى استعراض مواقف الدول العربية في فقرة لاحقة) .

على كل حال فان الظرف الذي كان يحيط بمؤتمر اريحا لم يكن مواتيا للقيام بخطوات تنفيذية لالحاق ما بيد الجيش الاردني من ارض فلسطينية الحاقا مباشرا بشرق الاردن فقد كان ما بيد هذا الجيش آنذاك لا يتجاوز محـــور اريحا ـــ القدس بالاضافة الى الخليل بينما كانت المنطقة في الشمال (منطقتا نابلس وجنين) بيد الجيش العراقي وكان الجيش المصري ما يزال متواجدا في الجنوب (بيت لحم) ، كما كان لا يزال هناك بقايا من جيش الجهاد المقدس ، كذلك لم تكن الهدنة الدائمة مع اسرائيل قد وقعت بعد . في هذه الاجواء كان القرار الاردني ان يكون الضم بخطوات تدريجية مع خلق « وقائع جديدة » في الاجزاء التي يسيطر عليها الجيش الاردني في فلسطين تجعل الضم أمرا واقعا . وهكذا صرح توفيق ابو الهدى في عمان بأن شرق الاردن وافقت من حيث المبدأ على القرارات التي اتخـــذت في مؤتمر اريحـــا ولكنه **قـــرر ألا يعجل باتخـــاذ قرار لتحقيقها**(٤٦).

الاوضاع في « الضفة الغربية »* في فترة الضم

١ ـــ الاوضاع الاجتماعية : في اثناء حرب ١٩٤٨ وبعدها تدفق على مدن « الضفة الغربية» وقراها أعدادكبيرة من اللاجئين بلغت في العام ١٩٤٩، ٤٥٠ الف شخص بحيث زاد عددهم عن عدد السكان الاصليين هناك (٤٠٠ الف)(٤٧) . وقد تسبب ذلك في نشوء اوضاع اقتصادية واجتماعية معقدة وفي غـــاية السوء . فقـــد عم الفقر وانتشرت الامراض البسارية في مختلف المناطق الفلسطينية(٤٨)، وفقد الامن وقد عبر كمال ناصر في مجلته « الجيل الجديد » التي كان يصدرها حينئـــذ عن فقدان الامن بقولـــه « تعددت حوادث السرقات وخطف السيارات واصحاب الاموال حتى ان اكثر اهالي فلسطـــين توقفوا عن العودة الى منازلهم خوفا من هذه الاعمال»(٤٩) .وتوضح مذكرة قدمها سكان رام الله الى الفريق صالح صائب الجبوري ، رئيس اركان الجيش العراقي ، الصورة التي كان يعيش فيها سكان هذه البلدة تحت الحكم الاردني ويصح تعميم ما جاء فيها على جميع مدن « الضفة الغربية » وقراها . جاء في هذه المذكرة ما يلي :

---

* اصطلحنا على هذا التعبير منهجيا تيسيرا للاستعمال وان كان لنا تحفظ سياسي عليه ونفضل « فلسطين الوسطى » بديلا له . ولم يرد هذا التعبير « الضفة الغربية » رسميا في الوثائق الاردنية الا بعد مضي سنة على مؤتمر اريحا فقد ورد اول مرة في الامر رقم ٢١ لسنة ١٩٤٩ الصادر بمقتضى نظام الدفاع رقم ٦ لسنة ١٩٣٩ والذي نص على ما يلي : « يسمح بتصدير الاغنام والماعز الى الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية » (الجريدة الرسمية عدد ١٠٠٢ بتاريخ ١٩٤٩/١٢/١) . اما الاصطلاح الذي كان يطلق رسميا على المنطقة الفلسطينية التي تحت الحكم الاردني فهو « المنطقـــة الغربيـــة » ، او المناطـــق الغربية او « فلسطين » .

« إن حالة قضاء رام الله يرثى لها من جميع الوجوه فالطرقات دمرت والأمراض انتشرت وشؤون الاهلين فيها مضطربة لابعد حد والحالة الاقتصادية فيها تدعو الى مزيد من القلق ، خاصة ان اكثر اللاجئين يقطنون فيها ، وشؤون التموين مهملة فيستغلها اكثر المسؤولين لصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية، والامن فيها مهمل اهمالا لا حد له ، وشؤون الدفاع عنها غير مطمئنة بالمرة ، فلا هم للحكام الاداريين والعسكريين والمسؤولين من الامن الا جمع النقود وصرف الرواتب »(٥٠).

وقد زاد الحالة الاقتصادية ، وبالتالي الاجتماعية ، سوءا ان هناك دلائل تشير الى ان الحكم في عمان مارس عملية حصار اقتصادي على سكان « الضفة الغربية » . واذا كان المجال لا يتسع هنا لفحص هذه الحقيقة في شكل مفصل فسنكتفي هنا بايراد فقرات من مذكرة قدمتها الغرفتان التجاريتان في كل من القدس ونابلس الى رئيس مجلس الوزراء الاردني تمس هذا الواقع . فقد جاء في هذه المذكرة ما يلي :

« اخذت التجارة تتركز في مكان معين وايد معينة ... علمنا الآن ان النية اتجهت لالغاء صلاحيات دائرة التجارة في الضفة الغربية فيما يتعلق بالاستيراد وتحويل شؤونها الى مراقبة الاستيراد والتصدير في عمان لتكون المرجع الوحيد لتجار الضفتين الغربية والشرقية ... اننا نطالب عن حق بضرورة ابقاء جهاز مسؤول في الضفة الغربية يكون خاضعا لاشراف الوزارة المختصة في عمان ... **ان النكبة التي اصابت بلادنا اسفرت ضمن ما اسفرت عنه عن انتعاش اقتصادي تركز في مدينة عمان وعاد عليها بالفائدة بسبب قصر الاستيراد عليها طيلة المدة السابقة** »(٥١).

وقد اوردت الصحف ان بعض المستوردين الفلسطينيين ذكروا ان دائرة مراقبة العملة في عمان ترفض منح الاذونات الى عدد كبير من حاملي رخص الاستيراد الصادرة عن دائرة التجارة في الضفة الغربية(٥٢). وقد ابرق الشيخ عبد الباري بركات ، رئيس الغرفة التجارية في القدس ، الى رئيس الوزراء الاردني يتهم الحكومة بالتمييز . فقد جاء في نص هذه البرقية ما يلي :

« اطلع التجار في الضفة الغربية بمزيد من الدهشة والاستغراب على نبأ اعطاء الاولوية لتجار الضفة الشرقية في الاستيراد . والغرفة اذ تعتبر هذا الاجراء مجحفا بحقوق تجار الضفة الغربية طالما انهم مواطنو مملكة واحدة تحتج عليه بشدة وتصر على ابطال هذا الاجراء حالا لاصدار الرخص باكملها للضفتين في وقت واحد »(٥٣).

يمكن الاستنتاج من هذه الاجراءات التي اتبعتها عمان ان القصد من ورائها كان ما يلي : (١) تجويع المواطن الفلسطيني من خلال منع الاستيراد وبالتالي رفع كلفة المعيشة ، بهدف وضعه امام حالة لا يجد مناصا فيها من التسليم بوضع مصيره في يد حكام الاردن لانقاذه من هذه الحالة . (٢) ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الشرق ــ اردني كخطوة عملية من خطوات الحاق « الضفة الغربية » بشرق الاردن . (٣) يجب الا نهمل هنا ايضا ان نظام الحكم في شرق الاردن كان يمثل حينذاك مصالح كبار التجار والوسطاء الشرق ــ اردنيين ، وهي طبقة استغلت ظروف الحرب لزيادة ثرائها ، وكان حصر الاستيراد فيها واحدا من الاساليب التي اتبعتها لتوسيع نطاق اعمالها الاقتصادية .

٢ ــ **الادارة** : بجانب هذه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة كان هناك فساد في الادارة . وقد اعتمد عبد الله في ادارة « الضفة الغربية » على رجال حزب الدفاع (حزب النشاشيبي المعارض للحركة الوطنية) واعوانه ومؤيديه ومزيديه من وجهاء البلاد واقطاعييها ومشايخ قبائلها ومن موظفي حكومة الانتداب السابقة . وكان معظم هؤلاء قد بدأ يدعو لعبد الله وللضم ولسوريا الكبرى من قبل ان تشتعل حرب فلسطين رسميا ، وخاصة في نصف السنة بين اعلان تقسيم فلسطين في الامم المتحدة ودخول

القوات النظامية ارض فلسطين(٥٤) . وفي مقال نشرته مجلة « الميثاق » التي كان يصدرها شفيق ارشيدات حينذاك بعنوان « الوظائف والتوظيف في فلسطين » جاء ما يلي :

« كثر الحديث في فلسطين عن السياسة المتبعة في التوظيف وانتقاء الموظفين ... يقولون ان الحزبية والعائلية والعوامل السياسية لعبت دورا كبيرا في هذا الموضوع حتى في الوظائف الفنية وفي تخطي الكفاءات والحقوق المكتسبة ، وصارت الوظائف وقفا على طبقة من الناس دون غيرهم ، مما اوجد الشكوى وبعث التذمر . وقد علمنا ان لجنة وزارية في عمان هي التي تتولى تمشية هذا الامر . فهي تنسب بمعرفتها ، وبصورة كيفية تكتسب قراراتها الصفة القانونية بمجرد التنسيب »(٥٥) .

وقد دفع هذا الامر كمال ناصر الى ان يصرخ في مجلته : « مولاي المعظم ، لفتة منك نحو الادارة الجديدة ترى انها تكتظ باسماء عائلات محدودة ، هذه العائلات محسوبة على العرب والعروبة بأنها عريقة في المجد والسلطات »(٥٦) .

وفي الحقيقة ، فقد نجحت هذه السياسة التي اتبعها عبد الله في الادارة في خلق طبقة ارتبطت مصالحها بمصالح الحكم في عمان وبالتالي كانت حريصة على تنفيذ سياسة الضم .

٣ ــ **الوضع السياسي** : منذ ما قبل مؤتمر اريحا مهد عبد الله للضم بتصفية العناصر والقوى الفلسطينية المعارضة لحكمه وبالتالي الرافضة الحاق فلسطين بشرق الاردن من جهة وبمحاولة خلق تنظيمات سياسية تسانده شعبيا في سياسته تجاه « الضفة الغربية » . وقد استمر عبد الله في هذا الاتجاه طيلة الفترة التي تمم فيها اجراءات الضم ، وسنعرض فيما يلي ابرز ملامح هذا الاتجاه .

أ ــ **تصفية القوات الفلسطينية المسلحة** : كان مسرح عمليات جيش الجهاد المقدس في منطقة الجيش العراقي في دير نظام وفي منطقة الجيش الاردني في القدس ومنطقة الجيش المصري في بيت لحم وضواحيها(٥٧) . ومن اجل تنفيذ عملية الضم تنفيذا تاما كان يجب تصفية هذه القوات الفلسطينية التي يمكن ان تمثل مصدر ازعاج للقوات الاردنية في المنطقة وتشكل عقبة في سبيل ضمها الى شرق الاردن . وقد ذكر القائد الاردني عبد الله التل انه تلقى رسالة بتاريخ ٤٨/٩/٢٨ من الفريق جلوب يطلب منه تنفيذ « مصادرة اسلحة الجهاد المقدس في القدس ومنطقة الخليل والتعاون مع وكيل القائد لوكيت (البريطاني) لتحقيق هذه الغاية » وقد استعان الملك بالانكليز الذين اخذوا يطاردون المجاهدين في جميع المناطق التي يحتلها الجيش العربي ، وقد استعمل الضباط الانجليز في الجيش العربي الشدة واكرهوا في كثير من الحالات جنود الجيش العربي على الاشتباك مع اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين(٥٨) ، واكد جلوب ذلك فقد ذكر انه تلقى في ٣ تشرين الاول ١٩٤٨ امرا خطيا من وزير الدفاع يأمره فيه بأن تخضع جميع التنظيمات المسلحة في المنطقة التي يحتلها الجيش الاردني لاوامر الجيش الاردني او ان تحل وتجرد من السلاح « وفي ضوء حقيقة ان جيش الجهاد المقدس التابع للمفتي يرفض التعاون معنا على الرغم من وجوده في منطقتنا فقد صدرت الاوامر بتطويقه وتجريده من السلاح »(٥٩) ، ويصف المؤرخ الفلسطيني الراحل عارف العارف واحدة من عمليات الحصار هذه بقوله « في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩ حاصرت عند منتصف الليل سرية من سرايا الجيش العربي قرية بيرزيت واحتلت الدار التي كان رجال الجهاد المقدس قد اتخذوها مقرا لاعمالهم ... واستولت القوة على كل ما عثرت عليه في مخازن فرقة الجهاد المقدس من سلاح وعتاد وساقت امامها من وجدته من رجالها مكبلين بالحديد ... وبعد هذا الحادث ببضعة ايام قام رجال الجيش

العربي بمثل هذا العمل في القطاع الجنوبي وداهموا مقر قيادة جيش الجهاد المقدس في بيت لحم »(٦٠). وقد استمر الضغط على الجهاد المقدس الذي رفض ان يستسلم لعبد الله ولم يتهاون امام تهديداته الى ما بعد الهدنة الاولى ، فكانت القوات الاردنية تغير على مراكز المجاهدين في القدس ورام الله وبيرزيت وتعتقل او تطرد من تعثر عليه منهم حتى هرب معظمهم الى بيت لحم حيث حماهم الفدائيون المصريون الى ان انسحبوا من المنطقة وعندها حل الاردنيون المنظمة المجاهدة نهائيا اذ لم يعد لها من يحميها من غضب عبد الله(٦١).

ب ــ قمع المعارضة السياسية : كان عبدالله قد مهد لمؤتمر اريحا كما ذكرنا باقصاء رجال الحزب العربي الفلسطيني عن البلاد وتقييد حركات من بقي منهم وفرض الرقابة الشديدةعليهم، وكان الهدف من ذلك تصفية القيادة السياسية التي قادت الحركةالوطنية الفلسطينية في فترة الانتداب . وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزه عبدالله في ذلك الا انه يبدو ان قيادة فلسطينية شابة كانت قد أخذت في التبلور في ظل غياب القيادة الوطنية التقليدية . وقد ظهر من رموز هذه القيادة الشابة كمال ناصر الذي انشأ في رام الله منظمة عرفت باسم منظمة « الجيل الجديد » تقول « ان غايتها هي وحدة الشعوب العربية وتكتيل قواها لانقاذ فلسطين »(٦٢). وقد أصدر كمال ناصر مجلة عرفت بهذا الاسم « الجيل الجديد » استمرت متقطعة في النصف الثاني من العام ١٩٤٩ حتى بداية ١٩٥٠ . وعلى الرغم من اضطراب الخط السياسي الذي كانت تعاني منه المجلة الا انها كانت تعبر في معظم مواقفها عن رفض الخضوع لمشيئة عمان . وقد تعرض كمال للسجن اكثر من مرة بسبب مواقفه هذه ، وفي احدى المرات كتب في مجلته « هم موقفوني منذ أيام ، فبأي حق أوقفوني ... الأنهم حكومة شرعية في حطام وطني ، وهم انفسهم لم يعترفوا بعد بصفتهم هذه ولم يحملوا بعد عبئا واحدا من اعباء مسؤوليتهم هذه ؟ »(٦٣). ومن هذه الرموز كذلك كان عبدالله الريماوي وعبدالله نعواس اللذان اعتقلا مع كمال ناصر في صيف ١٩٤٩ ونفوا جميعا الى باير في الصحراء الاردنية(٦٤). وقد وجه الحكم الاردني همه كذلك الى هذه الرموز واضطهدها وقد اثار عبد الله نعواس هذه المسألة في اول جلسة عقدها البرلمان الاردني الذي جاء نتيجة الانتخاب في الضفتين فقد ذكر في خطابه في هذه الجلسة :

« لقد لمست في الضفة الغربية ان الدستور ينقصه الاحترام في بعض الاحيان ، وان لنا شبابا في السجون مضى عليهم خمسون يوما ولم يقدموا للمحاكمة ، وفي هذا مخالفة للدستور ولا نقره ابدا . ولقد مرت الصحافة بالضفة الغربية بمحنة قاسية ولا تزال »(٦٥).

والظاهر ان هذه المحنة التي تعرضت لها الصحافة في الضفة الغربية بموجب قانون الدفاع المعمول به كانت تشمل ايضا الصحافة الوطنية في شرق الاردن خاصة تلك التي تعالج الشأن الفلسطيني . ففي العدد العاشر من مجلة « الميثاق » التي اشرنا اليها ورد عنوان مقال « ومن احق من الفلسطينيين بتقرير مصيرهم ؟ » بتوقيع المحامي شفيق ارشيدات ، وقد حذف المقال جميعه وترك مكانه بياض بعنوان وتوقيع فقط .

على الرغم من القسوة التي عوملت بها القيادة الفلسطينية الوطنية التقليدية والتضييق الذي فرض على القيادات الشابة فقد كان الشارع الفلسطيني قادرا على التحرك . ففي اعقاب سقوط اللد والرملة تظاهرت الجماهير في شوارع رام الله ورجمت ضباط الجيش الاردني وجنوده بالحجارة(٦٦). وفي شهر ايار ١٩٤٩ بعد توقيع اتفاقية رودس وتسليم المثلث للاسرائيليين تظاهرت الجماهير في نابلس وطولكرم وجنين وقذف المتظاهرون دار الحكومة في نابلس بالحجارة واشتبكوا مع

الجيش في جنين(٦٧) . غير ان تحرك الشارع الفلسطيني كان يقمع بشدة عندما كان الجيش يتصدى للمتظاهرين .

ج ــ محاولة خلق منظمات متعاونة : بجانب القمع الذي تعرضت له الحركة الوطنية الفلسطينية حاول الحكم في عمان ايجاد تنظيمات سياسية « شعبية » تعمل على تهيئة الاوضاع في « الضفة الغربية » للمساعدة على الضم . وفي رسالة من مراسل صحيفة « الحياة » في القدس صورة عن هذا المسعى ، فقد كتب ما يلي :

« من يوم عقدت مؤتمرات اريحا ورام الله ونابلس [المؤتمران الاخيران عقدا بعد مؤتمر اريحا لتأييد قراراته] والنشاط السياسي بازدياد في فلسطين . وقد عقد كثير من الهيئات الفلسطينية المعروفة اجتماعات متعاقبة اسفر عنها تشكيل احزاب ومنظمات وجبهات شعبية تعمل على اساس مقررات المؤتمرات السابقة اي على اساس ضم فلسطين الى شرقي الاردن والعمل على ازالة الحدود الاصطناعية . وفي مقدمة هذه الحركات الجديدة حزب سياسي اطلق عليه اسم حزب الاحرار غايته ضم فلسطين الى شرقي الاردن والعمل للوحدة العربية الكبرى ... ولقد تقرر ان تكون نابلس مركز المعارضة السياسية في السابق المركز الرئيسي للحزب الجديد ... وفي القدس عقد ما يقرب من ٥٠٠ شاب من شباب القدس وقضائها وبعض المدن العربية الاخرى اجتماعا قرروا فيه تأليف جبهة باسم الجبهة الشعبية مركزها الرئيسي القدس. وغاية الجبهة تأييد الملك عبد الله في جميع الخطوات التي يتخذها كما انها التمست من جلالته ان يكون رئيسا فخريا لها . وقد اصدرت امانة الشعبة السياسية للجبهة بيانا يتلخص في النقاط التالية : ١ ــ تحية الملك عبد الله . ٢ ــ المطالبة برفض الاعتراف بلجنة التوفيق الثلاثية . ٣ ــ المطالبة باتباع الطرق الفعالة التي تحفظ عروبة القدس . ٤ ــ تحية الجيوش العربية ومطالبتها بمواصلة الجهاد حتى النهاية »(٦٨).

وكان عميد حزب الاحرار هو احمد الخليل متصرف لواء السامرة(٦٩). وقد دمج الحزب بعد فترة قصيرة بحزب « النهضة » الاردني وكتبت عنه « الجيل الجديد » انه « ثبت للرأي العام ان الحزب المذكور كان يهدف الى الاستيلاء على الوظائف الكبرى في البلاد كخطوة اولى الى كرسي الحكم »(٧٠).

اجراءات الضم

مارست الحكومة الاردنية ضم « الضفة الغربية » بتدريج وسنعرض فيما يلي لابرز الاجراءات السياسية والادارية التي اتبعت في ذلك :

أ ــ اشراك الفلسطينيين في الوزارة : كان الهدف السياسي من اشراك الفلسطينيين في الوزارة خلق واقع جديد يتحمل فيه الفلسطينيون باعتبارهم « ممثلين » في الحكم مسؤولية المشاركة في صنع القرار المتعلق بالضم ، وفي الوقت نفسه اظهار ان الضم قد استوفى جانبه السياسي بجانب اجراءاته الادارية الاخرى التي اتخذت .

ولتنفيذ ذلك قدمت وزارة توفيق ابو الهدى استقالتها وعهد اليه نفسه بتشكيل وزارة جديدة في ٧ ايار ١٩٤٩ فشكلها ضاما اليها ثلاثة وزراء فلسطينيين هم روحي عبدالهادي للخارجية ، خلوصي الخيري للتجارة والزراعة ، موسى ناصر للمواصلات(٧١). وقد كان اسناد وزارة الخارجية لشخص فلسطيني يحمل دلالة خاصة أظهرت الى أي مدى كان حرص شرق الاردن على اظهار نواياه في الضم للرأي العام العربي والدولي أيضا. ولا بد ان اجراء ضم فلسطينيين الى الوزارة الاردنية قد اثار استغراب الرأي العام الفلسطيني الداخلي فقد كتبت « الجيل الجديد » :

« قررت الحكومة الاردنية الجديدة ضم بعض العناصر الفلسطينية اليها . ولا نعلم على أي أساس كان هذا الضم وشرقي الاردن نفسها وجميع بلاد العالم لم تعترف بعد باندماج الجزء العربي من فلسطين معها اندماجا تاما »(٧٢).

بجانب ذلك فقد ادخل الوزارة فلسطيني آخر فيما بعد عندما استحدثت وزارة باسم وزارة اللاجئين في آب ١٩٤٩ وعين راغب النشاشيبي (الذي كان الملك قد منحه في وقت سابق لقب باشا) وزيرا اليها . وقد الغيت هذه الوزارة في أول كانون الثاني ١٩٥٠ عندما استكملت اجراءات الضم وعين النشاشيبي وزيرا للدولة .

٢ ــ **الاجراءات الادارية** : منذ دخول الجيش الاردني الى فلسطين خضعت الاجزاء التي كانت بيد الجيش الى نظام الحكم العسكري . ففي ١٩٤٨/٥/١٩ عين ابراهيم هاشم حاكما عسكريا عاما لجميع المناطق التي يوجد فيها الجيش الاردني او يقوم بمحافظة الامن والدفاع فيها (وقد خلفه في تشرين الاول ١٩٤٨ عمر مطر حاكما عسكريا عاما) . وقد عين عدد من الحكام العسكريين في القطاعات التي يعمل فيها الجيش الاردني : في القدس ورام الله والخليل . وقد استمر هذا الحكم العسكري حتى آذار ١٩٤٩ عندما الغي وحل محله « قانون الادارة العامة في فلسطين رقم (١٧) لسنة ١٩٤٩ » . وقد نص هذا القانون على ما يلي :

« ١ ــ يسمى هذا القانون المؤقت (قانون الادارة العامة في فلسطين ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

٢ ــ تلغى وظائف الحكام العسكريين الاردنيين في فلسطين ويتولى أعمال الادارة فيها موظفون مدنيون .

٣ ــ جميع سلطات المندوب السامي السابق التي كان يتولاها الحاكم العسكري العام في فلسطين تمارس بارادات ملكية خاصة يعرضها الوزير المختص بموافقة رئيس الوزراء .

٤ ــ كل رئيس دائرة في فلسطين يرجع بأعماله الى الوزير المختص مباشرة او بواسطة الحاكم الاداري العام في حال وجوده .

٥ ــ جميع القوانين والانظمة التي كان معمولا بها حتى نهاية الانتداب على فلسطين تظل نافذة المفعول الى ان تلغى او تعدل .

٦ ــ هيئة الوزراء مكلفة بتنفيذ هذا القانون »(٧٣).

وقد صدرت ارادة ملكية في اعقاب نشر هذا القانون بتعيين عمر مطر (شرق اردني) الحاكم العسكري العام في فلسطين « حاكما اداريا عاما فيها يشرف على شؤون الادارة في المناطق ويكون مرتبطا بوزارة الداخلية » وبتعيين عبدالله التل متصرفا للواء القدس واحمد الخليل متصرفا للواء السامرة ونعيم طوقان متصرفا للواء الخليل . وقد تعاقب على وظيفة الحاكم الاداري بالاضافة الى عمر مطر ، فلاح المدادحة (شرق اردني) اعتبارا من ١٩٤٩/٦/١٦(٧٤). وكان وزيرا للعدل ومنتدبا لهذا المنصب ، ثم راغب النشاشيبي (رئيس حزب الدفاع الموالي للملك الذي كان وزيرا للاجئين) اعتبارا من ١٩٤٩/١١/١(٧٥) الى منتصف شهر كانون الاول عندما انهيت مهمة الحاكم الاداري العـــام .

وقد اوضح القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٩ صلاحيات الملك بالنسبة لادارة المناطق الفلسطينية ، فقد نصت المادتان الثانية والثالثة على التوالي من هذا القانون على ما يلي :

« * لجلالة الملك ان يمارس ويتمتع في فلسطين بجميع الصلاحيات التي كان يتمتع بها جلالة ملك بريطانيا ووزراؤه والمندوب السامي في فلسطين بموجب مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ وتعديلاته .

« * لجلالة الملك ان يعين شخصا او اكثر لتولي أعباء الادارة في فلسطين لمنصب الحاكم الاداري العام

أو بأي لقب آخر يفوض اليه او اليهم جميع صلاحيات جلالته ، وتنفيذا لهذه الصلاحيات لجلالته ان يصدر اليه او اليهم من حين لآخر التعليمات التي يراها ضرورية »(٧٦).

أما بالنسبة للقوانين التي كانت تنفذ بموجب نظام الحكم الاداري فقد وضحتها المادتان ٥ و٦ من القانون المذكور كما يلي :

« * جميع القوانين والانظمة والاوامر الصادرة بموجبها التي كان معمولا بها حتى انتهاء الانتداب على فلسطين تبقى نافذة المفعول الى ان تلغى او تعدل .

* ان جميع القوانين والانظمة والاوامر وسائر التشاريع الاخرى التي اصدرها جلالة الملك او الحاكم العسكري او الحاكم الاداري العام تعتبر انها كانت ولم تزل نافذة ومعمولا بها . وتعتبر كافة الاعمال التي تمت بمقتضاها بجميع ما نصت عليه من القيود نافذة وصحيحة » .

وقد الغي نظام الحكم الاداري اعتبارا من ١٦ كانون الاول ١٩٤٩ وارتبطت ادارة المنطقة بوزير الداخلية الاردني مباشرة . فقد صدرت ارادة ملكية في التاريخ المذكور نصت على ما يلي :

« ١ ــ يرتبط متصرفو الالوية في المنطقة الغربية بوزير الداخلية في جميع أعمالهم .

٢ ــ يشرف وزير الداخلية على الاعمال في المنطقة الغربية يعاونه في ذلك مدير الادارة في تلك المنطقة .

٣ ــ يخول وزير الداخلية جميع الصلاحيات التي كان يتمتع بها المندوب السامي بمفرده بمقتضى القوانين والانظمة التي لا زالت متبعة ، أما الصلاحيات التي كان يمارسها في المجلس التنفيذي أو المجلس الاستشاري فيمارسها رئيس الوزراء بقرار من مجلس الوزراء .

٤ ــ تنتهي مهمة الحاكم الاداري العام ويرجع مديرو الدوائر في المنطقة الغربية الى الوزراء المختصين كل بما يخص دائرته »(٧٧).

ويلاحظ في « الارادة » هذه، وهو ما يجب ان يظل ماثلا عند الحديث عن الانتخابات، انها اجراء أعلن رسميا من جانب واحد ضم الاجزاء الفلسطينية التي تحت الحكم الاردني الى شرق الاردن التي زعم ان مجلس الامة الذي نتج عنها هو الذي أعلن « وحدة » الضفتين ، فقد الغى اسم فلسطين كما كان يرد في القوانين السابقة واستعاض عنها بتعبير « المنطقة الغربية » التي ربطها كسائر الالوية في شرق الاردن بوزير الداخلية .

٣ ــ **تجنيس الفلسطينيين بالجنسية الاردنية** : كانت حكومة شرق الاردن حريصة بجانب مسعاها في الحاق الارض الفلسطينية ، على « ضم المواطنين الفلسطينيين » اليها ايضا من خلال تجنيسهم بجنسيتها . وقد مثلت الجنسية للمواطن الفلسطيني اغراء يتاح له من خلالها التنقل والسفر بحرية . وكما في اجراءات الضم الاخرى فقد تم تنفيذ عملية تجنيس الفلسطينيين اردنيا بالتدريج . ففي شهر شباط من العام ١٩٤٩ صدر ذيل مؤقت لقانون جوازات السفر رقم ٥ لسنة ١٩٤٢ باسم قانون رقم ١٩٤٩/١١ نصت المادة الثانية منه على ما يلي :

« بصرف النظر عما جاء في المادة الثانية من قانون جوازات السفر رقم ٥ لسنة ١٩٤٢ **يجوز** لأي شخص عربي فلسطيني يحمل جنسية فلسطينية الاستحصال على جواز سفر اردني بموجب قانون جـــوازات السفر رقم ٥ لسنة ١٩٤٢ ».

واذا كان هذا القانون قد أعطى **الخيار** للمواطن الفلسطيني بحمل جواز السفر الاردني فقد كانت الخطوة اللاحقة اصدار قانون آخر اعتبر فيه جميع الفلسطينيين الذين لجأوا الى شرقي الاردن والفلسطينيين المقيمين في فلسطين الواقعة تحت الحكم الاردني اردنيين . هذا القانون هو ما سمي (قانون اضافي لقانون الجنسية الاردنية

رقم ٥٦ لسنة ١٩٤٩) والذي بدأ العمل به منذ ١٩٤٩/١٢/١٣ ، وقد نصت المادة الثانية منه على ما يلي :

« جميع المقيمين عادة عند نفاذ هذا القانون في شرق الاردن او في المنطقة الغربية التي تدار من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ممن يحملون الجنسية الفلسطينية يعتبرون انهم حازوا الجنسية الاردنية ويتمتعون بجميع ما للاردنيين من حقوق ويتحملون ما عليهم من واجبات »(٧٨).

٤ — **أجراءات أخرى** : وقد اتخذت بجانب هذه الاجراءات اجراءات أخرى لاستكمال عملية الضم :

١ — في تموز ١٩٤٩ صدر قانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٩ شرع ليوضع موضع التنفيذ اعتبارا من ١ كانون الثاني ١٩٥٠ قضى بأن يكون الدينار الاردني وحدة النقد في المملكة الاردنية(٧٩).

٢ — في الشهر نفسه صدرت ارادة ملكية بتحصيل ضريبة الاملاك في فلسطين(٨٠).

٣ — وفي تموز ايضا اغلقت القنصلية الاردنية في القدس « بعد ان اصبحت القدس تابعة للادارة الاردنية »(٨١).

٤ — في ايار ١٩٤٩ صدر قرار لمجلس الوزراء تضمن « ان تكون دار الاذاعة الفلسطينية مرتبطة بوزارة الخارجية »(٨٢).

٥ — واعتبارا من ١٩٤٩/١٠/١ وبموجب ارادة ملكية الف مجلس اسلامي أعلى في فلسطين تولى أعمال الرئاسة فيه امين عبد الهادي وعهد « للشيخ حسام الدين آفندي جارالله بمنصب مفتي فلسطين »(٨٣).

٦ — وفي كانون الاول ١٩٤٩ الغيت اجراءات الجمارك بين الضفتين(٨٤).

وهكذا بانتهاء العام ١٩٤٩ كانت جميع اجراءات الضم قد استكملت واصدر رئيس الوزراء في مطلع ١٩٥٠ بيانا جاء فيه :

« بمناسبة رفع الحواجز فيما بين الضفتين الشرقية والغربية من المملكة الاردنية الهاشمية ، أصبح لا مجال لاعتبار البلاد الواقعة في الضفة الغربية بلادا أجنبية ... وتعتبر البلاد الواقعة في الضفتين المذكورتين وحدة واحدة » .

وبذلك انطوى اسم فلسطين وحل محله تعبير الضفة الغربية ، وكما كان ضم هذه الاجزاء من فلسطين الى شرق الاردن بقوانين ، وضم سكانها ايضا بقوانين ، فقد صدرت قوانين كذلك في الاردن الغت اسم فلسطين ، ونشير هنا الى واحد منها هو « نظام البريد رقم (١) لسنة ١٩٥٠ » الذي نصت المادة الثالثة منه على ما يلي :

« تلغى كلمة فلسطين كصفة للضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية اينما وردت في الانظمة والقرارات والتعليمات المذكورة في المادة الاولى من هذا النظام »(٨٥).

الانتخابات النيابية ١٩٥٠/٤/١١

في نهاية العام ١٩٤٩ رتبت جميع الاوضاع السياسية والادارية لضم « الضفة الغربية » الى شرقي الاردن وقد استكملت الاجراءات السياسية في نهاية ذلك العام باعلان حل مجلس النواب (بموجب ارادة ملكية في ١٩٤٩/١٢/١٣) اعتبارا من ١٩٥٠/١/١ وباجراء انتخابات جديدة(٨٦) يتاح بموجبها ادخال عناصر فلسطينية الى مجلس النواب الاردني . ولتحقيق هذه الغاية عدل قانون الانتخاب المعمول به في شرق الاردن بالقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٩ (قانون اضافي لقانون الانتخاب لمجلس النواب)(٨٧) وقد نصت المادة الثانية من هذا القانون على ما يلي :

« ينضم الى النواب المعينة أعدادهم ودوائرهم في المادتين السابعة عشرة والثامنة عشرة من قانون الانتخاب لمجلس النواب عشرون نائبا ينتخبون عن المنطقة الغربية التي تدار من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية » .

وقد حددت المادة الثالثة الدوائر الانتخابية في تلك المنطقة كما يلي :

« أ — عن قضاء القدس مع اريحا نائبان مسلمان ونائب مسيحي واحد .
ب — عن قضاء بيت لحم نائب مسلم ونائب مسيحي .
ج — عن قضاء الخليل أربعة نواب مسلمون .
د — عن قضاء نابلس أربعة نواب مسلمون .
هـ — عن قضاء جنين نائبان مسلمان .
و — عن قضاء طولكرم نائبان مسلمان .
ز — عن قضاء رام الله نائبان مسلمان ونائب مسيحي واحد » .

وقد أعلن يوم ١١ نيسان ١٩٥٠ موعدا لاجراء الانتخابات القادمة .

ماذا كان موقف الفلسطينيين من الانتخابات ؟ لقد حددت الهيئة العربية العليا موقفها في بيان أصدره رئيسها السيد محمد امين الحسيني جاء فيه(٨٨):

« ان هذه الانتخابات الصورية التي تعتزم السلطة الاردنية اجراءها في فلسطين ما هي الا تنفيذ للمؤامرة التي حاكتها السياسة البريطانية لتصفية قضية فلسطين تصفية نهائية واعادة ما بقي من فلسطين تحت نير استعمارها عن طريق شرق الاردن ، والتخلي عن القسم الآخر لليهود لينشئوا فيه دولة اسرائيل ... ثم ان البرلمان الذي تدعو السلطة الاردنية أهل فلسطين الى دخوله ليس الا برلمانا صوريا فريدا في بابه لا يقوم على اساس تمثيلي صحيح ولا يتمتع بأي حق من حقوق البرلمانات في العالم ، فالوزارة غير مسؤولة أمامه ولا يملك حق نزع الثقة منها ولا الاشراف على شيء من أعمالها*... وما الانتخابات التي ستجريها حكومة شرق الاردن في القسم العربي من فلسطين... الا انتخابات باطلة لانها تقوم على تزييف ارادة الشعب وانتزاع الصفة التمثيلية منه بأساليب الضغط والاكراه في أقسى الظروف وأشدها » .

هذا بالنسبة للهيئة العربية العليا ، غير انه في الداخل كان يدور حوار واسع قسم الرأي العام الفلسطيني الى قسمين : قسم يدعو الى الاشتراك في الانتخابات وخوض معركتها وقسم يرفض هذه المسألة من الاساس (بالاضافة طبعا الى شريحة واسعة ارتبطت مصالحها بمصالح النظام في شرق الاردن وتضم كبار الموظفين في الادارة الجديدة وبقايا حزب الدفاع ومخلفات ادارة الانتداب) . وقد عبر كمال ناصر عن طبيعة هذا الحوار في مقال كتبه في مجلته عشية الانتخابات ، جاء فيه :

« وزعت في البلاد خلال الاسابيع الاخيرة منشورات سوداء خطيرة تدعو دعوة مباشرة الى مقاطعة الانتخابات النيابية في البلد ولم تقتصر هذه المناشير على الدعوة الى المقاطعة وانما تعدتها الى التهديد والوعيد ... هم يقولون ان القضية لم تنته بعد وان دخولنا المعركة النيابية معناه الاعتراف بالامر الواقع في البلاد وان فلسطين بهذا تكون قد ضاعت للابد ... وانا أقول هل نقف مكتوفي الايدي لتحل قضيتنا الايام ، وهل نترك غيرنا يتصرف بشؤوننا وقد نخسر بذلك كثيرا ... وهل دخولنا البرلمان يعني بأننا سنسلم بقية البلاد ؟... ان دخول عناصر قوية الى البرلمان على أكتاف الشعب معناه ان الشعب له حق تقرير مصيره ومصير بلاده ونحن ندخل على هذا الاساس لنعرف ماذا يدور من حولنا ... ان دخولنا مجلس النيابة معناه اننا سنشترك

---

* في كلمة وجهها عبدالله « الى الشعب » قبل بدء الانتخابات قال « اننا معتزمون باذن الله على ان يكون المجلس مجلسا تتحمل الحكومة أمامه جميع مسؤولياتها الحكومية على المقتضى المقرر من هذه الاصول ويتطلب ذلك اجراء تعديل في الدستور بعد خروج البلاد من الوضع الحاضر الثقيل الاعباء وبعد ان تنتهي البلاد من بعض ارتباطات لا ناقة لها فيها ولا جمل »(٨٩).

في تكييف المجتمع الذي نعيش فيه ، فان استطعنا ذلك وهو بالامكان بقينا ، والا فلا شيء يقوى على العمل ضد رغبتنا نحن أهل البلاد ... دعوني أطرق الموضوع من ناحية ثانية ... ان الانتخابات في حد ذاتها أمر واقع لا بد منها . ولنفرض جدلا اننا لا نرضى عنها ولا نريدها ، ومع ذلك فالانتخابات ستجري ان شئنا أم أبينا ، وفي هذه الحالة هل نترك الميدان للصعاليك تصول وتجول وتتصرف بأمور الشعب عن غير فهم أو معرفة ، أم نحاول ابراز عناصر قوية مخلصة طيبة نستفيد منها ونستطيع مواجهة التيار »(٩٠).

ويبدو ان هذا الحوار كان يدور على أكثر من صعيد فقد كتبت صحيفة « الدفاع » ان « المجلس الاعلى لمؤتمر اللاجئين العام » عقد جلسة يوم ١٩٥٠/١/١٣ في رام الله وجرى البحث فيه في موضوع الانتخابات وقد تكونت نتيجة المداولة ثلاثة مقترحات : « اولا — ان لا يتدخل المؤتمر في شأن الانتخابات وتترك الحرية للافراد الذين يرغبون الاشتراك فيها . ثانيا — ان يقاطع اللاجئون الانتخابات وان يترك لكل فرد حرية الاشتراك على مسؤوليته الشخصية . ثالثا — دعوة اللاجئين لتسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين »(٩١). وقد ذكرت الصحيفة ان الاقتراح الاول هو الذي فاز بالتصويت بينما لم ينل الاقتراح الثالث سوى صوت واحد ، وربما يعتبر ذلك دليلا صحيحا على رفض الرأي العام الفلسطيني لفكرة الالتزام بالانتخابات . ويؤكد هذا الاستنتاج حوادث العنف الشعبية التي حدثت قبيل الانتخابات وفي اثنائها في الخليل ونابلس والقدس(٩٢). وكان أعنف هذه الحوادث تلك التي حدثت في نابلس في اجتماع عقدته الجماهير والقيت فيه خطب تهاجم الاردن واختتم بتظاهرة توجهت الى مبنى المتصرفية في نابلس حيث فرقتها قوة من الجيش الاردني بالقوة والقت القبض على نحو ثلاثين شخصا من المتظاهرين واقتادتهم على الاقدام الى معسكر للاعتقال وقد توفي واحد من هؤلاء (من عائلة الكيلاني) في الطريق الى هذا المعسكر من جراء الارهاق(٩٣).

لقد كان أوضح المواقف وأكثرها حسما تجاه الانتخابات موقف الشيوعيين الفلسطينيين وقد نبع موقفهم من موافقتهم على قرار التقسيم للعام ١٩٤٧ ودعوا الى اقامة دولة فلسطينية في الاقسام التي خصصها هذا القرار للعرب . وقبيل الانتخابات أصدرت عصبة التحرر الوطني بيانا قالت فيه : « ان الشعب لا يهتم بمهزلة الملك عبدالله الانتخابية . الغالبية العظمى تقاطع الانتخابات لان الشعب يعارض ضم البلاد الى المستعمرة البريطانية التي تسمى شرق الاردن . ان نداء العصبة لمقاطعة الانتخابات قد قوبل باهتمام كبير ... »(٩٤).

لا شك ان ثمة عناصر وطنية قد شاركت في الانتخابات وكان هدفها من ذلك « انه لو تمت هذه المقاطعة من بعض الطبقات فاننا لن نعدم من يخوض هذه المعركة وفي هذه الحالة قد يبرز مرشحون فاسدون يسيئون الى القضية ويمثلون الامة شر تمثيل »(٩٥). لقد فرضت الانتخابات فرضا وكان هم هذه الفئة « انقاذ ما يمكن انقاذه » ووجهت معركتها نحو تغيير الدستور . وفي الجلسة الاولى لمجلس النواب المنتخب علق عدد من النواب الفلسطينيين الشباب (منهم أنور نسيبه وعبدالله الريماوي وعبدالله نعواس) موافقتهم على « الوحدة » على تغيير الدستور(٩٦) فـ « نحن أبناء الشعب لن نستعجل في اعطاء رأينا [في قضية التوحيد] وانما نريد ان نحقق رغباتنا كاملة في هذا الخصوص فلنا شروط ولنا طلبات ... ان تعديل الدستور الحالي هو كل ما يرجوه ابناء الضفتين »(٩٧).

ولقد عملت السلطات الاردنية على ابعاد هذه العناصر الوطنية قدر استطاعتها وسعت الى حرمانها من دخول المجلس النيابي وقد اتبعت أساليب الضغط بواسطة رموزها والمتعاونين معها كما حدث في الخليل فقد تدخل الشيخ الجعبري « تدخلا مباشرا في الانتخابات النيابية ... واستعمل الضغط في أكثر من مناسبة ضد المحامي

الشاب عبد الخالق يغمور »(٩٨). كذلك استغلت السلطة قانون الانتخاب الذي يتيح لافراد الجيش الادلاء بأصواتهم في انجاح العناصر المتعاونة معها فقد كان في « الضفة الغربية » في اثناء الانتخابات لواء من الجيش الاردني ادلى أفراده بأصواتهم(٩٩). وقد اعترف جلوب بأنه كان يعرض على الجنود قائمة بأسماء المرشحين فيها اشارات مقابل اسماء مرشحي الحكومة كما أشار اشارات واضحة الى الاساليب التي اتبعت في تزييف الانتخابات(١٠٠). لذلك فلم يكن بمستغرب ان عدد الذين أدلوا بأصواتهم في بعض الدوائر الانتخابية كان أكثر من ١٠٠ بالمئة(١٠١).

بجانب وسائل الضغط والتزوير فان السيطرة على نتائج الانتخابات كانت تتم ايضا من خلال توزيع المقاعد بين الضفتين . فالتساوي بالمقاعد (٢٠ لكل ضفة) كان غبنا للضفة الغربية فعدد الناخبين في الضفة الشرقية كان ١٢٩ الفا بينما كان عددهم في « الضفة الغربية » ١٧٥ الفا(١٠٢). وبينما خصص للمنطقة الجنوبية من الاردن (بلغ سكانها في العام ١٩٥٤، ٩٠ الفا) خمسة مقاعد في البرلمان أعطيت القدس (١٥٠ الفا) ورام الله (١٢٠ الفا) ثلاثة مقاعد لكل منهما ومنطقة نابلس (١٧٥ الفا) أربعة مقاعد. كذلك أعطيت المناطق « الاكثر ضمانا » عددا من المقاعد يفوق تلك المخصصة للمناطق المشكوك في ولائها . فقد اعطيت الخليل (١٣٥ الفا) التي اعتبرت مضمونة اربعة مقاعد بينما القدس (١٥٠ الفا) ثلاثة مقاعد فقط(١٠٣). وبهذه الوسيلة ضمنت الحكومة ان ترسل الى مجلس النواب عناصر يمكن الاعتماد عليها في تمرير مشاريعها ، وأجرت الانتخابات في ١٩٥٠/٤/١١* وهي واثقة من انها قادرة على السيطرة على المجلس . وقد قدرت بعض المصادر عدد النواب الموالين للحكومة من الضفة الغربية بأربعة عشر نائبا من عشرين(١٠٤).

وفي اليوم التالي للانتخابات صدر مرسوم ملكي بتعيين وزارة جديدة برئاسة سعيد المفتي تم فيها تعيين خمسة وزراء فلسطينيين هم : روحي عبد الهادي للعدلية ، راغب النشاشيبي للزراعة ، احمد طوقان للاشغال العامة والانشاء والتعمير ، انسطاس حنانيا للبرق والبريد ، وسعيد علاء الدين للتجارة والجمارك(١٠٥).

وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠ بدأت الجلسة الاولى لمجلس الامة (بهيئتيه النواب والاعيان) ، وكان واضحا منذ بدء الجلسة ان الحكومة تريد قرارا سريعا بالضم (او التوحيد كما اصطلح) ، بينما كان رأي عدد من النواب الفلسطينيين التريث في ذلك الى ما بعد تعديل الدستور وقد حدثت مشادة بين هؤلاء وابو الهدى (الذي انتخب رئيسا للمجلس) انسحب على اثرها عدد من النواب الفلسطينيين (منهم خلوصي الخيري ، انور نسيبه، عبد الله الريماوي ، عبد الله نعواس ، رشاد مسوده ، رشاد الخطيب ، سعيد العزة ، كامل عريقات ، موسى ناصر) كما انسحب تضامنا معهم عدد من نواب الضفة الشرقية** (شفيق الرشيدات ، عبد الحليم النمر ، الدكتور محمود حجازي ، عاكف

* النواب الذين فازوا هم : عبدالله نعواس ، كامل عريقات ، أنور نسيبه (عن قضاء القدس) ، توفيق قطان ، عبد الفتاح درويش (بيت لحم) ، عبدالله بشير عمرو ، رشاد الخطيب ، رشاد مسوده، رشيد عبد الفتاح العزة (الخليل) ، قدري حافظ طوقان ، حكمت المصري ، دكتور مصطفى بشناق ، عبد المجيد أبو حجله (نابلس) ، عبد الرحيم جرار ، تحسين عبد الهادي (جنين) ، دكتور كمال حنون ، حافظ الحمد لله (طولكرم) ، موسى ناصر ، خلوصي الخيري ، عبدالله الريماوي (رام الله).

** محاضر جلسات مجلس النواب (ملحق الجريدة الرسمية الاردنية) تجاهلت هذا الامر الحيوي واكتفت بالتركيز على القرار الذي اتخذه المجلس في نهاية جلسته . وقد كشفت « الجيل الجديد » (١٩٥٠/٥/١) حقيقة ما جرى داخل المجلس .

الفايز ، سلمان القضاة ، عطاالله المجالي) . وعند عودتهم (بعد التوسط) « اقترح احد النواب تأجيل البحث لجلسة اخرى فقال الرئيس لنصوت على ذلك ، اي على تأجيل البحث ، وتمت عملية التصويت ففشل اقتراح التأجيل بأكثرية جلها من الاعيان [المعينين تعيينا] بينما انقسم المجلس الى قسمين وهكذا اعتبر فشل اقتراح التأجيل موافقة على اقتراح الضم »(١٠٦). وتعتبر هذه الحادثة ذات دلالة خاصة فمجلس النواب الاردني لم يصوت على قرار الضم ، وتمكن ابو الهدى من تمرير هذا القرار بالشكل الذي سلف . وقد نص قرار الضم على ما يلي :

« تأكيدا لثقة الامة واعترافا بما لحضرة صاحب الجلالة عبدالله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية من فضل الجهاد في سبيل تحقيق الاماني القومية ، واستنادا الى حق تقرير المصير ، والى واقع ضفتي الاردن الشرقية والغربية ووحدتهما القومية والطبيعية والجغرافية وضرورات مصالحهما المشتركة ومجالهما الحيوي يقرر مجلس الامة الممثل للضفتين في هذا اليوم الواقع في ٧ رجب ١٣٦٩ الموافق ٢٤ نيسان ١٩٥٠ ويعلن ما يأتي :

اولا : تأييد الوحدة التامة بين ضفتي الاردن الشرقية والغربية واجتماعهما في دولة واحدة هي المملكة الاردنية الهاشمية وعلى رأسها حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله بن الحسين المعظم ، وذلك على اساس الحكم النيابي الدستوري والتساوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين جميعا .

ثانيا : تأكيد المحافظة على كامل الحقوق العربية في فلسطين والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق وعدم المساس بالتسوية النهائية لقضيتها العادلة في نطاق الاماني القومية العربية والتعاون العربي والعدالة الدولية .

ثالثا : رفع هذا القرار الصادر عن مجلس الامة بهيئتيه الاعيان والنواب الممثل لضفتي الاردن الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم واعتباره نافذا حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي .

رابعا : اعلان وتنفيذ هذا القرار من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي وتبليغه الى الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة بالطرق الدبلوماسية المرعية »(١٠٧).

وهكذا اكتملت الصيغة « الدستورية » من اجراءات الضم ، بعد ان وقعها الملك في اليوم نفسه .

عود على بدء

كانت تلك خاتمة فترة ابتدأت بقرار التقسيم في العام ١٩٤٧ واستطاعت بريطانيه ان تنفذ القرار باداة اردنية وبذلك ابقت نفوذها من خلال الكيان الاردني والاسرة الهاشمية على جزء من فلسطين بجانب اسرائيل . وقد اوضح وزير الدولة البريطاني في مجلس العموم (١٩٥٠/٤/٢٧) ان « حكومة جلالته قررت ان تعترف رسميا بهذه الوحدة [بين الضفتين] وهي تغتنم هذه المناسبة لتعلن انها تعتبر مواد المعاهدة البريطانية ــ الاردنية للعام ١٩٤٨ منطبقة على جميع المنطقة التي شملتها الوحدة »(١٠٨). وقد اكدت بريطانيه اعترافها بالضم بمذكرة رسمية موجهة الى وزير الخارجية الاردني اعادت فيه تصريحها « بأنها تعتبر نصوص معاهدة الصداقة البريطانية ــ الاردنية لسنة ١٩٤٨ شاملة لجميع المناطق الداخلة في نطاق ذلك التوحيد » واعتبرت فيها حدود الاردن هي الخطوط المبينة في اتفاقية الهدنة الموقعة بين الاردن واسرائيل في ١٩٤٩/٤/٣ ، كما بينت المذكرة ان الحكومة البريطانية لا تعترف بسيادة المملكة الاردنية على منطقة القدس « ومع ذلك فهي تعترف بأن الاردن تمارس سلطة فعلية في الجزء الذي تحتله »، كذلك اشارت المذكرة الى ان الحكومة البريطانية « لا تنوي طلب اقامة قواعد حربية زمن السلم في ذلك القسم من فلسطين الذي توحد الان مع المملكة الاردنية »(١٠٩).

اما بالنسبة لاسرائيل فقد ذكرنا عددا من الدلائل تشير الى انها ترغب في ضم الجزء العربي من فلسطين الى شرق الاردن . وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠ (يوم اعلان مجلس النواب الاردني قرار الضم) اعلن ناطق باسم الحكومة الاسرائيلية « ان هذه خطوة من جانب واحد لا تلزم حكومة اسرائيل بأي شيء . نحن مرتبطون مع حكومة المملكة الاردنية الهاشمية باتفاقية وقف اطلاق النار ونحن مسممون على الالتزام به بدقة،ولكن هذه الاتفاقية لا تشمل أية تسوية سياسية نهائية ، ولا يمكن التوصل الى أي تسوية نهائية دون مفاوضات وعقد سلام بين الطرفين . لذلك يجب ان يكون واضحا ان مسالة وضع المناطق العربية غربي الاردن بقيت بالنسبة لنا مسألة مفتوحة »(١١٠) ولم يكن مثل هذا التصريح يعني رفض الضم ، بل اكثر من ذلك كما ذكر مئير فلنر ، عضو الكنيست ، اثناء نقاش بيان الناطق الرسمي باسم الحكومة الاسرائيلية في جلسة الكنيست التي خصصت لهذا الشأن « ان الحكومة — عمليا — موافقة على الضم ، وفوق هذا فقد عملت الحكومة كل ما في وسعها ليعلن الضم »(١١١). وقد وافقت الكنيست في جلستها ١٩٥٠/٥/٤ على سياسة الحكومة تجاه ضم فلسطين الى شرقي الاردن(١١٢) .

الضم في الجامعة العربية

قبل ان تدخل الجيوش العربية فلسطين بوقت كاف اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قرارا بالاجماع في ١٢ نيسان ١٩٤٨ نص على « **ان دخول الجيوش العربية لفلسطين لانقاذها يجب ان ينظر اليه كتدبير مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال او التجزئة لفلسطين وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون** » . غير ان ما رسم من دور لعبد الله كان يجب ان يضعه في طرف نقيض مع ذلك القرار فقام بخطواته التدريجية في ضم الاجزاء التي احتلها الجيش الاردني الى شرق الاردن . وقد بينا في فقرة سابقة من هذه الدراسة بعض ردود الفعل العربية « الغاضبة » على مؤتمر اريحا ، غير ان هناك من الدلائل ما يشير الى ان ردود الفعل هذه لم تكن اكثر من « تسجيل موقف » علني منسجم انسجاما تظاهريا مع موقف الجماهير العربية التي كانت قد اتخذت موقفا معاديا من عبد الله وأعماله العسكرية والسياسية تجاه فلسطين . وقد ظهر ذلك جليا في خفوت الضجة الاعلامية وزوالها بعد فترة قصيرة من مؤتمر اريحا ولمدة استمرت اكثر من سنة وضعت خلالها اجراءات الضم الادارية والسياسية موضع التنفيذ . بل اكثر من ذلك فقد كشف توفيق ابو الهدى في وقت لاحق (في جلسة افتتاح مجلس الامة الاردني في نيسان ١٩٥٠) انه كان قد اجرى اتصالات في العام ١٩٤٩ مع عدد من الدول العربية ضمن فيها تأييدها لضم « الضفة الغربية » الى شرق الاردن عندما يعرض الامر على مجلس الجامعة العربية في تشرين الثاني ١٩٤٩(١١٣). ومن خلال الاطلاع على وثائق تلك الفترة يتضح انه كان ثمة تعمد لابعاد حكومة عموم فلسطين عن دورة الجامعة تلك ، وهذا التعمد يعزز ما ادعاه ابو الهدى عن التفاهم الذي حدث مع بعض الدول العربية حول الضم . وقد بدأ هذا الامر يتكشف منذ شهر اب ١٩٤٩ ، ففي الرابع منه عمم الحاج امين الحسيني مذكرة على الدول العربية « بشأن سلوك الحكومة الاردنية الشاذ في فلسطين » أوضح فيها ان المملكة الاردنية اخذت في ضم المناطق الفلسطينية التي تسيطر عليها القوات الاردنية اليها « اداريا واقتصاديا وقضائيا ، وهي اليوم شارعة في العمل لضمها اليها سياسيا وجعلها قسما منها ، وهذا امر يؤدي ليس الى حرمان الفلسطينيين من حقوقهم في الاستقلال فحسب بل الى منح بقية بلادهم الى اليهود بسخاء منقطع النظير ... والى توسيع رقعة البلاد العربية التي يسيطر عليها

الاستعمار البريطاني بموجب المعاهدة الاردنية ــ البريطانية »(١١٤)، وناشدت المذكرة « الدول العربيه الموءره التدخل لوضع حد لعبث الملكه الاردنيه بمصير عرب فلسطين وحقوقهم ومصالحهم » . وكان من الواضح انه قصد من تلك المذكره ان تكون تمهيدا لطرح المسأله في اجتماع اللجنه السياسيه للجامعة المقرر عقـده في ٢٠ اب نفسه . غير ان الامانه العامة للجامعه العربية لم توجه الدعوه الى حكومه عموم فلسطين لحضور الاجتماع على الرغم من ان هذه الحكومة « دكّرت » الامانة العامة للجامعة غير مره بحقها في ذلك واظهرت « دهشتها من عدم دعوتها »(١١٥). وقـد تكرر هـذا الامر عندما لم توجه الدعوه الى حكومة عموم فلسطين لحضور اجتماعات مجلـس جامعة الدول العربية في دورته الحاديه عشره في ١٩٤٩/١٠/١٧ ، فقد « اهملت دعوه حكومة عموم فلسطين مراعاة (شرق الاردن الذي أصر على عدم تمثيل فلسطين وعدم ضرورته ، وتمثيل وزارته لفلسطين »(١١٦). وقد ذكر ابو الهدى انه كان عازما على أن يبحث في هذه الدوره مسألة ضم فلسطين الى شرق الاردن بعد ان كان قد تفاهم على ذلك مع سوريا ولبنان والعراق ومصر . « وقد طلبت باصرار عدم اشتراك احد مـن حكومه عموم فلسطين او أي احد باسم فلسطين الى ان يبحث الموضوع بمجموعه . وقد انقضت الدورة ولم يشترك فيها احد من هؤلاء ، ولكنها انقضـت ايضا دون ان نتمكن من بحث هذا الموضوع لان لجنة خاصة الفت باسم لجنة فلسطين كان علينـا ان ننتظر درسها وتقريرها ولم يصل ذلك الا في اخر لحظه حيث امكـن بحث امـور مستعجلة اخرى وانقضت الدورة (١١٧). وكما حدث في صيف العـام نفسه احتجـت حكومة عموم فلسطين على عدم دعوتها لحضور المجلس واعتبرت « ان عدم اشتراك هذه الحكومة في مجلس الجامعة في دورته الحالية التي تبحث فيها قضية فلسطـين وتتخذ فيها قرارات حاسمة تهم الفلسطينيين قبل ان تهم سواهم وتعنيهم بالذات قبل ان تعني غيرهم ، سابقة خطيرة تضيع على عرب فلسطين حقهم الشرعي في بسـط رأيهم وقول كلمتهم في تقرير مصير بلادهم ، **وتؤيد بطريق مباشر وفي سياسة صريحة الامر الواقع الذي يمزق وحدة الوطن الفلسطيني** »(١١٨).

كان هناك صمت تواطئي اذن من جانب الدول العربية على الاجراءات التدريجيـة التي قام بها عبد الله في عملية الضم . وربما يجوز الاعتقاد بأن عدم بحث مجلـس الجامعة العربية في دورته الحادية عشرة هذه المسألة مواجهة على الرغم من تهيئـة الاجواء المناسبة باستبعاد ممثلي حكومة عموم فلسطين وتحويلها الى لجنة « لتقتلها بحثا وتمحيصا » كما جرت العادة ، هو من قبيل عدم التورط بمواقف معلنة لن تكون في كل الاحوال لمصلحة الدول العربية التي ستوافق على الضم علنا . ويقوي هـذا الاعتقاد ما اشار اليه ابو الهدى عن مقابلة تمت بينه وبين حسين سري باشا رئيس الحكومة المصرية في ١٩٤٩/١٠/١ فقد ابلغهم الاخير « انه لا يعتقد بامكان قيام دولة عربية مستقلة في فلسطين لان الاوضاع قد تغيرت والواقع لا يجعل ذلك مستطاعـا **وان من الضروري ارجاء اعلان هذا الرأي الى الوقت المناسب ، غير ان ذلك لا يمنع ان نعقد اتفاقا سريا بيننا لاعلانه وتنفيذه في الظرف المواتي** »(١١٩).

كان يمكن لهذا الصمت ان يستمر ما دامت اجراءات الضم تتم بصمت هي ايضا . غير ان نهاية العام ١٩٤٩ شهد اخر خطوات عملية الضم التي كـان يجب ان تختـتم « بالاجراء الدستوري » تعني الانتخابات النيابية التي لا يمكن الا ان تكون معلنـة . وقد ترافق ذلك مع عودة حزب الوفد الى الحكم في مصر نتيجة الانتخابات العامة التي حدثت في كانون الثاني ١٩٥٠ . وقد قاد الحزب لدى تسلمه السلطة حملة اعلاميـة عنيفة ضد عبد الله كجزء من سياسته العامة ضد السياسة البريطانية(١٢٠). وكـان

ذلك ايذانا بأن تفتح مصر (وبالتالي جامعة الدول العربية) ملف مسألة الضم من جديد خاصة وان الدورة الثانية عشرة لمجلس الجامعة كانت على الابواب .

في مطلع اذار ١٩٥٠ وجهت حكومة عموم فلسطين مذكرة الى الامانة العامة للجامعة العربية وصفت « بالعواقب الوخيمة » اغفال دعوتها الى الاشتراك في دورات مجلس الجامعة ، فأن ذلك يفسح المجال « لمن يحاولون اصطناع النطق باسم عرب فلسطين وانتحال تمثيلهم »(١٢١). وقد ذكرت « الاهـرام » « ان مفتي فلسطين طلب بالحـاح تمثيل بلاده في اجتماعات الجامعة العربية المقبلة وان رفعة النحاس باشا [رئيـس الوزراء المصري] وافق على ذلك »(١٢٢). وقد انعكست الموافقة المصرية في قـرار اتخذه مجلس الجامعة في الجلسة الثانية لانعقاده (١٩٥٠/٣/٢٧) بدعوة « حكومة عموم فلسطين لارسال ممثلها لحضور اجتماعات مجلس الجامعة وان لحكومة عموم فلسطين ان تنتخب عنها مندوبا او اثنين او ثلاثة »(١٢٣).

كان واضحا ان اتجاه سياسة مصر الوفدية الخروج بقرار من الجامعة العـربية يدين شرق الاردن مما يحرج هذه الاخيرة وهي مقدمة على اجراء انتخابات نيابية تختتم بها اجراءات الضم . ويبدو ان ذلك الموقف المصري الجديد لم يكن متوقعا من جـانب شرق الاردن ، ففي بيان اصدرته الحكومة الاردنية في اليـوم التالي لقرار الجـامعة بدعوة حكومة عموم فلسطين الى المشاركة في اعمالها بينت الحكومة الاردنية انه وصل اليها « اشارات الى اتجاهات جديدة والى وجود شيء من العزم والتصميم ، فيمـا يتعلق بأمور كانت متفقة في جميع الابحاث التي جرت بشأنها في عهد الحكومات المصرية المتتابعة منذ اواخر سنة ١٩٤٩ حيث اتفق مبدئيـا على مصـير القسمين العربيين الشرقي والجنوبي من فلسطين ، وعلى التعاون للحصول على أرض تصلهما بل وعلى مبدأ الاستفادة من ميناء غزة ، وان هذه المبادىء كانت كذلك مقبولة لدى الحكومتـين السورية واللبنانية حسبما تبين من احاديث جرت معهما في خلال شهر سبتمبر ١٩٤٩ كما كانت غير معترض عليها من الحكومة العراقية »(١٢٤). كان الموقف المصري الجديد مفاجئا لشرق الاردن « ولا سيما وقد تقرر دعوة رئيس حكومة عموم فلسطين علـى الرغم مما هو معروف من موقف هذه البلاد بشأنها » ، كما ذكر ذلك البيان ، لذلـك رأت الحكومة الاردنية « ان تكتفي بأن يمثلها لدى مجلس الجامعة وزيرهـا المفوض بالقاهرة على ان يتجنب بحث الامر الذي لا تستطيع ان تقره وان يشترك في غيره من الامور » . وكان واضحا لعبد الله ، كما في حديث له الى « التايمز » اللندنية « انـه عند النظر في المشكلة الفلسطينية فأن اي اقتراح لضم القسم العربي من فلسطين الى المملكة الاردنية الهاشمية سيلقى معارضة »(١٢٥)، وكان ذلك صحيحا باطلاق، فتأثيرات مصر في الجامعة العربية كانت بغير حاجة الى نقاش . وهكذا اقر مجلس الجـامعة العربية بجلسته السادسة في ١٩٥٠/٤/١٣ القرار التالي :

« نظر المجلس في موقف الدول العربية من المسألة الفلسطينية في وضعها الراهن وقرر ما يلي :

اولا : تأكيد القرار الذي اتخذته اللجنة السياسية باجماع الدول الاعضاء في ١٢ ابريل [نيسان] ١٩٤٨ وهو القرار الذي ينص على ان دخول الجيوش العربية لفلسطين لانقاذها يجب ان ينظر اليه كتدبير مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال او التجزئة لفلسطين وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون .

ثانيا : اعتبار هذا القرار نافذا ومعبرا عن السياسة الحالية للدول العربية في هذا الشأن .

ثالثا : اذا أخلت أية دولة من الدول العربية بهذا القرار تعتبر ناقضة لتعهدها ولاحكام ميثاق جامعة الدول العربية ، وذلك وفقا للفقرة الاولى من المادة الثانية من الميثاق وللملحق الخاص بفلسطين .

رابعا : عند وقوع هذا الاخلال تدعى اللجنة السياسية للاجتماع واتخاذ ما يلزم من اجراء وفقا لاحكام الميثاق » .

وقد اعتبر القرار الذي اتخذه مجلس الامة الاردني في ٢٤ نيسان ١٩٥٠ « بوحدة الضفتين » « اخلالا بقرار الجامعة العربية » فطلبت حكومة عموم فلسطين في اليوم التالي لاجتماع مجلس الامة الاردني « دعوة اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ... وذلك لمعالجة الحالة الخطيره التي نتجت عن القرار الذي اصدره مجلس نواب المملكه الاردنية الهاشمية يوم أمس » (١٢٦). وفي ١١ ايار ١٩٥٠ اجتمعت اللجنة وفي ١٥ منه اتخذت القرار الاتي :

« بناء على القرار الذي أصدره مجلس جامعة الدول العربية في ١٣ نيسان ١٩٥٠ ، وبناء على طلب الحكومة المصرية اجتمعت اللجنة السياسية للنظر في الموقف المترتب على ما أقدمت عليه حكومة المملكة الاردنية الهاشمية من ضم شرق فلسطين الى ارضها . وبعد مناقشة الموضوع من جميع نواحيه سجلت اللجنة باجماع الآراء ما عدا المندوب الاردني ان ما وقع من حكومة المملكة الاردنية الهاشمية هو اخلال بقرار مجلس الجامعة المؤرخ في ١٣ نيسان ١٩٥٠ السابق الاشارة اليه . ثم نظرت اللجنة في الاجراء الذي يتخذ مع حكومة المملكة الاردنية الهاشمية وفقا لاحكام ميثاق الجامعة فوافق مندوبو الجمهورية السورية والمملكة السعودية والجمهورية اللبنانية والمملكة المصرية على توصية مجلس الجامعة بفصل المملكة الاردنية من عضوية مجلس الجامعة تطبيقا للفقرة الثانية من المادة ١٨ من ميثاق الجامعة . أما مندوبا المملكة العراقية والمملكة المتوكلية فقد طلبا تأجيل الاجتماع حتى يتمكنا من الرجوع الى حكومتيهما في هذا الشأن . بناء عليه تقرر دعوة مجلس جامعة الدول العربية للاجتماع في أجل أقصاه يوم الاثنين ١٢ حزيران ١٩٥٠ لعرض الامر عليه »(١٢٧).

كان رد الفعل الاردني على القرار جلسة عقدها مجلس الامة في ١٩٥٠/٥/٢٨ قرر فيها « تمسكه المطلق بقرار الوحدة التاريخي الصادر عن مجلس الامة بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٥٠ »(١٢٨)، كذلك صدر بيان عن رئاسة الوزراء بتاريخ ١٩٥٠/٥/٣١ اعلن ان وجهة نظر حكومة المملكة الاردنية الهاشمية « انتهت ... الى اعتبار قضية الوحدة امرا منتهيا لا محل للبحث فيه »(١٢٩).

وفي ١٢ حزيران ١٩٥٠ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا في الاسكندرية (قاطعته شرق الاردن) طلبت فيه مصر مرة اخرى بطرد الاردن من الجامعة وقد أيدتها في ذلك سوريا ولبنان والسعودية ، بينما عارض ذلك العراق وطلبت اليمن مهلة من الوقت للتفكير . وبناء على اقتراح من توفيق السويدي ، رئيس الوفد العراقي، حولت جلسات المجلس لتصبح اجتماعا للجنة السياسية . وهي التي تعتبر قراراتها توصيات(١٣٠). وقد عرضت في الاجتماع صيغة لمعالجة الموضوع اعتبرت مقبولة من الجميع وقد نصت على ما يلي : « لما كانت الدول العربية قد اعلنت استمساكها بعروبة فلسطين واستقلالها وسلامة اقليمها تحقيقا لرغبات سكانها الشرعيين ورفضت كل حل يقوم على اساس تجزئتها فأن المملكة الاردنية الهاشمية تعتبر ان ضم الجزء الفلسطيني اليها انما هو اجراء اقتضته الضرورات العملية وانها تحتفظ بهذا الجزء وديعة تحت يدها على ان يكون تابعا للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير اجزائها الاخرى بكيانها الذي كانت عليه قبل العدوان ، وعلى ان تقبل في شأنه ما تقرره بالاجماع دول الجامعة العربية(١٣١).

---

١ — أنظر محاضر جلسات اجتماع القدس بين عبدالله وتشرشل (٢٨ — ٣٠ آذار ١٩٢١) في: سليمان الموسى ، **تأسيس الامارة** (عمان١٩٧٢) ص ص ١٠٤ — ١٢٩ . كذلك عن وظيفة شرقي

الاردن أنظر :
Alec Kirkbride, *A Crackle of Thorns*, (London 1956) p. 19.

٢ ــ وزارة الارشاد القومي (الهيئة العامة للاستعلامات) ، **ملف وثائق فلسطين** (القاهرة ١٩٦٩) الجزء الاول ، ص ٣٢٥ .

٣ ــ عبدالله بن الحسين ، **الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين** (بيروت ؟) ، ص‌ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

٤ ــ نص الوثيقة في **محفوظات مركز الابحاث** (بيروت) ، كذلك اورد ملخصها أنيس صايغ ، **الهاشميون والقضية الفلسطينية** (بيروت ١٩٦٦)، ص ٢٤٤ .

٥ ــ John B. Glubb, *A Soldier With the Arabs*, pp. 62-66.

٦ ــ George Kirk, *Survey of International Affairs: The Middle East 1945-1950*, (Oxford 1954), pp. 270, 271.

٧ ــ Urabi Mustafa, *The United States and Jordan*, (Ph. D. Degree thesis, American University of Washington 1966), p. 68.

٨ ــ أنيس صايغ ، المصدر المذكور ، ص ٢٣٢ ، نقلا عن
Zeef Sharef, *Three Days*, (London 1962), pp. 72-67.

كذلك أنظر :
Aqil Hyder Abidi, Jordan: *A Political Study 1948-1957*, p. 27.

٩ ــ Clinton Baily, *The Participation of the Palestinians in the Politics of Jordan(* (Thesis for the degree of Ph. D., Colombia University 1966), p. 62, Quoting: Marie Syrkin, *Golda Meir: Woman With a Cause*, (New York 1963), pp. 195, 196.

١٠ ــ Abidi, *op. cit.*, pp. 28, 29.

١١ ــ صالح صائب الجبوري ، **محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية** (بيروت ١٩٧٠) ص ١٦٢ .

١٢ ــ **المصدر نفسه** ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

١٣ ــ **النهار** ، ١٩٤٩/٢/٩ .

١٤ ــ الجبوري ، **المصدر السابق** ، ص‌ص ٣٨٣، ٣٨٤ .

١٥ ــ صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٦٩ .

١٦ ــ رسالة من : رئاسة القوة الخفيفة جنوبي القدس ، رقم القيد ٤٩/١ ، بيت لحم في ٢٩/ ١٩٤٩/٤ (**محفوظات مركز الابحاث**) .

١٧ ــ Kirk, *op. cit.*, 280, 281.

١٨ ــ **الاهرام** ، ١٩٤٨/٩/٢٦ .

١٩ ــ **مقررات المؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في عمان في ١ تشرين الاول ١٩٤٨** (مطبعة الاستقلال ، عمان).

٢٠ ــ نسخ من البرقيات في **محفوظات مركز الابحاث** .

٢١ ــ Abidi, *op. cit.*, p. 353.

٢٢ ــ نقابة المحامين الاردنية ، **موسوعة التشريع الاردني** .

٢٣ ــ **الجريدة الرسمية الاردنية** ، عدد ٩٥٩ ، ١٩٤٨/١٠/١٨ .

٢٤ ــ صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٢ .

٢٥ ــ عارف العارف ، **النكبة** (صيدا ١٩٥٩) ، الجزء الرابع ، ص ٨٧٧ .

٢٦ ــ عبدالله التل ، **كارثة فلسطين (مذكرات عبدالله التل)** (ألقاهرة ١٩٥٩)، ص‌ص ٣٧٥، ٣٧٦ .

٢٧ ــ العارف ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧٧ .

٢٨ ــ **الاهرام** ، ١٩٤٨/١٢/١٥ .

٢٩ ــ **الحياة** ، ١٩٤٨/١٢/٢ .

٣٠ ــ التل ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧٦ .

٣١ ــ **الحياة** ، ١٩٤٨/١٢/٢ .

٣٢ ــ التل ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧٧ .

٣٣ ــ **الاهرام** ، ١٩٤٨/١٢/١٥ .

٣٤ ــ التل ، **المصدر السابق** ، ص‌ص ٣٧٥ ــ ٣٧٨ .

٣٥ ــ صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٣ نقلا عن سلسلة مقالات لعجاج نويهض في مجلة **الصياد** (بيروت ، النصف الاول من ١٩٦٢) .

٣٦ ــ **الاهرام** ، ١٩٤٨/١٢/٩ .

٣٧ ــ **المصدر نفسه** .

٣٨ ــ **المصري** ، ١٩٤٨/١٢/٢٤ .

٣٩ ــ Folk Bernadotte, *To Jerusalem*, (London 1951), p. 210.

٤٠ ــ Abidi, *op. cit.*, p. 56.

٤١ ــ التل ، **المصدر السابق** ، ص‌ص ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

٤٢ ــ أنظر Menahem Mansoor, *Arab World, Political and Diplomatic His-*

tory: A Chronological Study, Volume 2, (Washington 1972), Dec. 12, 1948.

كذلك *Keesing's Contemporary Archives*, (1948 - 1950) p. 9748.

٤٣ — محمد عزة دروزة ، **القضية الفلسطينية في مختلف نواحيها** ، الجزء الثاني (صيدا — بيروت ١٩٦٠) ، ص ٢١٤ .

٤٤ — Keesing's *op. cit.*, p. 9748.

٤٥ — Mansoor, *op. cit.*, Dec. 24, 1948.

٤٦ — دروزة ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٦ .

٤٧ — Naseer Aruri, *Jordan: A Study In Political Development 1921 - 1965*, (The Hague 1972), p. 67.

٤٨ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/١/١٢ .

٤٩ — **الجيل الجديد** ، عدد ٤ ، ١٩٤٩/٤/٢٤ .

٥٠ — الجبوري، **المصدر السابق** ، ص ص ٣٦٨، ٣٦٩ .

٥١ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/٢/٢٦ .

٥٢ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/٣/٢ .

٥٣ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/٤/٢١ .

٥٤ — صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٤ .

٥٥ — **الميثاق** ، عدد ١٠ ، ١٩٤٩/٩/١٧ .

٥٦ — **الجيل الجديد** ، عدد ٩ ، ١٩٤٩/٥/٢٩ .

٥٧ — الجبوري ، **المصدر السابق** ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٢ .

٥٨ — التل ، **المصدر السابق** ، ص ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

٥٩ — Glubb, *op. cit.*, p. 192.

٦٠ — العارف ، **المصدر السابق** ، ص ٨٤٠ .

٦١ — صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٥٨ .

٦٢ — **الحياة** ، ١٩٤٩/٢/٥ .

٦٣ — **الجيل الجديد** ، عدد ١١ ، ١٩٤٩/٦/١٢ .

٦٤ — Baily, *op. cit.*, p. 130.

٦٥ — **مذكرات مجلس النواب ، ملحق الجريدة الرسمية** ، العدد ١ ، ١٩٥٠/٤/٢٩ .

٦٦ — Glubb, *op. cit.*, p. 162.

٦٧ — *Ibid*, pp. 241 - 243 and Mansoor, *op. cit.*, May 5 and 12, 1949.

٦٨ — **الحياة** ، ١٩٤٩/٢/٥ .

٦٩ — **الجيل الجديد** ، عدد ١١ ، ١٩٤٩/٦/١٢ .

٧٠ — **الجيل الجديد** ، عدد ١٣ ، ١٩٥٠/١/٣٠ .

٧١ — **الجريدة الرسمية**، عدد ٩٨١ ، ٤٩/٥/٧ .

٧٢ — **الجيل الجديد** ، عدد ٦ ، ١٩٤٩/٥/٨ .

٧٣ — **الجريدة الرسمية** ، العدد ٩٧٥ ، ١٦ آذار ١٩٤٩ .

٧٤ — **المصدر نفسه** ، العدد ٩٨٦ ، ٤٩/٦/١٦ .

٧٥ — **المصدر نفسه** ، ١٩٤٩/١١/١ .

٧٦ — **المصدر نفسه**، العدد ١٠٠٢ ، ٤٩/١٢/١ .

٧٧ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٠٠٣ ، ١٢/١٧/ ١٩٤٩ .

٧٨ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٠٠٤ ، ١٢/٢٠/ ١٩٤٩ .

٧٩ — **المصدر نفسه** ، العدد ٩٨٧ ، ٤٩/٧/١٢ .

٨٠ — **المصدر نفسه** .

٨١ — **المصدر نفسه** ، العدد ٩٨٨ ، ١٩٤٩/٧/٦ .

٨٢ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٤٩٨٤ /١٩٤٩/٦ .

٨٣ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٠٠٢ ، ١٢/١٢/ ١٩٤٩ .

٨٤ — دروزة ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠٧ .

٨٥ — **الجريدة الرسمية** ، العدد ١٠١٢ ، ١/٣/ ١٩٥٠ .

٨٦ — **المصدر نفسه**، العدد ١٠٠٦، ١٩٥٠/١/٢ .

٨٧ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٠٠٤ ، ١٢/٢٠/ ١٩٤٩ .

٨٨ — **بيان للشعب العربي الفلسطيني الكريم من الهيئة العربية العليا** ، (٢٣ شباط ١٩٥٠) ، طبع بمطبعة احياء الكتب العربية بالقاهرة .

٨٩ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/٣/١٩ .

٩٠ — **الجيل الجديد** ، العدد ١٩، ١٩٥٠/٣/١٣ .

٩١ — **الدفاع** ، ١٩٥٠/١/١٥ .

٩٢ — Kirk, *op. cit.*, p. 311.

٩٣ — Walter Z. Laquer, *Communism and Nationalism in the Middle East*, (London 1961), p. 127.

٩٤ — *Ibid*, p. 127.

٩٥ — **الجيل الجديد** ، العدد ١٢ بلا تاريخ .

٩٦ — **المصدر نفسه** ، العدد ٢٤ ، ١٩٥٠/٥/١ .

٩٧ — **المصدر نفسه** ، العدد ٢٣ ، ١٩٥٠/٤/٤ .

٩٨ — **المصدر نفسه** .

٩٩ — Baily, *op. cit.*, p. 123.

١٠٠ — Glubb, *op. cit.*, pp. 350, 351.

١٠١ — Kirk, *op. cit.*, p. 311.

١٠٢ — Abidi, *op. cit.*, p. 67.

١٠٣ — Baily, *op. cit.*, pp. 118 - 120.

١٠٤ — *Ibid*, p. 124.

١٠٥ ــ **الجريدة الرسمية** ، العدد ١٠١٨ ، ١٣/ ١٩٥٠/٤ .

١٠٦ ــ **الجيل الجديد**، العدد ٢٤، ١٩٥٠/٥/١ .

١٠٧ ــ ادارة الصحافة والنشر بعمان ، **وحدة ضفتي الاردن ، وقائع ووثائق** ، (عمان ١٩٥٠) ص ٦ .

١٠٨ ــ Marjorie M. Whiteman, *Digest of International Law*, Vol. 2, (Washington 1963), pp. 1167, 1168.

١٠٩ ــ ادارة الصحافة والنشر بعمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧ .

١١٠ ــ **محاضر الكنيست** (بالعبرية) ، الجلسة ١٢٥ للكنيست الاولى ، ٣ أيار ١٩٥٠ .

١١١ ــ **المصدر نفسه** .

١١٢ ــ Mansoor, *op. cit.*, May 4, 1950.

١١٣ ــ أنظر نص خطابه عن هذا الموضوع في : ادارة الصحافة والنشر بعمان، **المصدر السابق**، ص ص ٧ ــ ١٤ .

١١٤ ــ نسخة عن المذكرة في **محفوظات مركز الابحاث** .

١١٥ ــ بعثت حكومة عموم فلسطين بمذكرتين الى الامانة العامة بهذا الخصوص ، الاولى بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٠ ، والثانية بتاريخ ١٩٤٩/٨/٢٠ ، المذكرتان في **محفوظات مركز الابحاث** .

١١٦ ــ دروزة ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٨ .

١١٧ ــ ادارة الصحافة والنشر بعمان ، **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

١١٨ ــ مذكرة من وزارة خارجية حكومة عموم فلسطين رقم ح ع ف/٣/١٩٤٩، بتاريخ ١٠/٣٠/ ١٩٤٩ الى مجلس جامعة الدول العربية ، **محفوظات مركز الابحاث** .

١١٩ ــ ادارة الصحافة والنشر بعمان ، **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

١٢٠ ــ أنظر Kirk, *op. cit.*, p. 310.

١٢١ ــ مذكرة من وزارة خارجية حكومة عموم فلسطين رقم ح ع م /٣/ ٥٠ ، بتاريخ ١ مارس ١٩٥٠ ، الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، **محفوظات مركز الابحاث** .

١٢٢ ــ **الاهرام** ، ١٩٥٠/٣/٢١ .

١٢٣ ــ جامعة الدول العربية ، **قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين منذ الدورة الاولى حتى الدورة الخمسين** ، (القاهرة ١٩٧٠) ، ص ٨٨ .

١٢٤ ــ **الدفاع** ، ١٩٥٠/٣/٢٩ .

١٢٥ ــ **الدفاع** ، ١٩٥٠/٣/٢٨ .

١٢٦ ــ مذكرة من وزارة خارجية حكومة عموم فلسطين الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية رقم ح ع ف/٣/٥٠ بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٥٠ ، **محفوظات مركز الابحاث** .

١٢٧ ــ دروزة ، **المصدر السابق** .

١٢٨ ــ ادارة الصحافة والنشر بعمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٨ .

١٢٩ ــ **المصدر نفسه** .

١٣٠ ــ Keesing's Contemporary Archives (1950-1952), p. 10812.

١٣١ ــ دروزة ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٥ ، أنظر كذلك **الاهرام** ، ١٩٥٠/٨/٢٦ .

وسائل الاعلام الاميركية وحرب تشرين

الدكتور ميشيل سليمان

ربما كانت أهم نتائج حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل هي « تحطيم الاساطير » حول النزاع الرئيسي في الشرق الاوسط . وبالفعل ، ستجادل هذه المقالة بأن الحرب نفسها كان يمكن تجنبها لولا شيوع وقبول افتراضات خاطئة معينة بين الزعماء الاسرائيليين وانصارهم الغربيين ؛ وبخاصة الولايات المتحدة . وكما كتبت في مكان آخر ، فقد حققت اسرائيل نجاحا كبيرا (بينما فشل العرب فشلا ذريعا) في جهودها لحمل الغربيين على النظر الى الشرق الاوسط وشعوبه من خلال عيون الاسرائيليين(١) . ان ما يعنيه هذا هو ان الشعب الاميركي وزعماءه السياسيين كانوا مقتنعين ، حتى تشرين الاول ١٩٧٣ على الاقل ، بان الرواية الاسرائيلية لتطورات الشرق الاوسط هي في آن معا أكثر « موضوعية » او « واقعية » وأكثر فائدة في دفع مصالح الولايات المتحدة الى الامام في المنطقة من تقييم الحالة الذي تقدم به العرب او حتى أصدقاء اميركا من العرب . وقد حطمت حرب ١٩٧٣ الكثير من الاساطير الاميركية الرائجة حول الشرق الاوسط وقوضت تقويضا خطيرا الافتراضات المختلفة التي كانت السياسة الخارجية الاميركية ترتكز اليها . لذا من المفيد ان نبدأ بوصف وتعداد تلك الاساطير ، التي تحطم بعضها في الغرب وبين بعض الاسرائيليين .

الافتراضات الاسرائيلية والاميركية حول الشرق الاوسط

في حين ان جميع الحركات القومية هي ، بمعنى من المعاني ، محاولات في اعادة تحديد صور الشعوب عن نفسها فان الصهيونية ، الحركة القومية اليهودية خلال القرن الماضي، يكاد يكون من غير الممكن تحديدها على هذا النحو فقط. يعني ان الدافع الرئيسي وراء الحركة الصهيونية كان رغبة أساسية في تغيير الصورة التي يحملها غير اليهود عن اليهود فضلا عن الصورة التي يحملها اليهود عن أنفسهم . وتتضح الكثير من الاعمال الصهيونية والاسرائيلية في الحرب وفي السياسة الخارجية والدعاية وتصير مفهومة أكثر اذا ما نظرنا اليها من هذا المنظور .

بادىء ذي بدء ، كان التوكيد على تغيير صورة اليهودي كشيلوك ، كتاجر ومرابٍ لا يرحم . ومن هنا الحملة للعودة الى الارض ، سعيا وراء استعادة الشباب والتجدد وفرصة ليثبتوا لليهود أنفسهم ولغير اليهود ايضا انهم « مختلفون » . كذلك كان لا بد من مقاومة صورة اليهودي كجبان أو كغير مقاتل . وهنا كان يصار الى غرس قدر كبير من التشديد على « الشجاعة » و « عدم معرفة الخوف » في نفوس الشبيبة ، أحيانا الى حد فقدان العواطف الاخرى ، بما فيها المحبة واللطف(٢) . وبالاضافة الى التربية كان يصار الى اتخاذ كل تدبير وقائي ليكونوا على **يقين تام تقريبا** من النصر في أية معركة عسكرية متوقعة مع العدو . وقد انطوى هذا على ممارسة **التفوق العددي** على قوات العدو حيث كان ذلك ممكنا(٣) . ثم بعد النصر كان التكتيك هو استخدام دعاية واسعة

النطاق لنشر ما يوصف بأنه معركة بين داود وجوليات انتصر فيها « الضعيف » أو « ضحية الظلم » . وبهذه الطريقة وخلال فترة من الوقت ، أخذ الاسرائيليون والكثيرون من اليهود خارج الدولة يكسبون ثقة في قدرة الاسرائيليين على القتال وبسالتهم(٤). ولكن عندما ولّد هذا الموقف ثقة مفرطة في النفس وغطرسة ، صار الزعماء اليهود يستخفون بالعدو ، ويتجاهلون خيارات الحل الوسط الممكنة ، ويغالون في تقدير قدرة قواتهم على الرد السريع والفعال في حالة حربية ، ويستخدمون اقوالا طنانة رنانة ومبالغا فيها واحيانا كاذبة في مخاطبة شعبهم وفي مخاطبة العدو — وهو شبيه الى حد ما بالسلوك الذي بدر من بعض الزعماء العرب في ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ومرة ثانية في ١٩٦٧(٥).

واذا ما تحولنا على وجه التخصيص الى الفترة التي تسبق مباشرة حرب تشرين ، نجد ان الاسرائيليين وأنصارهم الغربيين ، وبخاصة الاميركيين ، نظروا الى الحالة على هذا النحو . لقد كان موقف الاسرائيليين من العرب داخل اسرائيل وخارجها هو موقف التشامخ ، وخصوصا بعد حرب ١٩٦٧ . فالعربي لم يكن جنديا صالحا في نظرهم ، فهو لم يكن فعالا ولا شجاعا . والامر الاكثر مدعاة للقلق هو الشعور بأن العربي في هذه الصفة وغيرها من الصفات ليس من المحتمل ان يتغير لفترة مقبلة من الوقت — هذا اذا تغير على الاطلاق . وكما لاحظ ا.ف.ستون فمن سخرية القدر ان يكون شعب قاسى قرونا من الاذلال والقمع والاضطهاد كجماعة أقلية قد ابتدأ ، حالما صار أكثرية في اسرائيل ، يطور موقف « التشامخ المزدري »(٦). والامر الاهم بكثير ما ينطوي عليه هذا من سخرية هو الخطر الذي يشكله على السلام والثمن الذي كان على الاسرائيليين أنفسهم ان يدفعوه لمثل هذا الخطأ في التقدير .

وفقا للرأي الاسرائيلي — الغربي الذي كان سائدا آنذاك ، لم يكن العربي جنديا رديئا فحسب بل ان آلة القتال العربية بأسرها كانت منظمة غير فعالة(٧). وزعم ان سبب هذا يعود الى نقص ما في البنية النفسية العربية بحيث ان اعتزاز العربي « بالفردية » وتوكيده عليها يعنيان ان العمل التعاوني في منظمات كبيرة مثل القوات المسلحة يصعب ، ان لم يكن يستحيل ، المحافظة عليه لفترات طويلة من الوقت . وبالاضافة الى ذلك ، كان هذا الرأي يستشهد بحساسية العرب للنقد ، وعدم استعدادهم لنقل الاخبار السيئة وسيطرة الولاءات البدائية (أي القبلية والعشائرية والعائلية) عوض الولاءات القومية « كدليل » اضافي على عجز العرب عن تأليف قوة مقاتلة فعالة(٨). وكان يعتقد انه اذا كان من الصعب تحقيق هذا الهدف ضمن أية دولة عربية محددة ، فمن غير الممكن توقع مثل هذا التعاون على نطاق واسع يشمل العالم العربي بأسره . وبكلام آخر ، كان من غير الممكن للعرب ان يتحدوا في معركتهم ضد اسرائيل وانصارها بصرف النظر عما اذا كان السلاح الذي وقع الاختيار عليه عسكريا او اقتصاديا ، أي النفط . وفي ما يتعلق بقضية المقاطعة النفطية بنوع خاص ، قبلت الولايات المتحدة على وجه التخصيص بالرأي الاسرائيلي القائل ان البلدان العربية المنتجة للنفط كانت «محافظة» ولن تنضم ، على الارجح ، الى الدول العربية «المتطرفة» في حظر النفط ضد الغرب . وثمة عنصر أخير يكمل الصورة القديمة للنظرة الاسرائيلية والغربية الى العرب ، وهو ان العرب لا يسعهم كتمان الاسرار . ولذا كان يجادل بأنه حتى ولو لم تكن الافتراضات الاخرى حول الاعمال العربية المحتملة ، فان أي تحضير للحرب من جانب العرب سيتسرب خبره الى الغرب والاسرائيليين(٩).

وبالاضافة الى جميع الافتراضات المغلوطة السالفة الذكر ، كان هناك افتراض ربما

فاقها جميعا من حيث الاهمية — ومع هذا كان الافتراض الذي آمن به الغرب والاسرائيليون بمزيد من الثبات واليقين . كان هذا هو الاعتقاد بأن نظرة العرب الى ما يشكل «عقلانية» في النزاع العربي — الاسرائيلي هو نفسه الذي يفهمه الاسرائيليون والغربيون . ومن هنا عدم التصديق التام من جانب الزعماء الاسرائيليين بأن مصر وسوريا شنتا هجوما كبيرا بالفعل ! ولا بد من الافتراض بأن قول رئيسة الوزراء الاسرائيلية السابقة غولدا مئير بأن العرب « مجانين » لكونهم ابتدأوا حربا كهذه كان قولا « صادقا » وقد رددته تكرارا مراقبون اسرائيليون وغربيون آخرون(١٠). وقبل اندلاع الحرب اتخذ هذا التوكيد شكل انذارات ، تهدد العرب بنكبات جديدة لا حد لها. وكان الهدف ثلاثيا : (١) لتطمين المرء وتطمين شعبه الى القوة العسكرية الهائلة للدولة الاسرائيلية — وبالتالي الى أمن السكان والمهاجرين المقبلين ، (٢) لاقناع الغرب بأنه من غير المحتمل نشوب حرب كبيرة في المنطقة وبالتالي لا داعي للغرب ، وبخاصة للولايات المتحدة ، بأن يضغط على اسرائيل لاجبارها على القيام بأية تنازلات او تسويات ، (٣) لترويع العرب بالتهديد ومنعهم من القيام بأي عمل ودفعهم الى تجنب القتال كوسيلة لاستعادة بعض اراضيهم او كلها .

وقد بثت الرسالة فوصلت بصوت مرتفع واضح . ولم يكن ثمة مجال لفجوة في الاتصال هنا . بيد انه لم يكن للرسالة الوقع الذي كان قد توقعه الاسرائيليون وانصارهم الغربيون . فوفقا لطريقة تفكيرهم ، على ما يبدو ، اذا كانت النتيجة النهائية للحرب معروفة سلفا معرفة يقينية واذا كانت تعني كارثة أكيدة وكبرى لاحد الجانبين ، فان ذلك الجانب سيكون « مجنونا » اذا ابتدأ معركة في ظروف كهذه . ولذا كان الاستنتاج الذي توصل اليه الغرب واسرائيل هو ان العرب **لن** يخوضوا حربا لانهما افترضا بأنهم ليسوا « مجانين » .

ولا حاجة الى القول ان العرب كانوا وما يزالون سليمي العقل تماما . الا ان بعض مواقفهم وسلوكهم يختلف ، بالطبع ، عن المواقف والسلوك التي توجد في الثقافات الغربية — ولهذا الامر تأثيره على الطريقة التي يتصرف العرب بها في حالة نزاع . وانه بالفعل لتعقيب كئيب على الدراسات الغربية حول العرب والشرق الاوسط بوجه عام ان تكون كل هذه الاساطير الخاطئة والمضللة الكثيرة قد نشأت او سمح لها بالاستمرار . وهكذا فانه بالفعل أمر « منطقي » و « عقلاني » في الغرب الا يقدم شخص ضعيف على بدء قتال مع فرد أقوى منه بكثير ، حتى عندما يشعر الاول ان الحق والعدل الى جانبه . غير ان هذا السلوك ليس « منطقيا » ولا « عقلانيا » في العالم العربي . ولذا اذا شعر الشخص او قيادة بلد من البلدان انهما تعرضا لخدعة او معاملة سيئة او لافتراء واهانة بوجه عام ، فان الشرف والواجب و « المنطق » تملي عليهما انْ يقاتلا ، بصرف النظر عن النتيجة ، وبكلام آخر انه من « الافضل » ، أي انه أكثر « منطقية » و « عقلانية » ، في حالة كهذه ، ان يقاتل المرء وينهزم من ان لا يقاتل على الاطلاق(١١). ولو كان الامر خلاف ذلك لكان تم قمع الفلسطينيين منذ عهد بعيد نظرا الى رجحان الكفة كثيرا ضدهم . كما ان هذا يفسر اخفاق سياسة القوة التي تنهجها اسرائيل بوصفها اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب . على انه في هذه الحال قد يكون الذين يسمون صقورا اسرائيلية ، بقيادة ديفد بن غوريون وموشي دايان وغولدا مئير ، قد فهموا سيكولوجيا العرب فهما حسنا . واذا صح هذا فان استراتيجية « العنف بوصفه اللغة الوحيدة » **لا** يقصد بها انهاء النزاع بل زيادته حدة وتزويد اسرائيل بفرصة للمزيد من التوسع والفوائد الاخرى .

وكانت النظرة الى الاسرائيليين كما أدركوها هم أنفسهم والغرب بوجه عام موضوعة جنبا الى جنب مع النظرة الاسرائيلية ـــ الغربية الى العربي قبل تشرين الاول ١٩٧٣ . كانت هذه النظرة هي الصورة المنعكسة سلبيا في مرآة لما اعتقدوا انه العربي . وهكذا كان الاسرائيليون جنودا ممتازين وابطالا ، وكانت آلتهم العسكرية بين الافضل ، ان لم تكن الافضل بالفعل ، ليس في المنطقة فحسب بل في العالم كله . وكان الجنـــود والضباط يعملون على نحو حسن معا وما من تضحية كانت أعظم من ان تبذل من أجل الدفاع عن الوطن . فالاسرائيليون ، خلافا للعرب ، الذين كان دافعهم الرئيسي هو كره الاسرائيليين ، وجدوا مصدر قوتهم في **حب** مواطنيهم وارضـــهم(١٢) . ولم تكن ثمـــة انقسامات داخل اسرائيل تضعف تصميم الشعب . وفي الواقع كان الاسرائيليون من القوة بحيث انهم ابتدأوا يقنعون الآخرين وانفسهم بأنهم لا يقهرون .

والى جانب نقل الصور السالفة الذكر عن انفسهم وجيوشهم الى الغرب ، كان ما يزال على الاسرائيليين ان يقنعوا انصارهم الغربيين بأن مصالح الغرب ســـتصان وتحسن في المنطقة ، وقد فعلوا ذلك بتقديم الحجج التالية : اولا ، العرب ضعفاء جدا (**ويدركون** انهم ضعفاء جدا) بحيث انهم لن يجازفوا بحرب رئيسية قد توجد مواجهة بين الدولتين المتفوقتين ـــ هو أمر كان الغرب يريد بكل تأكيد تجنبه . ثانيا ، ان **الوضع القائم** قبل تشرين الاول يخدم مصالح الولايات المتحدة والغرب على نحو أفضل اذ ان التسوية ، حتى ولو كانت جزئية ، ستؤدي الى فتح قناة السويس ، الامر الذي سيعزز بصورة رئيسية الوجود العسكري السوفياتي في المنطقة وحول العالم . ثالثا ، كانت اسرائيل (هي وايران) مستعدة للعمل نيابة عن الولايات المتحدة في مقاومة او قمع أية حركات او أنظمة « متطرفة » أي « مناهضة للغرب » ، في المنطقة . وبما ان العرب لا يستطيعون كتمان الاسرار ، أو ان شئت التعبير على نحو آخر ، بما ان شبكات الاستخبارات الاميركية والاسرائيلية لا يمكن ان تفشل ، فان أي عنف متوقع من الجانب العربي سيقضى عليه في المهد قبل تدويل القضية او قبل ان تشكل خطرا على ســـلام العـــالم .

ومع ان الحكومات الاوروبية بوجه عام كانت مستعدة للضغط على الاسرائيليين للتوصل الى تسوية مقبولة ما ، خاصة بالنظر الى حاجتها الاكبر الى قناة سويس عاملة وبالنظر الى اعتمادها الاعظم على النفط العربي ، فان النظرة الاسرائيلية ـــ الاميركية السائدة كانت تعتبر ان المضالح « الغربية » لا تتجزأ . ومما لا ريب فيه ان تلك المصالح كانت تشمل النفط . وكما قلت سابقا ، فان النظرة المسيطرة كانت ان العرب غير مستعدين ، أو عاجزون عن استخدام سلاح النفط بصورة فعالة . ولكن اذا استخدم **فعلا** بصورة فعالة ، فانه في الواقع لن يؤذي الغرب ، وبخاصة الولايات المتحدة . وكما كتب رتشارد ب. مانك ، وهو أحد كبار الاقتصاديين في فرقة العمل الخاصة المنبثقة عن الحكومة الاميركية لشؤون النفط في ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٠ واستاذ القـــانون والاقتصاد في جامعة ميشيغان : « يخيل الي في الخلاصة انه من غير المحتمل ان يؤدي كره سياستنا الشرق اوسطية الى حظر عام لمبيعات النفط العربي : اولا لان الولايات المتحدة لن تكون الضحية الرئيسية ، وثانيا لان اعضاء اوبيك من غير العرب سيكونون المستفيدين الرئيسيين(١٣) .

ولا حاجة الى القول انه صار من الواضح ، حالما ابتدات الحرب ، ان الولايات المتحدة وحليفاتها الغربيات لا تنظر الى مصالحها في الشرق الاوسط بالطريقة نفسها ،

اذ لا تستطيع اوروبا البقاء بمجرد الاعتماد على « التأكيدات » الاميركيـة ، وحتى الولايات المتحدة صارت تشعر بالضائقة من حظر النفط .

قبل حرب تشرين كان الاسرائيليون قد نجحوا في منع انصارهم الغربيين من القيام بأية محاولة لتحطيم الورطة واخراج الحالة من المأزق الذي وصلت اليه . وبكلام آخر أفلح الاسرائيليون في منع أي تغيير في **الوضع القائم** ، باستثناء دفع مصالحهم الخاصة الى الامام . وقد سبق لنا ان عددنا ووصفنا الاجزاء المختلفة للصيغة التي اتبعهـا الاسرائيليون بنجاح تام لتحقيق أهدافهم . وكان أحد الاجزاء الاخرى الاكثر أهميـة لتلك الصيغة هو اقناع الدول الغربية بقبول النظرة الاسرائيلية الى **طبيعة** المشكلة في الشرق الاوسط . وهكذا ، وفقا لهذه النظرة ، كانت المشكلة الاساسية هي مشكلة « لاجئين عرب » و « أمن » اسرائيلي . ويعني ذلك ، بالتالي ، ان كل قضية اخرى هي اضافية او هامشية سطحية او مصطنعة . وينتج عن هذا « المنطق » ايضا ، وفي محاولة لتعزيزه ، ان تستطيع غولدا مئير ان تعلن في لندن : « ليس هناك شيء اسمه فلسطينيون ... وليس الامر وكأنه كان هناك شعب فلسطيني في فلسطين يعتبر نفسه شعبا فلسطينيا فجئنا نحن وطردناه وأخذنا بلاده منه ، لم يكن لهم وجود »(١٤) .

واذا لم يكن ثمة شعب فلسطيني فلا حاجة بالاسرائيليين وانصارهم ، اذا ، ان يصابوا بوخز الضمير حول تشتيت شعب آخر للافساح في المجال « للدولة اليهودية » . وكذلك ، اذا كانت المشكلة هي مشكلة لاجئين **عرب** ، فان حل المشكلة يكون باعادة توطينهم بين اخوانهم خارج فلسطين او اسرائيل . والى ذلك ، بما ان الفلسطينيين لا يؤلفون أمة ، فانهم لا يحتاجون او لا يستحقون دولة خاصة بهم — وهي نظرة تستمر القيادة الاسرائيلية في تبنيها(١٥) .

يستخدم الزعماء في جميع الدول « الامن الوطني » كذريعة او تبرير لاعمال كثيرة ، الا ان « الامن » أضحى هاجسا مستحوذا على الاسرائيليين ، حتى باعترافهم أنفسهم . وفي حالة كهذه يتوجب على المراقبين الخارجيين ان يقرروا ما اذا كانت القيادة تستخدم « الامن الوطني » في انه حالة معينة لتغطية أغراض أخرى أقل مقبوليـة — أعني التوسعية . وليس من المهم هنا تقرير ما اذا كان أصدقاء اسرائيل الغربيين أدركوا وجود دافع خفي وراء الادعاء الاسرائيلي « بالامن الوطني » ، في اقامة مستوطنات عديدة في أجزاء مختلفة من الاراضي المحتلة على سبيل المثال . فالامر المهم هو أنهم لم يفعلوا شيئا لمنع قيامها . وبما ان الدول العربية **المعتدلة** ، أي الدول الموالية للغرب ، أخفقت في اثارة اهتمام الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة، في أية خطة معقولة لتحقيق انسحاب اسرائيلي وتسوية عادلة، فقد أضحت تضمينات الاعمال الغربية (أو انعدامها) واضحة ، أي ان الولايات المتحدة على وجه التخصيص لم تكن مستعدة لان تتحدى بصورة فعالة رأي الزعماء الاسرائيليين بأن الاراضي التي استولي عليها من العرب عام ١٩٦٧ تشكل أفضل أمن لاسرائيل وتخدم أفضل مصالح الولايات المتحدة كما يراها الزعماء الذين في السلطة .

الرأي الاميركي وحرب ١٩٧٣

ليس عجيبا ، اذا ، ان تكون كل من اسرائيل وانصارها الغربيين ، وبنوع خاص الولايات المتحدة ، قد باغتتهم الاحداث التي وقعت في اوائل تشرين الاول ١٩٧٣ . وأدركوا بعد فوات الاوان ان معظم الافتراضات التي ارتكزت عليهـا السـياسـة الاسرائيلية والاميركية كانت خاطئة . وهذه هي الظاهرة التي وصفتها وسائط الانباء

الاميركية بأنها « تحطيم الاساطير » حول الشرق الاوسط . على انه من المهم ان نلاحظ هنا ان وسائل الاعلام الاميركية عكست المواقف السائدة لراسمي السياسة الاسرائيلية والاميركية ، فقدمت صورة الشرق الاوسط من المنظور **القديم** لاسبوع او اسبوعين بعد بدء الحرب . ولم يحصل التغيير ، المنعكس في الجداول ادناه ، الا بعدما صار واضحا ان الخسائر الاسرائيلية مرتفعة وانه من غير المتوقع تحقيق نصر اسرائيلي سريع. وكان أحد المواضيع المهمة ، الذي لا يظهر في الجداول ، هو توكيد الصحف على ان العرب **ابتدأوا** الهجوم . وما كان هذا التشديد ليعتبر غير اعتيادي او متحيزا في الحالات الطبيعية. الا ان الانحياز الى اسرائيل يصير واضحا عندما نقابله بالوضع عام ١٩٦٧. فخلال ذلك النزاع عمدت المجلات التي هي قيد المراجعة اما الى تجاهل قضية من شن الهجوم الاول فعلا او الى « لخبطته » وتشويشه(١٦). وبيت القصيد هو انه اذا كان تحديد من الذي وجه الضربة الاولى مهما كفاية لتتكلم عنه المجلات وتشدد عليه ، فانه كان عليها ان تفعل هذا في **كلا** الحالين، والا كان عليها ان تتجاهله في **كلا** الحالين ايضا.

وتظهر الجداول بوجه عام تحيز الصحف الاميركية في روايتها للنزاع العربي — الاسرائيلي خلال العقدين الماضيين من الزمن(١٧). والادلة واضحة على ان سنة ١٩٦٧ أشارت الى انحسار التقارير الصحافية غير المتحيزة الى ادنى مستوى ، ولكن سنة ١٩٧٣ شهدت بداية التحرك نحو التوازن .

اذا نظرنا الى كل من الجدول الاول والثاني بمفرده لوجدنا ان وسائل الاعلام الغربية قد توقفت بوجه عام عن ربط العرب بحياة البداوة ومستوى التعليم المتدني او مستوى المعيشة المنخفض . الا ان الاشارات اليهم بوصفهم كاذبين ، غير صادقين او غير جديرين بالثقة ما تزال كثيرة ، وجيء ايضا على ذكر خلافاتهم والمنافسات فيما بينهم. الا ان مجلة **تايم** ، والى حد أقل مجلة **نيوزويك** ، اشارتا مرارا الى الصفات « الحسنة » للعرب خلال حرب ١٩٧٣ . كما كتبت المجلات عن أعمال العرب ونواياهم المزعومة بتفهم أكبر ، ان لم يكن بعطف ، كما يظهر الجدول رقم ٢ .

وهكذا اكتشف مراسلو **تايم** ، على الاقل ، ان العرب أيضا يتوقون الى السلام والامن . بيد ان التغيير الاهم ظهر في الاعمدة المعنونة « انجازات العرب » و « تسويغ أعمال العرب ». وباستثناء مجلتي **نيشن ونيو ريبابليك**، أخذت المجلات الاسبوعية التي هي قيد الدراسة تبدي اهتماما بوجهة النظر العربية وحساسية لها . وحملت تقارير مستفيضة عن المنجزات العربية في ساحة القتال . والامر الاكثر دلالة هو ان الاعمال او الآراء العربية سوغت على نحو واف ووضعت في سياقها الصحيح او شرحت شرحا كافيا . وهكذا تكون التقارير الصحافية جيدة بالطبع ، الا ان هذا الاجراء كان في الماضي مخصصا للتقارير الصحافية عن اسرائيل كما يمكننا ان نرى من الجدولين الرقمين ٢ و٣ . وقد طبق على كلا الجانبين عام ١٩٧٣ . واذا ما استمر هذا الاتجاه الجديد ، فان جمهور القراء الاميركي سيصير حتما أفضل اطلاعا على الشرق الاوسط ومشكلاته ، وستكون مشكلات المنطقة أقرب الى حل !

واذا تحولنا الى التغطية الصحافية الاميركية لاسرائيل أظهر لنا الجدول رقم (٤) ان **تايم** هي المجلة الوحيدة قيد الدراسة التي تشدد على صفات البطولة والاعتماد على الذات والاجتهاد في العمل والكفاءة للاسرائيليين في ١٩٧٣ . غير انه جيء ايضا على ذكر الصفات الاسرائيلية « السيئة » كانعدام استعدادهم وثقتهم الزائدة بالنفس واستخفافهم بالعدو . ونقول ثانية انه اذا كانت هذه بداية اتجاه ستتبعه **تايم** ومجلات الاخبار الاخرى ، فانه تطور مهم وصحي — وينسجم مع الهدف الاساسي للصهيونية ،

وهو تغيير صورة اليهودي بحيث يعامل (هو او هي) كانسان . بيد ان الصهيونية لفرط حماستها افلحت ، في تصاريحها **العامة** على الاقل ، في تغيير صورة اليهودي من كائن « دون البشر » الى كائن « فوق البشر » . وهذا خطأ خطير جدا ، وستستمر المشكلة قائمة بالنسبة الى اليهود وغير اليهود على السواء، في الشرق الاوسط والمناطق الاخرى ، الى ان يعامل اليهود كما تعامل جميع الكائنات البشرية — اي الى ان ينظر اليهم كبشر ذوي صفات حسنة ورديئة ، قادرين على العظمة ولكنهم قادرون ايضا على الخطأ ، مزيج من القوة والضعف ، من اللطف والوحشية ، من الشجاعة والجبن ، الخ...

الجدول رقم (٥) يعكس مدى التحسن في التقارير الصحافية الاميركية عن الشرق الاوسط في ١٩٧٣ . وهكذا لم يكن ثمة شجب للزعماء العرب — ويمثل هذا تغييرا ملحوظا عن الاعوام السابقة . في الماضي ، بالطبع ، كان الرئيس عبد الناصر ، هدفا سهلا ينحى عليه باللوم لجميع « المتاعب » في الشرق الاوسط . ويبدو ان خلفه انور السادات قد تجنب اثارة عداء وسائل الاعلام الغربية . وفي الواقع ، تلقى السادات بعض الثناء ، وان يكن ثناء ضئيلا ، من اوساط معينة . وربما كان الامر الاهم هو انه لم يتعرض لاي نقد في اعمدة افتتاحيات هذه المجلات(١٨)!

ويظهر تحليل الجداول ان وسائل الاعلام الاميركية لم توقف بحال من الاحوال كل النقد أو الشجب للدول العربية المختلفة . الا ان كمية التقارير الصحافية الموالية للعرب ، في حال **النيويورك تايمز** على الاقل ، كاد يوازي المواد المنتقدة للعرب — وهذا تحسن كبير ! كذلك في حين يستمر اعتبار انتقاد اسرائيل مجرما ، فانه واضح من جداولنا ان انخفاضا أكيدا ومهما في الموقف الموالي لاسرائيل سابقا قد حصل في ١٩٧٣، باستثناء التقارير الصحافية في مجلة **نيشن** . ومن الواضح ان تفتيت التحيز لاسرائيل لم يؤد الى كسب الموالاة للعرب . بدل ذلك ، وبحق ، تحولت وسائل الاعلام الى موقف حيادي — متوازن أكثر حول قضايا الشرق الاوسط . ولا يعني هذا ان الحالة مثالية ، بل يعني ان بداية قد تحققت في محاولة عرض العرب كبشر — وليس كمجرد أعداء لاسرائيل أو كمثيري متاعب للولايات المتحدة والغرب بوجه عام . ومع هذا يبقى من الواجب تحقيق أشياء كثيرة قبل ان تتم الصحافة واجباتها على نحو صحيح . مثال ذلك انه في حين أقرت وسائل الاعلام بوجه عام « بتحطيم الاساطير » حول الشرق الاوسط، فانها لم تكد تثير الاسئلة المهمة التالية ، ناهيك ببحثها في العمق: ١ — من الذي خلق وشجع هذه الاساطير وكيف ؟ ٢ — ماذا كانت النتائج السياسية التي ترتبت على مثل هذه الافتراضات الخاطئة ؟ ٣ — ما هي الاساطير الاخرى التي تحتاج الى تحطيم **قبل** ان يفضحها نزاع رئيسي آخر؟ ٤ — هل هناك أساطير جديدة تتطور وتزداد انتشارا ؟ ٥ — ماذا يمكن فعله لايقاف خلق الاساطير والشروع في تقديم تقارير دقيقة صحيحة عن الشرق الاوسط ؟ ٦ — الا ينبغي على المعارضة السياسية ان تنتقد وتوبخ الحكومة لاخفاقها الذريع هذا في تقييم وضع خطر في منطقة استراتيجية ؟

ان سؤالا واحدا على الاقل (هو الاول) لم يطرح لان الجواب كان معروفا ومحرجا تماما ؛ وكانت وسائل الاعلام نفسها ، كما أظهرنا ، بعلمها او بغير علمها ، وسيلة رئيسية لخلق وبث الاساطير حول الشرق الاوسط . وقد حطمت حرب ١٩٧٣ بعض هذه الاساطير الى حد ان وسائل الاعلام **اضطرت** الى الانتباه اليها . ولكن ماذا بشأن الاساطير الاخرى ؟ مما لا ريب فيه انه حان الوقت لاطلاع الشعب الاميركي على الطبيعة الحقيقية للمشكلة في الشرق الاوسط . من هم الفلسطينيون ؟ وكيف أضحى

معظمهم « لاجئين » ؟ وماذا سيحل بهم ؟ هل ان حلا من الحلول يقبلون به هو معقول وممكن التنفيذ أو حتى مرغوب به ؟ هذه أسئلة يبقى على الصحافة الاميركية ان تعالجها معالجة وافية . كذلك ، ورغم الادلة التي تناقض ذلك ، ما يزال الرأي الشائع في الولايات المتحدة هو ان « اللاجئين العرب » تركوا وطنهم في فلسطين طوعا ومن غير اكراه أو عن طريق حض الزعماء العرب في البلدان المجاورة لهم . كما انه ما يزال يعتقد بوجه عام بأن العرب مصممون على تدمير اسرائيل وقتل اليهود . والتفسير الذي يعطى عادة — وهو تفسير أسوأ حتى من الزعم نفسه — هو ان العرب يكرهون الاسرائيليين لانهم معادون لليهود بوجه عام . وبما انه لا يقال بأن الاسرائيليين يكرهون العرب ، فالتضمين هو ان الكره من جانب واحد ولا عقلاني . الا ان هذا الكره العربي المزعوم لليهود يفسر أحيانا في اطار الحسد الذي يزعم انه وليد مستوى المعيشة الادنى لدى العرب وبالإفتراض (الاسطورة) ان فلسطين كانت في الاساس صحراء قاحلة الى ان جاء اليهود وجعلوها تزهر .

هذه الفكرة بأن العرب لا قضية قوية لهم (هذا اذا كان عندهم أية قضية على الاطلاق) في نزاعهم مع اسرائيل هي فكرة واسعة الانتشار وتعرض في أشكال مختلفة . وهكذا خلال حرب ١٩٧٣ وبعدها أعربت حكومات عديدة في العالم عن استنكارها للاعمال الاسرائيلية اما عن طريق التصاريح الانتقادية العامة أو عن طريق استدعاء ممثليها الدبلوماسيين من تل ابيب . وفي كل الحالات تقريبا كان التفسير المعطى في الصحف يتفق مع الزعم الاسرائيلي بأن مثل هذا التغيير في السياسة انما يعود الى « ابتزاز » من جانب البلدان العربية . وان شئنا التعبير بطريقة أخرى ، قلنا ان هذه الحجة تزعم انه اذا ما تصرفت أية حكومة تصرفا مؤيدا للاسرائيليين ، فانها تفعل ذلك لانه العمل اللائق والصحيح . وبما ان لا قضية للعرب او يفترض بأنهم على خطأ ، فان أي عمل مؤيد لهم من قبل فرقاء ثالثين يفترض بأنه نتيجة ضغط « لا أخلاقي » او غير شرعي . وبطريقة من الطرق يفترض بأن الحقوق الشرعية للعرب والمصالح الوطنية لحكومات الفريق الثالث هي غير موجودة او غير مهمة .

وحتى في الوقت الذي كان يجري تحطيم بعض الاساطير ، راح الاسرائيليون يعملون بنشاط على نشر أساطير جديدة يقصد بها تدعيم صورتهم الذاتية وخفض درجة عدوهم . مثال ذلك ان النكسات الاولى التي تكبدتها القوات الاسرائيلية صورت على ان سببها هو الغدر العربي (أي الهجوم المفاجيء) او الاستخبارات الاميركية الخاطئة او القرار الاسرائيلي بعدم توجيه الضربة الاولى . وكان من الواضح ان هذه الحجة تهدف الى احياء او تدعيم اسطورة الاسرائيلي الذي لا يقهر والى الادعاء بأن النجاحات العربية الاولى هي غير قياسية ولا يمكن تكرارها .

وحول مسألة النفط ، صور الحظر على انه شكل من أشكال الابتزاز — وعلى حكومة الولايات المتحدة الا ترضخ له أو تعدل سياستها في الشرق الاوسط بأية طريقة من الطرق(١٩) . وفي أية حال فان فكرة المقاطعة لم تأت من العرب بل من الاتحاد السوفياتي — وفي هذه الحال ينبغي على الولايات المتحدة ان تتدخل وتحرم السوفيات من تحقيق نصر في هذه المنطقة . الا انه افترض هنا ايضا بأنه لم يكن لدى العرب ما يدعوهم الى الغضب من الولايات المتحدة . وفي الواقع لم تكن لهم أية مظلمة على الاطلاق — وانما كانوا ينفذون أوامر السوفيات فحسب ! وملاحظات ستانلي كارنو توضح هذا الرأي : « وباختصار : كان الهدف السوفياتي هو تشجيع الوحدة العربية الموجهة ضد الولايات المتحدة على أمل الحد من استيرادات النفط الاميركية »(٢٠) .

الولايات المتحدة والشرق الاوسط ــ علاقة جديدة ؟

بما اننا اكتشفنا تغيرا في تقارير المجلات الاميركية الاسبوعية عن أخبار الشرق الأوسط في حرب ١٩٧٣ ، فاننا بحاجة الى ان نسأل ما هي العوامل التي سببت التغيير وما اذا كانت عابرة زائلة أو جوهرية(٢١). لا شك في ان العرض العربي المتحسن في حرب تشرين أرغم الولايات المتحدة ، والغرب عامة ، والاسرائيليين الى حد ما ، على القيام « باعادة تقييم أليمة » للحالة ولافتراضاتهم الاساسية (أساطيرهم) المتعلقة بها . وبكلام آخر ، ايقاظهم بعنف من نومهم الطويل . وقد سبق لنا ان بحثنا هذا الوجـــه .

وبصرف النظر عن الحرب نفسها ، فان مواقف العرب والاسرائيليين والاميركيين تحتاج الى فحص من أجل ادلة ممكنة . ففي أعقاب حرب ١٩٦٧ قبلت بلدان عربية معينة (مصر والاردن على وجه التخصيص) علنا ولاول مرة بامكانية التعايش السلمي مع اسرائيل عندما التزمت بالقرار رقم ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن التابع للامم المتحدة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٦٧ . وكان هذا بالفعل تحولا رئيسيا في الموقف وتنازلا كبيرا لاسرائيل . وتبنت معظم البلدان العربية ، لا كلها قطعا ، موقف « لننتظر ونر » لتقرير ما اذا كان الاسرائيليون سينسحبون فعـــلا من الاراضي التي احتلوها عام ١٩٦٧ مقابل الاعتراف العربي. وكانت «سلبية» الاسرائيليين عينها حول هذه القضية هي التي دفعت الكثيرين من الناس ، بمن فيهم زعماء بلدان عديدة ، الى السخط على الاسرائيليين . وفيما استمر الاسرائيليون يعززون قبضتهم على الاراضي المحتلة عن طريق تشييد طرقات جديدة واقامة مستوطنات جديدة واقتراح السماح للاسرائيليين الافراد بشراء الاراضي ، صار للادعاء الاسرائيلي بأن « كل شيء قابل للتفاوض فيه » نبرة كاذبة . ومن هنا العدد الساحق من البلدان التي صوتت لشجب اسرائيل في الثاني والعشرين من آذار (مارس) ، ١٩٧٢ (لجنة الامم المتحدة حول حقوق الانسان) وفي تموز (يوليو)، ١٩٧٣ (مجلس الامن التابع للامم المتحدة). كما ان قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ، وخطة وزير الخارجية الاميركية وليم روجرز ، ومهمة غونار يارينغ أخفقت جميعها لان الاسرائيليين أظهروا أنهم يؤثرون الارض على الانسحاب ، والاعتراف على السلام . وعندما اندلعت الحرب وطال أمدها ، أشـــار الكثيرون من الصحافيين الغربيين الى التصلب الاســرائيلي السابق كســـبب جزئي للحرب . كذلك ، قطعت الكثير من البلدان الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل للسبب نفسه .

وفي وقت واحد تقريبا مع التطورات الآنفة الذكر ، كان الرأي العام الاميركي يتصلب ضد أي تورط عسكري اميركي جديد في الخارج ، بعد الاختبار الذي ترك جراحا عميقة في الفيتنام . ومع ان الاميركيين كانوا بوجه عام يشعرون بالعطف على اسرائيل ، فقد أخذوا يخشون الانجرار الى « حرب برية اخرى » في آسيا . والى ذلك لم يكن ثمة شك في انه كان بوسع اسرائيل ان تحمي نفسها بصورة أكثر من وافية ولم يكن هناك خوف من تدمير اسرائيل ومن « رمي الاسرائيليين في البحر » .

ويبدو ان عاملين آخرين ساعدا في احداث التغيير الملاحظ في الجداول المنشورة . كان العامل الاول هو الوفاق ــ أي سياسة التفاهم مع الاتحاد السوفياتي لكي تتعاون الدولتان المتفوقتان في مختلف المسائل الاقتصادية والسياسية وحتى قضايا الاسلحة الاستراتيجية . وهذه هي الاستجابة الايجابية للخوف من مواجهة نووية بين البلدين حول منطقة توجد فيها مشكلات مثل الشرق الاوسط . وبكلام آخر أخذ الكثيرون من

الاميركيين يتبنون الرأي القائل بأن الخلافات والشجارات العربية ـــ الاسرائيلية او حتى المواجهات العنيفة بينهما يجب عدم السماح لها بالتصاعد والتحول الى حـــرب نووية . والبديل هو تسوية سلمية ـــ حل وسط لا بد وان يشمل الفلسطينيين ويتطلب تنازلات تتمنع اسرائيل عن قبولها ان لم تكن غير راغبة فيها . ومن هنا التضايق من الاعمال الاسرائيلية وانتقادها . وهذا يساعد أيضا في تفسير ان الحماسة والتـــأييد لاسرائيل عام ١٩٧٣ جاءا بصورة رئيسية (وكلية تقريبا) من الجالية اليهودية الاميركية ـــ الامر الذي يظهر فرقا ملحوظا عما كانت عليه الحال عام ١٩٦٧ عندما جاء التأييد السياسي والاقتصادي والعاطفي والرمزي من جميع قطاعات المجتمع الامـــــيركي تقريبا(٢٢) .

واخيرا لعبت قضية النفط دورا غير محدد وغير أكيد في تغيير المواقف ـــ علما بأنها لعبت دورا أكثر أهمية ويقينا في تغيير السياسات الحكومية في كل من الولايات المتحدة والغرب بوجه عام .

خلاصة واستنتاجات

الفرضية الاساسية لهذا البحث هي ان البلدان الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة، بقبولها النظرة الصهيونية ـــ الاسرائيلية الى العرب والاسرائيليين وطبيعة المشكلات في الشرق الاوسط ، وجدت نفسها تصيغ سياسات ترتكز على افتراضات خـــاطئة (أساطير) . ونظرا الى اساءتها فهم الوضع ، فقد أخفقت في انتهاج سياسات ربما كانت منعت نشوب الجولة الرابعة من القتال العربي ـــ الاسرائيلي . وخلال حرب تشرين أعلن عن « تحطيم » الكثـــير من الافتراضات (الاساطير) التي كانت مقبولة سابقا . الا انه من غير المؤكد ، للاسف ، ان تكون هذه الاساطير « المحطمة » قـــد أزيلت بصورة تامة من وعي راسمي السياسة والصحافيين الغربيين ، أو على الاصح من وعيهم الباطني . والى ذلك ، فحتى وان تبين ان العديد من الافتراضات كانت خاطئة ، فان أحدا لم يقم بمحاولة شاملة لتقرير ما اذا كان ثمة افتراضات غربية **أخرى** حول الشرق الاوسط غير صحيحة . وقد تضافرت عوامل مختلفة لجعل المـــــواقف الاميركية من شعوب الشرق الاوسط والتقارير الصحافية الاميركية حول الشـــرق الاوسط أقل تحيزا (أي أقل موالاة لاسرائيل) . وسوف يستمر بعض هذه العوامل في التأثير على راسمي السياسة لتبني اقترابا أكثر « انصافا » في معالجة الاختلافات العربية الاسرائيلية . الا ان راسمي السياسة يعملون ضمن قيود معينة ، ومن بينها الرأي العام . ويستمر نشر الآراء الموالية لاسرائيل في تأليف ذلك الرأي حول الشرق الاوسط الى حد كبير . ولذلك ينبغي تطبيق محاولة السعي الى عرض أكثر تـــوازنا للحقائق حول الشرق الاوسط في جميع وسائل الاعلام : الصحافـــة ، الراديـــو ، التلفزيون ، الافلام السينمائية ، الكتب المدرسية ، الروايات الرائجة ، الخ...

الجدول رقم (١)

صفات نسبت الى العرب في مجلات امريكية معينة*

تموز — كانون الاول (يوليو — ديسمبر) ١٩٥٦ ، أيار — حزيران (مايو — يونيو) ١٩٦٧ ، وتشرين الاول — تشرين الثاني (اكتوبر — نوفمبر) ١٩٧٣

اسم المجلة	حياة البداوة			مستوى معيشة منخفض			مستوى تعليم منخفض			توجيه غير ديموقراطي			عدم الصدق وعدم الجدارة بالثقة			خلاف منافسة			صفات « حميدة »		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
النيويورك تايمز	١٢	١٥	٠	١٧	١	٠	٥	١	٠	٢	٣	٠	٠	١٨	١	١٢	٢٤	١	٤	٥	٣
يو اس نيوز اند ورلد ريبورت	٤١	٣	١	٤٢	١٥	٠	٣١	٠	٠	١٠	٠	٠	١٦	١٥	٥	٢٠	٤١	٦	٠	٥	٠
نيشن	٣	٠	٠	١٠	٠	٤	٧	٠	٢	٦	٠	٠	٤	٠	١	١	١	٠	٨	٠	٠
نيو ريبابليك	٠	٠	٠	٩	٠	٠	٤	٠	٠	٥	٠	١	٨	٢	١	٥	٣	٠	٠	٠	٠
نيوزويك	٢٤	٢	٢	١٦	٢	٥	١	٠	٠	٢	٣	٢	٠	١١	١١	٢	٩	٢	٠	١٠	١٠
تـــايم	١٨	٥	١٥	١٦	٠	٣	٢	٠	٠	١	٠	٣	١٠	٢٠	٢٥	١٨	١٠	٥	٥	١٢	٤٢
المجموع	٩٨	٢٥	١٨	١١٠	١٨	١٢	٥٠	١	٢	٢٦	٦	٦	٣٨	٦٦	٤٤	٥٨	٨٨	١٤	١٧	٣٢	٥٥

* الارقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة .

الجدول رقم (٢)

صفات تميز العرب والدول العربية في مجلات اميركية معينة*

تموز ـــ كانون الاول (يونيو ـــ ديسمبر) ١٩٥٦ ، ايار ـــ حزيران (مايو ـــ يونيو) ١٩٦٧ ، وتشرين الاول ـــ تشرين الثاني (اكتوبر ـــ نوفمبر) ١٩٧٣

المجلـــة	ذكر اللاجئين العرب			رغبة العرب في السلام والامن			انجازات العرب			اسرائيل «تسيء معاملة» العرب			تسويغ أعمال العرب		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
النيويورك تايمز	٥	١٩	٣	٠	٠	١	٢	٠	١٠	٣٦	٤	٢	٩	٤	١٣
يو اس نيوز أند ورلد ريبورت	١	١	٢	٠	٢	٠	٠	٠	١٢	٠	٨	٣	٠	+	٢٠
نيشـــن	٣	٥	٢	٠	٠	٠	٥	٠	٠	٤	١	٠	٠	٠	٠
نيو ريبابليك	٢	٣	١	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٣	١	١	٢	+	٠
نيوزويـــك	٢	١٣	٥	٠	١	٢	٠	٠	٢٤	٦	٧	٦	٠	+	٢
تـــايم	١	١٤	٢٤	٠	٠	١٤	٤	٠	٤٦	١٧	٣١	٨	٣	٨	٢٧
المجمـــوع	١٤	٥٥	٣٧	٠	٣	١٧	١١	٠	٩٤	٦٦	٥٢	٢٠	١٤	١٢	٦٢

* الارقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة .

+ لم يوضع فيها تقرير .

الجدول رقم (٣)

صفات تميز اليهود واسرائيل في مجلات اميركية معينة*

تموز — كانون الاول (يوليو — ديسمبر) ١٩٥٦ ، ايار — حزيران (مايو — يونيو) ١٩٦٧ ، وتشرين الاول — تشرين الثاني (اكتوبر — نوفمبر) ١٩٧٣

مجلات	سوء معاملة سابقة لليهود			رغبة اسرائيل في السلام والامن			انجازات اسرائيل			اسرائيل ضحية ظلم صغيرة ولكن قوية**			العرب مصممون على تدمير اسرائيل			العرب «يسيئون معاملة» اسرائيل			تسويغ أعمال اسرائيل		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
نيويورك تايمز	٣	٠	١	٣٢	٢٤	١١	١٥	٢٠	١٥	٣	١١	٣	٢٤	١٨	٣	١٢٧	٤٧	١٥	٣٦	٥٨	١٣
يو اس نيوز أند ورلد ريبورت	١	١	٣	٢١	٦	٢٠	٢٤	٤	٦	١٩	٣٤	٣	٥٠	٢٦	١٢	٦٤	٢٩	١٥	٦٠	١٩	١٧
نيشن	١٢	٠	١	١٥	٣	١٢	٩	٠	٤	٤	١	٤	٨	٧	٢	٢٥	٩	٥	٢٣	٥	١٠
ذير ريبابليك	٠	٠	٠	١٣	٠	٤	١	١	١	٤	١	١	٢٤	٢	٣	٤٩	٤	٤	١٨	٣	٥
نيوزويك	١٥	٤	٤	٣	٨	٧	١	٢	٢٧	٠	٠	٣	٢	٥	٣	١١	٢٢	٢٠	٤	٧	٣٩
تايم	٣	١٢	١٤	١١	٢٠	١٧	٩	١١	٣٧	٠	٣	٧	٩	٣٠	١٧	١٠	٤٧	٤١	١٨	٣٠	٣٦
المجموع	٣٤	١٧	٢٣	٩٥	٦١	٧١	٥٩	٤٨	٩٠	٣٠	٥٠	٢١	١١٧	٨٨	٤٠	٢٩٥	١٥٨	١٠٠	١٥٩	١٢٢	١٢٠

* الارقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة .

** هذه الفئة كانت تسمى « بين جيران معادين » في دراسة عام ١٩٥٦ .

الجدول رقم (٤)

صفات نسبت للاسرائيليين في مجلات امريكية معينة*

تموز ــ كانون الاول (يوليو ــ ديسمبر) ١٩٥٦ ، ايار ــ حزيران (مايو ــ يونيو) ١٩٦٧ ، وتشرين الاول ــ تشرين الثاني (أكتوبر ــ نوفمبر) ١٩٧٣

اسم المجلة	مستوى حديث مرتفع من التعليم			بطوليون ، يعتمدون على النفس مجتهدون ، أكفاء			صادقون ، غير حسودين			ديموقراطيون وشبيهون بالغربيين			صفات « رديئة »		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
النيويورك تايمز	٠	٠	٠	+	١٥	١	+	٦	٠	١	٠	٠	٠	٢	١
يو اس نيوز أند ورلد ريبورت	٠	٤	٠	+	٣٧	٢	+	٢	٣	٠	١	٠	٠	٢	٠
نيشن	١	٠	٢	+	١	٣	+	٠	٢	٦	٠	٠	٠	٠	٣
نيوريبابليك	٤	٠	٠	+	٧	٠	+	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠
نيوزويك	٠	٥	٠	+	٤	٥	+	٥	٣	٠	٣	٠	٠	٠	٣
تايم	٠	٩	٠	+	١٧	٢٦	+	٤	٢	٠	٠	١	٠	٣	١٩
المجموع	٥	١٨	٢	+	٨١	٣٧	+	١٧	١٠	١٠	٤	١	٠	٧	٢٦

* الارقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة .

+ لم يوضع فيها تقرير .

الجدول رقم (٥)

النسبة المئوية للمواد من جميع التقارير الصحافية حول الشرق الاوسط
في مجلات اميركية معينة*

تموز — كانون الاول (يوليو — ديسمبر) ١٩٥٦ ، ايار — حزيران (مايو — يونيو)
١٩٦٧ ، وتشرين الاول — تشرين الثاني (اكتوبر — نوفمبر) ١٩٧٣

المجلات	مؤيدة لزعيم عربي			مؤيدة للعرب			مؤيدة لاسرائيل			مؤيدة للغرب			ضد زعيم عربي			ضد العرب		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
النيويورك تايمز	٠٪	٠٪	٤٪	١٪	٠٪	١١٪	٨٪	٣١٪	١٦٪	٦٪	١٢٪	٢٪	١٢٪	٣١٪	٠٪	١٪	١٢٪	١٦٪
يو اس نيوز أند ورلد ريبورت	٢	٢	٧	٣	٠	٣	١٦	٤٠	١٦	١٨	٠	٣	٤٤	٣٠	٠	٨	٢٦	١٦
نيشـــن	٠	٠	٠	٦	٠	٠	٢٢	٠	٥٧	١٨	٠	٠	٦	٦٠	٠	٣	٢٠	١٤
نيو ريبابليك	٠	٠	٠	٦	٠	٠	١٥	٣٣	١٣	٢	٠	٠	١١	٣٣	٠	١٥	١٧	٥٠
نيوزويـــك	٠	٠	٠	١	٤	٠	٨	٣٧	١٥	١٤	٠	٠	٢٠	٤٤	٠	٣	٧	١٥
تـــايم	١	٠	٩	٠	٠	٢	١	٥٠	١٧	١٠	١٠	٠	٩	١٠	٠	٥	٥٠	١٣
النسبة المئوية المتوسطة	٠٫٥	٠٫٨	٤٫٥	١٫٨	١٫٧	٣٫٩	٩٫٥	٣٥٫٩	١٧٫٣	١٠٫٨	٣٫٤	١٫١	١٨	٣٣	٠	٤	١٩	١٦

المجلة	ضد أسرائيل			ضد البلدان الغربية			ضد الاتحاد السوفياتي			متوازن			محايد			مجموع عدد المواد		
	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣	٥٦	٦٧	٧٣
النيويورك تايمز	٠٪	٠٪	٠٪	٠٪	٪	٤٪	+	٠٪	٤٪	٥٧٪	٢٣٪	٢٩٪	٢٣٪	٨٪	٣٦٪	١٨٧	٢٦	٤٥
يو اس نيوز أند ورلد ريبورت	٣	٢	٠	٦	٢	٠	+	٩	١٣	١٧	٢	٢٣	٢٨	١٩	٣٢	١٠٠	٤٣	٣١
نيشـــن	٠	٠	٠	٣٣	٠	٠	+	٤٠	٠	١٩	٠	٢٩	١٦	٢٠	١٤	٣١	٥	٧
نيو ريبابليك	٠	٠	٠	٤	٣٣	٠	+	١٧	٥٠	٢٦	٠	١٣	٢٦	٠	٢٥	٤١	٦	٨
نيوزويك	٠	١٥	٢	٢	٤	٠	+	١٥٠	٢	٣١	٠	٤٢	٤٢	١١	٣٧	١٠٣	٢٧	٤١
تـــايم	١	٠	٠	٥	١٠	٠	+	١٠	٠	٤٦	٠	٢٣	٢٤	٠	٤٥	٩٥	١٠	٤٧
النسبة المئوية المتوسطة	٠٫٧	٤	٠٫٦	٤٫٥	٥	١	+	١٠	٦	٣٩	٦	٢٨٫٥	٢٧٫٥	١٢	٣٦٫٣			

* ما عدا العمود الى اقصى اليسار والصف الاسفل ، فان جميع الارقام تشير الى النسبة المئوية (في عدد المواد) من التغطية الصحافية لكل فئة .
واذا ما جمعت افقيا ، فان المجموع يزيد على ١٠٠ بالمئة لان المادة نفسها يمكن ان تكون مؤيدة لفريق وضد فريق آخر .
+ لم يوضع فيها تقرير .

الحواشي :

١ — Michel Suleiman, «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict», *Journal of Palestine Studies*, Vol.III, No.3, (Spring, 1974), pp. 109-121.

٢ — أنظر: Yael Dayan, *Envy the Frightened* (London: Widenfeld and Nicholson, 1961).

٣ — لاجل ارقام حول عدد قوات كل جانب عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ ، أنظر :

John Bagot Glub, *A Soldier With the Arabs*, (London: Hodder and Stoughton, 1957), pp. 94-95; Peter Young, *The Israeli Campaign, 1967*, (London: William Kimber, 1967); and Edgar O'Ballance, *The Arab Israeli War, 1948* (New York: Praeger, 1957), and *The Third Arab-Israeli War*, (Hampen, Conn.: Archon Books, 1972).

ولاجل روايات مراقبي الهدنة التابعين للامم المتحدة والمتقاعدين عما يسمى غارات انتقامية وعن العنف العربي — الاسرائيلي بوجه عام ، أنظر :

E. H. Hutchinson, *Violent Truce* (New York: Devin-Adair Co., 1956); Carl Von Horn, *Soldiering for Peace*, (New York: David McKay, 1966), pp. 71-139; E. L. M. Burns, *Between Arab and Israeli* (London: George C. Harrap, 1962).

٤ — تجدر الملاحظة انه في حين أخذ بعض الغربيين في النظر الى الاسرائيليين « كجنود جيدين » او على انهم «مشربون بالروح العسكرية الحربية»، فان الفكرة نفسها لا تنتقل الى اليهود بوجه عام ، أنظر Michel W. Suleiman, «The Middle East in American High School Curricula: A Kansas Case Study», *Middle East Studies Association Bulletin*, Vol. 8, No. 2 (May, 1974), pp. 8-19.

٥ — وردت الملاحظة ذاتها في «A War that Broke the Myths», *News Week*, October 22, 1973, p. 60.

٦ — I.F. Stone, *In A Time of Torment* (New York: Random House, 1967), p. 438.

٧ — أنظر : Terence Smith, «The October War Changed Everything: The First Israeli Revolution», *New York Times Magazine*, (Compact Edition), December 30, 1973, pp. 120-121, 129-131.

وقبل ذلك كان المؤلف نفسه قد كتب يقول : « لقد مالوا (أي الاسرائيليون) أكثر فاكثر الى تجاهل العرب بوصفهم جنودا رديئين قد يحسنون معداتهم تدريجيا ولكنهم لن يستطيعوا ابدا ان يجعلوا من أنفسهم قوة مقاتلة فعالة » . أنظر : «Explosions on Two Fronts», *New York Times*, October 14, 1973, Section E. p. 3.

٨ — لشرح هذه الآراء ، انظر :

Sania Hamady, *Temperament and Character of the Arabs* (New York: Twayne Publishers, 1960); Y. Harkabi, «Basic Factors in the Arab Collapse During the Six-Day War», *Orbis*, Vol. XI, No. 3, (Fall, 1967), pp. 677-691; and, to a Lesser Extent, Morroe Berger, *The Arab World Today* (New York: Anchor Books, 1964). For a Critique of These Views and Others as Well as the «Methodology», Benjamin Beit-Hallahmi, «Some Psychological and Cultural Factors in the Arab-Israeli Conflict: A Review of the Literature», *Journal of Conflict Resolution*, Vol. 16, No. 2 (June, 1972), pp. 269-280.

٩ — «The War that Broke the Myths», *Newsweek, op. cit.*, p. 60.

١٠ — وفقا لرسالة اخبارية نشرتها مجلة **يو اس نيوز أند ورلد ريبورت** ، في ٢٢ تشرين الاول ، ص ٢٧ ، فقد « شك الكثيرون من المراقبين العسكريين في حكمة القرار المصري تحطيم وقف النار الذي ابتدأ في آذار (مارس) ، ١٩٧٠ والذي حافظ على سلام ضعيف في الشرق الاوسط ، **لقد سماها البعض (نزوة انتحارية)** » (التشديد غير وارد في الاصل).

١١ — هذا المفهوم يبدو « غريبا » تماما و « غير منطقي » بالنسبة الى الغربيين . وقد رفض أحد مراسلي **نيوزويك** اعتباره « طبيعيا » او « عقلانيا » ، ووصفه بأنه « يأس مفض الى التهور ». كما في الاقتباس التالي : « ربما كان هناك عنصر يأس مفض الى التهور في التحرك العربي . وعندما سئل وزير الخارجية المصرية محمد حسن الزيات اذا كان باستطاعة العرب

الانتصار ، قال : « بصراحة ، كلا ، ولكنك لا تناضل لان النجاح مضمون لك . بل تناضل لانك على حق » . **نيوزويك** ، ١٥ تشرين الاول ، ص ٤١ .

١٢ — هيربرت كروزني ، مراسل مجلة **نيشن** في اسرائيل ، يكتب في العدد الصادر في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣ من مجلته ، ويستشهد بقول جندي اسرائيلي عن الجنود المصريين : « انهم مجرد سذج مساكين » . ومن ثم يصف السيد كروزني الجنرال الاسرائيلي بانه ذكي و « مستعد للقيام بتلك المهمة ، مضحيا حتى بالحياة ، بما فيها حياته هو » . وقد فوجيء السيد كروزني بمدى « عمق روح الحب الشديد للبلاد » . والجندي الاسرائيلي ، وفقا لهذه الرواية ايضا ، « يبغض الحرب ... وربما كان كرهه للحرب هو الذي يدفعه الى خوضها على هذا النحو الحسن » . **في نفس المكان** ، ص ٥٥١ . ولا معنى للملاحظة الاخيرة ، حتى كاعتذار عما قد يبدو من « حب للحرب » لدى الاسرائيليين .

١٣ — Richard B. Mancke, «Blackmail by Oil», *New Republic*, October 20, 1973, p. 9.

١٤ — من مقابلة اجراها فرانك جايلز مع غولدا مئير ، **الصنداي تايمز** (لندن) ، ١٥ حزيران (يونيو) ، ١٩٦٩ .

١٥ — أنظر اول خطاب لاسحق رابين كرئيس وزراء لاسرائيل في الكنيست في ٣ حزيران ١٩٧٤ ، في *Middle East Monitor*, Vol. IV, No. 12, June 1974, pp. 4-6.

١٦ — Michael W. Suleiman, «American Mass Media and the June Conflict», in Ibrahim Abu Lughod, Ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967; an Arab Perspective* (Evanston, III: Northwestern University Press, 1970), pp. 138-154.

١٧ — المنهجية Methodology المتبعة في الثلاث مفصلة في Michael W. Suleiman, «an Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines. July-December, 1956», (University of Wisconsin, Madison, M. A. Thesis, 1961).

١٨ — من ١١ افتتاحية (٥ منها في **النيويورك تايمز**، ٣ في **نيشن** ، و٣ في نيو ريبابليك) ، كانت اثنتان فقط (في **النيويورك تايمز**) تنطويان على انتقاد للدول العربية . ولم تتعرض اسرائيل لاي انتقاد .

١٩ — أنظر مجلة **تايم** ، ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٣ ، ص ٨٨—٩٥ ، والافتتاحية في **النيويورك تايمز** ، ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٣ .

٢٠ — Stanley Karnow, «Russion Roulette», *New Republic*, October 27, 1973, p. 13.

٢١ — بحث الاسباب المحتملة للتغير في المواقف الامريكية ظهر في مجلة **تايم** ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٣ ، ص ٥٢ ، ٥٤ ، و**نيوزويك** ، ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٣ ، ص ٥٤ .

٢٢ — أنظر **تايم** ، ٢٩ تشرين الاول ، ص ٥٢ ، ٥٤—٥٦ .

رمزية الدلالة في رواية القضية الفلسطينية

صالح ابو اصبع

نعني برمزية الدلالة هنا : تلك المعالجات الجزئية التي استخدمت الرمز — من خلال ما يمتلكه من قمة ايحاء — ليعمل على توضيح فكرة أو موقف أو للمساهمة في تفسير الرمز العام في الرواية الرمزية الخالصة . وجاءت تلك المعالجات الرمزية جزئية في الرواية ، واكتسبت اهميتها لما في دلالاتها الرمزية من القدرة على توصيل الافكار وتوضيح المعاني والمواقف . ورمزية الدلالة في الرواية لها دوران :

اولا : الدلالة الرمزية التي تساعد على فهم الرمز العام في الرواية الرمزية الخالصة كما جاء في روايتي « الكابوس » و« ستة أيام » .

ثانيا : الدلالة الرمزية التي جاءت تعبيرا عن فكرة او موقف واستعمالها جاء : اما لانها تعبر عن موقف لا يجوز الحديث عليه صراحة لان فيه ما يخدش الحياء والتقاليد مثل الحديث عن الامور الجنسية . كما جاء في « ستة أيام » او جاء تعبيرا عن معان سياسية قد تسيء الى الكاتب او تعرضه لبطش السلطات كما في رواية « أنت منذ اليوم » . واما ان يأتي الكاتب بالرمز معاونا لتوضيح الفكرة والمعنى وجلاء الموقف . . . مثل ما جاء في (الابتر) و (عودة الطائر الى البحر) و (عرس فلسطيني) و (المزامير) .

والدلالة الرمزية اما ان تكون شفافة سهلة الادراك حيث يقوم الكاتب بتوضيح ابعادها كما جاء في (عودة الطائر الى البحر) و(عرس فلسطيني) أو أن يترك الرمز دون تفسير ولكن دلالاته تكون كافية لتوضيح مراميه ، كما في رواية « انت منذ اليوم » مثل استخدامه لرموز (هجير) ، (عربي) ، (الزعيم) والنوع الثالث يصبح رموزا أو تهويمات خيالية صعبة الفهم والادراك، مثل بعض استخدامات الرمز في «المزامير» .

دلالة الرمز على فكرة او موقف :

استخدمت الدلالة الرمزية لتساعد على جلاء فكرة او موقف في الروايات التالية : ١) الابتر — ممدوح عدوان ٢) أنت منذ اليوم — تيسير سبول ٣) عودة الطائر الى البحر — حليم بركات . ٤) عرس فلسطيني — اديب نحوي . ٥) ستة أيام — حليم بركات . ٦) الكابوس — امين شنار .

ففي رواية (**الابتر**) تقابلنا الصخرة الغريبة التي ضربت (شروشها) في الارض ويعمل العجوز على اجتثاثها . والصخرة رمز للوجود الاسرائيلي في الارض العربية . واقتلاعها رمز لانهاء هذا الوجود . وبقاء الصخرة في الارض يعني قتل الارض وقتل اراض أخرى . بمعنى آخر وجود اسرائيلي في الاراضي التي احتلتها انما هو تهديد لوجود الوطن العربي كله . « هذه الصخرة اللعينة ، كيف سأرفعها ؟ كان يستطيع ان يدور بالساقية حولها . الا انه حين حسها في البدء بضربتين خفيفتين بالفأس تراءت له سهلة الاقتلاع ، لكنه عمل بها أمس أكثر من ساعة . وها هو اليوم يجهد نفسه بها

دون فائدة . ولم يمل . لن ادور بالساقية حولها . لماذا أبقيها في أرضي واقتل أرضا أخرى بالساقية ؟ »(١) .

وتتضح دلالة الرمز حينما يقول : « آه لو كنت شابا . وتذكر الصخرة . لو كنت شابا لرفعت الصخرة . لكنني سأرفعها . هذه الصخرة ضربت شروشها في الارض لانها تركت هناك منذ زمن طويل جاءت من مكان ما . سقطت ، ربما ، من الجبل ثم ساعدها اهمالنا لها على ان تصبح قسما من الارض وعلى ان تعذبني نهارا كاملا »(٢) .

فالصخرة اذن غريبة عن الارض ، وأصبحت جزءا من الارض لاهمال أصحاب الارض ، تماما كالوجود الصهيوني ، الذي تسلل الى فلسطين وساعد اهمال الشعب العربي على رسوخه في الارض واستيلائه عليها . وفي (المزامير) رمز يقترب من الصورة السالفة يرينا كيف تسلل اليهود الى فلسطين .

« وساد الصمت ، مرة اخرى ، تذكرنا راشيل .. جاءت منذ ثلاثة أعوام مع اسرتها ، وأقاموا في طرف المدينة يصنعون السلال لاصحاب البيارات . ثم مضت الايام ، أقاموا محلا لبيع الحلوى للاطفال ومشروبات للكبار . وانضم اليهم اخرون ، وتاجروا في أشياء كثيرة منها ما يباع همسا لا نسمعه نحن الصغار ، وسرعان ما أصبحوا أغنياء يملكون بيارة وسيارة وخمارة »(٣) . (فراشيل) اسمها واضح الدلالة كرمز لليهود ، وامتلاكهم للبيارة والسيارة والخمارة ، دليل على صورة الاهمال التي لقيها اليهود في بداية تسللهم الى فلسطين واستيلائهم على اراضيها .

ونلتقي بصورة رمزية لتسللهم الى فلسطين في رواية (الكابوس) التي تعتبرهم غرباء كما كانت الصخرة غريبة عن الارض في رواية (الابتر) « لقد ظهر هذا الرجل في أزقة قريتنا فجأة . لا نعرف من أين جاء ولا نعرف ماذا يفعل في وجه التحديد . ولا نعرف لماذا سكت عنه الشيخ الكبير ولم يطرده ، حتى الان ، كما كان الناس يتوقعون . »

أغلب الظن ان هذا الرجل الغريب قدم من وراء الجبل ، فهو وان كان يتكلم بلساننا ويتقن لهجتنا الا انه ليس منا . يزعم ان اسمه موسى . لكن ما اسم ابيه ؟ وما اسم جده ؟ ولماذا لا يعرف المسنون من أهل القرية أباه وجده ، اذا كان ما يزعمه حقا من انه من مواليد قريتنا وسافر مهاجرا منها ثم عاد ، لا . لا .. انه كاذب . وروايته هذه مختلقة ، كي يندس بها بين الناس »(٤) .

فالرجل الغريب — موسى — هو اليهودي .. واسمه يحوي دلالة بينة ، وهو غريب عن هذه الارض التي يدعي ان له حقا تاريخيا بها .

وفي رواية (الابتر) نلتقي برمز دال على انبثاق فجر جديد للحياة من خلال الموت نفسه كما يقول العجوز في الابتر : « كان عليهم ان يعيشوا قدر ما عشت ليعرفوا الحياة على حقيقتها .. ليعرفوا كيف جاءت ثلجة الاربعين فلم تترك اخضر على وجه الارض وكيف نما الشجر من جديد . المهم أن الجذور كانت ما تزال في التربة »(٥) .

ويتحدث (ممدوح عدوان) عن الامل في الانتصار يوما ما . حيث ان الحياة تخرج من حضن الموت . وان الموسم المحروق يصبح سمادا يخصب الارض : « ان الارض المدللة مقهورة ، وانها تلبس الحداد ، التراب باق لن يستطيعوا احراق التراب ، هذا الموسم المحروق سيصبح سمادا وستصبح الارض أكثر خصبا »(٦) .

وسبق « حليم بركات » (ممدوح عدوان) في استخدام الرمز نفسه حينما يتحدث حليم بركات عن البلدة المحترقة التي تصبح رمادا ، وكل من الرماد عند حليم بركات ،

والسماد عند (عدوان) يخصب الارض وهذا يعني انبثاق الحياة من الموت ، والنصر من الهزيمة « الضابط يقول ساخرا ... بعد قليل تتحول الى رماد .

ـــ الرماد يخصب الارض .

ـــ فنستغلها نحن .

ـــ لوقت قصير . ولكن كنت أتحدث عن شيء آخر »(٧) .

نلتقي في (**ستة ايام**) بدلالات رمزية أخرى ، فالتخلف الحضاري رمز له بالساعة المتوقفة ، منذ زمن في دير البحر ، « عقربا الساعة الكبيرة لا يتحركان »(٨) . ويستخدم حليم بركات الرمزية دلالة على الاتصال الجنسي « السارية تنشك في الرمل . يتسلق القمة بوحشية . يتمهل . يجب ان يصلا الى القمة معا . ويقول : نصل الى القمة معا »(٩) .

تقابلنا في رواية (**عرس فلسطيني**) دلالات رمزية . وحينما يستنطق اللاجئون (السيل الغادر) الذي جرف المخيم وأطفاله ، وجرف فاطمة مع من جرف . فان السيل الغادر يصبح ليس مجرد طوفان ، يغمر مخيم اللاجئين ، فيجرف اطفالهم . بل يصبح رمزا للوجود الصهيوني كله الذي جرف الفلسطينيين من فلسطينهم ، وحاول ان يقضي عليهم تماما . وكان ارتباطهم بالارض يمثله ارتباط أم فاطمة هنا ، فتندفع لمنع السيل من تحقيق أهدافه ، فظلت فاطمة باقية رمزا للصمود واصبحت بقايا ثوبها ، هي راية البصاويين أو هي راية اللاجئين ، لانها راية المقاومة . ويحكي لنا السيل كيف ان ام فاطمة انقذت ابنتها فاطمة لتكون رمزا لبقاء الفلسطينيين ومقاومتهم « لكنها كانت قد أصبحت هي والصخرتان صخرة واحدة . قلت ألقي بثقلي فوق يدها فقط ، حيث كانت تتدلى منها البنت فوق الهاوية ، علني أستطيع اقتلاعها من بين أصابعها . لا فائدة . كأنها نبتت هناك ، فجأة ، شجرة ، عمق جذرها في الارض مسافة لم أفهمها . لا يستطيع موجي اقتلاع الاشجار ذات الجذور العميقة باللاجئين . لا يستطيع فهل تقولوا لي من أين نبتت يد المغدورة ، تتحداني طيلة ليلة الطوفان فلا أستطيع أن اقتلع جذورها من الارض ، ولا حتى أن اسقط عن غصنها الثمرة ! هل تقولون لي يا لاجئون ، عن المسافة ؟ مسافة ما بين يد ام فاطمة وما بين جذورها، كم تبلغ ؟ لا أعرف لماذا أنني رغم كل جبروتي ، لم أستطع ان اقتلعها من وراء الصخور والقي بها الى الوادي ، ولا ان أسقط من غصنها ، الثمرة (١٠). فدلالات الرمز هنا واضحة : السيل الذي يرمز الى العدو الصهيوني ، وام فاطمة تمثل الصمود والمقاومة وفاطمة تمثل الامل والوجود الفلسطيني نفسه . وتتضح دلالة الرمز تماما حينما يفسره لنا الكاتب .

قالوا : نعرفه . فهذا ثوب فاطمة التي كانت تلبسه ليلة الطوفان .

قال : « لا . بل هذه رايتكم يا بصاويون . ومن يد أم فاطمة ، رغم السيل والويل والليل ، لم تسقط الى الوادي »(١١) . وفي نفس الرواية نشاهد احتفال عرس فهد ، حيث علقوا ثلاثا وعشرين لمبة كهرباء صغيرة . بعدد سنوات عمر فهد ، ولمبة كبيرة فوق العلم وفوق خارطة فلسطين « فبين العمودين ، مدوا شريطا طويلا . وفي الشريط الطويل ، علقوا ثلاثا وعشرين لمبة كهرباء صغيرة » .

قالوا :

بعدد سنوات عمر فهد . فكأننا الليلة ، نحتفل أيضا بعيد ميلاده . وعلى العمود المرتفع . نصبوا العلم ، وعلقوا ، فوق العلم ، في رأس العمود ، لمبة كهرباء كبيرة ...

كبيرة ... خارطة فلسطين . مرسومة على لوحة كبيرة : انها عربية »(١٢)... وتأخذ اللمبات دلالتها الرمزية ، حينما تبدأ « فاطمة » حبيبة فهد ، باطفاء لمبات سنوات عمر فهد ، وكأنها تطفىء شمعات عيد ميلاده . فما كان من اللمبة الكبيرة ، لمبة العلم وخارطة فلسطين الا ان توهجت . والدلالة الرمزية هنا واضحة : ان انطفاء لمبات عمر فهد ، انطفاء شمعات عيد ميلاده ، وهي في ذات الوقت اضاءة للمبة فلسطين الكبيرة — بمعنى اخر : ان استشهاد فهد ، فيه حياة فلسطين .

« لكن احدا من اللاجئين . ولا من الضيوف . ولا من رفاق فهد . كان قد انتبه الى لمبة فلسطين الكبيرة ، التي كانت تزداد توهجا ، فوق الساحة ، كلما انطفأت سنة من عمر فهد . فعندما انطفأت لمبات فهد الثلاث والعشرون ووصلت اليها ، كل طاقة الكهرباء المخصصة لانارة المخيم ، اذ لم يكن احد من اللاجئين ، يستهلك منها اي ذرة من النور . يا سلام ! فانها توهجت . وتوهجت بنور لم يشاهد مثله اللاجئون من قبل ، في هذا المخيم . بنور يشبه الان ، بقوته وتألقه نور النهار »(١٣) .

ورواية (**أنت منذ اليوم**) رواية غنية بالدلالات الرمزية وغناها جاء من طبيعة مضمونها السياسي الذي فرض على الكاتب استخدام الدلالات الرمزية امثال عربي — هجير — الزعيم — الحزب — الجنرال .. في الرواية نلتقي مع « عربي » وهو رمز لكل عربي يحكي الراوي لنا عنه احيانا . ويحكي هو عن نفسه ، وعن مشاهداته وتجاربه ، احيانا اخرى . وكل ما يحكيه ويشاهده التقطه الكاتب بعناية بالغة . لا يكاد تربطه اي صورة منطقية أو أي علاقة سببية . ولكن الرابط كان غير ذلك ، متمثلا بالحالة النفسية لعربي ، ان الرابط هو الحياة الحقيقية لعربي يعيش حياة امة مهزومة .

انت منذ اليوم قد عمدت حزبيا ، وماذا بعد اليوم ؟ حاول الكاتب بأسلوب الرواية الجديدة ان يتحدث عن ذلك التمزق الذي أصاب الامة العربية وتلك المشاكل التي صنعت النكسة . هناك ازمة الحزبية وتعصبها . وازمة الجنس ، وازمة القيادات التي أعطت أوامر الانسحاب ، ازمة المحارب الذي أصبح له كرش ويسرق عهدة الجيش وأزمة الضجيج الاعلامي الزائف . أزمة الانقلابات والانقلابيين الذين يفلسفون كل شيء . وصور لنا أزمة الديمقراطية التي نعانيها . لقد صور الكاتب هنا الانسان العربي ، وهو يعيش الواقع العربي . ان هذا الانسان انسان الانفصال ، وانسان الانظمة المباحثية الارهابية ، وانسان النكسة أيضا . وعربي هو هذا الانسان الذي عمد حزبيا ، في (الاردن) وعاش طالبا جامعيا في هجير (دمشق) بلا قناعات بالحزب . وحينما سقطت الوحدة ، كان يرى عكس ما يراه الحزب . ويعود الى بلده ، ليجد ان حركاته مرصودة من رفاقه في الحزب ، الذين كانوا عيونا للسلطة . ورغم تلك الامراض ، تكون فلسطين محورها ، ومحور كل الازمات . ويظل هناك الامل بالنصر والفرحة بالحرب لتغسل عار الامة العربية ، وتحل الهزيمة في حرب حزيران ٦٧ ، ولا يمتلك عربي الا ان يقف ليتفرج ، على مأساة بلاده . اهناك ضعف أقسى من هذا الضعف ؟! الم يكن الانسان العربي جديرا بأن يسقط في بئر اسمه النكسة ؟ . هذا ما تجيب عنه الرواية .

هذا المضمون الثائر الذي يدين الوجود السياسي والاجتماعي العربي كان لا بد للكاتب ان يستخدم الرمز للتعبير عنه ولم يكن بمقدوره ان يقول ما يريده صراحة ، في مجتمعات تخلو من حرية الكلمة ، وليس للانسان فيها كرامة .

أول هذه الدلالات الرمزية كما أشرنا هو اسم بطل الرواية . لقد اختاره الكاتب

ليكون دالا بكل ما تحمل أحرفه من معاني : عربي هذا هو الاسم ، الذي نلتقي بـــه ليتحدث بضمير المتكلم في بداية الرواية ثم يتحدث لنا الراوي عنه بعد ذلك « بينما كان خطباء الحزب يحددون أعداء الامة ويرسمون معالم الوحدة العربية الصحيحة ، جلسا يشربان العرق في البار الصغير الذي ليس أكثر من غرفة شحيحة الضوء . لغير ما سبب واضح يفضل عربي هذا البار »(١٤).

و (**هجير**) هي رمز لدمشق(١٥) والدلالات التي تشير الى ذلك كثيرة ويكفي ان تكون هجـــير هي المدينة التي وقع فيها الانفصال لتكون دالة على دمشق . « وفيما كان عربي يتناول طعام الغذاء ، في مطعم الطلاب الصغير المكتظ، أعلن المذيع ان الانقلابيين سيعارضون الزعيم لتصحيح الاخطاء . ففرح بعض الشعب وابتأس بعض الشعب . وصمت كثيرون غير ان المذيع طالب الناس الا يحزنوا . ووعد بوحدة صحيحة تقوم بين كل العرب »(١٦). و« **الزعيم** » في الرواية هو جمال عبد الناصر الـــذي يقول عنـــه الانقلابيون : (لسنا ضد الزعيم بل ضد الحاشية المستغلة التي قادت الانحراف)(١٧) « في الشوارع حمل بعض الناس صورة الزعيم وساروا : هيك علمنا الزعيم ... الخ »(١٨). وحينما يقع الانفصال يقول الزعيم ، (وفق الله ذلك الشطر الحبيب ... والسلام عليكم ورحمة اللهوبركاته قال الزعيم .وحزن عربي لهذه الجملة الوداعية)(١٩). وفي فقرات مكثفة غنية بالرمز يصف لنا تيسير سيول معركة ١٩٦٧ حيث يقول « لا بل ان الجنرال تكرم واعطى الأمان للارواح والاموال . وليس صحيحا ما يروون من ان جنوده قد رموا الى النهر بمكتبة المدينة . وليس صحيحا ان ماء النهر قد اسود ثلاثة أيام بكاملها . هب ان هذا صحيح ، الم يعد ماء النهر صافيا بعد تلـــك الايـــام الثلاثـــة ؟ .

ـــ ثلاثة ايام لا غير »(٢٠).

وترمز هذه الفقرة على قصرها الى عدة مواقف :

اولا : ان العدو متقدم حضاريا حيث ان (جنود العـــدو لم يرموا مكتبة المدينة في النهر) . وعدم قذف المكتبة في النهر ـــ وهذه اشارة الى همجية المغول .

ثانيا : ان الحرب لم تستمر سوى ثلاثة ايام (ثلاثة أيام لا غير) .

ثالثا : ان الحرب لم تؤثر في كياننا العربي (حيث ان ماء النهر عاد صافيا) بعد تلك الايام الثلاثة ـــ أيام الحرب ـــ وكأن شيئا لم يكن .

ولنذهب مع المواطن (عربي) الى الجسر ونشاهد معه بعين فاحصة ما رآه علـــى الجسر المحطم : « على الجسر المحطم كانوا يعبرون . الجندي لم يعبر معهم ، الجندي ميت منذ ثلاثة أيام . الجندي ملقى بكامل ملابسه الرسمية الصفراء بجانب الجسر . حذاؤه الثقيل لا يزال يلمع . ثلاثة ايام . رائحته نظيفة غير ان حذاؤه الثقيل يلمع وجنته على الارض . لم أر عينيه . ربما كانتا مفتوحتين . لم ارهما عندما لا يكون الجندي ميتا يأتي في الظهيرة حاملا البطاطا والبندورة والبصل .

الجسر فوق النهر . لا مزيد من البطاطا . الظهر يأتي والجندي بجانب الجسر »(٢١).

أما رواية (**عودة الطائر الى البحر**)(٢٢) لحليم بركات ، فهي تحمل عنوانا رمزيا ، يفســـره لنا ، عندما يوائم ما بين الهولندي الطائر ، والفلسطيني المهاجر ، وعـــودة الهولندي الطائر ، الى اليابسة بحثا عن حبيبة ، وعودة الفلسطيني المهاجر الى أرضه بحثا عن منقذ ـــ يفشل الهولندي في أن يجد حبيبة مخلصة فيرتد عائدا الى البحـــر ، على أمل العودة مرة اخرى ، للبحث عن حبيبة مخلصة . ويرتـــد الفلسطيني عائـــدا الى منافيه بانتظار المنقذ .

يقول حليم بركات « فجأة يتداعى الى ذهنه ان بلاده هولندي طائر . أصوات الكلاب تشبه أصوات البحارة عندما رأوا البر . أمس كان يصغي لهذه الاوبرا التي استوحاها فاغنر من أسطورة تدور حول سفينة مسحورة لا يمكنها الوصول الى ميناء ، وهي لا تزال تبحر منذ الازل . كان الهولندي الطائر قد اقسم انه سيدور حول جبل تحيط بـه العواصف العاتية . وان اضطر ان يبحر حتى يـوم القيامـة . وغضبت الالهـة أو الشياطين عندما سمعت قسمه فحكمت عليه أن يبحر منفيا الى الابد ولن تحل عنـه هذه اللعنة ما لم يجد امرأة تخلص له حتى الموت . الشياطين لا تؤمن بالمرأة، فسمحت للهولندي الطائر بالعودة الى البر كل سبع سنوات ليبحث عن امرأة تخلص لـه حتى الموت . مسكين هذا الهولندي الطائر في كل مرة زار البر ، كان يعود الى البحر اكثـر بأسا وخيبة . انه اليوم متعب من نفيه وتجواله العبثي اكثر من أي وقت مضى »(٢٣).

هذه هي قصة الهولندي الطائر . وهي تأخذ دلالتها الرمزية اذ تواكب سير احداث القصة فتكون مهمتها هنا توضيح المواقف . فاذا كان الهولندي الطائر يأخـذ فرصـة لايجاد امرأة مخلصة كل سبع سنوات فان الفلسطيني المنفي يأخذ فرصة للعثور على المنقذ كلما تعلن حرب جديدة ويمتزج الرمز بالواقع حينما يقول حليم بركات « الحرب اعلنت الان . الهولندي الطائر يرى البر . مرة اخرى يشرق الامل . صخور شاهقـة ترتفع من بعيد . يبدو ان السفينة تستطيع ان ترسو بأمان . أصوات البحارة تشـق السماء اصوات طلاب الجامعة في بيروت امواج صاخبـة تتلاطـم وتتعالى مهللـة للعودة »(٢٤).

وهكذا تحمل قصة الهولندي الطائر في طياتها قصة العربي وحرب ١٩٦٧م . لقـد اعطى العربي فرصة جديدة في حرب ١٩٦٧ لايجاد المنقذ فكان يحمل الامل في النصر ، كما كان الهولنـدي يحمل الامل ، في ايجاد المرأة المخلصة . ولكن الحرب لا تكون في صالحه . والهولندي الطائر حينما ينزل الى البر ، لا يجد المرأة المخلصـة . ويعـود العربي نتيجة ذلك مدحورا ويحمل املا جديدا ، في فرصة جديدة ، ليجد المنقذ ، ويحقق النصر . كذلك يعود الهولندي الطائر الى البحر ليدور من جديد بانتظار فرصة جديـدة لعله يلتقي بالمرأة المخلصة .

واستخدم الكاتب دلالة الالهة التي غضبت على الهولندي الطائر رمزا للاستعمـار الذي لا يسمح للارادة العربية بالتحرر ولا يرضى لها سوى الخضوع « الالهة لا تريد الهولندي الطائر ان ينعم بالسلم في بلاده . الالهة لا تريد السلم للذيـن لا يخضعون لارادتها . الذين حكموا على الهولندي الطائر بالعذاب الابدي هم أنفسهم الذين حكموا عليه أن ينسلخ عن بلاده وان تنسلخ بلاده عن وجودها ، وتقذفـه فوق البحر نحـو الغرب . الالهة لا ترغب ان يستقل البشر ويتحرروا . تريدهم بلا كبرياء وتقول لهـم ان يتمنعوا عن اكل التفاحة »(٢٥).

ان الاستفادة من هذه الاسطورة بدلالتهـا الرمزية ، واكبه كذلـك استفادة من الموروث الشعبي حيث اخذ قصة « الضبع والعروس » واكسبهـا دلالات رمزيـة ، فالقصة في الموروث الشعبي تحكي بأن هناك عرسا ، وركبت العـروس الحصـان ، وفي الطريق هجم عليها ضبع كبير وخطفها وحملها للمغارة . وينهشها الضبع ، فيسمع عريسها بذلك فيتناول بندقيته ، ويطلق الرصاص على الضبع ، فلا يصيبه . ويخرج الضبع ، ويهاجم العريس ، فيطلق النار عليه ولا يصيبه . ويركض العريس ، ويتسلق شجرة ليحتمي من الضبع . ويقوم الضبع بملامسة الشجـرة . يتبول ويرش علـى العريس ، الذي انضبع . فينزل عن الشجرة ، ويتبع الضبـع الـذي يلطـم رأس

العريس بالصخرة فيشج رأسه — ويسيل الدم منها ، فيستفيق العريس ويقوم بقتل الضبع وينقذ عروسه(٢٦) .

هذه هي قصة الضبع والعروس التي حملها حليم بركات دلالات رمزية حينما يصبح الضبع هو العدو ، والعروس هي فلسطين ، والعريس هو الشعب الفلسطيني . وحيث جعل خلاص العروس — فلسطين — من قبضة الضبع — العدو — يتم فقط حينما يسيل دم العريس . بمعنى اخر ان استرجاع فلسطين لن يتم الا بالدم والتضحية . وتصبح الشجرة ملاذ العريس هي الدول العربية ملجأ الفلسطيني ويربط حليم بركات هذا الرمز بالواقع اذ يفسره فيقول : « يفكر رمزي صفدي في بيروت ان فلسطين عروس اختطفتها الصهيونية . حمل الفلسطيني بندقيته في ١٩٤٨ ليسترجع عروسه . اطلق النار .. لم يصب الضبع تاه على وجهه مضبوعا تاركا عروسه في المغارة . تسلق شجرة الدول العربية مرة ثانية يهاجم الضبع . لا بد له من انقاذ العروس . انها عروسه شرعا وحبا . هل يضبع مرة ثانية ويهيم على وجهه »(٢٧) .

استخدم (فتحي سلامه) الرمز الدلالي في روايته (**المزامير**) وكان — الغموض — العلامة المميزة له . اذ يكتنف جوانبه ، وبدلا من ان يأتي رمزه دلالة لتوضيح موقف او فكرة وهو فعلا قصد جلاء مواقف نفسية لشخصية البطل — فان رموزه فشلت فشلا ذريعا في تحقيق هذا الهدف . وكانت من أول الثغرات في بناء روايته كما سبق واشرنا . واصبحت رموزه ليست الا مجرد تهويمات خيالية ، واحلام متعددة ، تقترب تماما من معاني الرمز في الشعر فاذا كانت « غاية الشعراء الرمزيين هي تجميع الالفاظ لا حسب المنطق لتحقيق معنى يفهمه الجميع ولكن وفق الحس الشخصي Sensation لاظهار انفعالات نفس الشاعر وحده . فهو لا يدرك الاشياء الا بالحس كما انه لا وجود لها بالنظر الينا الا بالحس ايضا »(٢٨) ، فان فتحي سلامه استخدم الرمز بمثل هذا المعنى حيث نجد ان القطع الرمزية في الرواية ينطبق عليها وصف اسماعيل رسلان للرمزية الشعرية اذ يقول : (والقطعة الرمزية تنبسط في جو مبهم ليس من وضوح العقل بل من حالة حس مؤثر ، حيث الانفعالات والافكار توحي الواحدة بالاخرى بدلا من أن نعللها ونشرحها ، وهذا النوع من الايحاء الموسيقي الموزون لحالات النفس الروحية »(٢٩) . وهناك فارق بين ما يصفه (رسلان) في القصيدة الرمزية . وما نعالجه هنا في الادب الروائي ، ودلالاته الرمزية .

ان التهويمات الخيالية التي لا نستطيع تفسير دلالاتها الرمزية كثيرة في (المزامير) حتى افسدت البناء الروائي غير الرمزي الذي كان عماده الاساسي الحدث . وفي الرواية أحاديث طويلة وعديدة عن النسور والحيتان والدببة والافاعي والثعالب والفيلة والديدان والرخ .. وكلها لم توضح المواقف النفسية كما قصد الكاتب ولكنها جعلتنا نتساءل ماذا يقصد الكاتب ؟ خذ مثلا حديثه عن الدببة والنسور والافاعي ... الخ حينما يقول : (عرفت معنى ان يكون الانسان لاجئا . لم تلعق الدببة وجهي ؟ ونسور جوعى تنهش لحمي وافاعي وجيش الحشرات ، وقنابل ومدافع تصرخ تتلوى ، ودماء تجري انهارا ... لم انا لاجيء ؟ »(٣٠) .

وخذ هذه الفقرة ايضا .

« — برعى مات .

صرخ الرعب في قلبي ، ارتفع عويل النساء ، سقطت من عيني ، دمعة . غطت الضوء ، رأيت ظلاما ، وفي الظلام لمحت بئرا ، في البئر ثعبان يتلوى ، ارتطم بجدران

البئر ، صرخ الثعبان وبكى في حزن ، ارتفع الدم الى رأسي ... قدري منحوس ، من أحببته مات ، وقبله مات الحجر الابيض الراقد امام دارنا ، وارتفع الثعبان الى أعلى الجدران ، نظر الي في صمت خيل الي انه يقول شيئا او ربما سمعت صوتا آخر يأتي من بعيد ، قال الصوت : اقتل من قتله وادفع سكينا في صدره ليسيل دمه ، لتمسح به رأس المقتول ، ربما يساعده ذلك يوما ما »(٣١) .

ولست أفهم ماذا يقصد بالبئر وبالثعبان وبالحجر الابيض الذي مات ، والثعبان الذي يصرخ ويبكي في حزن !؟

وفي الرواية نلتقي بدلالات رمزية نستطيع ان نفهمها اذ تساعد على جلاء المواقف ومنها حديثه عن الفيل وهو يمثل العدو ، والكلب الاجرب — ويرمز به للخائن — والقطة وترمز للشعب الفلسطيني ومن خلال اركان الرمز هذه يمكن ان نفهم القصة التالية : « وكان الويل للباقين على قيد الحياة ، ان كل جريمتهم في نظر اليهود انهم بقوا احياء ، ويقترب كلب اجرب يركب فيلا ، الفيل ضخم الجسم ضعيف العقل ، شرير النية ، لا يفهم الا عن طريق نابه ، والكلب الاجرب هزيل ضامر ، ولكنه يجلس فوق الفيل ويضع فمه في اذنه ، ويرى الكلب وهو في برجه الامن فوق الفيل قطة تلعق طبقا من اللبن ، فيهتاج الكلب الاجرب ، ولكنه اضعف من أن يهاجم القطة ، فيهمس في اذن الفيل ضعيف العقل .

— هذه القطة تسبك .

ويتحرك الفيل لكي يدوس القطة بقدمه العريضة الثقيلة ، ولكن القطة تفر هاربة ، ويغضب الكلب لنجاة القطة ، فيعض اذن الفيل حتى تدمى ويقول له : ها هي تقذفك بالحجارة حتى ادمت اذنيك ... ويثور الفيل ، فقد جرؤ كائن ضعيف وقذفه بالحجارة ، وينطلق باحثا عن القطة التي فرت هاربة الى بيتها تحتمي به ، ولكن الفيل ضعيف العقل الدامي الاذن يهدم البيت ويبعثر محتوياته ويقذف القطة في شراسة فتسقط في حفرة تتألم وينزف جسدها دما ، والكلب الاجرب سعيد حيث هو على ظهر هذا الفيل ضعيف العقل »(٣٢) .

وهناك رمز واضح الدلالة حيث تكون الارانب هي رمزا للفلسطينيين والتنين رمزا للعدو(٣٣) . ان استخدام الرمز في هذه الرواية افسدها واضر ببنائها . بدلا من أن يخدمها ، كما جاء في الروايات الاخرى ، التي اشرنا اليها . وبينما جاء في تلك الروايات ليخدم الفكرة او الموقف . فانه في — المزامير — في احيان كثيرة — جاء وكأنه رمز من اجل الرمز ليس الا .

والخلاصة : ان الدلالة الرمزية قد جاءت في الرواية اما لتخدم الرمز العام وتوضحه في الرواية الرمزية الخالصة كما جاء في روايتي (الكابوس) و (ستة ايام) واما لتوضح فكرة او موقفا برموز واضحة الدلالة بل ومفسرة أحيانا كما جاء في (عرس فلسطيني) و (عودة الطائر الى البحر) و (أنت منذ اليوم) و (الابتر) . أو أن هناك رموزا جاءت كتهويمات خيالية غامضة كما في رواية (المزامير) . وقد استخدم الكتاب الدلالة الرمزية لثلاثة اهداف : اولا : لما يحمله الرمز من قدرة على الايحاء وتوصيل الفكرة وتوضيح الموقف كما جاء في جميع الروايات السابقة . ثانيا : لتحميلها مضامين سياسية لا يستطيع الكاتب البوح بها صراحة مثل ما جاء في رواية (انت منذ اليوم) . ثالثا : او للتعبير عن مواقف جنسية يخجل الكاتب التعبير عنها صراحة كما في رواية (ستة ايام) .

الحواشي :

١ ــ **الابتر** ، ص ٢٦ .
٢ ــ **الابتر** ، ص ٦٦ .
٣ ــ **المزامير** ، ص ١٨ .
٣ ــ **الكابوس** ، ص ١٣ .
٥ ــ **الابتر** ، ص ٢٤ .
٦ ــ **الابتر** ، ص ٧٥ .
٧ ــ **ستة أيام** ، ص ٢٣١ .
٨ ــ **ستة أيام** ، ص ٢٥ .
٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٤٥ .
١٠ ــ **عرس فلسطيني** ، ص ٥٣ .
١١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦٣ .
١٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ ــ ١٦ .
١٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١١٦ .
١٤ ــ **أنت منذ اليوم** ، ص ٩ ــ ١٠ .
١٥ ــ اعتبر (غالي شكري) ان هجير رامزة لكل العواصم العربية حيث يقول (وهو يختار للوطن العربي عاصمة ، رامزة لكل العواصم هي (هجير) الترامية ــ دوما ــ على أطراف الصحراء ، كل ما فيها من بشر واحداث واشياء محكوم عليها كذرات الرمال كلما هبت عليها الرياح من أي اتجاه كان) ، مجلة **الطليعة** العدد الثامن ، أغسطس ١٩٧١ ، ص ٤٤ . والحق ان الدلالة الرمزية واضحة تماما على عاصمة محددة وهي دمشق التي لو خرجت من الجامعة فانك ستقابل المتحف وبعدها نهر بردى، أنظر **أنت منذ اليوم** ، ص ٢٤ .
١٦ ــ **أنت منذ اليوم** ، ص ٣٢ ــ ٣٣ .
١٧ ــ **أنت منذ اليوم** ، ص ٣٢ــ٣٣ .
١٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٢ .
١٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٣ .
٢٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٤٦ــ٤٧ .
٢١ ــ **أنت منذ اليوم** ، ص ٤٦ــ٤٧ .
٢٢ ــ نعيش في رواية « عودة الطائر الى البحر » من خلال وعي « رمزي » تجربة انسان مثقف يعيش بعيدا عن المعركة . فيرصد لنا جانبين . اولا : الانسان العربي بعيدا عن المعركة ، وما يعانيه من تمزق نفسي وضياع ، وامراض ، وما يمتلكه رغم ذلك من أمل في النصر . ثانيا : الانسان العربي داخل المعركة في مواجهته للعدو بوجهيه ، الوجه الاول المشرق الصامد المتمثل بطيبة كنعان وعزمي عبد القادر الذي (سيحارب بنفسه، وسيحارب ولو وحيدا)، ص٧ . والوجه الآخر الجبان المضبوع الذي لا يمتلك الا الفرار في مواجهة العسف الاسرائيلي وقنابله وطائراته (كل شيء يتفكك وينفصل . لا روابط . الاقدام تتراكض . لا أحد يسيطر على أحد ، لا أحد يسيطر على نفسه . أمواج النازحين تتدفق من القدس والجليل ورام الله وغيرها عبر أريحا الى الجسر . يزداد الذعر . مخيمات النويعمة وعقبة جبر وعين السلطان غرقت من سكانها . تتحول الى قبور صامتة) ، ص ٧٢ .
٢٣ ــ **عودة الطائر الى البحر** ، ص ٢٨ــ٢٩ .
٢٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٠ .
٢٥ ــ **عودة الطائر الى البحر** ، ص ٦٢ ، أنظر الى قصة الهولندي الطائر بدلالاتها الرمزية : أ ــ الامل في العودة . ولقاء المرأة المخلصة صفحات ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ . ب ــ خيب أمله حينما واتته الفرصة ولم يجد الشيء ، صفحات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٩ . ج ــ عودته الى البحر ثانية ، صفحات ١١٢ ، ١٤٠، ١٦١ .
٢٦ ــ **عودة الطائر الى البحر** ، صفحات ٢٦ ــ ٢٧ .
٢٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٧ ، أنظر ما يتعلق بقصة الضبع والعروس ودلالتها الرمزية ، صفحات ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٣ .
٢٨ ــ اسماعيل رسلان، **الرمزية في الادب والفن**، القاهرة (د.ت) ص ١١ .
٢٩ ــ اسماعيل رسلان ، ص ١٢ .
٣٠ ــ **المزامير** ، ص ٤٠ .
٣١ ــ **المزامير** ، ص ٥١ ــ ٥٢ . كذلك أنظر الى الرموز غير المفهومة ، صفحات ٢١، ٢٧، ١٤٣، ١٤٤ ، ١٩٠ .
٣٢ ــ **المزامير** ، ص ٨٤ .
٣٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ص ٧١ ــ ٧٢ .

اثر قيام اسرائيل على وضع المنظمة الصهيونية العالمية

الدكتور كميل منصور

لا يخفى على أحد اهمية الترابط العضوي بين دولة اسرائيل والصهيونية العالمية التي تسعى الى جر الطوائف اليهودية خلف اهدافها الاستعمارية في منطقتنا العربية . وهذا الترابط يميز دولة اسرائيل عن اية دولة اخرى في العالم ، اذ يطغى على ايديولوجيتها وعلى سياساتها ويزيد من قوتها ومن طاقاتها . وكثيرا ما ندد المناضلون العرب بهذا الترابط معتبرين اسرائيل تارة كأداة في يد الصهيونية العالمية ، او على العكس ، متهمين الصهيونية بانها اداة في يد اسرائيل .

من البديهي أننا في حاجة الى اكثر من هذه المقولات العامة وانه يتوجب علينا تكوين فكرة واضحة ومفصلة عن نوعية العلاقات بين الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل : من يملك السلطة والمبادرة ؟ من يدفع ومن يستفيد ؟ كيف يؤثر كل فريق على الاخر ؟ ما هي قواعد (وضوابط) الصراع من اجل السلطة ؟ اي كيف تتحكم المصالح والايديولوجية بهذا الصراع ؟

ان الفترة التي يتوجب البدء بها للاجابة على هذه الاسئلة تقع دون ريب في السنوات التي رافقت خلق دولة اسرائيل : اذ في هذه الفترة بالذات تبلورت نوعية العلاقات بين الدولة الجديدة والحركة الصهيونية العالمية بشكل طغى الى حد بعيد على الفترة اللاحقة حتى اليوم . اما بالنسبة الى عهد ما قبل الدولة ، فيبدو واضحا ان المنظمة الصهيونية العالمية كانت **السلطة الوحيدة** التي انيط بها ارساء « الييشوف » (التجمع اليهودي في فلسطين) وخلق الدولة الجديدة من جهة ، وتسخير امكانات يهود العالم من جهة اخرى .

ثمة ملاحظات منهجية تجدر الاشارة اليها قبل بدء البحث :

ـ سوف لا نتحدث مباشرة عن تبعية الصهيونية للامبريالية ـ وخاصة الاميركية ـ لانها بكل بساطة لا تدخل ضمن بحثنا . فعندما سنقول في معرض دراستنا ان اسرائيل بحاجة الى « الدياسبورا » (يهود « الشتات ») ، يجب الا يعني ذلك ان بقاء اسرائيل يتوقف على الدياسبورا اذ نعتقد ان الامبريالية هي العنصر الاكثر فعالية في تدعيم اسرائيل .

ـ ان هذه الدراسة التي تتناول تاريخ الماضي القريب لا يمكن ان تكون تهليلا وتمجيدا للحركة الصهيونية بحجة نقل (علميا !) ادعاءات زعمائها حول انجازاتها وقدراتها الهائلة وتنظيمها الدقيق ! نحن لسنا بمؤرخي الصهيونية « المعتمدين » ولا يهمنا عدد المندوبين الى هذا المؤتمر او ذاك او التفاصيل التنظيمية للمنظمة الصهيونية او للوكالة اليهودية (او الفروق بينهما) ... الا بقدر ما تعبر عن قوى ومصالح ومناقشات ايديولوجية او ما تلزم للفهم . فدراستنا تهدف فقط الى فهم جانب من حقبة قريبة لا تزال تؤثر بشكل مباشر على التاريخ الحاضر . لذا حصرنا اهتمامنا **بالقوى الفاعلة** على الساحة الصهيونية في الفترة المدروسة (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) ، هذه القوى التي لا تزال تفعل في الحاضر على الساحة ذاتها . فنهمنا اذا لتفاعل وتصارع وتحالف هذه القوى

غداة اقامة اسرائيل ضروري كي نفهم الاوضاع الاسرائيلية — الصهيونية — اليهودية الحاضرة ونرسم سياستنا النضالية (كثورة معادية للصهيونية) على اساس موضوعي .

فليس علينا كبعض الكتاب العرب — لسوء الحظ — ان نكتب تاريخ الصهيونية مثلما يكتبه الصهيونيون بحجة الامانة العلمية ، اذ قد يكفي في هذه الحالة ان نضع يدنا على بعض المؤلفات الصهيونية القيمة (وهي كثيرة) التي تتناول تاريخ الصهيونية ونسعى الى ترجمتها من العبرية او الانكليزية ! فالماضي — شأنه في ذلك شأن الحاضر — بحاجة الى **تحليل نقدي دقيق والذي لا يعني باي شكل من الاشكال تحوير التاريخ حسب العاطفة او الموقف الايديولوجي المسبق** ، بل يعني استقصاء الخلفيات الاقتصادية ، الاجتماعية ، الايديولوجية ، النفسية للتصريحات واللوائح الداخلية والمواقف والاحداث ، فهي تفهمنا معناها ومغزاها ومداها وتربطها ببعضها البعض في السببية التاريخية . ونأمل من جهتنا اننا تمكنا — ضمن هذا المنهج — من استغلال المعلومات (الجزئية والناقصة في بعض الاحيان) التي جمعناها من مكتبة مركز الابحاث .

ويمكن للقارىء الذي يريد التعرف الى اجهزة المنظمة الصهيونية ان يرجع الى كتاب اسعد عبد الرحمن « المنظمة الصهيونية العالمية — تنظيمها واعمالها (١٨٩٧ — ١٩٤٨) » وهو صادر عن مركز الابحاث . اما أسعد رزوق الذي عالج موضوعنا بالذات في شؤون فلسطينية (العددان ٢٠ و ٢٢) ، فانه يفعل ذلك بمنظار اخر وقد اعتمدنا على ترجمته الى العربية لبعض الوثائق الصهيونية — الاسرائيلية كما سيلاحظ القارىء في نهاية الدراسة .

١ — دور المنظمة الصهيونية قبل ١٩٤٨ :

كانت الوكالة اليهودية ، طيلة عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، البنية المعترف بها « رسميا »(١) لتنظيم جهود اليهود المهتمين بانشاء « وطن قومي يهودي » في فلسطين ، ولتمثيلهم والتحاور باسمهم مع السلطة المنتدبة في سبيل تحقيق هذا « الوطن اليهودي » . وقد تضمن صك الانتداب المصدق عليه من قبل عصبة الامم عام ١٩٢٢ في المادة الرابعة ما يلي : « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على ان يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة . يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ويترتب على الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن اليهودي »(٢).

هل هناك فرق بين المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية التي أوصى الانتداب البريطاني بانشائها ؟ لقد انبثقت الثانية عن الاولى رسميا عام ١٩٢٨ ولكنها تطابقت معها بشكل كامل عام ١٩٤٧ . كان المراد من الوكالة اليهودية الايحاء بأن جميع يهود العالم مهما كانت ايديولوجيتهم يؤيدون الحركة الصهيونية عن طريق اشراك « اللاصهيونيين » في المهمات الصهيونية المنوطة بالوكالة . و« اللاصهيونيون » هم الافراد اليهود (او الجمعيات) الذين لم ينخرطوا تحت لواء المنظمات الصهيونية الرسمية ، بل يؤيدون عمليا برامجها ومشروعاتها . ولكن يبدو ان اللاصهيونيين لم يهتموا جديا بالمشاركة في الوكالة وعلى كل حال ان دستور الوكالة نفسه صيغ بشكل يبقي السلطة الفعلية بيد المنظمة الصهيونية التي كانت تمنح نفسها صلاحية تعيين اللاصهيونيين في الوكالة . ثمة فرق ربما بين المؤسستين : كانت المنظمة الصهيونية تستند على قاعدة عريضة من الاعضاء المنتشرين في التجمعات اليهودية في العالم وفي الوقت ذاته كان لديها اجهزة (المؤتمر الصهيوني ، المجلس الصهيوني العام ، اللجنة التنفيذية) تخطط وتقرر وتضع السياسة العامة للمنظمة في المجالات الداخلية والخارجية . أما الوكالة فكانت — كما تشير تسميتها — مجرد ذراع تنفيذي للمهمات العملية التي كانت توكلها اياها المنظمة الصهيونية اي : الهجرة ، الاستيعاب ، الاستيطان الزراعي ، الاستثمار الاقتصادي . والجهاز المكون لها كان فقط جهازا اداريا من الموظفين يتقاضون رواتب

وينفذون أوامر . من الواضح ان هذا الفرق بين المؤسستين يعزز ما قلناه حول خضوع الوكالة للمنظمة الصهيونية(٣) . ولذلك سوف لا نميز بينهما في دراستنا (الا اذا اقتضى الامر) .

ان صك الانتداب وتاريخ فلسطين **حتى عام ١٩٤٨** يؤكد ان **المنظمة الصهيونية العالمية قادت بالفعل العمل الصهيوني في جميع مجالاته** . ليس هدفنا هنا استعراض تاريخ المنظمة الصهيونية وتركيبها قبل عام ١٩٤٨ ، بل نود التأكيد على عدة سمات بارزة فيما يخص دور المنظمة ومكانتها خلال الانتداب البريطاني على فلسطين .

رغم ان التجمع اليهودي في فلسطين (اليشوف) طور باكرا اجهزته التمثيلية الخاصة به ، الا انه كان خاضعا لقيادة المنظمة الصهيونية العالمية — الوكالة اليهودية . كانت المنظمة مسؤولة ليس فقط عن رسم السياسة العامة للصهيونية وعن النشاطات الجارية خارج فلسطين (تجنيد يهود العالم ، تنظيم الهجرة ، جمع الاموال ، ممارسة الضغوط على الحكومات المختلفة ...) بل أيضا عن جميع التدابير المتعلقة بالاستيطان اليهودي في فلسطين (الاستيلاء على الاراضي وتوزيعها ، استيعاب المهاجرين ، النشاط الاقتصادي ، النشاط العسكري — الهاغاناه — ...) . اما « الفاعاد لئومي » (المجلس الملي العام)(٤) الذي مارس صلاحياته من عام ١٩٢٠ حتى تأليف الحكومة الاسرائيلية المؤقتة في أيار ١٩٤٨ ، فكان بموجب « قانون تنظيم الطوائف الدينية » الصادر في ١ كانون الثاني ١٩٢٨ يمثل الطائفة اليهودية في فلسطين امام ادارة الانتداب ، ويدير شؤون الطائفة (بالتعاون مع المجلس الرباني) ويحفظ سجلات الاحوال الشخصية(٥) . ولكن رغم ان الفاعاد لئومي تعدى بالفعل الصلاحيات المنوطة عادة بمجلس ملي خاص بطائفة دينية ، الا انه لم ينافس الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية — الوكالة اليهودية .

لماذا لم يحدث صراع من اجل السلطة بين الفئات التي كانت تمثل الصهيونية العالمية وتلك التي كانت تمثل المستوطنين في فلسطين قبل ١٩٤٨ ؟ يبدو ان عدة اسباب ساهمت في حصر التناقضات الى أقصى حد :

أ — كان اليشوف بحاجة شديدة الى الدياسبورا من جميع النواحي . كان على الاستيطان اليهودي الناشىء والضعيف والقليل العدد والامكانيات ان يعتمد كليا على المنظمة الصهيونية العالمية من حيث اثبات الوجود (العسكري والسياسي والديبلوماسي) والتفاوض مع الحكومات والهيئات الدولية ، ومن حيث الامداد بالمال والرجال والسلاح . فما كان بمقدور اليشوف — حتى وان أراد — أن يملي الشروط على قادة المنظمة . والجدير بالذكر ان قادة المنظمة القاطنين في « الخارج » لم يشعروا البتة بخطر المنافسة ، بل على العكس ، منحوا كل صهيوني مقيم في فلسطين صوتين بدلا من واحد في الانتخابات الخاصة باختيار المندوبين للمؤتمر الصهيوني .

ب — كان على الصهيونيين تقديم **محاور وحيد** للدولة المنتدبة (ومن ثم للولايات المتحدة والامم المتحدة) . وكون المنظمة المحاور الوحيد لم يكن يناقض طبعا توزيع الادوار حسب الحاجات المحلية: الاسلوب الديبلوماسي للمفاوضين الصهيونيين (كتعيين قياديين موالين لبريطانيا مثل وايزمان) ، التنظيم والعمل التخريبي للمستوطنين ، الضغط السياسي والنشاط الاعلامي التحريضي للجمعيات الصهيونية المختلفة في « الشتات » . كان على الصهيونيين في جهدهم لخلق الدولة المستقلة ان يزعموا انهم يمثلون ليس فقط المستوطنين «بالفعل»، بل أيضا المستوطنين « بالقوة » اي كل اليهود الذين يدعون ان لهم الحق في الاستيطان بموجب صك الانتداب ولكنهم لا يقدرون على ذلك بسبب العراقيل التي توضع في وجههم .

ج — كان الصراع داخل المنظمة الصهيونية لا يجري على اساس الانتماء الجغرافي ، بل حسب التكتلات الحزبية التي كانت تتعدى غالبا البلد الواحد (رغم انه سيبدو فيما بعد ان قوة حزب العمال في اسرائيل وقوة الصهيونيين العموميين في الولايات المتحدة لعبتا دورا هاما في تأزيم الموقف داخل المنظمة) .

د — يجب القول أخيرا انه مقابل ضعف اليشوف ، برزت قوة صهيوني الخارج ، وبالتحديد قوة الصهيونيين الاميركيين . هذا أمر معروف . ليست صدفة ان يكون للصهيونية البريطانية تأثير فعال عندما كانت بريطانيا الدولة الفاعلة في المنطقة وعلى الصعيد العالمي . وليست صدفة من ثم

وأيضا أن تكتسب الصهيونية الاميركية نفوذا بالغا عندما بدأت اميركا تحل محل بريطانيا في العالم والمنطقة . على كل حال ، ليست فقط القوة الذاتية للصهيونية الاميركية (او البريطانية من قبل) التي اكسبتها دورا عالميا ، بل ايضا وبشكل رئيسي النفوذ العالمي للدولة التي تنتمي اليها (اميركا ومن قبل بريطانيا) . فقد كانت الصهيونية الاميركية عن طريق ضغوطها الناجحة على الادارة تضاعف من قوتها التأثيرية على الاحداث الخارجية(٦). من هنا اهمية الدور الذي لعبته الصهيونية الاميركية في خلق دولة اسرائيل منذ مؤتمر بلتيمور (نيويورك) عام ١٩٤٢ حتى قيام الدولة في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، الى حد جعل الصهيونيين الاميركيين يشعرون ان نفوذهم (لدى الادارة وفي أروقة الامم المتحدة) ومالهم (التبرعات المرسلة الى فلسطين) هما اللذان خلقا دولة اسرائيل . من المفيد هنا ان نورد ما كتبته مجلة صهيونية اميركية عام ١٩٥١ وهي تجري مقارنة بين شعور الصهيونيين الاميركيين في ذلك الوقت (وسنتحدث عن هذا فيما بعد) وشعورهم حتى عام ١٩٤٨ : « من المشكوك فيه ان يعي أصدقاؤنا في اسرائيل اليوم طبيعة الازمة ومداها . لقد كان الصهيونيون في الثلاثات لعشرات السنين يعتزون بالمفهوم الهرتزلي القائل بأنهم والحركة التي يخدمونها جزء من الدولة اليهودية في طور التحقيق (Der Judenstaat Unterwegs). لقد كانوا من الوجهة الفردية والجسدية في الثلاثات ، ولكنهم كانوا جماعيا وروحيا في صهيون. كانوا ينتخبون مندوبين الى المؤتمر — « برلمان اليهود » — والذي كان من المقرر ان يتخذ من القدس مقرا له ... انهم تغلغلوا في الطوائف اليهودية ، مدخلين العلم الصهيوني ، النشيد الصهيوني ، الثقافة العبرية ، طريقة الحياة الصهيونية . وقد اكتتبوا وباعوا سندات البنك الصهيوني الذي هو اليوم بنك اسرائيل القومي . وأنشأوا الصناديق القومية وأداروها عبر ممثلين منتخبين واشتركوا في التخطيط للاستيطان وللتطور الاقتصادي للوطن القومي ... ومرارا سنوا بالفعل قوانين البيشوف (...) وقد بلغت الذروة ربما عندما ظهر اعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية في الامم المتحدة في « ليك سكسس » بصفتهم ممثلين معتمدين ليس فقط للبيشوف ، بل للشعب اليهودي »(٧).

لا غرابة اذا ان تكون المنظمة الصهيونية العالمية هي التي أعلنت تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين في نيسان ١٩٤٨ (وليس « القاعاد لئومي » — المجلس الملي العام — الذي كان يمثل يهود فلسطين فقط) . فقد اعلن المجلس الصهيوني العام المنعقد في تل أبيب بين ٦ و ١٢ نيسان ١٩٤٨ ما يلي : « لقد **قررنا** ، استنادا الى **سلطة الحركة الصهيونية** والى تأييد الشعب اليهودي بأسره ، ان يكون انتهاء الحكم المنتدب نهاية الحكم الاجنبي في فلسطين وان تظهر الى الوجود الهيئة الحاكمة للدولة اليهودية »(٨). اما بن — غوريون الذي أعلن قيام الدولة في ١٤ أيار ، فقد فعل ذلك باسم التجمع اليهودي في فلسطين **وبالوقت ذاته** باسم المنظمة الصهيونية اذ تقول « وثيقة الاستقلال » لدولة اسرائيل ما يلي : « وبناء عليه ، نجتمع هنا نحن اعضاء مجلس الشعب ممثلو **الطائفة اليهودية في ارض اسرائيل والحركة الصهيونية** في يوم انتهاء الانتداب البريطاني على ارض اسرائيل وبفعل حقنا الطبيعي والتاريخي وبقوة القرار الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة نجتمع لنعلن بذلك قيام الدولة اليهودية في ارض اسرائيل والتي سوف تدعى « دولة اسرائيل » »(٩).

كان من الضروري التشديد على هذه النقاط حتى وان بدت بديهية ، غير ان الاحداث اللاحقة لخلق اسرائيل دلت على انها ليست بالضرورة من المسلمات: هل كان للمنظمة الصهيونية العالمية ان تظل بالفعل السلطة التي تسيطر على زمام الامور في اليشوف والدياسبورا ؟ ما كانت العلاقات المرتقبة بين المنظمة والدولة الجديدة ؟ وبشكل جوهري : ماذا عن مستقبل الايديولوجية الصهيونية بعد قيام اسرائيل ؟ للاجابة على هذه الاسئلة ، يتعين علينا استعراض تطور الاحداث بمناسبة اقامة الدولة ودراسة الاطراف الفاعلة في الميدان الصهيوني .

٢ — فصل أجهزة الدولة عن المنظمة :

ان الخطوات التي اتخذت على صعيد توزيع المهام التنفيذية بين نيسان وأيلول ١٩٤٨ تعطي بعض المؤشرات الاولية لاسس العمل الصهيوني اللاحق . اذ جرى في هذه الفترة نقاش حاد بين الاطراف الصهيونية (وخاصة بين صهيونيي فلسطين وصهيونيي الولايات المتحدة) حول مسألة اعتماد « مبدأ الفصل » (هفرادا) بين السلطات . فقد

تطلبت الظروف الجديدة الناجمة عن احتمال قيام الدولة تكوين هيئات جديدة تستطيع الادعاء في الوقت اللازم على المسرح الدولي (بغية انتزاع الاعتراف السريع) بأنها الاجهزة الرسمية للدولة المزمع خلقها (أي « البرلمان » و« الحكومة ») . فأعلن المجلس الصهيوني العام في شهر نيسان تشكيل « مجلس الشعب » (موعيتسيت هاعم) و« ادارة الشعب » (أي الهيئة التي ستسمى في ١٥ أيار « الحكومة الموقتة ») على ان تكون الهيئتان منبثقتين عن « الفاعاد لئومي » و« اللجنة التنفيذية » للمنظمة الصهيونية .

يبدو ان جميع الاطراف في الحركة الصهيونية اجمعت على ضرورة تكوين هذه الاجهزة التي ترمز الى تحول الصهيونية من « حركة » الى « دولة ». بيد انه كان واضحا ان خلق الدولة من شأنه ان ينقل أيضا مركز السلطة والنفوذ من الصهيونية العالمية الى التجمع الاستيطاني في فلسطين وان يفقد الصهيونيين الاميركيين بنوع خاص دورهم الطليعي في اتخاذ القرارات . ويبرز مؤشران على ذلك :

— لم تضم الاجهزة الجديدة الا اشخاصا كان يقع محل اقامتهم الدائم في فلسطين . فاذا أخذنا مثلا « ادارة الشعب » (الحكومة الموقتة) التي انبثق قسم من أعضائها من اللجنة التنفيذية الصهيونية ، نرى ان جميع هؤلاء كانوا يقيمون في فلسطين عام ١٩٤٦ (دافيد بن — غوريون ، بيرتز برنشتاين ، يتسحاق غرونباوم ، الحاخام يهوذا لايب فيشمان ، موشي شابيرا ، اليعازر كابلان) ما عدا موشي شرتوك (شاريت)(١٠).

— انتقل القسم الاكبر من الصلاحيات التي كانت من اختصاص (او على الاقل تحت اشراف) المنظمة الصهيونية الى حكومة اسرائيل المؤقتة : الدفاع ، الداخلية ، الخارجية ، المالية ، المواصلات ، التجارة ، الصناعة ... ولم يبق من الاعمال المنوطة بالمنظمة الا تلك التي كانت تخص النشاط الصهيوني في الخارج وشؤون الهجرة واستيعاب المهاجرين في الداخل مع بعض الاعمال الخاصة كتطوير القدس . وكل هذه النشاطات التي بقيت في يد المنظمة يمكن تصنيفها بأنها لا تقتضي رسم سياسة شاملة بل فقط تقديم خدمات . فعلى سبيل المثال ، ألغيت الدائرة السياسية التي كانت تابعة لرئيس اللجنة التنفيذية (وألحقت بالوزارة الجديدة)(١١).

لقد وعى الصهيونيون الاميركيون مغزى تأليف « ادارة الشعب » من قبل المجلس الصهيوني العام. غير انهم لم يجدوا مفرا من ذلك . كانوا من جهة يريدون الاشتراك في الحكم الجديد (هم الذين ناضلوا بفعالية من أجل خلق الدولة الجديدة) غير انهم من جهة اخرى كانوا يتخوفون من تهمة « الولاء المزدوج » في بلادهم اميركا(١٢). فاضطروا الى القبول بمبدأ الفصل (هفرادا) وباقامة ادارة الشعب (الحكومة الموقتة) في نيسان ١٩٤٨ والمكونة من الصهيونيين المحليين . ومن المفارقة انهم هم الذين أصروا بعد حين (أي في أيلول ١٩٤٨) ان يطبق مبدأ الفصل تماما ، اي ان يستقيل وزراء الحكومة الموقتة من مناصبهم في اللجنة التنفيذية الصهيونية ، خوفا من سلطان الحكومة على اللجنة الصهيونية بعد أن كانت منبثقة عنها قبل بضعة اشهر .

ومن جهة ثانية ، وعلى العكس ، نادى صهيونيو فلسطين في المرحلة الاولى (نيسان — أيار ١٩٤٨) الى الفصل بين السلطات بغية تكوين حكومة التجمع الاستيطاني في فلسطين واعطائه طابع دولة(١٣)، ولكنهم في المرحلة التالية ، بعد أن قامت الدولة وكونوا الحكومة الموقتة ، رفضوا الاستقالة من مقاعدهم في اللجنة التنفيذية الصهيونية . الى أن اضطروا الى التخلي عنها تحت ضغط الصهيونيين الاميركيين ولاسباب ديبلوماسية(١٤). من الاكيد ان بن — غوريون وزملاءه قيموا الوضع على انه يسير في جميع الاحوال لصالحهم فقبلوا بهذا التراجع التكتيكي ، مقتنعين بأن مراكزهم في الدولة الجديدة كفيلة باحكام سيطرتهم على المنظمة الصهيونية فيما بعد . اما الصهيونيون الاميركيون فكانوا يريدون من هذا التراجع « الاسرائيلي » ان يكون خطوة أولى نحو اعادة نفوذهم في الشؤون الصهيونية — الاسرائيلية . وبالنتيجة ، يمكن القول ان الامور جرت وكأن كل فريق يقول للاخر وللاعتبارات ذاتها : انني مضطر أن أقبل باستقلالكم عني ، ولكنني أرجو ان يبقى شكليا وان تخضعوا لي .

من الواضح اذا ان المناقشات التي جرت حول مبدأ الفصل (هفرادا) ما كانت الا غطاء شكليا لنزاع من اجل السلطة . من الواضح كذلك ان

مسألة توزيع السلطات والمهمات كانت الحلقة الاولى في جملة من التطورات اللاحقة شهدت تضارب الفريقين الهامين على الساحة الصهيونية : الطرف الاسرائيلي والطرف الاميركي . ويقول ارثر هرتزبرغ في هذا الصدد : « كان جوهر النزاع عدم رغبة حكومة الدولة الجديدة التسليم بأية وصاية من قبل الحركة الصهيونية . أما الان وقد برزت الدولة الى الوجود ، من الواضح انه لم يعد بامكان الصهيونية ان تنخرط في نوع السياسة الدولية التي اعتادت عليه من قبل »(١٥). غير ان مدى نجاح كل فريق للسيطرة على الاخر كان مرهونا بجملة من الوقائع الموضوعية ، منها ما يمكن اعتباره ايجابيا في حوزة الصهيونية الاميركية ، ومنها ما يغذي سيطرة اسرائيل على المنظمة الصهيونية العالمية . وسوف نلاحظ هذه الوقائع في مجرى دراستنا .

٣ ــ استحالة الاكتفاء الذاتي للدولة :

ان العنصر الاول الذي كان من شأنه ان يبقي نفوذ المنظمة الصهيونية العالمية كسابق عهدها كان بلا ريب حاجة الدولة الجديدة الى المساعدة . لقد شعر الجميع ان مجرد تبني قرار باقامة دولة لا يكفي لتأمين شروط الاستمرار والتقدم . كانت هناك حاجة الى شراء الاسلحة ، الى استقدام المتطوعين .. الخ ، ومن ثم ، بعد انتهاء الحرب الاسرائيلية ــ العربية ، الى متابعة تهجير اليهود من بلادهم (وخاصة من الدول العربية) والى استيعابهم ، عدا المساعدات المالية المباشرة . وقد اضطلعت المنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية بقسط لا بأس به من الجهود والمال . يتوجب علينا التوقف على هذه المسألة من خلال **مقارنة ميزانية الوكالة اليهودية(١٦) مع ميزانية الدولة الجديدة** (بالليرات الاسرائيلية) :

	الوكالة(١٧)		الدولة(١٨)	
العام	الميزانية	المصروفات الفعلية	الميزانية	المصروفات الفعلية
٤٨ــ٤٩	٥١٬٣٠٠٬٠٠٠	٣٥٬١٦٦٬٧٠٠	١٩٬٥٣٩٬٠٠٠	٢٧٬٢٨٨٬٠٠٠
٤٩ــ٥٠	٤٠٬٣١٠٬٠٠٠	٣٣٬٧٤٣٬٨٧٧	٤٢٬٤٠٥٬٠٠٠	٤٢٬٤٠٥٬٠٠٠
٥٠ــ٥١	٤٢٬٧٥٧٬٠٠٠	١٦٬٣٦٥٬٦٩٨ (الاشهر الستة الاولى فقط)	٥٩٬٤٦٥٬٠٠٠	٥٩٬٤٦٥٬٠٠٠

ان نظرة سريعة الى هذه الارقام تشير الى انه ــ رغم خلق الدولة الجديدة ــ بقيت المنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية تمثل قوة مادية هامة الى جانب الادارة الحكومية في السنوات الاولى على الاقل بعد قيام الدولة . أما انخفاض ميزانية الوكالة في السنة ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ فيجدر ألا يفسر فقط بأنه بداية فقدان الوزن السياسي (وهذا صحيح خاصة اذا قارنا توقعات ميزانية ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ بالمصروفات الفعلية لعام ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠) فانه يعبر ايضا عن تحول بعض المهام من الوكالة الى الحكومة (تمويل الجيش والنشاط السياسي في الخارج) ، ولكنه يخفي زيادة المهمات الملقاة على عاتق الوكالة في ميدان استيعاب جماهير المهاجرين والاستيطان الزراعي بعد طرد اصحابها الفلسطينيين . ويمكن ملاحظة هذه الامور في الجدول التالي :

مصروفات الوكالة اليهودية(١٩) (بالليرات الاسرائيلية)

العـــام	الهجرة واستيعاب المهاجرين	الاستيطان الزراعي	الشؤون الدفاعية والسياسية	نشاطات اخرى	المجموع
٤٦—٤٧	٤٬٩٧٤٬٠٠٠	٢٬٥٠٢٬٠٠٠	١٬٥٨٠٬٠٠٠	٢٬٤٦٨٬٠٠٠	١١٬٥٢٤٬٠٠٠
	٪ ٤٣٬٢	٪ ٢١٬٧	٪ ١٣٬٧	٪ ٢١٬٤	٪ ١٠٠
٤٧—٤٨	٦٬٦٣٣٬٠٠٠	٢٬٦٠٧٬٠٠٠	٢٢٬١٥٠٬٠٠٠	١٬٤٠٦٬٠٠٠	٣٢٬٧٩٦٬٠٠٠
	٪ ٢٠٬٢	٪ ٨	٪ ٦٧٬٦	٪ ٤٬٢	٪ ١٠٠
٤٨—٤٩	٢٥٬٦١٢٬٠٠٠	٧٬٤٢٢٬٠٠٠	—	٢٬١٣٣٬٠٠٠	٣٥٬١٦٧٬٠٠٠
	٪ ٧٢٬٨	٪ ٢١٬١	—	٪ ٦٬١	٪ ١٠٠
٤٩—٥٠	١٧٬٤٠٩٬٠٠٠	١٤٬٤٠٣٬٠٠٠	—	١٬٩٣٢٬٠٠٠	٣٣٬٧٤٤٬٠٠٠
	٪ ٥١٬٧	٪ ٤٢٬٧	—	٪ ٥٬٦	٪ ١٠٠
٥٠—٥١	٧٬٨١٥٬٠٠٠	٧٬٣٥٦٬٠٠٠	—	١٬١٩٥٬٠٠٠	١٦٬٣٦٦٬٠٠٠
الاشهر الستة الاولى	٪ ٤٨٬٦	٪ ٤٤٬٨	—	٪ ٦٬٦	٪ ١٠٠

نلاحظ ان الوكالة تحملت عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ اعباء خلق الدولة اذ كرست ٦٧٫٦ ٪ من مصروفاتها الى الشؤون الدفاعية (تمويل الحرب) والسياسية بينما عادت ابتداء من عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ الى تخصيص جهودها (بنسبة ٩٥ ٪ تقريبا) للهجرة وانشاء المستوطنات(٢٠)، تاركة ميزانيـــة الدفاع لحكومة اسرائيل . فقفزت المخصصات لبندي الهجرة والاستيطان من ٩٫٢٤٠٫٠٠٠ ل. ا. عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ الى ٣٣٫٠٣٤٫٠٠٠ ل. ا. عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ والى ٣١٫٨١٢٫٠٠٠ ل. ا. عام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ، اي بزيادة تتراوح بين ٢٤٤ و ٢٥٧ ٪ بالنسبة للعام المالي ١٩٤٧ — ١٩٤٨(٢١).

ما كانت مصادر الوكالة المالية ؟ يقول تقرير الوكالة المالي ما يأتي : « لقد ظـــل الصندوق التأسيسي لفلسطين (كيرن هايسود) أهم مصدر للدخل . ان مخصصاته للوكالة اليهودية صعدت من ٦٫٣٧٠٫٠٠٠ عـــام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ الى ١٠ ملايين عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ والى ١٠٫٥٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٤٨—١٩٤٩ ، ثم انخفضت الى ٨٫٦٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ والى ٤٫٢٠٠٫٠٠٠ في الاشهر الستة الاولى للسنة المالية ١٩٥٠ — ١٩٥١ .

وبلغت حوالي ٤٠ مليون ليرة للفتـــرة بمجملها . **ان القسط الاكبر مـــن التبرعات التي جمعهـــا الصندوق آتى مـــن الولايات المتحـــدة (حوالي ٨٣ ٪)** »(٢٢). ان ذلك يسمح لنا بحصر اهتمامنا بالولايات المتحدة عندما نتكلم عن الصهيونية العالمية خارج اسرائيل .

٤ — القاعدة اليهودية هي الحلقة الهامة :

لا شك ان هذه المعطيات تكفي لابراز أهمية الدور الذي لعبته الاوساط اليهودية الموالية لاسرائيل في السنوات الاولى لتأسيسها . ومن الطبيعي القول انه ينتظر من هذه المشاركة في العطاء ان تؤدي الى مشاركة في تقرير السياسات . ان الذي يهب المال يريد مبدئيا ان يكون قيما على كيفية استعماله وان يضع شروط مساهمته . الا أن الصلة بين المشاركة في الجهود والمشاركة في السلطة ليست آلية او حتمية.هثمة عناصر اخرى تدخل في المعادلة ومن شأنها ان تعطل سعي المنظمـــة الصهيونية للمساهمة في اتخاذ القرارات . يجدر ذكر هـــذه العنـــاصر :

— ان الجزء الاكبر من التبرعات لم يأت مـــن

الجمعيات الصهيونية المنتمية رسميا الى المنظمة الصهيونية العالمية ، بل من اليهود (أو المؤسسات اليهودية) الذين يبدون تعاطفهم مع اسرائيل بتكريس جزء من ميزانيات الطوائف لها . « ان جمع التبرعات بدأ يشمل اليهود من جميع الاراء بشكل متزايد ولم يكن العديد من الاكثر ثراء والاكثر سخاء صهيونيين بالمعنى الشكلي على الاقل . أما الهيئات التي كانت تجمع المال من اجل اسرائيل فلم تكن في كل مكان — وعلى الاخص ليس في الولايات المتحدة — تحت الاشراف الصهيوني حقا »(٢٣).

— ان اليهود الذين قدموا بكثافة الى فلسطين بعد قيام الدولة لم يكونوا « صهيونيين » بالمعنى القانوني للكلمة ، اي بالانتماء رسميا الى المنظمة الصهيونية العالمية . على كل حال لم تقع هجرة يهودية من البلاد التي كانت تأوي منظمات صهيونية قوية (كالولايات المتحدة وبريطانية وجنوب افريقيا وفرنسا) ، بل انطلقت مما تبقى من معسكرات اليهود في اوروبا بعد الحرب ومن الدول العربية والاسلامية ، اي انها كانت « هجرة طوارىء » .

ماذا تعني هذه الامور ؟ من البديهي انها تحمل معان معاكسة لكل من الفريقين : فبالنسبة لقادة اسرائيل ، ان وصول الموجات اليهودية « غير الصهيونية » وتدفق المال « غير الصهيوني » يشيران الى امكانية التوجه مباشرة نحو يهود العالم دون وساطة المنظمة الصهيونية العالمية . أما بالنسبة لهذه الاخيرة ، فانهما يشيران الى ضرورة استمرار اشرافها على المجهود اليهودي (الهجرة والمال) باعتراف من اسرائيل بالذات ، والا فقدت مكانتها في الدياسبورا وفي البيشوف ، لا بل علة وجودها بالذات .

لا شك اذا ان نجاح كل فريق في صراعه مع وضد الاخر لم يكن يرجع فقط الى قوة كل منهما الذاتية (وفي هذا المجال كانت الكفة راجحة بشكل واضح لصالح الدولة) بل كان يتوقف أساسا على تجاوب الرأي العام اليهودي في الخارج (وخاصة في اميركا) لصالح احدهما (وهنا لا مجال للافتراض الالي بأن عامة اليهود كانوا يرفضون التطلع الى اسرائيل من خلال المنظمة الصهيونية) . هكذا نرى كيف ان الصراع الذي برز بين المنظمة والدولة بسبب تفسير الطرفين المتباين حول حصيلة العهود السابقة (وكلاهما يسعى لتجييره لمصلحته) نرى كيف انتقل الصراع بشكل طبيعي الى الساحة اليهودية العريضة . اي انه كان على الساحة اليهودية (السخية بالمال والرجال) ان تعطي بعد قيام اسرائيل مؤشرات لصالح هذا الفريق او ذاك، بل ان تؤثر نوعا ما على ايديولوجية كل من الفريقين . وهذا يتطلب من الان القاء **نظرة الى يهود العالم تجاه الصهيونية واسرائيل** ، قبل التطرق الى تحرك الدولة والمنظمة .

ان الايديولوجية الصهيونية شددت منذ مؤتمر بازل (١٨٩٧) على الركائز التالية : ان جميع اليهود رغم تشتتهم يكونون **امة واحدة ولا يمكنهم** الخلاص كأمة وكأفراد (خطر اللاسامية) الا بوضع حد **لمنفاهم** وباعادة تكوين **دولتهم** على أرض اسرائيل . على هذا الاساس قامت المنظمات الصهيونية في العالم وسعت الى « غزو » الطوائف اليهودية (على حد تعبير الصهيونيين انفسهم) بادعائها تمثيل « الشعب » اليهودي الساعي لانهاء « منفاه » في الشتات وخلق دولته في « وطنه » . وقد أثار ادعاء الصهيونيين التمثيلي وبرنامجهم تحفظات العديد من اليهود ومعارضة البعض الاخر . ان « غير الصهيونيين » (وهم عمليا عامة اليهود) كانوا قبل ١٩٤٨ يتأرجحون بين قطبين :

— رأي يرفض الصهيونية جملة وتفصيلا اي انه ينبذ الحديث عن « قومية يهودية » وعن « منفى » يهودي وبالتالي يعارض قيام دولة يهودية في فلسطين ولا يريد الاسهام في خلقها ولو عن طريق « المساعدات الانسانية » التي يمد بها اليهودي أخاه اليهودي أينما وجد .

— رأي يرفض العقيدة الصهيونية (أي انه لا يعتبر نفسه في المنفى ولا يريد لنفسه الهجرة الى فلسطين) ولكنه يقبل بالمساهمة في المشروع الاستيطاني على اساس « الشرعية الدولية »(٢٤) المستمدة من صك الانتداب المعترف به من قبل عصبة الامم . وقد دخل هذا الطرف بالفعل الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ .

بين الرافض قطعا الى المنتزم «اللاصهيوني»(٢٥)، توزعت عاطفة عامة اليهود وتبرعاتهم على درجات : التبرع لاسباب محض انسانية ، تأييد هجرة اليهود المضطهدين (سواء كان الملجأ فلسطين او غيرها)، الدفاع عن طائفة يهودية شقيقة (سواء كانت

الطائفة في فلسطين او في مكان آخر) دون الدعوة الى ضرورة خلق دولة خاصة . . . كل هذا لا ينفي طبعا أن الاقلية الفاعلة والمنظمة — الحركة الصهيونية — هي التي استطاعت دائما الانتفاع سياسيا وماديا (يعني لتنفيذ برامجها) من الاخوة العفوية القائمة بين يهود العالم . بكلمة اخرى يمكن القول أن العديد من اليهود ساعدوا البرنامج العملي الصهيوني دون التسليم بمقوماته الايديولوجية .

ثم أدت اقامة الدولة عام ١٩٤٨ الى تبلور وضع جديد في الدياسبورا . ان الاحداث « الدراماتيكية » التي تلاحقت في العقد الخامس من هذا القرن ونجاح البيشوف في ميدان الحرب ومجرد قيام الدولة جعلت أكثرية يهود العالم — وحتى العديد من الذين كانوا يعارضون المشروع الصهيوني او لا يبالون به — يبدون تعاطفهم مع الدولة الجديدة ويمدونها بالمساعدة . لا يمكن التقليل من عمق الاثر النفسي الذي تركه « بعث » « الامة » اليهودية في شكل دولة وذلك سنوات قليلة بعد ابادة ملايين اليهود على يد النازيين الالمان ، مع ما عنى ذلك من صدمة نفسية وشعور بالفاجعة والفشل وقد كان للحرب العالمية الثانية اثر آخر . كانت اوروبا الشرقية في أواخر القرن الحالي وأوائل هذا القرن مصدر هجرة كثيفة (عدة ملايين) نحو اوروبا الغربية واميركا وافريقيا الجنوبية . وأصبحت مراكز اوروبا الشرقية اليهودية العلمية منها والدينية بمثابة قطب روحاني وعاطفي يحن اليه المهاجرون. ولكن بعد ان قضت الحرب العالمية الثانية على الوجود اليهودي في اوروبا الوسطى والشرقية ، صب هؤلاء المهاجرون الشديدو التعلق بدينهم وبتقاليدهم حنينهم وعاطفتهم نحو مركز روحاني جديد الا وهو تصورهم لاسرائيل(٢٦).

من جهة ثانية ، اصبحت اسرائيل عام ١٩٤٨ أمرا واقعا وليس مجرد حلم رومانسي يناضل من أجله بعض الملتزمين المنعزلين وحلت بالفعل دولة اسرائيل الصاعدة محل الحركة الصهيونية في مجال استقطاب الحماس اليهودي وحل « التضامن اليهودي العام مع دولة اسرائيل » محل الالتزام الفردي بأهداف المنظمة الصهيونية العالمية . بل احتلت الدولة مواقع جديدة في الطوائف اليهودية لم تستطع الحركة التوغل فيها من قبل . ان « الامر الواقع » يفرض نفسه بطبيعة الحال على المترددين وحتى على جزء كبير من الرافضين السابقين(٢٧) عندما لم يكن هذا « الامر الواقع » سوى مشروع قد لا يتحقق . وكما يقول بن هالبرن (ولكن مع بعض المبالغة) : « منذ قيام اسرائيل ، لم تعد المعارضة المطلقة لوجود دولة يهودية معترفا بها في الاجماع اليهودي (Consensus)كموقف شرعي . . . كان على المعارضين الايديولوجيين ان يكيفوا أنفسهم بطريقة او بأخرى مع الوضع الجديد»(٢٨).

هذا الوضع الجديد الذي خلق لليهود العرب مأزقا خطيرا (جعلهم « يهربون الى الامام » بدل مواجهة الواقع الجديد القاسي بالتضامن مع اخوانهم العرب) طرح على اليهود الغربيين اسئلة مصيرية كان لا بد من مواجهتها . ان هم صفقوا لقيام الدولة او قبلوا بها مرغمين (ايديولوجيا) ، هل يعني ذلك انهم حملوا حقائبهم ليتجهوا الى « أرض الميعاد » ؟ طبعا لا . ليس المجال هنا لمعالجة موضوع هجرة يهود العالم الغربي (اوروبا الغربية ، اميركا الجنوبية والشمالية ، افريقيا الجنوبية) الى اسرائيل ، ولكننا نكتفي بالقول انهم يرفضون الهجرة ويعتبرون انفسهم مواطنين كاملين في بلدانهم . ان عامة يهود الغرب يؤيدون اسرائيل ولكنهم يرفضون — ضمنا او صراحة ، وعلى الاقل ببقائهم خارج اسرائيل — الايديولوجية الصهيونية التي تجسدها المنظمة الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل . اجل ان هذا الموقف لمتناقض ، الا انه قائم وموجود . ويبدو ان زعماء اليهود في العالم يبحثون عن مخرج لهذا التناقض — المأزق بتوجيه جملتين من المطالب للحكم الاسرائيلي .

— من جهة ، يطلب يهود العالم من اسرائيل ان تكف عن القول بأنها تمثلهم وبأنهم في (المنفى)(٢٩) وعليهم واجب الهجرة . وجل ما يمكنها ادعاؤه وما يقبلون به هو انها لا تمثل الا يهود اسرائيل وان اسرائيل هي على الاكثر ملجأ لليهود المضطهدين (خارج العالم الغربي على حد زعمهم) . ان زعماء الجمعيات اليهودية في الغرب مستعدون مقابل هذا التنازل الايديولوجي من قبل اسرائيل لتوفير اقصى المساعدات الاقتصادية والسياسية للدولة الجديدة.

— ان ادعاءات المنظمات الصهيونية — المكونة اساسا بعد خلق اسرائيل من جزء من يهود الشتات — بأنها تمثل الوجه القومي ليهود العالم

(وخاصة في تعاملهم مع اسرائيل) علاوة على ايديولوجيتها المغلقة (الهجرة طريق الخلاص الوحيد وواجب اليهودي المقدس) ، ان هذه الادعاءات تثير عند يهود الغرب تذمرا صامتا لانها تشعرهم « بعقدة ذنب » بسبب بقائهم في بلدانهم . فاصبحت المنظمة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة حاجزا ايديولوجيا متحجرا يفصل بين يهود العالم واسرائيل بدل أن يوصلهما . فما كان من زعماء اليهود الغربيين (وخاصة الاميركيين منهم) الا ان يتجهوا مباشرة نحو اسرائيل وان يطالبوا حكمها بعدم توسيط المنظمة الصهيونية في تعاملهم مع الدولة ، بل ان تعلن الدولة صراحة ان المنظمة لا تمثل يهود العالم . وقد ذهب البعض (ومن بين مؤيدي اسرائيل الحميمين) الى حد اقتراح حل المنظمة الصهيونية لزوال فائدتها .

الامر يبدو اذا وكأن يهود العالم الغربي يريدون التعويض عن رفضهم الهجرة الى اسرائيل بافراطهم في تأييد الدولة شريطة ان تبتعد ايديولوجيا وتنظيميا عن الحركة الصهيونية . ونجد خير تعبير عن هذا الموقف لدى « اللجنة اليهودية الاميركية American Jewish Committee . التي عدلت برنامجها في كانون الثاني ١٩٤٩ من جراء قيام الدولة . وتقول الفقرة الخاصة باسرائيل : « اننا نعتبر اقامة دولة اسرائيل حدثا ذا مغزى تاريخي ونحيي الاعتراف بها من قبل حكومتنا وحكومات اخرى . اننا نتطلع الى احتلال اسرائيل مكانتها كاملة في الاسرة الدولية كدولة تضمن المساواة لجميع سكانها بغض النظر عن العرق او العقيدة او الاصل القومي ، وتدافع عن الحرية والسلام في الشرق الادنى وسائر انحاء العالم . ان مواطني الولايات المتحدة اميركيون ومواطني اسرائيل اسرائيليون . اننا نقول ذلك بكل ما ينطوي عليه من نتائج ، وكما ان حكومتنا لا تتحدث الا باسم مواطنيها ، فان اسرائيل ايضا تتحدث باسم مواطنيها فقط . ضمن اطار المصالح الاميركية سنساهم في بناء اسرائيل كمركز روحاني وثقافي حيوي وفي تطوير امكانياتها كي تؤمن حياة حرة كريمة للذين يريدون ان يجعلوا منها مستقر رأسهم »(٣٠). وفي تقرير اللجنة السنوي لعام ١٩٤٩ ، نقرأ ما يلي : « رغم تعاطفنا السابق والحالي مع بناء اسرائيل ، شعرنا ان الدولة الجديدة قد تخلق لنا مشاكل جدية . وقد اعربنا عن مخاوفنا بصراحة للسيد بن غوريون ولرسميين اسرائيليين اخرين . لقد طالبنا خاصة ان تلتزم اسرائيل في جميع الظروف بالتمييز الواضح بين مواطنيها اليهود والمواطنين اليهود في البلدان الاخرى ، وان تقدم نفسها بأنها لا تتحدث رسميا الا باسم الاولين . وشددنا على القول ان عليها ان تتجنب بدقة التدخل في الشؤون الداخلية لليهودية الاميركية ، كأن تشجع مثلا هجرة جماعية من هذه البلاد باسم الواجب نحو اسرائيل او باسم الهرب من اللاسامية الاميركية التي يبالغ بوجودها العديد من الاسرائيليين مع ان حكامهم لا يحذون حذوهم في ذلك لحسن الحظ »(٣١).

واتخذت اللجنة ايضا في وقت لاحق موقفا بالمعنى ذاته مع التشديد على امور اخرى : « اننا نعتبر مغلوطا تماما وغير واقعي الرأي القائل ان بامكان اليهود الاميركيين ان يقتنعوا بأن اسرائيل هي المكان الوحيد حيث يستطيع اليهود العيش بأمان وكرامة . اننا نرفض الادعاء — مهما كان مصدره — بأن اليهود الاميركيين « منفيون » بمعنى او بآخر . اننا نعلن ان القيام ببرامج تربوية لدى اليهود الاميركيين هو من مسؤولية المؤسسات الاميركية فقط . وفي حين نحبذ مواصلة المساعدة الليبرالية لاسرائيل تمشيا مع السياسة التي وضعتها اللجنة حتى الان ، الا اننا نعارض تحوير الاموال المخصصة لهذه المساعدة لبرامج ونشاطات في اميركا لا تتماشى مع آرائنا هذه »(٣٢).

ولكن رغم هذه التحفظات التي كانت تبديها دوما الجمعيات اليهودية ، كان توجهها العفوي نحو اسرائيل يبقى غالبا في جميع الاوقات ولم تكف يوما عن ارسال المعونات والتعبير عن المساندة . وسوف نرى كيف سهل ذلك تحرك الدولة ازاء المنظمة الصهيونية ومنع هذه الاخيرة من الوقوف على ارض صلبة عندما كانت تطالب بامتياز تمثيل يهود العالم، بل ترى نفسها تواجه احتمالات الاستغناء عن خدماتها وتضطر الى الدفاع عن نفسها باسم دورها السابق . فلنبدأ بالطرف الاسرائيلي .

٥ ــ تحرك الدولة

لا ريب ان مركز القوة الفعلي انتقل الى الدولة وان ذلك كان من شأنه ان يعطيها مبادرة التحرك

والمناورة . الا ان ذلك لا يعني ان الدولة كانت طليقة اليدين في افعالها واقوالها ويمكن التساؤل ما اذا لم تكن حبيسة الايديولوجية الصهيونية التي مهدت لوجودها . وكما رأينا كان عليها ايجاد شكل من التوافق بين المنتمين الى المنظمة الصهيونية وبين عامة اليهود المؤيدين لاسرائيل . لا يعني ذلك ان ثمة تناقضا في نظرنا بين العضوية الصهيونية والتأييد اليهودي لاسرائيل . ولكن في هذه المرحلة الانتقالية الدقيقة ، كان على القوى المنظمة ان تتصارع من اجل السلطة حتى وان كان من الممكن التنبؤ بأن الدولة كانت الاوفر حظا في هذه المنافسة اللامتكافئة .

لقد بدأت معالم التحرك في الاجتماع الشهير للمجلس الصهيوني العام في اب ــ ايلول ١٩٤٨ عندما حاولت الحكومة الاسرائيلية عدم تطبيق الفصل بين السلطات . ولكن يبدو انها فشلت في هذه المحاولة امام اصرار الصهيونيين الاميركيين العموميين (وخاصة **ابا هيلل سلفر وعمانوئيل نيومان**) . فاعترفت الحكومة الاسرائيلية ان هناك فرقا في الوظيفة بين المنظمة الصهيونية العالمية والدولة رغم ان بن غوريون ادعى بعدئذ ان اكثرية المجلس أفشلت محاولة بعض الزعماء الصهيونيين الاميركيين للفصل بين الدولة اليهودية والشعب اليهودي(٣٣).

ولكن كان بيد الحكومة الاسرائيلية ان تتجاهل مطاليب المنظمة الصهيونية لمنحها « وضعا قانونيا خاصا » (بشكل اجراء تشريعي في الكنيست و « ميثاق » بين المنظمة كممثلة ليهود الخارج ودولة اسرائيل) الى ان تنجلي الامور في الخارج . وكانت هذه الامور تسير كما رأينا (وعلى الاخص في الولايات المتحدة) في اتجاه منح التأييد لاسرائيل دون الانتماء بالضرورة الى المنظمة الصهيونية . فوجدت الحكومة الاسرائيلية ان باستطاعتها الاعتماد على سخاء يهود العالم دون اعطاء المنظمة الصهيونية الوضع القانوني الخاص الذي كانت تطلبه بحجة اتمام مهمتها على اكمل وجه ، لا بل وجدت الحكومة الاسرائيلية ان عليها تلطيف حدة الشعارات التي تتضمنها الايديولوجية الصهيونية خوفا من اثارة حفيظة الارضية اليهودية العريضة (وعلى الاخص وعلى سبيل المثال « اللجنة اليهودية الاميركية »(٣٤). « فقد طالبت اللجنة بضمانات رسمية وحصلت عليها بالفعل بأن اسرائيل مهما فعلت لحماية الحقوق اليهودية في الخارج عن طريق الوسائل المتاحة لها كدولة ذات سيادة ، لا تفعل ذلك كسلطة شرعية باسم الدياسبورا ، وبأن منحها الوكالة اليهودية او المنظمة الصهيونية وضعا قانونيا خاصا لممارسة اعمالها في اسرائيل ، لا يمكن ان يعني في مطلق الاحوال اعترافا بهذه المؤسسة كالممثلة الشرعية للشعب اليهودي او ليهود الدياسبورا بصفتهم وحدة متكاملة ذات ارادة مستقلة . وبالمناسبة ، ان هذه الضمانات (التي اعطتها اسرائيل للجنة اليهودية الاميركية) انكرت للوكالة اليهودية وضعا قانونيا كانت تتمتع به برضى عام (وان كان ضمنيا في بعض الاحيان) في ظل الانتداب على فلسطين »(٣٥).

هذا وقد وجه بن غوريون دعوة الى جاكوب بلاوشتاين رئيس اللجنة اليهودية الاميركية لزيارة اسرائيل في نيسان ١٩٤٩ تبنى فيها بن غوريون بشكل علني مطاليب بلاوشتاين الايديولوجية (أي عمليا « اللفظية ») مقابل تأييد اليهود الاميركيين التام لاسرائيل . ان الدلالة في هذه الدعوة لزيارة اسرائيل تكمن في انه لم تقابلها دعوة مماثلة موجهة لزعماء المنظمات الصهيونية الاميركية . كما ان بن غوريون قام بجولة في الولايات المتحدة عام ١٩٥١ واجتمع بزعماء الجمعيات اليهودية ولكنه حرص بدقة على ألا يلفظ كلمة « صهيونية » في جميع لقاءاته(٣٦)؛ بل رفض دعوة لحضور مأدبة عشاء صهيونية(٣٧).

ولكن رغم خطورة قبول بن غوريون (ولو « اللفظي ») بالتخلي عن شعارات الايديولوجية الصهيونية التقليدية ، فقد وقعت سلسلة اخرى من الاحداث ادت الى استقالة زعيمين بارزين في « منظمة امركا الصهيونية »(٣٨) (وهي كبرى المنظمات الصهيونية في امركا وتنتمي الى الصهيونيين العموميين) سلف ذكرهما : ابا هيلل سلفر وعمانوئيل نيومان(٣٩). ان المسألة التي ادت الى استقالة سلفر رئيس المكتب الاميركي للوكالة اليهودية ونيومان رئيس م. ا. ص عن منصبهما في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، كانت تتعلق بالاشراف على الاجهزة المالية في امركا . ويبدو واضحا مما سبق ان الحكومة الاسرائيلية كان يهمها

ان يشارك جميع اليهود مهما كانت ايديولوجيتهم (اي « اللاصهيونيون » ايضا) في مسؤولية الدفاع عن اسرائيل ، او بكلام ادق ، في مسؤولية الاشراف على جمع التبرعات وعلى ارسالها الى الوكالة اليهودية في اسرائيل . وهذا يعني بالنسبة للصهيونية الاميركية ، انتقاصا من صلاحياتها ليس فقط في اسرائيل ، بل وايضا في دارها بالذات . وقد وقع النزاع في الشكل التالي :

انفجر الصراع في ١٠ ايلول ١٩٤٨ داخل « النداء الفلسطيني الموحد » الذي كان منوطا به جمع التبرعات من الولايات المتحدة لامر « الكيرن هايسود » و « الكيرت كيمت » (اي عمليا الى ميزانية الوكالة اليهودية في القدس) ، عندما استقال هنري مئتور من منصبه كنائب رئيس اللجنة التنفيذية في « النداء الفلسطيني الموحد » ، متهما م. ا. ص. باستعمال اموال « النداء لاغراض سياسية(٤٠). قبلت اللجنة التنفيذية للنداء الفلسطيني الموحد استقالة مئتور ، واعلنت انها تحظى بتأييد الوكالة اليهودية في القدس . غير ان مئتور لاقى دعما قويا من هيئة تدعى « لجنة المتبرعين والعمال » التي طالبت بتطبيق المبدأ التنظيمي التالي في المستقبل : جعل الوكالة اليهودية في القدس مسؤولة مباشرة عن ادارة « النداء الفلسطيني الموحد » وليس عن طريق مكاتبها في نيويورك التي كانت تحت اشراف المنظمات الصهيونية الاميركية . وكانت حجة هذا الفريق في اقتراحه التنظيمي انه لا يجوز ادارة تبرعات يهود اميركا بواسطة الاحزاب الصهيونية الاميركية التي قد تستعمل هذه الاموال كأداة ضغط على اسرائيل في حياتها السياسية الداخلية(٤١).

رغم بعض الوساطات اليهودية الاميركية لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي ، بقي التوتر سائدا في الاجهزة المالية الاميركية بل تفاقم عندما اشترط هنري مورجنتو رئيس حملة ١٩٤٨ لجمع التبرعات ، عودة هنري مئتور الى منصبه القديم ، كي يستمر هو في رئاسة حملة ١٩٤٩ . فكان لا بد من التوجه الى اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في القدس كي تحسم الامر . غير ان م. ا. ص. عارضت بشدة تدخل الوكالة من القدس ، ولكن دون جدوى. فجاء قرار اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لصالح مورجنتو ومئتور ، مؤديا في الوقت نفسه الى استقالة ابا هيلل سلفر وعمانوئيل نيومان من عضويتهما في اللجنة التنفيذية ، ومن ثم (في ايار ١٩٤٩) الى استقالة نيومان ايضا من منصبه كرئيس م. ا. ص. وحل محله في هذا المنصب الاخير دانيال فريش الذي كان اكثر موالاة لحكومة بن — غوريون .

ماذا يمكن ان نستخلص من هذه الوقائع ؟ ربما عدة امور :

أ — لقد آثرت اسرائيل ارضاء الجمعيات اليهودية الاميركية بدلا من الحفاظ على علاقات طيبة مع م.ا.ص .

ب — اضطرت الوكالة اليهودية في القدس الى اتباع الرأي الاسرائيلي بعد ان ساندت في مرحلة اولى م. ا. ص.

ج — ضعف نفوذ الصهيونيين الاستقلاليين (سلفر ، نيومان) داخل منظمتهم بالذات ، اي انه كان لا بد للمنظمة من المساومة في سبيل الابقاء على علاقات معقولة مع اسرائيل . سنرى فيما بعد لماذا كانت م. ا. ص. عاجزة في جميع الاحوال عن مقاطعة الحكومة الاسرائيلية ومضطرة الى ان تكون حريصة على علاقات طبيعية مع اسرائيل .

كانت النتيجة المنطقية لمحاولات حكومة اسرائيل ابعاد المنظمة الصهيونية عن التصرف بالمال الوارد من الخارج انشاء « هيئة مشتركة للتطوير » (في ايار ١٩٥٠) برئاسة بن غوريون رئيس الوزراء وبعضوية متساوية بين ممثلي الحكومة والوكالة اليهودية ، الى جانب ممثل عن الصندوق القومي اليهودي . و « رغم ان وظيفة الهيئة لم توضح كاملا وبدقة ، افترض ان انشاءها كان يعني ان الحكومة سوف تلعب دورا اكبر في تحديد السياسات المتعلقة بصرف العائدات من الخارج وربما ان اعتمادات حكومية اضافية ستخصص لنشاطات كانت تقع ضمن مهمات الوكالة اليهودية »(٤٢).

اما عن التطورات اللاحقة في العلاقات بين اسرائيل والمنظمة الصهيونية ، يجدر الرجوع الى تقرير اعدته مجلة جويش نيوزلتر الاميركية (غير صهيونية) في تشرين الثاني ١٩٥٠ : « عقد هذا الاسبوع اجتماع هام للجنة التنفيذية للوكالة

اليهودية . ويمكن وصف الاجتماع بانه تعبير عن ثورة الصهيونيين الاميركيين ضد الزعماء الاسرائيليين وضد طريقتهم للسيطرة على الحركة الصهيونية . كان هدف الاجتماع الرسمي تطبيق مقررات واشنطن للتخطيط . غير ان الهدف غير الرسمي للدعوة الى الاجتماع كان — حسب ما اوضحته الصحافة الصهيونية — الاعراب عن الشكاوى والاشمئزاز والمرارة التي تجمعت لدى الصهيونيين الاميركيين فيما يخص ادارة الشؤون الصهيونية في الدياسبورا . كان الاجتماع سريا ولم يصدر حتى الان بيان عنه . بيد انه من المعروف ان مسالة تعيين هنري منتور على رأس « سندات اسرائيل » شغلت الجزء الاكبر من المناقشات العاصفة . وقد احتج بقوة أن تعيين شخص هو رمز المعارضة ضد الصهيونية الاميركية بغية ادارة الاكتتاب السنوي الاول لسندات اسرائيل ، ان هذا التعيين لطمة على وجه الصهيونيين الاميركيين . اما الفريق الاسرائيلي فقد اجاب ان البوندس (السندات) ليست من ضمن الصلاحيات الصهيونية بل تخص الحكومة الاسرائيلية التي تستطيع تعيين من تشاء لهذا المنصب ولا يحق للصهيونيين الاميركيين ان يتدخلوا »(٤٣).

يبدو جليا اذا ان بن — غوريون كان يهمه قبل كل شيء زيادة واردات بلاده دون الاضطرار الى اشراك مسؤوليه في الحكم الاسرائيلي . وكان ذلك سهلا عليه اذ لم تكن الجمعيات اليهودية (الاميركية) المساعدة مرتبطة ببعضها البعض ضمن منظمة عالمية متماسكة ذات ايديولوجية سياسية واهداف مشتركة واضحة مثل المنظمة الصهيونية العالمية .

ولكن كان على بن غوريون من جهة اخرى ان يبرر للمنظمة استخفافه بها ؛ او بالاحرى ان يجد الذريعة التي تمكنه من التوجه مباشرة نحو يهود العالم . بالنسبة لبن — غوريون ، ان دولة اسرائيل هي وريثة الحركة الصهيونية . لقد كانت من قبل هدف نضال الصهيونيين الاساسي لانها هي المركز ، هي القطب . والآن ، وقد تحققت ، يجب ان يتوجه جميع اليهود اليها ان بالتأييد السياسي أو بالمساعدة المادية او بالاقامة فيها . اما صهيونيو العالم الذين يفضلهم تأسست الدولة ، فما عليهم الا أن يتموا الان مقتضيات انتمائهم الى الحركة ، اي « الصعود » الى اسرائيل . لقد اصبح هذا « الصعود » بعد قيام الدولة ممكنا ، فلم الانتظار؟ ان الصهيوني الحقيقي هو الذي يهاجر الى اسرائيل ولا يمكن ان ينعم بأي امتياز معترف به في الدياسبورا(٤٤). كان سلاح بن — غوريون القوي ان يقول لصهيونيي العالم : ان لم تقدموا الى هنا ما الفرق بينكم وبين سائر اليهود الذين يؤيدون اسرائيل بوسائل تفوق امكانياتكم بكثير . اننا نجد وصفا لموقف بن — غوريون الخاص بهذا الموضوع في مذكرات ناحوم غولدمان الذي يقول : « كان على بن — غوريون ان يستقيل من منصبه كرئيس اللجنة التنفيذية [للمنظمة الصهيونية] (...) . ثم ما لبث ان تبنى الموقف الايديولوجي التالي : الان وقد برز الوطن القومي الى الوجود ، لم تعد الصهيونية تعني شيئا الا الاستيطان الشخصي في إسرائيل . وبما ان معظم الصهيونيين — بمن فيهم زعماؤهم — لم يذهبوا الى اسرائيل ، بدأ حملة ضد المنظمة الصهيونية ، متهما اياها بخيانة برنامجها بالذات وبانعدام مبرر وجودها لا بل بسوء تأثيرها »(٤٥).

سنرى بعد قليل رد الصهيونيين (الاميركيين) على بن — غوريون . ولكن قبل ذلك يجدر طرح السؤال الاتي : هل انتقاد بن — غوريون العنيف للصهيونيين كان يعني حقيقة انه ينوي التخلي عنهم والسعي نحو حل المنظمة الصهيونية ؟ ربما درس بن — غوريون هذا الاحتمال ، ولكن كان يكفيه بكل تأكيد ان تساهم المنظمة في مساعدة الدولة دون ادعائها الاشتراك في حكم اسرائيل الداخلي . على كل حال ، هذا موضوع القسم الاخير من دراستنا . أما الان فيتعين علينا استعراض مطاليب الصهيونيين وردة فعلهم ازاء موقف اسرائيل والجمعيات اليهودية المؤيدة لها .

٦ — **موقف الصهيونيين :**

أ — **مطاليبهم :** كان الصهيونيون(٤٦) بادىء الامر يأملون بالحفاظ على نفوذهم فيما يخص مجريات الامور الاسرائيلية وذلك على الاقل بسبب حاجة الدولة الجديدة الى المساعدة الخارجية . وقد رأينا سابقا كيف انهم طالبوا في آب — أيلول ١٩٤٨ في اجتماع المجلس الصهيوني العام بتطبيق مبدأ الفصل بين السلطات (الاسرائيلية والصهيونية) بمعنى ان يستقيل اعضاء الحكومة الاسرائيلية من مناصبهم في اللجنة التنفيذية للمنظمة كيلا يستغلوا

قوتهم الجديدة في اسرائيل للهيمنة على المنظمات الصهيونية في الدياسبورا .

وقد صاغ الصهيونيون الاميركيون مطاليبهم بشكل دقيق غداة قيام الدولة . فلنقرأ مثلا ما قاله عمانوئيل نيومان السالف الذكر حول هذا الموضوع: « لقد عبرت عن رأيي في اجتماع للمجلس الصهيوني العام الذي انعقد في القدس في آب ١٩٤٨ . واقترحت فيما يخص المهمات الواجب تنفيذها على **المسرح الاسرائيلي** ان تكتفي الوكالة اليهودية بالنشاطات والمسؤوليات التي تريد الحكومة ان توكلها بها او تلك التي لا تستطيع القيام بها بنفسها . ولكن أساس المشكلة الحقيقي كان يكمن في **الدياسبورا** . وفي هذا الصدد اقترحت بشكل غير رسمي حلا لم يطرح في جلسة علنية : ان يصار الى تنسيق جهود يهود العالم المنظمة من اجل اسرائيل من خلال او تحت اشراف المنظمة الصهيونية واجهزتها . وهذا يعني من قبل حكومة اسرائيل تقييدا طوعيا : أي أن تمتنع عن اقامة علاقات مباشرة مع يهود الدياسبورا وعن الاجابة لمحاولات التقرب المباشرة من قبلهم وعن التدخل في الاعمال التي هي ضمن صلاحيات المنظمة الصهيونية »(٤٧).

ومن جهة اخرى ، طالب الصهيونيون الاميركيون أن يخفض تمثيل الصهيونيين الاسرائيليين(٤٨) في اجهزة المنظمة كيلا يتحكموا بمقرراتها(٤٩) وان ينقل مركز الوكالة اليهودية الرئيسي من القدس الى نيويورك والا ترسل الحكومة الاسرائيلية مبعوثيها المزودين بالتوجيهات والتعليمات الجاهزة الى المؤسسات الصهيونية في طوائف العالم(٥٠).

بالخلاصة يمكن القول ان الصهيونيين الاميركيين طالبوا بأن يكون الحكم الاسرائيلي ممثلا للشعب اليهودي في اسرائيل فقط وان تكون المنظمة الصهيونية ممثلة الشعب اليهودي في الدياسبورا. وكان ذلك يعني في نظر الصهيونيين الحصول على ميثاق من قبل دولة اسرائيل تعترف فيه رسميا بصفة المنظمة التمثيلية وبالمهام المنوطة بها وتمنحها به صفة الهيئة الخاضعة للقانون الدولي العام على غرار صك الانتداب المتضمن الاعتراف بوكالة يهودية ذات صفة تمثيلية لليهود الذين يناضلون من اجل اقامة الوطن القومي . ولكن ذهب احد الزعماء الصهيونيين في اميركا الى حد القول بأن « على حكومة اسرائيل ان تعترف بالحركة الصهيونية العالمية كممثلة لليهودية العالمية . لا حاجة لمطالبة اسرائيل بمنح المنظمة الصهيونية العالمية وضعا قانونيا . ان الطفل لا يعطي والده وضعا قانونيا خاصا . فالصهيونية هي التي أنجبت الدولة ، الدولة لم تنجب الصهيونية »(٥١)!

ب ـ **اتهاماتهم** : ان انتزاع السلطة فجأة عام ١٩٤٨ من يد المنظمة الصهيونية كان كافيا بحد ذاته لاثارة نقمة الصهيونيين الاميركيين . ويبدو أن الحكام الاسرائيليين لم يراعوا شعور الصهيونيين بما فيه الكفاية . وقد وصف عمانوئيل نيومان حالتهم النفسية كالآتي : « كان من المحتم أن تحدث اقامة الدولة اليهودية صدمة جدية لشعورهم بالمشاركة والمسؤولية . اذ فجأة وعلى دفعة واحدة ، شهدت المنظمة الصهيونية انتزاع صلاحياتها السياسية وقسما كبيرا من سلطتها . كان لا مفر من ذلك ، ولكن الطريقة التي جرت بها الامور ، مع قليل من الاعتبار للحساسيات ، تسببت في تضخيم ردة الفعل بين صهيونيي الدياسبورا . لقد أصبحت الشعارات القديمة ذات سمعة مشكوك بها . لم يكن الصهيونيون منكسرين فقط ، بل ارتبكوا أيضا اذ افتقروا الى الفكرة الواضحة حول مكانهم ودورهم في الاطار الجديد »(٥٢).

لم يكن اذا غريبا علاوة على ذلك ان يتخوف الصهيونيون من توجه الحكومة الاسرائيلية المباشر نحو الجمعيات اليهودية الاميركية وتخليها عن خدمات المنظمة الصهيونية في كثير من الامور . وقد لاقت هذه المعاملة ايضا احتجاجات عنيفة ومتواصلة طوال السنين الاولى بعد قيام الدولة . ففي اجتماع للجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية في تشرين الثاني ١٩٥٠ ، « كانت المناقشات طويلة ومريرة ووجهت اتهامات قوية من قبل زعماء مختلف الاحزاب الصهيونية بأن القادة الاسرائيليين يريدون تصفية الحركة الصهيونية لانها ظلت قائمة بعد زوال فائدتها .واعيد ترداد بعض هذه الحجج علنا في مؤتمر المزراحي في اتلانتيك سيتي ، اذ ان السيد ا. ل. جلمان رئيس منظمة المزراحي العالمية وزعيم « الكتلة الدينية » السياسي هاجم بضراوة الحكومة الاسرائيلية على قضيتين : (١) فقال انها تحاول تصفية الحركة الصهيونية في الدياسبورا وانها أجرت صفقة مع اللاصهيونيين لان بامكانهم جمع

مبالغ اكبر من المال ، (٢) وقال ايضا ان بن — غوريون منح الفكرة القومية الصهيونية بقبوله بتصريح بلاوشتاين(٥٣) القاضي بأن يهود اميركا مميزون سياسيا عن يهود اسرائيل »(٥٤).

اما ناحوم غولدمان الذي قيل عنه ابان خلق الدولة بأنه يسعى الى ايجاد المواقف التوفيقية بين الحكومة الاسرائيلية والصهيونيين الاميركيين(٥٥)، فما لبث أن اضطر هو أيضا عام ١٩٥٣ الى توجيه الاتهامات للحكومة بسبب استخفافها بالمنظمة . وقد قال : « اذا كان وجود الحركة الصهيونية ضروريا ، فلا يمكن ان يصح ذلك الا اذا قامت بتنسيق النشاطات بين الشعب اليهودي واسرائيل. ولكن اذا اعتادت الحكومة الاسرائيلية على التفاوض مباشرة مع الهيئات اليهودية المختلفة ، لا يوجد اي تبرير لوجود المنظمة . واذا دعت الحكومة يهودا من جميع انحاء العالم لحضور مؤتمر(٥٦) دون ان يكون للوكالة اليهودية اي دور في ابداء رأيها حول طريقة الدعوة اليه او حول من يشارك فيه ، انتفت علة وجودها (...) . لو وقع هذا النوع من الامور مرة او مرتين . لكانت المسألة دون اهمية . ولكن عندما يتحول الى عادة منتظمة ، فذلك يعني انه لم يعد للوكالة اليهودية اي دور قانوني وان عليها ان تفقد صلاحياتها ازاء الجمعيات اليهودية المختلفة وان تنحط الى ذيل دون فائدة . وبما انني لا اظن ان الحكومة قادرة على تنظيم الشعب اليهودي مباشرة ، وبما انني اعتقد انه ليس من المستحب بالنسبة اليها محاولة القيام بذلك ، يستنتج ان الوكالة اليهودية يجب ان تكون الهيئة المنسقة لهذا الغرض . والا فستكون فعلا في وضع مستحيل »(٥٧).

ج — **مبررات وجود الحركة الصهيونية** : ولكن من أجل الحصول على الوضع القانوني الخاص ، كان على الصهيونيين الادعاء بأن مهمتهم لم تنته بعد وان مجرد خلق الدولة لم يكن يعني تحقيق الاهداف الصهيونية كاملة . وقد حدد الصهيونيون عدة مبررات لاستمرار الحركة الصهيونية :

— ان اسرائيل لا يمكن أن تجسد الضمير الصهيوني بكل متطلباته . فانها مقيدة في المجتمع الدولي باعتبارات ديبلوماسية وتكتيكية لا تستطيع تجاوزها ، ولا يمكنها بالتالي ان تدعي ان جميع يهود العالم (وخاصة يهود الغرب الذين يبدون حساسية خاصة تجاه مسألة « الولاء المزدوج ») هم من مواطنيها ، أو انها ستواصل التوسع الى أن تستولي على كامل ارض « اسرائيل » التاريخية . بيد ان هذه القيود الديبلوماسية لا يمكن ان تنطبق على المنظمة الصهيونية التي تستطيع مواصلة الادعاء بأن يهود العالم يكونون امة واحدة وبأنها لسن تتنازل عن ارض اسرائيل التاريخية(٥٨). من هنا ، حاجة اسرائيل الى منظمة مرتبطة بها ومنفصلة عنها في الوقت ذاته لتجسيد هذه الامال علنا(٥٩).

— صحيح ان اليهود اللاصهيونيين يتفوقون على الصهيونيين من حيث حجم المساعدات المالية ولكن التأييد الحقيقي — التأييد المطلق وغير المشروط — لن يأتي الا من قبل الصهيونيين الملتزمين . ففي أوقات المحن (كأن تتعارض مصالح الولايات المتحدة مع مصالح اسرائيل) لن يبقى الا اصدقاء اسرائيل الحقيقيين ، اي اعضاء المنظمة الصهيونية (أي في المثل نفسه ، يدعي الصهيونيون ان اليهود الاميركيين — وأكثريتهم غير منتمية للمنظمة الصهيونية طبعا — سيفضلون الالتفاف حول حكومتهم على المخاطرة بمواصلة التعاطف مع اسرائيل)(٦٠). لهذا السبب ايضا ، ليس من مصلحة اسرائيل التخلي عن المنظمة .

— ان المهمات الخاصة التي تضطلع بها الحركة الصهيونية تتمثل بما يلي : التكرس مئة بالمئة للدفاع عن اسرائيل (اما بالنسبة للجمعيات اليهودية اللاصهيونية ، فلا يشكل تأييدها لاسرائيل الا نشاطا جانبيا ضمن نشاطاتها الاجتماعية الاخرى) ، العمل لاضفاء **طابع قومي** على الطوائف اليهودية عن طريق بث التفكير والشعور القوميين مباشرة ، تعليم اللغة العبرية وثقافتها ، نشر المعرفة باسرائيل (تاريخها وجغرافية فلسطين) ، الاهتمام بحركات الشباب ، توثيق العلاقات اليومية والانسانية والثقافية بين اليهود ، استقدام حاخامين وأساتذة من اسرائيل لمساعدة الطوائف اليهودية في الخارج ، تنظيم الرحلات الى اسرائيل ، توظيف الاموال في مشروعات دائمة فيها ... ويقول الصهيونيون ان كل ذلك يمثل برنامجا تثقيفيا يتخطى الى حد بعيد البرامج التي يضعها مؤيدو اسرائيل اللاصهيونيون لمساندتها والتي لا تنم بحد ذاتها الا عن شعور « خيري » انساني لا قومي نحو اسرائيل(٦١).

د ــ **مواجهتهم لواجب الهجرة** : ولكن ازاء هذا التصور الصهيوني للمهمات المتبقية على الحركة ، لم يكن رد بن ــ غوريون كما رأينا الا القول بأن مكان الصهيوني بحكم انتمائه الى المنظمة هو في اسرائيل ليس الا ، وان بقاءه خارج اسرائيل لا يعطيه فضلا على اليهودي المؤيد للدولة . فكيف يمكنه ان يطالب بحق تمثيل يهود العالم وحق المشاركة في الحكم ، عندما يكون واجبه الاول القدوم الى اسرائيل ؟ فلنتوقف قليلا عند مسألة الهجرة هذه .

لا شك ان هناك تناقضا واضحا بين الانتماء الى المنظمة ذات البرنامج الصهيوني (مع ما يستتبع من مفاهيم محددة : كفكرة تكوين امة واحدة ، وفكرة الخلاص من الاضطهاد واللاسامية عن طريق انشاء دولة خاصة ، وفكرة البقاء خارج اسرائيل يعني البقاء في « المنفى » ...) وبين رفض الهجرة. وعلى العكس من « المنطقي » القول بأن واجب الذي ناضل من اجل تجميع يهود العالم فوق ارض فلسطين وتكوين دولة خاصة بهم ، واجبه الاستيطان فيها حالما تنشأ . لقد استطاع الصهيونيون في الغرب ــ قبل ١٩٤٨ ــ تجنب مسألة هجرتهم الشخصية الى فلسطين بحجة القيود التي كانت السلطة المنتدبة تضعها أمامهم. أما وبعد أن قامت الدولة وأعلنت حكومتها انها ترحب بكل يهودي يقدم الى اسرائيل ، وضع صهيونيو الغرب فجأة امام تحد ملح ولم يعد بمقدورهم تلافي المسألة . من قبل ، كانت المطالبة **بالحق في الهجرة** (فكان بالامكان التهرب دون تفسيرات) واليوم اصبح المطلوب تلبية **واجب الهجرة** (فوجب التبرير)(٦٢).

هنا يكمن ضعف الصهيونيين الاميركيين . كانوا يجيبون بأن فكرة « المنفى » صالحة لجميع البلدان غير الولايات المتحدة : ان دولة حرة مثل اميركا لا يمكن ان تصبح لاسامية وان تضطهد اليهود بسبب تقاليدها الديموقراطية العريضة وانتفاء ماض من العداء لليهود مثلما كان الحال في اوروبا في القرون الوسطى(٦٣). ان صهيونيي اميركا يعترفون انهم في « الشتات » ولكنهم ينكرون ان يكونوا في « المنفى »(٦٤).

ما معنى هذه الاجابة من قبل الصهيونيين الاميركيين ؟ يمكن القول **أولا** انها تعبير عن واقع يشترك فيه ايضا يهود الغرب : فان صهيونيي الولايات المتحدة مثل يهودها مندمجون في حياة بلادهم الاجتماعية (الاقتصادية على كل حال) وليس سهلا عليهم مغادرتها للقفز نحو المجهول وان كان محبوبا ومقدسا . وهذا يعلمنا على كل حال كيف ينبغي التفريق بين الاختيار الفكري ولو الصادق ، والاختيار الحياتي الذي قد يصعب ــ او ربما يستحيل ــ الاستجابة له في ظروف معينة . أما المعنى **الثاني** لرفض صهيونيي اميركا فكرة المنفى ، فانه بالغ الاهمية : انه تراجع ايديولوجي صريح من قبل الصهيونية الاميركية امام ضغط الرأي العام اليهودي الاميركي .

ولكن هل هذا يعني ان لا فرق بين الصهيوني واللاصهيوني المؤيد لاسرائيل سوى انتماء الاول شكليا الى المنظمة الصهيونية ؟ وهل هذا يعني ان السبب الوحيد لاستمرار المنظمة الصهيونية في الوجود هو انطباق قانون « التصور الذاتي » (Law of Inertia) عليها ، بمعنى ان المؤسسات التي زالت وظيفتها تبقى على حيز الوجود لفترة معينة قد تطول؟(٦٥). لقد بينا سابقا ان الصهيونيين حاولوا التفريق بين رسالتهم القومية ونشاط سائر اليهود مناصري اسرائيل . وهم لذلك لم يستقبلوا تهكم بن ــ غوريون حول واجبهم في الهجرة الا باستياء وسخط عنيفين وقالوا : « ان الصهيوني الذي يهاجر الى اسرائيل يفقد صفته الصهيونية ويصبح اسرائيليا »(٦٦). وقد صرح برل لوكر ، رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة (عام ١٩٥٣) من جهته قائلا : « على الحركة الصهيونية ان تقوم بدور خاص . انني لا اوافق القول بأن فقط اليهودي الذي يأتي للاقامة في اسرائيل او ينوي الاقامة فيها في المستقبل القريب ، يمكن ان يدعى صهيونيا . علينا ان نأخذ الواقع بعين الاعتبار . ان تاريخ الحركة الصهيونية يعلمنا ان الجماهير اليهودية ــ حتى في الاوقات التي وصل فيها النشاط الصهيوني الى ذروته ــ لم تهاجر الى ارض اسرائيل طالما لم تكن خاضعة لضغط خارجي »(٦٧).

ان الموقف الصهيوني هذا ، الرافض للهجرة وفي الوقت ذاته المصر على خصوصية الصهيوني بالنسبة للاصهيوني المؤيد لاسرائيل ، يستدعي ملاحظة يجدر التطرق اليها لدى كل بحث عن علاقة اسرائيل

بالصهيونية العالمية . لا نظن انه بالامكان الفصل بين التنقيف القومي داخل التجمعات اليهودية وبين حمل هذه التجمعات الى مساعدة اسرائيل (او بعض المشاريع فيها) لان هذه المساعدة بالذات تؤدي دورا تثقيفيا (في الاتجاه القومي) على المدى البعيد . ومن جهة اخرى ، يبدو لنا مصطنعا عند تحديد كلمة « صهيوني » التفريق بين العضو المنتمي الى منظمة صهيونية رسمية والفرد غير المنظم الذي يبدي تأييده لاسرائيل بشتى الوسائل ، اذ النتيجة ، بالنسبة لنا نحن العرب ، تبقى هي هي : ترسيخ العدوان على ارضنا وضد شعبنا . ولكن رغم كل شيء ، من الواضح اننا ملزمون منهجيا باعتماد التمييز بين « الصهيوني » (عضو المنظمة الصهيونية) و« اللاصهيوني » (صديق اسرائيل) و« الاسرائيلي » ؛ اذ ان هؤلاء (وفي ظل الولاء لاسرائيل) يتصارعون ويتشابكون ويتحالفون فيما بينهم .

لنعد الى موقف الصهيونيين الاميركيين . فقد كانوا فعلا في مأزق : من جهة ، كانوا يريدون التقرب من اللاصهيونيين وكسب ثقتهم عن طريق التريث في قبول فكرة الهجرة الجماعية الى اسرائيل ، ومن جهة ثانية ، كانوا يريدون الظهور أمام الحكم الاسرائيلي وكأنهم يختلفون عن سائر اليهود . ومن المفارقة انهم اختلفوا مع اشقائهم اليهود حيث ينتظر ان يتعاونوا (أي في جمع التبرعات لصالح اسرائيل) واتفقوا معهم حيث ينتظر ان يختلفوا (مسألة الهجرة و«المنفى»)(٦٨). وفوق ذلك كانوا يدعون تزعم جميع يهود العالم (رغم اختلاف المهمات على حد قولهم) . فكانوا مزلقين بين تراثهم الايديولوجي ووضعهم المادي المتناقضين .

هـ — **وسائلهم للضغط على اسرائيل** : لقد رأينا كيف استطاع بن — غوريون ممارسة ضغوط سهلة لاخضاع المنظمة الصهيونية باستغنائه عن خدماتها لا أكثر . ولكن يجدر التساؤل ان كان للصهيونيين الاميركيين — بالمقابل — وسائل فعالة للضغط على الحكومة الاسرائيلية من أجل الحصول على الوضع القانوني الخاص الذي كانوا يطالبون به . يمكن تصور وسيلتين لهذا الغرض : التهديد بتقليص المساعدة ، التهديد بالتدخل في السياسة الاسرائيلية نفسها . ماذا حصل في الواقع بالنسبة لاستخدام هاتين الوسيلتين ؟

١ — هل كان بامكان المنظمة الصهيونية التهديد بتقليص المساعدات للدولة اليهودية ؟

طبعا لا . كان من الواجب استيفاء شرطين لا غنى عنهما لاطلاق هذا التهديد بفعالية : شرط عملي وشرط ايديولوجي .

— الشرط العملي : كان من المفروض ان تكون المنظمة الصهيونية (وخاصة م. ا. ص.) هي المسؤولة عن ادارة المساعدات اليهودية كي تتصرف بها . ولكن كما رأينا ، كان نفوذ الجمعيات اليهودية الاميركية قويا الى حد جعلها تشرف في نهاية الامر على الصندوق من اجل اسرائيل .

— الشرط الايديولوجي : لم يكن من الممكن ايديولوجيا التهديد بالفتور نحو اسرائيل . لقد نشأت الحركة الصهيونية من اجل ايجاد دولة يهودية . ثم عندما قامت هذه الدولة ، اعلنت الحركة ان مهمتها لم تنته بعد . فكان عليها — من اجل ازالة شكوك الاسرائيليين — ان تثبت بالفعل انها بمستوى المسؤولية التي القتها على نفسها .

وهكذا لم يكن بوسع الصهيونيين الاميركيين مقاطعة الحكومة الاسرائيلية او على الاقل التهديد بالكف عن اداء مهمتهم عندما ظهرت بوادر الاتصال المباشر بين يهود العالم واسرائيل . بل كان عليهم كلما ازدادت الشكوك (اي كلما ظهرت علامات الاستغناء عن خدماتهم) ان يضاعفوا جهودهم (المساعدات وعلامات التأييد للدولة) لازالة هذه الشكوك(٦٩).

ولكن — وهنا يكمن ضعف المنظمة — رغم مضاعفة الجهود ، لم يستطع القادة الصهيونيون التوصل الى مواقع اكثر تقدما في الطوائف اليهودية . ففي اميركا مثلا ، خسرت م. ا. ص. التي كانت تضم حوالي ٣٠٠ر٠٠٠ عضو عام ١٩٤٩ ، بين ٤٠ر٠٠٠ و٩٠ر٠٠٠ عضو منذ خلق الدولة حتى أيلول ١٩٤٩(٧٠). ان قسما من اليهود الذين كانوا يعملون قبل ١٩٤٨ من أجل اقامة دولة يهودية وانخرطوا من أجل ذلك في المنظمات الصهيونية ، رأوا بعد قيام الدولة ان مواصلة تأييدهم لم يعد يحتاج الى متابعة الانتماء الى

المنظمات الصهيونية ، عدا عن شعور البعض بأن الهدف المرجو قد تحقق .

كانت شكوك القادة الاسرائيليين مزدوجة اذا . فمن جهة ، لم يكترثوا جديا باحتجاجات المنظمة الصهيونية ، بل وثقوا من انتفاء خطر « الطلاق » ومن استمرار التزام المنظمة الصهيونية باسرائيل مهما كان استخفافهم بها . ومن جهة ثانية ، وثقوا من قدرتهم الذاتية على تأمين التأييد اليهودي العالمي وشكوا في قدرة المنظمة على تجنيد يهود العالم حتى اقصى حد(٧١). فجاء الهبوط في تأييدها — كما ونوعا — ليس نتيجة لضغط مارسته بل لعجز لم تستطع تخطيه . من هنا مطلبها الحيوي باعتراف رسمي من قبل الحكومة كممثلة وحيدة لجميع يهود الدياسبورا المؤيدين لاسرائيل . فهذا المطلب — بصفته حيوي — ينم عن ضعف المنظمة وليس عن قوتها .

هل الوسيلة الثانية التي تصورناها كانت ممكنة؟

٢ — هل كان بامكان المنظمة الصهيونية التهديد بالتدخل في السياسة الداخلية الاسرائيلية ؟

ان هذا السؤال يدعونا الى الرجوع الى فترة ما قبل الدولة . من المعروف ان المؤتمر الصهيوني — السلطة العليا في المنظمة — يشتمل على ممثلي الاحزاب الصهيونية حسب قوتها في قواعدها الانتخابية . وكان الحزب الاقوى قبل الحرب العالمية الثانية « الاتحاد العالمي لعمال صهيون » اذ كان مجموع مندوبيه في المؤتمر الواحد والعشرين (جنيف ١٩٣٩) يبلغ ٢٣٤ بينما كان الحزب الذي يليه اي حزب الصهيونيين العموميين أ (وهو يضم م. ا. ص. السالفة الذكر مرارا) يشغل ١٥٩ مقعدا . غير ان الصورة انقلبت في مؤتمر بازل (١٩٤٦) بسبب نتائج الحرب على الطوائف اليهودية الاوروبية وتعاظم دور الصهيونيين الاميركيين في تلك الفترة . فانحصر دور حزب العمال في فلسطين وهكذا لم يتمكن الا بارسال ١٠١ مندوب الى مؤتمر بازل ، بينما أوفد الصهيونيون العموميون ومعظمهم من اميركا ١٢٣ مندوبا . وهذا يعني ان المنظمة الصهيونية العالمية كانت قبيل اقامة اسرائيل تابعة لنفوذ الصهيونيين العموميين او عمليا لنفوذ الصهيونيين في الدياسبورا . وبينما كانت الصهيونية في فلسطين تريد تجنيد اماني اليهود العمال الذين يتطلعون — او على الاقل جزء منهم — الى علاقات ودية مع الشرق الاشتراكي(٧٢)، كان الصهيونيون العموميون ذوي منحى يميني غربي : التحالف مع الغرب ، الاقتصاد الحر ، لا لصراع الطبقات ، لا لتسلط الاحزاب على المؤسسات الاجتماعية في اليشوف (الجهاز التربوي ، الضمان الصحي) . لا ريب ان التناقض بين ما سمي اليمين الصهيوني واليسار الصهيوني تناقض ثانوي (بالنسبة لنا أو بالنسبة للمطامع الصهيونية في بلادنا) ، ولكن من الطبيعي ان يزيد من حدة التناقض (الذي يوازيه) بين الدياسبورا والداخل .

عندما نشأت الدولة ، كان للاحزاب الصهيونية دور مزدوج : فمن جهة شاركت في الحكم كأحزاب اسرائيلية وفي الوقت ذاته ظلت ممثلة في المنظمة الصهيونية . غير ان هذا الامر لم يكن يعني بالضرورة ان مراكز الاحزاب الرئيسية كانت ستقع كلها في فلسطين المحتلة . ان هذه الملاحظة تنطبق بشكل خاص على الصهيونيين العموميين : فمركز الصدارة كانت تحتله م. ا. ص. بينما لم يلعب اخوانهم في اسرائيل دورا ذا اهمية . أما بالنسبة لاتحاد العمال الصهيونيين ، فكانت الصورة معكوسة : حزب حاكم في اسرائيل ومسيطر على الفروع في الشتات .

بما ان م. ا. ص. تمثل التنظيم الصهيوني الاقوى في الدياسبورا والمتنافس مع الحزب الحاكم الاسرائيلي ، يمكننا حصر اهتمامنا بها (هنا ايضا) لدى تساؤلنا عن احتمال تدخل المنظمة الصهيونية العالمية في السياسة الداخلية الاسرائيلية .

لم تكن الصلة متينة بين مختلف فروع الصهيونيين العموميين وبشكل خاص بين م. ا. ص. والصهيونيين العموميين في فلسطين . لقد كونوا تجمعا مهلهلا قابلا للانشقاقات العديدة أكثر مما كانوا حزبا منظما . وتعود نشأتهم بالفعل الى رفضهم الانتماء الى الاحزاب الصهيونية التي قامت في الحركة ... ان انتفاء العلاقات التنظيمية الوثيقة بين م. ا. ص. والصهيونيين العموميين في فلسطين منع تسلطا فعالا من قبل الفرع القوي (في اميركا) على الفرع الضعيف (في فلسطين) .

عندما قامت دولة اسرائيل واخذ الصهيونيون العموميون في اميركا يشعرون بخطر زوال نفوذهم في تقرير السياسة الصهيونية — الاسرائيلية وبخطر

اتجاه الدولة نحو المعسكر الاشتراكي وابتعادها عن الولايات المتحدة(٧٣)، درسوا احتمال تقوية الصهيونيين العموميين في اسرائيل كوسيلة (من بين وسائل اخرى) لابعاد هذه « الاخطار » . لم تكن محاولة ربط العموميين في امـيركا باخوانهم الحزبيين في اسرائيل مجرد نتيجة لتحليل موضوعي، بل كانت ايضا حاجة عاطفية ماسة . ان اقامة الدولة (وبالتالي استقلالها التنظيمي عن الحركة الصهيونية) صفعت م. ا. ص. في الصميم . ربما حصل الامر نفسه للمنظمات الصهيونية الاميركية الاخرى ، ولكن بدرجة أقل بالتأكيد ، اذ كانت مرتبطة بشكل او بآخر بمهمات او بمؤسسات محددة في فلسطين : مشروعات خيرية معينة (وهذا صحيح بالنسبة لجمعية عاداسا مثـلا) ، حملات تبرع للهستدروت (كان يقوم بها حزب عمال صهيون في اميركا) ، اواصر دينية (مزراحي ...)(٧٤)... أما م. ا. ص. فكانت علاقتها بفلسطين علاقة عامة ولم تكن مرتبطة بمشروع خيري أو استيطاني او ديني معين يمكن متابعة الاضطلاع به بغض النظر عن وجود الدولة اليهودية او عدم وجودها . وهكذا لبت محاولة الارتباط اللاحقة بالصهيونيين العموميين الاسرائيليين مطلبا عاطفيا الى جانب مطاليب اخرى تكتيكية . لقد تقرر هذا الاتجاه رسميا في مؤتمر م. ا. ص. في تموز ١٩٥١ ومن المناسب هنا ان نورد ما كتبه مراقب اميركي حذق (وهو آلن برغر يهودي معاد للصهيونية) حول هذا الموضوع في آب ١٩٥١ :

« لقد حافظت م. ا. ص. حتى الان على وجودها المستقل عن الحزب الصهيوني العمومي الاسرائيلي الصغير . غير ان م. ا. ص. قررت رسميا في مؤتمرها الاخير انهاء عزلتها هذه . ان الاستراتيجية وراء هذه المناورة تتصل بالنزاع بين بن — غوريون وسلفر وم. ا. ص. وبالتغازل القائم بين بن — غوريون والاميركيين « اللاصهيونيين » .

ان صهيونية م. ا. ص. تمثل من الناحيـة الاقتصادية رأسمالية الطبقة الوسطى . ان البعض من زعمائها متزعجون من اشتراكية بن — غوريون. اما بن — غوريون فهو من جهته لا يرغب في رؤية هؤلاء الصهيونيين العموميين الاميركيين يرتبطـون بالجماعة الصهيونية العمومية في اسرائيل ويمدونها بالمساعدة .

فبن — غوريون معني بالامر لانه من الممكن ان يضطر الى دعوة الصهيونيين العموميين الاسرائيليين الى الاشتراك في حكومة ائتلافية جديدة. ان ورود هذا الاحتمال نابع من نجاحات الصهيونيين العموميين في الانتخابات المحلية الاخيرة في اسرائيل ومن الازمة الناشبة بين بن — غوريون وشركائه السابقين في الحكومة الائتلافية اي اعضاء الكتلة الدينية (...). بامكان بن — غوريون اذا ان يأمل فقط الا ترتبط الجماعة الصهيونية العمومية الاقوى في العالم اي م. ا. ص. بالصهيونيين العموميين الاسرائيليين الذين ما زالوا ضعفاء ومنقسمين فيما بينهم .

ان استراتيجية سلفر — كما هو منتظر — على العكس تماما . لقد أراد مـن جولته الاخيرة في اسرائيل تقوية الصهيونية العمومية هناك . ويقال أيضا انه حمل معه بالفعل أموالا اميركية لمساعدة الصهيونيين العموميين الاسرائيليين فـي حملتهم الانتخابية . ان سلفر يعي المأزق الحالي الذي يواجهه بن — غوريون فيما يخص تأليف حكومة جديدة ، ويريد بالتالـي ان يكون اشتـراك الصهيونيين العموميين المحتمل في الحكومة الجديدة قويا حتى اقصى حدود الممكن . وتأمل م. ا. ص. بهذه الطريقة الحصول على وضع ارقى في دولة اسرائيلية تصبح اقل اشتراكية مما هي الان . ويعتقد زعماء م. ا. ص. انهم اذا ما حسنوا مكانتهم في اسرائيل فسيسترددون نفوذهم — ولا نتكلم عن امكانياتهـم المالية — هنـا في الولايـات المتحدة (...) . ان هذه الاهداف قـد يسهل تحقيقها اذا منحت المنظمة الصهيونية العالمية وضعا قانونيا خاصا في اسرائيل ، اذ قد تصبح المنظمة في هذه الحالة الوكالة التي تمثـل في اسرائيل الشعب اليهودي الذي يعيش خارج اسرائيل . ويترتب على ذلك ان تمر كل المساعدات الموجهة لدولة اسرائيل او للاسرائيليين مـن خلال أيـاد صهيونية منظمة . وطالما ان اسرائيل ستظل بحاجة الى تأييد اليهود من خارج الدولة (وبن — غوريون نفسه يقر اليوم أن الحاجة هذه ستدوم عشر سنين على الاقل) ، يتضح ان منح وضع قانوني خاص للمنظمة الصهيونية العالمية سيجعل بن — غوريون او اية حكومة اسرائيلية خاضعة للحركة الصهيونية. وعندئذ — كما يأمل زعماء م. ا. ص. — اذا ما فقد الاسرائيليون حقهم في التمتع بصوتين بدل من

الصوت الواحد في المؤتمر الصهيوني ، ستتمتع م. ا. ص. على الارجح بميزان القوى لصالحها في الصهيونية العالمية .

(...) ولكن من سوء حظ سلفر ونيومان وم. ا. ص. ان بن — غوريون يعلم كل ذلك أيضا. وكذلك من سوء حظ سلفر ونيومان وم. ا. ص. ان السيد بلاوشتاين ورفاقه « اللاصهيونيين » لا يعون الدور الذين يلعبونه . اذ من دونهم غما كان باستطاعة بن — غوريون ان « يتعالى » على سلفر ونيومان وم. ا. ص. (...) ان بن — غوريون يمسك زمام المبادرة بمساعدة « اللاصهيونيين » . لقد قضت الحركة الصهيونية على نفسها بخلقها دولة اسرائيل اذ أن الدولة تسيطر على الحركة عن طريق سيطرتها على الوكالة اليهودية »(٧٥).

بيد أن الاحداث اللاحقة (التي أيدت تحليلات برغر في مجملها) لطفت نوعا ما من تنبؤاته في هذا المقال . اذ اضطر بن — غوريون ان يدخل الصهيونيين العموميين في حكومته الجديدة واسترجعت م. ا. ص. جزءا من نفوذها السابق (وخاصة بعودة ابا هيلل سلفر منتصرا الى م. ا. ص. في شباط ١٩٥٣)(٧٦). غير ان حدود هذه التطورات واضحة لانه لم يكن من المأمول بتاتا ان تستطيع المحاولة الوحيدة الجدية التي اجرتها قوى داخل المنظمة الصهيونية العالمية للتأثير على السياسة الداخلية الاسرائيلية (هذه المحاولة الصادرة عن م. ا. ص.)(٧٧) اعادة العلاقات الى ما كانت عليه قبل خلق الدولة ، بل كان جل ما يمكن ان تؤدي اليه هو ان تبرهن ان م. ا. ص. لن تكف عن السعي الى الافلات من السيطرة الاسرائيلية المطلقة . ان النزاع الذي دار بين م. ا. ص. والحكم الاسرائيلي يشير في جميع جوانبه الى أمر يتعدى الفترة القصيرة اللاحقة لقيام اسرائيل : فرغم الشروط الموضوعية التي تحتم تفوق اسرائيل على المنظمة الصهيونية العالمية ، ستظل قوى معينة داخل المنظمة تعاكس التسلط الاسرائيلي عليها لانها هي أيضا تمثل مصالح موضوعية « دياسبورية » لا تتطابق ضرورة مع المصالح الاسرائيلية . او بعبارات اخرى : ان ميزان القوى الذي سيبقى دوما لصالح اسرائيل لا يستطيع بالوقت ذاته القضاء نهائيا على محاولات الصهيونية الدؤوبة للاستقلال الذاتي . سنرى بعد قليل كيف انعكس هذا **التوازن اللامتكافىء بشكل دائم** على العلاقات القانونية بين المنظمة العالمية واسرائيل وعلى الايديولوجية الصهيونية نفسها (علاقات وايديولوجية التي كان لا بد من تحديدها — ولو موقتا — في نهاية المرحلة الانتقالية) .

[علينا ان نتوقف قليلا على ملاحظة ربما لا تدخل في سياق تحليلنا هنا ولكنها ترد الى ذهن القارىء بعد قولنا ان م. ا. ص. لم تستطع التأثير بفعالية على السياسة الداخلية الاسرائيلية . يجدر الا يعمم هذا القول بسرعة ويؤول بمعنى ان الحركة الصهيونية العالمية لا تؤثر على بنية النظام الاسرائيلي . بل على العكس : ان تأثير الصهيونية العالمية على النظام الاسرائيلي تأثير جوهري وشامل وليس تأثير عرضي وجزئي . كيف يحصل ذلك ؟ نستعين بالشرح الذي يعطيه اوري افنيري للمسألة : « **على الاحزاب الاسرائيلية ان تظل صهيونية** لان الصهيونية تمدها بالمال اللازم لنشاطها ... ان المال هذا يصل الى اسرائيل بواسطة الوكالة اليهودية ... فالوكالة كناية عن اتحاد احزاب بكل تدقيق وبكل بساطة ... انها ترسل بضعة ملايين من الدولارات مباشرة الى الاحزاب الصهيونية التي فوضتها مهمة جمع التبرعات في الولايات المتحدة. ان الوكالة اليهودية، بتمويلها منظمات الشباب والنشاطات الثقافية ودوائر الدعاية او سائر المؤسسات التي تملكها الاحزاب الصهيونية ، الوكالة اليهودية تساعد هذه الاحزاب على تثبيت اجهزتها ونفوذها في اسرائيل والخارج ... لا عجب اذا ان كانت الصهيونية مقدسة بالنسبة لجميع الاحزاب »(٧٨). فلا قوة لحزب اسرائيلي ولا أمل له ان يصل الى الحكم اذ أعلن معاداته للصهيونية . بيد انه رغم كل ذلك ، من الواضح ان المساعدة المباشرة من قبل حزب صهيوني في الدياسبورا الى الحزب الشقيق في اسرائيل ، لها نتائج محدودة يصعب تخطيها ، اذ تقابلها مساعدات اخرى مباشرة من قبل كل من الاحزاب الصهيونية الاخرى في الدياسبورا الى شقيقاتها في اسرائيل . وهكذا نجد ان اللعبة بين الاحزاب الاسرائيلية لا تتأثر الا قليلا بتدخل هذا الطرف الصهيوني الخارجي او ذاك(٧٩).]

٧ ــ التحديد الايديولوجي والقانوني للمنظمة الصهيونية العالمية :

ان جميع العناصر التي تمكنا من جمعها حول القوى الموجودة على الساحة الصهيونية ــ الاسرائيلية تشير دون ريب الى ضرورة صياغة قواعد جديدة للتعامل تكون متناسبة مع الاوضاع المستجدة التي رافقت قيام دولة اسرائيل . وليس من شأن هذه القواعد ان تحل جميع الاشكالات ولا حتى ان تجمد التناقضات ، بل كان من المراد بها التأكيد على نقاط الالتقاء والتعبير عن التراجعات التي كان لا بد منها والاتفاق على تأجيل البت في بعض الامور كي يحكم التاريخ حكمه . وقد اقرت هذه القواعد في مناسبات ثلاث : المؤتمر الثالث والعشرين للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥١) ، التشريع الاسرائيلي المتعلق بوضع المنظمة القانوني (١٩٥٢) ، الميثاق الموقع من الطرفين (١٩٥٤) .

أ ــ المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون :

انعقد المؤتمر في القدس من ١٤ الى ٣٠ آب ١٩٥١ بعد تأجيلات عديدة اذ كان من المفروض ان ينعقد أصلا في اواخر ١٩٤٨ . لم تكن الاحداث الجارية في فلسطين هي فقط التي أخرت انعقاد المؤتمر ، بل كانت الصراعات الداخلية عاملا هاما في التأجيل . على كل حال ، بعثت الاحزاب الاسرائيلية ٢١٠ مندوبين بينما أرسلت الدياسبورا ٢٥٦ مندوبا . أما الكتلتان الهامتان من الناحية الحزبية فكانتا : عمال صهيون (١٦١) ، العموميون (١١٨) .

ليس هدفنا استعراض دقائق المؤتمر(٨٠)، بل ما يهمنا هو النتيجة التي توصل اليها فيما يخص تحديد مفهوم الصهيونية بعد قيام الدولة . كانت هذه المسألة بالفعل الحلقة التي دارت حولها جميع المناقشات . وكان المفروض في الاصل ان يتوصل المؤتمر الى اعلان « برنامج القدس » كي يحل محل « برنامج بازل »(٨١) الذي اعلن في المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧) وكان من المفروض ايضا ان يحدد ليس فقط مهمات الحركة الصهيونية بل هدفها النهائي . غير ان التناقضات القائمة بين المندوبين الاسرائيليين (الذين كانوا يؤيدون صيغة قومية متشددة) والمندوبين الاميركيين ، وحرص الاسرائيليين رغم كل شيء على بلوغ شبه اجماع في مسودة البرنامج ، والتخوف من ردة فعل يهودية اميركية عنيفة(٨٢) ازاء تحديدات قومية متطرفة ، كل ذلك حال دون تبني برنامج جديد يلغي برنامج بازل . فأجلت المسألة الى المستقبل وبقي برنامج بازل ساري المفعول . غير ان المؤتمر نجح في اتخاذ قرار يحدد مهمة الصهيونية كما يلي : « تقوية دولة اسرائيل ، وتجميع المنفيين في ارض اسرائيل ، وتنمية وحدة الشعب اليهودي »(٨٣).

قد يقال ان المهمة الصهيونية ، حسب ما عبر عنها المؤتمر تكفي ان تنعت بالتطرف القومي . هذا صحيح (بالنسبة لنا) ، ولكن اذا قيست بالمشروع الاولي ، يمكن اعتبارها « معتدلة » . لقد قدم الصهيونيون الاسرائيليون والتحريفيون مشروع قرار يقترح الصيغة التالية : ان **هدف** الصهيونية هو **خلاص** الشعب اليهودي **من خلال** تجميع المنفيين في ارض اسرائيل .

ما الفرق بين الصيغتين ؟ ان الصيغة الثانية ــ أي المشروع غير المتبنى ــ يشير الى ان الخلاص لا يكمن الا في الدولة وان تجميع المنفيين هو الوسيلة الوحيدة للخلاص (وهذا واضح من عبارة « من خلال ») وان الشعب اليهودي بأسره هو في المنفى طالما بقي خارج اسرائيل . اما الصيغة الاولى التي اقرها المؤتمر فعلا ، فانها تكتفي بسرد ثلاث مهمات مستقلة عن بعضها بعضا بعلامة فاصلة (؛) دون اجراء ربط بينها . فالربط يجعل من الرابط « وسيلة » الزامية ومن المربوط هدفا ، الامر الذي كان يرفضه الصهيونيون الاميركيون(٨٤). اما المهمات الثلاث المذكورة جنبا الى جنب ، فكانت تحظى باجماع الجميع (مع بعض التحفظ ربما من قبل اليهود الاميركيين) اذ كانت تتطرق اما الى برامج عملية (مساعدة الدولة ، تسهيل الهجرة لطالبي الهجرة) او الى تصريح طوباوي (وحدة الشعب اليهودي) . وأكثر من ذلك : ان الصيغة المعتمدة تشير الى عدم الوضوح المقصود : فعبارة وحدة الشعب اليهودي قد تعني وحدة روحية (التفسير اليهودي الاميركي)، او تعني وحدة قومية (التفسير الصهيوني الاسرائيلي) ، وعبارة « تجميع المنفيين » قد تشمل جميع يهود الدياسبورا (التفسير الاسرائيلي) كما يمكن ان تشتمل فقط على اليهود الذين يحتاجون الى الهجرة الفعلية دون غيرهم ممن لا يعتبرون انهم في المنفى (التفسير الاميركي) . أما كلمة « خلاص » ، فحذفت من المقررات النهائية نزولا عند رغبة الصهيونيين الاميركيين الذين رفضوا ان « يخلصوا »(٨٥).

من الواضح اذا ان مسألة الهجرة كانت اساسية في المؤتمر اذ ما المناقشات حول كلمات « منفى » ، « خلاص » ، « أمة يهودية » الا تعابير ايديولوجية لمسألة الهجرة الى اسرائيل . غير ان المؤتمر تطرق لها ايضا بشكل صريح واتخذ قرارا بهذا الصدد هذا نصه: «ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يناشد تلك الجماعات اليهودية التي لا تزال الهجرة من وسطها الى اسرائيل على نطاق صغير ، ولا سيما الجماعات الموجودة في نصف الكرة الغربي ، الانضمام الى حركة الهجرة صوب اسرائيل . هذا النداء موجه بنوع خاص الى الشبيبة في تلك الجماعات . فالمنظمة الصهيونية والهيئات القائمة في البلدان المعنية مطالبة بالحاح للتشجيع والمساعدة في تنظيم النشاطات لاجل زيادة الهجرة الى اسرائيل من اوساط تلك الجماعات . على ان تعطى الافضلية لهجرة الرواد الطلائعيين من الشباب ، والاشخاص من اصحاب المهن والمهارات ، والذين يملكون الوسائل المالية »(٨٦).

يبدو ان الصهيونيين الاميركيين انفسهم صوتوا الى جانب هذا القرار(٨٧). بيد انه يجدر الانتباه الى ان القرار لا يتكلم عن الهجرة الجماهيرية ، الجماعية ، بل فقط عن هجرة رائدة ، طلائعية ، فردية ، لا تغير من معالم الطوائف اليهودية الغربية . فيجب اذا تفسير القرار بأنه حل وسط بين الصهيونيين الاسرائيليين والصهيونيين الاميركيين .

المسألة الثانية الهامة التي تدارسها المؤتمر كانت تخص الوضع القانوني الخاص المطلوب منحه من قبل الدولة . اذا كان علينا ان نصنف القوى الاساسية حسب حماسها لمبدأ الوضع القانوني الخاص ، يمكننا عرض الترتيب التالي (من الاكثر حماسا الى أقله) : اولا : الصهيونيون الاميركيون، ثانيا : الصهيونيون الاسرائيليون ، ثالثا : الحكم الاسرائيلي ، رابعا : اليهود الاميركيون .

اليهود الاميركيون (وهم المعارضون للوضع القانوني الخاص) لا يشتركون طبعا في المؤتمر ولكنهم يكونون الطرف الخفي الذي يضغط على الحكومة الاسرائيلية . أما الحكومة فهي تنعم بنفوذ قوي في المؤتمر — على الاقل من خلال المندوبين الاسرائيليين وخاصة « العمال » . على ان للحكومة اعتبارات (ضبط المنظمة) ومصالح آنية (ضغوط يهود اميركا) لا يخضع لها بالضرورة او بشكل آلي المندوبون الاسرائيليون . فكان بامكان هؤلاء ان يتمتعوا بهامش من التحرك سمح لصهيونيي الخارج ان يحصلوا على قرارات واضحة فيما يخص المطالبة بوضع قانوني خاص . ويمكن اعتبار هذه القرارات بمثابة توصيات موجهة للحكومة الاسرائيلية كي تسن قانونا يكرس هذا الوضع الخاص حسب مطاليب المؤتمر(٨٨). وهذا يعني ان هذه القرارات لم تلزم الحكومة رغم انه من المفترض انها حظيت برضاها (برضاها ليس ضرورة في مضمون جميع بنودها ، ولكن كمطلب معقول قد تأخذه بعين الاعتبار) . ونقتطف منها ما يلي :

« يرى المؤتمر من الجوهري ان تقوم دولة اسرائيل ، عن طريق **الاجراء التشريعي الملائم** ، بمنح المنظمة الصهيونية العالمية **وضعا قانونيا** بصفة كونها **تمثل الشعب اليهودي في كافة الشؤون** المتعلقة بالمشاركة المنظمة من جانب يهود الشتات في تطوير البلاد وبنائها ، والاستيعاب العاجل للمهاجرين . فيما يتصل بجميع النشاطات التي تجري ممارستها لخدمة مصالح دولة اسرائيل داخل الجماعات اليهودية في الشتات انه لمن الجوهري ان تعمل حكومة اسرائيل ودولتها بالتشاور والتنسيق مع المنظمة الصهيونية العالمية »(٨٩).

من الاكيد انه كان من شأن هذه التوصيات ان ترضي كافة المنظمات الصهيونية . ولكن تجدر الاشارة الى ان المنظمة الصهيونية لم تذهب الى حد القول بأنها تمثل الشعب اليهودي بشكل مطلق وفي كافة المجالات ، بل انها تمثله فقط في الشؤون المتعلقة بمساعدة اسرائيل. رغم ذلك « التلطيف »، لم يكن بمقدور الجمعيات اليهودية المؤيدة لاسرائيل ان تقبل بهذا التمثيل . ويمكن افتراض حالة واحدة لقبولها : ان توسع المنظمة (ايديولوجيا وتنظيميا) كي تستوعب جميع اليهود « اصدقاء اسرائيل » . يجب الا ننسى هنا ان تجربة الوكالة اليهودية (بانضمام بعض اللاصهيونيين ولو شكليا اليها) كانت ماثلة للعيان وقد قدمت بالفعل بعض المقترحات (وخاصة من الصهيونيين الاميركيين) لاعادة تنظيم الوكالة والمنظمة في هذا الاتجاه (وخاصة بتكوين فدراليات وطنية تكون مستقلة عن الاحزاب ولا تجعل من الانتماء الى الاحزاب أمرا الزاميا ...)(٩٠) ولكن أجلت كلها الى المستقبل.

ب — **التشريع الاسرائيلي المتعلق بوضع المنظمة القانوني والميثاق** : كان هم الحكومة الاسرائيلية الشاغل ، وخاصة بوجود بن — غوريون ، كسب اكبر قدر ممكن من الدعم اليهودي ، وكبح جماح المنظمة الصهيونية ذات المطامح الضخمة بسبب دورها السابق في خلق الدولة . ولكن مجرى الامور قلص هذه المطامح الصهيونية كما رأينا الى حجم واقعي ولم يعد بمقدور المنظمات الصهيونية الا ان تسعى الى استقلالها الذاتي(٩١). وبناء عليه ، ما كان من مصلحة بن — غوريون حسم الصراع جذريا بين الصهيونيين واليهود الاميركيين ، بل كان ما يهمه توظيف جميع الامكانيات (حتى وان تصارعت) لصالح اسرائيل . فلم يكن عجيبا ان يغير موقفه كليا وجه كلامه الى هذا الطرف او ذاك وقد تجلى ذلك في مسألة سن التشريع المتعلق بمنح المنظمة الصهيونية وضع قانوني خاص . فبعد أن قدم مشروعا الى الكنيست بهذا الصدد وبعد أن أقرته في قراءة اولى ، سحب بندا من المشروع المذكور واستبدله بآخر . فماذا حصل بالفعل ؟

لقد كان المشروع الاصلي يتكلم عن المنظمة الصهيونية كممثلة للشعب اليهودي في الشؤون المتعلقة بمساعدة الدولة (تمشيا مع مقررات المؤتمر الصهيوني) . ولكن بسبب تدخل الجمعيات اليهودية الاميركية وتهديداتهم ، استبدلت عبارة « **ممثلة الشعب اليهودي** » بعبارة « **وكالة مخولة السلطات** »(٩٢). نذكر هنا على الاخص موقف اللجنة اليهودية الاميركية (تشرين الاول ١٩٥١) : « اننا نحذر دولة اسرائيل من عدم لياقة : أ) اعطاء أي نوع من الاعتراف الدبلوماسي لاية هيئة غير حكومية ، ب) اعطاء أي وضع قانوني سياسي داخل اسرائيل لاية منظمة غير اسرائيلية او لاية هيئة غير حكومية »(٩٣).

ان عبارة « وكالة مخولة السلطات » تجرد المنظمة من اية صفة تمثيلية وتجعلها مجرد أداة . على كل حال ، نذكر هنا بعض ما ورد في القانون (وقد أقرته الكنيست نهائيا في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٢) :

« تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على انها الوكالة المخولة السلطات والتي سوف تتابع اعمالها في دولة اسرائيل لاستيطان البلاد وتنميتها ، ولاستيعاب المهاجرين من الشتات ، ولتنسيق الانشطة في اسرائيل والتابعة للمؤسسات والجمعيات اليهودية العاملة في تلك المجالات »(٩٤).

اما فيما يتعلق بتوسيع اطار المنظمة كي تتمكن من استيعاب « اللاصهيونيين » ، فيقول القانون : « ان دولة اسرائيل تتطلع صوب مشاركة جميع اليهود والهيئات اليهودية في بناء صرح الدولة ومساعدة الهجرة الجماعية اليها ، مثلما تعترف بالحاجة الى توحيد جميع الفئات والجاليات اليهودية لهذه الغاية . تتطلع دولة اسرائيل الى المساعي التي تبذلها المنظمة الصهيونية العالمية في سبيل تحقيق هذا التوحيد . وعندما تقرر المنظمة الصهيونية توسيع اطارها لاجل هذا الغرض ، وبعد موافقة الحكومة وتصديق الكنيست ، فان الهيئة الموسعة سوف تتمتع بالوضع الشرعي اياه والذي جرى منحه للمنظمة الصهيونية العالمية في دولة اسرائيل »(٩٥).

ومن جهة اخرى تتعهد اسرائيل بوضع ميثاق كي يوقعه الطرفان : « ان شروط الوضع الشرعي وشكل التعاون بين كل من المنظمة الصهيونية العالمية — كما تمثلها اللجنة التنفيذية الصهيونية والتي تدعى ايضا باللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين — والحكومة سوف يتم وضعها في ميثاق يجري ابرامه بين الحكومة واللجنة التنفيذية الصهيونية »(٩٦). ولكن القانون لا ينسى دعوة المنظمة الى « اقصى درجة من التعاون والتنسيق مع دولة اسرائيل وحكومتها **تمشيا مع قوانين الدولة** »(٩٧).

وينص القانون اخيرا على ان « اللجنة التنفيذية هي شخصية قانونية ويحق لها ابرام العقود والاستحصال على الاملاك والاحتفاظ او التصرف بها ، كما يحق لها ان تدخل طرفا في جميع المعاملات القانونية وغيرها » .

كانت الخطوة التالية الواجب اتخاذها عقد ميثاق بين الطرفين يتمشى مع قانون الكنيست الخاص بالوضع القانوني . ويتضمن الميثاق (الذي وقع عام ١٩٥٤) الصلاحيات التي تتنازل عنها حكومة اسرائيل لناطقها باللجنة التنفيذية الصهيونية (او اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية) كما انه يحدد واجبات المنظمة الصهيونية ويرسي قواعد التنسيق بين الطرفين في المستقبل . نقتطف من الميثاق ما يلي :

« فيما يلي وظائف اللجنة التنفيذية الصهيونية كما يتضمنها هذا الميثاق : تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل ، التعاون في استيعاب المهاجرين داخل اسرائيل ، هجرة الشبيبة والاحداث ، الاستيطان الزراعي في اسرائيل (...) ، المشاركة في انشاء وتوسيع المشاريع الانمائية داخل اسرائيل ، تشجيع التوظيفات لرؤوس الاموال الخاصة في اسرائيل (...) ، تنسيق النشاطات في اسرائيل للمؤسسات والمنظمات اليهودية العالمية ضمن حدود هذه الوظائف وعن طريق الصناديق المالية العامة . كل نشاط يجري تنفيذه في اسرائيل بواسطة اللجنة التنفيذية او بالاصالة عنها على سبيل تأدية الوظائف المدرجة اعلاه ، او جزء منها ، سوف **ينفذ وفقا لقوانين اسرائيل وتمشيا مع الانظمة والتعليمات الادارية** التي يسري مفعولها من وقت الى آخر ، والتي تتحكم بنشاطات السلطات الحكومية ذات الوظائف المغطية للنشاط المعني او المتأثرة به (...) تتشاور الحكومة مع اللجنة التنفيذية بشأن التشريع الذي يطال وظائف اللجنة التنفيذية بنوع خاص ، وذلك قبل احالة هذا التشريع الى الكنيست »(٩٨).

ماذا يمكن الاستنتاج من الميثاق(٩٩) يبدو من الوهلة الاولى اننا هنا امام فريقين متساويين ، حدد كل منهما موقفه من طرف واحد (المنظمة الصهيونية من خلال قرارها في المؤتمر الثالث والعشرين ، دولة اسرائيل من خلال قانون الكنيست لعام ١٩٥٢) قبل ان تلتقي الارادتان في عقد ثنائي حر : الميثاق . ومن شأن هذا التفسير للميثاق أن يمنح المنظمة الصهيونية وضعا قانونيا دوليا على غرار وضع الوكالة اليهودية في عهد الانتداب (بل أكثر) . ولكن اذا أمعنا النظر في جميع بنود الميثاق وخاصة قانون الكنيست ، نلاحظ تشديدا خاصا على وجوب مراعاة قوانين وانظمة الدولة ، لا بل وجوب الانصياع الى التعليمات الادارية التي تعممها الحكومة على موظفيها . فنجد ان المسألة لا تتعدى **التفويض** من قبل حكومة اسرائيل لهيئة خاضعة لها وملزمة بالتنسيق معها كي تقوم بجملة من المهمات المحددة . على كل ، من الواضح ان جميع دوائر الوكالة اليهودية **داخل الدولة** (دائرة الهجرة ، دائرة الاستيعاب ...) تشبه الى حد بعيد دوائر الحكومة الادارية .

اما الوضع القانوني للمنظمة **خارج الدولة** ، فهو يخلو من الوضوح . ان الميثاق — عندما يتحدث عن المهمات خارج اسرائيل — لا يتكلم الا عن « تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين » . وتضيف المادة الثالثة المتعلقة بالهجرة التوضيح التالي : « تتصرف اللجنة التنفيذية في تنظيم الهجرة ومعالجة امور المهاجرين على اساس خطة متفق عليها مع الحكومة (...) وسوف يحتاج المهاجرون الى تأشيرات دخول بموجب قانون العودة (١٩٥٠) »(١٠٠). في مسألة الهجرة ايضا (حتى وان تعلقت بالنشاط الخارجي) لا يمكن الادعاء بأن المبادرة المطلقة هي بيد المنظمة كممثلة ليهود العالم المحتاجين الى « خلاص » ، بل تعمل المنظمة — الوكالة اليهودية باسم الحكومة الاسرائيلية كأية دائرة في سفاراتها الخارجية .

ولكننا نعرف من جهة اخرى ان الجهد الاساسي الذي يمكن المنظمة من اتمام عملها ان في الخارج او في اسرائيل يأتي من القاعدة اليهودية — الصهيونية في الدياسبورا . فيصبح من الواضح ان دولة اسرائيل بسنها التشريع الخاص بوضع المنظمة وبتوقيعها على الميثاق، انما توظف امكانيات يهود العالم لمصلحتها(١٠١) لا بل تسعى الى زيادة نفوذها بين يهود العالم دون ان تكون مضطرة الى الادعاء بأنها تمثل الشعب اليهودي داخل اسرائيل وخارجه . وفي هذا المضمار لا يمكن للمنظمة الا ان تناضل من وقت الى آخر لاثبات استقلالها ليس في اسرائيل وهذا مستحيل ، بل انطلاقا من قاعدتها في الدياسبورا . فطالما ان الوظيفة المعترف بها للمنظمة تنحصر في البحث عن الدعم لاسرائيل دون الحق في الاشتراك في تخطيط السياسة (الداخلية والخارجية على السواء) ودون الحق في تمثيل يهود العالم في جميع المجالات ، لا مفر من ان تكون بالفعل أداة أسرائيل في الدياسبورا ، حتى وان فسر ميثاق ١٩٥٤ بأنه يعلن مساواة الطرفين القانونية او ان اسرائيل تتنازل عن تمثيل يهود العالم لاعتبارات ديبلوماسية شكلية . على كل حال ، ان قانون العودة (١٩٥١) الذي يعطي كل يهودي في الشتات الحق في الهجرة والحصول على الجنسية الاسرائيلية فور وصوله يعتبر اشارة ضمنية لنية اسرائيل في عدم التنازل بالفعل عن تمثيلها ليهود العالم .

ان هذه الاستنتاجات واضحة بجلاء في مقالة كتبها بن — غوريون في كانون الاول ١٩٥٣ في المجلة الرسمية للمنظمة الصهيونية . يقول بن — غوريون في هذه المقالة حيث يطلب دون ان يعطي : « على الحركة الصهيونية ان تعترف بكل حرية ومحبة بتفوق الدولة واوليتها بين وسائل الخلاص . ولكن في هذا التفوق بالذات للدولة يكمن مصدر محدوديتها وتكمشها . ان سيادة الدولة تنحصر داخل حدودها (...) فهي لا تستطيع التدخل في الشؤون الاعلية للطوائف اليهودية في الدياسبورا او التوجه اليها بتعليماتها او بطلباتها (...) ولكن في هذا المجال بالذات ، بامكان المنظمة الصهيونية المبنية على المشاركة الحرة وعلى الجهد الطوعي ، ان تفعل ما ليس بمقدور الدولة ولا من المخول لها . هذه هي مزية المنظمة على الدولة ، ولهذا السبب ايضا لم يؤد قيام الدولة الى نهاية المنظمة ، بل رفع مسؤوليتها ورسالتها فوق كل تصور »(١٠٢).

ان كلمات « مسؤولية » ، « رسالة » ، « مشاركة حرة » ، « جهد طوعي » لا تستطيع طبعا اخفاء ارادة بن — غوريون في استعمال المنظمة الصهيونية كأداة للسيطرة على الدياسبورا اليهودية . أما وعوده العلنية (من جراء قانون ١٩٥٢) المتعلقة بعدم الاستغناء عن المنظمة الصهيونية في تعاملها مع الجمعيات اليهودية اللاصهيونية ، فهي لا تكلفه شيئا ولا تربطه الا معنويا اذ يستطيع خرق هذه الوعود (وقد حصل هذا بالفعل) دون أية مراقبة قانونية . أما المنظمة الصهيونية فيطالها القانون الاسرائيلي نفسه مبدئيا في حال تجاوزها صلاحياتها .

---

١ — اي من قبل الدول الاستعمارية .

٢ — حسب ترجمة « ملف وثائق فلسطين » ، وزارة الارشاد القومي (الجمهورية العربية المتحدة) ص ٢٩٠ .

٣ — انظر
Ernest Stock, «Jewish Agency» in *Encyclopaedia Judaica*, T. 10, p.30.

٤ — حسب الترجمة الرسمية في « قوانين فلسطين » (١٩٣٣) المجلد الثالث (القدس ١٩٣٦) ص ٢٦٦١ .

٥ — المصدر السابق ، ص ٢٦٦٥ . انظر أيضا «Va'ad Le'ummi» in *Encyclopaedia Judaica*, T. 16, p. 49.

٦ — لنأخذ مثلا حديثا : قضية اليهود السوفيات. لم يشكل نداء الصهيونية الاميركية من اجل هجرة يهود الاتحاد السوفياتي ضغطا مباشرا على هذه الدولة ، بل شكل بالاحرى ضغطا على الادارة الاميركية التي بتبنيها اياه وفقط به ، اعطته قوة مؤثرة (أي قوة الولايات المتحدة ذاتها) .

٧ — Emanuel Neumann, «Towards the World Zionist Congress», in *The Zionist Quarterly*, Vol. I, No. 1, Summer 1951, p. 6.

٨ — Report of the Executives submitted to the 23rd Zionist Congress (Microfilm) p. 96.

٩ — ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ، ص ٦٢٢ .

١٠ — Report of the Executives submitted to the 23rd Zionist Congress, p. 4.

بيد ان شرتوك كان مستوطنا صهيونيا في فلسطين منذ صغره ، ولكنه كان يقوم برحلات عديدة خارج فلسطين بسبب رئاسته للدائرة السياسية في الوكالة اليهودية .

١١ — Israel Goldstein, «Tasks of the Jewish Agency, in *Israel and Middle East* (Tel-Aviv), July-September 1949, Vol. I (XXI), No. 3-5.

١٢ — The Autobiography of Nahum Goldmann, New-York, 1969, p. 318.

١٣ — المصدر السابق .

١٤ — سنتطرق الى هذا الموضوع فيما بعد : كان على الحكومة الاسرائيلية الا تدعي انها تحكم يهود العالم ، بغية الحصول على الاعتراف من الدول .

١٥ — Arthur Hertzberg, «Zionism» in *Encyclopaedia Judaica*, T. 16, p. 1061.

١٦ — لا يعتد بميزانية المنظمة الصهيونية نفسها لانها لا تتعلق الا بالنفقات التنظيمية وهي لذلك زهيدة بالمقارنة مع ميزانية الوكالة اليهودية (ميزانية المنظمة مثلا عام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ بلغت

...ر٣٤٠ ليرة في حين وصلت ميزانية الوكالة في السنة المالية نفسها الى ٤٠ مليون ليرة) .

١٧ — Report of the Executives, *op. cit.*, p. 823.

١٨ — *Israel Yearbook*, 1950-51.

١٩ — Report of the Executives, *op. cit.*, p. 828.

٢٠ — أنشأت الوكالة بعد قيام الدولة حتى عام ١٩٥٢ ٢٥٦ مستوطنة جديدة واستوعبت ...ر٦٠٠ مهاجر . انظر المصدر السابق ، ص ٨٢٣ .

٢١ — انظر الملخص للميزانية الصهيونية في هذه الفترة في J. Hodess, «The Zionist Budget», in *Israel and Middle East* (Tel-Aviv), January-April 1952, Vol. IV (XXIV), No. 1-2.

٢٢ — Report of the Executives, p. 825.

٢٣ — Arthur Hertzberg, *op. cit.*, p. 1061.

٢٤ — انظر الحاشية رقم ١ .

٢٥ — انظر حول كلمة « لا صهيوني » الصفحة الثانية من هذه الدراسة .

٢٦ — Ben Halpern, *The Idea of the Jewish State*, (Cambridge, Massachussetts, 1961), p. 225.

٢٧ — من الطبيعي أن يكون رفض الامر الواقع **نضاليا** من قبل المتضررين العرب وان يتلاشى بالنسبة للمعارضين اليهود السابقين .

٢٨ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 211.

٢٩ — ان التفريق بين « المنفى » و« الشتات » هام ايضا بالنسبة للمثقف العربي . من المقبول — الى حد معين — ان نتكلم عن يهود العالم بصفتهم يهود في الشتات . ولكن يجب ان نحرص دائما على عدم تبني عبارة « يهود المنفى » التي كثيرا ما يستعملها الاسرائيليون والصهيونيون ولسوء الحظ بعض المثقفين العرب . ان الشتات حالة قائمة ولا ضير في الاعتراف بالواقع . اما « المنفى » فهو تعبير ايديولوجي هدفه خلق حالة نفسية عند اليهود وغير اليهود بغية تبرير تجميع « المشتتين » على الارض التي « نفوا » منها .

٣٠ — «Statement of Views» (American Jewish Committee in *American Jewish Yearbook*, 1950, Vol. 51, p.562.

٣١ — *American Jewish Yearbook*, 1951, Vol. 52, p. 527-8.

٣٢ — Jewish Newsletter, Vol. VII, No. 11, October 29, 1951.

٣٣ — The Council News, (Published by the American Council for Judaism), Vol. II, No. 10, October 1948.

٣٤ — انظر ص ١٠ من هذه الدراسة .

٣٥ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 220.

٣٦ — Herbert Parzen, *A Short History of Zionism*, (New York, 1962), p.124-5.

٣٧ — Jewish Newsletter, Vol. VI, No.15, June 11, 1951.

٣٨ — وهي The Zionist Organization of America (Z.O.A.)
سنشير اليها من الان بكلمة م.ا.ص.

٣٩ — انظر اعلاه .

٤٠ — Louis Shub, «Zionist and Pro-Israel Activities, in *A.J.Y.B.*, 1950, Vol. 51, p. 168.

٤١ — Arnold Gurin, in *A.J.Y.B.*, 1950, Vol. 51, p. 182.

٤٢ — Louis Shub. in A.J.Y.B. 1951, Vol. 52, p. 130.

٤٣ — Jewish Newsletter, Vol. IV, No. 14, November 10, 1950.

٤٤ — Arthur Hertzberg, *op. cit.*, p. 1061.

٤٥ — Nahum Goldmann, *op. cit.*, p. 318-9.

٤٦ — سنحصر اهتمامنا بالصهيونيين الاميركيين اذ كانوا القوة الرئيسية في المنظمة بعد الصهيونيين الاسرائيليين .

٤٧ — Emanuel Neumann, *op. cit.*, p. 13.

٤٨ — Louis Shub, «Zionist and Pro-Israel Activities», in *A.J.Y.B.*, 1951, Vol. 52, p. 112.
— Ben Halpern, *op. cit.*, p. 237.

٤٩ — Emanuel Neumann, *op. cit.*, p. 15.

٥٠ — **المصدر السابق** ، ص ١٤ .

٥١ — Max Bressler, See Jewish Newsletter, Vol. VII, No. 3, July 23, 1951.

٥٢ — Emanuel Neumann, *op. cit.*, p. 6-7.

٥٣ — انظر ص ١١ من هذه الدراسة .

٥٤ — Jewish Newsletter, Vol.IV, No. 14, November 10, 1950.

٥٥ — Jewish Newsletter, Vol. VI, No. 7, February 19, 1951.

٥٦ — اشارة ضمنية الى مؤتمر الاثرياء اليهود الذي انعقد قبل بضعة اسابيع من كلام غولدمان.

٥٧ — Nahum Goldmann, «The Zionist Movement, the People and the State», in *Session of the Zionist General Council* (4th Session after the 23rd Congress — Jerusalem — December 24-31, 1953). Published by the Organization Department of the Zionist Executive, Jerusalem.

٥٨ — Rubus Learsi, *Fulfillment, the Epic Story of Zionism*, New York, 1951 and 1972, p. 403.

٥٩ — من الواضح ان ذلك لا يعني بالنسبة لاسرائيل التخلي عن البرنامج الصهيوني الفظ ، بل فقط الامتناع تكتيكيا عن الافصاح عن هذه المطالبة الرسمية .

٦٠ — Council News, Vol. V, No. 8, August 1951.

٦١ — Eliezer Livneh, *State and Diaspora*, Jerusalem, 1953, p. 77 s.
— Israel Schen, «The Zionist Scene», in *Zionist Newsletter*, Vol. III, No. 20, June 19, 1951.

٦٢ — Misha Lourish, «Restatement of Zionist Principles Needed» in *Zion* (Published by the World Zionist Organisation, Jerusalem), Vol. IV, No. 2, April - June 1954.

٦٣ — Arthur Hertzberg, *op. cit.*, p. 1061 - 1062.
Jehuda Reinharz, «Zionism in the U.S.», in *Encyclopaedia Judaica*, T. 16, p. 1149.

٦٤ — Emanuel Neumann, *op. cit.*

٦٥ — Israel Schen, *op. cit.*,
J. Melkman, «The Doctrine of Moderation», in *Forum* for the problems of Zionism, World Jewry and the State of Israel, No. 1, December 1953, Published by the World Zionist Organization, Jerusalem.

٦٦ — *Jewish Newsletter*, Vol VII, No. 3, July 23, 1951.

٦٧ — Berl Locker, «Present and Future Activities of the Zionist Movement», in *Session of the Zionist General Council* (4th session after the 23rd Congress, Jerusalem, December 24-31, 1953).

٦٨ — J. Melkmann, *op. cit.*, p. 118.

٦٩ — *Council News*, Vol. V, No. 8, August 1951.

٧٠ — بينما قالت هآرتس ان عدد المستقيلين بلغ ٩٠٤٠٠٠ لم تعترف م.ا.ص. الا بـ ٤٠٤٠٠٠ .
انظر :
Jewish Newsletter, Vol. III, No. 3, September 23, 1949.

٧١ — Emanuel Neumann, *op. cit.*

٧٢ — لا شك ان ذلك لا يشكل الا أمنية ذاتية اذ طبيعة الصهيونية (رغم اشتراكية بعض اعضائها « الداخلية ») تحتم التحالف مع الامبريالية الغربية .

٧٣ — نعرف كم كان هذا الخطر وهميا . أنظر الحاشية السابقة .

٧٤ — Emanuel Neumann, *op. cit.*

٧٥ — Elmer Berger, «Will Americans of Jewish Faith Allow History to repeat itself», in *Council News*, Vol. V, No. 8, August 1951.

٧٦ — *Jewish Newsletter*, Vol. IX, No. 4, February 16, 1953.

٧٧ — تجدر الملاحظة هنا ان الصهيونيين العموميين في اوروبا لم يشاركوا اخوانهم الاميركيين في معارضتهم للمباي الاسرائيلي .

٧٨ — Uri Avneri, *Israël sans sionisme*, Paris, 1969, p. 155.
أنظر ايضا دراستنا حول « أوري افنيري او الصهيونية المستحدثة » (مركز الابحاث ١٩٧١)، ص ١٥٦ — ١٥٧ .
نجد اشارة اخرى الى المساعدة التي تقدمها المنظمات الصهيونية في الدياسبورا الى الاحزاب الاسرائيلية في :
— Moses Lasky, *Between Truth and Repose*, San Francisco, 1956, p. 29-30.
— Nathan Weinstock, *Le sionisme contre Israël*, Paris, 1969, p. 346.

٧٩ — ربما حصلت الحالة القصوى (مؤخرا في شباط ١٩٧٤) عندما طلب حزب المفدال من الزعيم الارثوذكسي في اميركا الحاخام سولوفيتشيك اعطاءه المشورة حول دخوله حكومة مئير (بسبب مسألة من هو يهودي) .

٨٠ — أنظر أسعد رزوق « المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون » ، شؤون فلسطينية ، عدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ .

٨١ — أقر مؤتمر بازل (١٨٩٧) القرار التالي : « ان هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام » ،

ولتحقيق هـذا الهدف حدد المؤتمر الخطوات الاربع التالية : ١) تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوط مناسبة . ٢) تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة ، على الصعيدين المحلي والعالمي ، كل منها حسب قوانين البلد المعني . ٣) تقوية الحس والوعي القومي اليهـــودي وتعزيزهما . ٤) اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول حيث يكون ذلك ضروريا ، لتحقيق هدف الصهيونية » . (من أسعد عبد الرحمن ، **المنظمة الصهيونية العالمية ، تنظيمها وأعمالها ١٨٩٧ — ١٩٤٨** ، مركز الابحاث ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦ — ٢٧) .

٨٢ — يبدو ان زعماء الجمعيات اليهودية الاميركية كانوا يرسلون خلال المؤتمر البرقيات تلو البرقيات محذرين من مغبة تبني برنامج ايديولوجي يحل محل برنامج بازل . أنظر :
Jewish Newsletter, Vol. VII, No. 9, October 1, 1951.

٨٣ — اسعد رزوق ، المصدر السابق، ص ١٧١ .

٨٤ — *Council News*, Vol. V, No. 9, September 1951.

٨٥ — *Jerusalem Post*, August 28, 1951.

٨٦ — أسعد رزوق ، المصدر السابق، ص١٧٢ .

٨٧ — *Council News*, Vol. V, No. 9, September 1951.

٨٨ — رغم ان وجود الحكومة كان ماثلا في المؤتمر، الا ان الحكومة كممثلة لدولة اسرائيل لم تشترك في التصويت .

٨٩ — أسعد رزوق ، المصدر السابق، ص ١٧٣ .

٩٠ — Israel Schen, *op. cit.*,

٩١ — انظر ص ٢٠ من هذه الدراسة .

٩٢ — «Authorized Agency».

٩٣ — Jacob Sloan, «American Jewish Communis and Israel», in *A.J.Y.B.*, Vol. 55, 1954, p. 116-117.

٩٤ — اسعد رزوق ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٩٥ — المصدر السابق .

٩٦ — المصدر السابق .

٩٧ — المصدر السابق .

٩٨ — المصدر السابق ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

٩٩ — هناك دراستان قانونيتان حول الميثاق وقانون الكنيست المتعلق بوضع المنظمة :
— Moses Lasky, *Between Truth and Repose*, San Francisco, 1956.
— W. T. Mallison, Jr. «The Legal Problems Concerning the Juridical Status and Political Activities of the Zionist Organization — Jewish Agency» in *William and Mary Law Review*, Vol. 9, No. 3, Sprirng 1968.

١٠٠ — أسعد رزوق ، المصدر السابق، ص١٧٦ .

١٠١ — *Jewish Newsletter*, Vol. VIII, No. 12, June 9, 1952.

١٠٢ — D. Ben Gourion, «The People and the State», in *Forum*, No. 1, December 1953.

مراجعات

ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ ــ ١٩٤٨

(مركز الابحاث ــ سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٩٩ ــ بيروت ١٩٧٤)

تميز موقف الحركة الوطنية الفلسطينية بعداء شديد تجاه الصهيونية ، رافضا اي تنازل معلنا ان التناقض مع الصهيونية هو تناقض أساسي . ولكن هذه الحركة سعت الى التمييز بين اليهودية والصهيونية . ويقف ناجي علوش أمام هذا الموقف عارضا تطوره التاريخي باحثا في جذور وتصاعد التناقض محددا لعمله الاهداف التالية كما جاءت في مقدمة الكتاب : « **اولا** : تقديم هذه القضية تقديما صحيحا لكشف مزايدات المزايدين وطعنات المغرضين ، وخاصة الذين اتهموا حركتنا الوطنية بالشوفينية والتعصب والعرقية . **ثانيا** : تبيان مواقع القوة والضعف في موقفنا ، ليكون ذلك عبرة لنا في نضالنا الراهن والمقبل من أجل تحرير ارضنا. **ثالثا** : بلورة موقف سليم وطنيا وأمميا ، من الاحتلال الصهيوني في بلادنا ومن مشكلة اليهود والصهيونية » .

كمدخل لتتبع مواقف الحركة الوطنية الفلسطينية يعرض المؤلف في الفصل الاول خلفية الصراع العربي ــ الصهيوني فيبرز تاريخ الصراع وتطوره ثم يحدد اسباب الصراع وأهدافه المتمثلة في الخطر على الاقتصاد العربي الوطني من جراء شراء الصهاينة للاراضي خصوصا لاراضي الاقطاع غير الفلسطيني او الحصول على أراضي اميرية تنازلت عنها حكومة الانتداب وما رافق شراء الاراضي من طرد للفلاحين العرب . وبرزت في الوقت نفسه المنافسة الصهيونية الشديدة في ميادين التجارة والصناعة يرافقها تهويد للعمل وطرد للعمال العرب. ونتج عن مجمل هذه السياسة تقليص مجال العمل أمام الطبقة البرجوازية الصغيرة والعاملة العربية. كان المجتمع الصهيوني ينمو على حساب تضييق المجال المعيشي لجميع فئات الشعب العربي الفلسطيني ما عدا قلة من الانتهازيين باعت أراضيها او عملت في مجال السمسرة .

ورافق وعد بناء الوطن القومي وتطبيقه من قبل سلطات الانتداب بروز خطر آخر للمجتمع العربي الفلسطيني وهو الخطر على المطامح السياسية في الحرية والاستقلال . فالسياسة الاستعمارية لكل من دولة الانتداب والصهاينة ارتكزت على مبدأ رفض الاعتراف بحق الاكثرية العربية في فلسطين بتوجيه زمام الحكم قبل وبعد الاستقلال .

وتجسد أمام عرب فلسطين خطر اكثر ضراوة وهو الخطر على الوجود القومي . تراءى لهم من خلال ممارسات السياسة البريطانية المستهترة بالحقوق العربية والعازمة على تنفيذ المخطط الصهيوني من فتح باب الهجرة على مصراعيه وتسهيل انتقال الاراضي الى المؤسسات الصهيونية ومن خلال الطبيعة العدوانية العرقية الاستفزازية للحركة الصهيونية لم تكتف الحركة الصهيونية بانكار حق الشعب العربي الفلسطيني بالوجود على أرضه ، بل تمسكت بشدة بحقها في استمرار الهجرة بلا حدود . واتبعت اساليب استفزازية مثل المطالبة بحقوق طقوسية جديدة في البراق وتنظيم تسليح اليهود . ووصل الاستفزاز الصهيوني اوجه من خلال انغلاق المجتمع الصهيوني تجاه المجتمع العربي معبرا عن عنصرية واحتقار للفرد العربي . جاء الرد العربي الفلسطيني عنيفا ومما زاد في عنفه التصاعد في الحركة الوطنية العربية نتيجة اتساع التيار العربي المناهض للاستعمار وتداخل الانتفاضات والثورات القطرية ضد الاستعمار وما ولدته من حركات تضامن عربية . وينهي المؤلف

الفصل الاول بتحديد اطراف الصراع وهي « الحركة الوطنية الفلسطينية ، تعضدها الجماهير الفلسطينية العريقة ، والجماهير العربية العريقة من جهة ، والحركة الصهيونية يدعمها الاستعمار البريطاني ثم الامبريالية الامريكية وكل الاوساط الاستعمارية الغربية ، ما عدا المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية في السنوات (٣٣ — ٤٥) . وتدعمها ايضا كل جماهير اليهود في فلسطين ، وقطاعات واسعة من جماهير اليهود في العالم » (ص ٦٠) . أما طبيعة الصراع « صدام بين الاستعمار السياسي العسكري الاستيطاني من جهة وبين ارادة التحرر والاستقلال والمحافظة على الوطن من جهة اخرى. ولقد فرضت طبيعة الجاليات الصهيونية ان يكون الصدام شاملا » (ص ٦٣) .

ويستمد الكتاب اسسه من الفصل الثاني والاساسي فيسعى الى معرفة تطور وعي الحركة الوطنية تجاه الاستعمار الصهيوني وعلاقته بالامبريالية . فبعد سرد الملامح العامة للفترات الثلاث وهي قبل مؤتمر بال ، قبل وعد بلفور (١٨٩٧ — ١٩١٦) وحتى آخر عهد الانتداب (١٩١٧ — ١٩٤٨) ، ينطلق الباحث في تتبع تطور الوعي الوطني من خلال مواقف الزعماء والتنظيمات المركزية والمحلية . فيستنتج خلال عرض المواقف في المرحلة الاولى ان الزعامة الوطنية رفعت منذ تلك الحقبة شعار « منع الهجرة وتحريم استملاك الاراضي » وسيظل هذان الشعاران مرفوعين حتى ١٩٤٧ . وبدأ الشعب يدرك الخطر الذي يهدد وجوده متأكدا من تصرفات المهاجرين اليهود العليائية والاستفزازية . ووجد الاعلان التأسيسي للحركة الصهيونية اثر مؤتمر بال ١٨٩٧ صداه في فلسطين ، فبدأت حركة احتجاج ورفع عرائض ضد سياسة الاستيطان الصهيوني . ومع صدور مجلة الكرمل في حيفا عام ١٩٠٨ بدأ نشاط عربي مكثف ضد الاطماع الصهيونية . ثم تلتها جريدتا « فلسطين » في يافا و« الاقدام » في القاهرة ، مما دعا الصحافة العربية عامة للاهتمام بالموضوع . وظهرت بعض الدراسات عن الحركة الصهيونية وأطماعها . ويستخلص المؤلف من موقف الحركة الوطنية الفلسطينية في المرحلة الثانية « ان ما يبدو واضحا هو قدرة الجماهير ، ممثلة بالصحافة والادب وممثلي الشعب ووجهائه وابنائه العاديين ، حتى بدو بيسان، على ادراك خطورة الحركة الصهيونية على الوطن » (ص ١١٢) ، مما دعا الحركة الوطنية الى تصور عمل متعدد الاوجه لمجابهة هذا الخطر ويدخل ضمن هذا العمل الضغط على السلطة واستعمال العنف أحيانا « ... لاجبار السلطة على اتخاذ القرارات او لرفض التراجع على الحركة الصهيونية . هذا جانب . أما الجانب الاخر فهو محاربة الذين يسهلون الهجرة ويساعدون على بيع الاراضي ، وتعبئة الشعب سياسيا واقتصاديا وتنظيميا ليتمكن من عملية المواجهة » . ومنذ تلك الفترة جرى تمييز بين الصهيونية واليهودية .

اتبعت الزعامة الوطنية هذا الخط بعد الحرب العالمية الاولى جاعلة الصهيونية العدو الاساسي والاوحد ، ساعية الى تحييد دولة الانتداب . بينما كانت الجماهير تلمس يوميا حجم التشجيع البريطاني لبناء الوطن القومي . ووجهت هذه الجماهير قسطا من ضرباتها نحو الوجود البريطاني خلال انتفاضة عام ١٩٢٩ . وعندما أدركت الزعامة الوطنية التقليدية كره الجماهير للاستعمار البريطاني بدأت تحاربه بدورها مطالبة بالاستقلال ، الا أنها ظلت تطمح لتحييد دولة الانتداب واغرائها بعقد اتفاق معها بعد الاستقلال .

ومع ازدياد الهجرة وتهويد العمل وتشريد الفلاحين تصاعدت حدة التناقض مع الصهيونية بحيث أصبح مستحيلا ازالته سلميا . ويورد المؤلف مثلين لاستحالة ازالة التناقض بين عرب فلسطين والصهاينة . المثل الاول تجربة الحزب الشيوعي الفلسطيني ، الذي احتوى في البدء أكثرية يهودية واقلية عربية ولكنه ما لبث ان استعرب نتيجة التصاق قسم كبير من الاعضاء اليهود بفكرة الاستعمار الصهيوني ، ونبذ قسم آخر لهذا الوجود وتفضيل الرحيل عن فلسطين . واتضح للاكثرية العربية عام ١٩٤٣ استحالة التعاون مع الاقلية اليهودية ضمن الحزب فاختارت تأسيس حركة جديدة وهي « عصبة العمل القومي » .

وجاء المثل الاخر مع مسعى « جمعية عهد السلام» المؤسسة عام ١٩٢٥ من قبل بعض المفكرين اليهود ، التي طرحت فكرة « ان فلسطين يجب الا تكون دولة عربية او يهودية ولكن دولة ثنائية القومية ... » . قوبلت هذه الجمعية بعداء شديد من الصهيونية مما دعا افرادها للتخلي عن الفكرة .

تأتي اهمية الكتاب انه يحلل تطور الموقف الاستراتيجي للحركة الوطنية الفلسطينية من خلال تحديدها لعدوها الاساسي وتحديد أساليب مكافحته. ويتبلور الموقف من خلال الوعي العام والفئوي النابع من الظروف الموضوعية. فأظهر الكاتب اتفاق جميع افراد الشعب العربي الفلسطيني على تحديد الصهيونية كعدوها الاساسي وواجب مكافحته بجميع الوسائل . بينما وقفت الزعامة التقليدية مترددة أمام ربط سياسة الاستعمار البريطاني خاصة والاستعمار عامة بتحقيق الاستعمار الاستيطاني الصهيوني . لقد كان الوعي الجماهيري هو المحرك للاحداث مدركا عمق الخطر المواجه . لكن الظروف الاجتماعية الاقتصادية لم تفسح المجال لبروز التنظيم السياسي الثوري النابع والملتحم مع الجماهير الكادحة والبرجوازية الصغيرة والوطنية عامة وميزت الحركة الوطنية دائما بين اليهودية والصهيونية .

مع اهمية الكتاب والمجهود الكبير المعطى لكتابته نود ذكر بعض الملاحظات ، كنا نود لو عالج الكاتب قضية مفهوم المثقفين للاستعمار والدول الاستعمارية قبل الحرب العالمية الاولى ، اي اظهار التناقض بين موقف الحركة الوطنية الفلسطينية من الصهيونية وموقفها الايجابي من الدول الامبريالية الغربية . وما ولد هذا الموقف من سعي بعد الحرب لكسب بريطانيا بالرغم من مواقفها المعادية للعرب . ويجدر بنا الذكر هنا ان مجمل الابحاث التي تناولت الموقف العربي من الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى أهملت تحليل موقف هذه الحركة من ظاهرة الامبريالية الحديثة .

بالرغم من السعي الجدي لتضمين المرحلة الثالثة اكبر قدر من تصريحات وبيانات الحركة الوطنية من تنظيمات وافراد الا أن الكاتب اهمل التمييز بشكل منهجي بين مواقف الزعامة التقليدية الممثلة للوجاهة التقليدية والبرجوازية الكبيرة وبين مواقف ممثلي الطبقات الاخرى ، لابراز تطور الوعي الجماهيري وتعبيره عن تطور استراتيجية النضال . ولقد تميز الفصل الثاني عموما بتعثر في منهجية العرض خلافا للبناء التحليلي الدقيق في الفصل الاول . جاءت الاستشهادات وتكرارها احيانا دون هدف واضح . الا ان جميع هذه الملاحظات لا تقلل ابدا من اهمية الكتاب ومن المجهود الذي قام به ناجي علوش .

نبيل ايوب بدران

خالص عزمي ، نزار سليم (اعداد) ، **المؤتمر الاول للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب** (وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ـــ ١٩٧٣)

ينطوي الكتاب الوثائقي (نحو ٣٠٠ صفحة) الذي أصدرته مديرية الثقافة العامة في العراق ، ضمن السلسلة الفنية ، عن المؤتمر الاول للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، عن أهمية بالغة بالنسبة للحركة الفنية العربية وللمعنيين بملاحقة أوجه التطور في الفن التشكيلي العربي المعاصر . ومثلما كان المؤتمر الاول للاتحاد ، ومعرض السنتين الذي رافقه ، حدث بارز على المستوى الثقافي والتشكيلي العربي ، كان الكتاب سجلا بأوجه النشاط والوثائق التي قدمت من خلاله ، حفظ جوانب من هذا الانجاز ، من خلال مجموعة كبيرة من التقارير والدراسات ووجهات النظر المتصلة بواقع وتطور الحركة التشكيلية في عدد من الاقطار العربية .

قد لا يهم القارىء العادي عدد من الفصول أو الاقسام في الكتاب ، اتصرفت الى رصد التحضيرات التي سبقت انشاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين ، او لتسجيل كلمات الوفود او لسرد مشاريع الاتحاد العام ومقرراته وتوصياته . بيد ان وقائع جلسات المؤتمر وخاصة تلك المخصصة لبحث موضوعات : التراث والمعاصرة ، واقع الحركة التشكيلية في الاقطار العربية ، الفن

والقضايا المصيرية ، تلقي الضوء على وجهات النظر والتيارات داخل الحركة الفنية العربية ، خاصة لدى الفنانين الذين ينمون عن رؤيا نظرية وبحثية معمقة . على ان أبرز ما في الكتاب ، هي وثائق المؤتمر ، والابحاث التي قدمت اليه . شكلت الوثائق ، المقدمة غالبا من فروع الاتحاد ومن التجمعات الفنية ، سجلا بواقع الحركة الفنية التشكيلية في كل من لبنان ، الجزائر ، سورية ، العراق ، مصر ، المغرب ، اليمن الديمقراطية ، وكذلك في فلسطين ولدى تجمعات الفلسطينيين في الاقطار العربية .

من المؤسف ان غالبية هذه التقارير ــ الوثائق ، قد اتسمت بطابع السرد المبتسر ، والمكتبي ، لواقع الحركة الفنية ، كما ان بعضها اقتصر على جوانب من اوجه هذه الحركة دون غيرها ، او غاص في العمومية . ويمكن ان تستثني من هذه التقارير ذلك الخاص بواقع الفن التشكيلي في الجزائر ، فقد تضمن التقرير المقدم من ابراهيم مردوج عضو الوفد الجزائري ، تعيينا لمصادر الفن الجزائري التشكيلي من فن التاسيلي بالهوتار (فن كهوف بدائي) الى الفن البربري ، ثم الى الفن الاسلامي ، التي بلورت تطويرات محلية ذات أصول اسلامية ، كفن الميناتور او التصغيري . وبصدد الاخير ، تضمن التقرير ــ الدراسة سردا مسهبا في تطور تقاليد هذا الفن وابرز اعلامه الجزائريين (محمد وعمر راسم ، محمد تمام ورعيل آخر من ورثة هذا الفن التقليدي في الجزائر) منذ ١٩١٤ وحتى الان .

ثم يشرح التقرير المصادر الاخرى للفن الجزائري، كالمدارس الفنية الغربية وتطور التعليم الفني الاكاديمي منذ ١٩٢٠ وحتى الاستقلال . ويتناول الفنانين الذين برزوا في خضم النضال الوطني والتصقوا بمشاهد الحياة اليومية للجماهير وأولئك الذين أسهموا في تطوير ملامح وطنية في الفن التشكيلي الجزائري وأخيرا يتطرق التقرير الى تطور الجمعيات الفنية ودور الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية .

ان التقرير الجزائري المار ذكره ، وتقريرين آخرين عن واقع الحركة الفنية والحركة الفنية التشكيلية في اليمن الديمقراطية الشعبية يشكلون مصادر اولية لاطلاع الكثيرين من المعنيين على الفن التشكيلي في بلدين لا يتوافر حولهما كتابات وبحوث غنية كافية . ولا بد من التنويه الى ان التقرير الموجز عن الفن التشكيلي في المغرب ، كان انعكاسا في نضجه وعمقه لتطور الحركة التشكيلية في المغرب. فهو ينطوي على رؤية نظرية معمقة لدور الفن وماهيته، كما يعالج الاشكال الايديولوجي والتعبيري الذي واجهته البلدان المستعمرة ، والتي كانت ثقافتها وماضيها عرضة للقرضة والمحق . فقد شرح التقرير هذا الاشكال التاريخي من خلال تعيين نماذج التعاطي التقليدي ــ التجاري الذي يدعي التسجيل والتي عبرت عنه الرؤية الاستعمارية ، ونموذج الفن الساذج المالىء للفلكلور . وكما يتناول موقف الايديولوجية الاستعمارية المعادي لكل ما يشكل أساس الشخصية القومية والمغربية ، ومرقة التراث الفني الاسلامي والشعبي ــ البربري والمدني . وفي النهاية يسوق التقرير الطريق الذي يحاول الفن المغربي ان يشقه بالقول « ان الخلق التشكيلي المعاصر في المغرب يريد ان يتجذر في الطموحات الوطنية والعربية ، وكذا في التناقضات التي تعيشها مجتمعاتنا ، دون اهمال التطورات التي تطبع على الفن والفكر ، ان هذا الخلق لا يريد أن تكون له اية وظيفة عدا المشاركة في الكفاح العام للوطن العربي عن طريق الاثار الفنية نفسها ... » .

ان القسم الابرز والاكثر اهمية من الكتاب ، هو البحوث المقدمة للمؤتمر ، خاصة التي تناولت موضوعات ما زالت خاضعة للكشف ، مثل « اثر الفكر الاسلامي على الفن المصري الاسلامي، ومدى تأثر الحركة الفنية المعاصرة بالفنون الاسلامية » لابو صالح الالفي (مصر) ، « التراث والمعاصرة والفنان الشرقي » ، « رواد التحصيل الفني والصناعي في فلسطين من سنة ١٩٢٢ ــ ١٩٤٧ » لعبد الرزاق بدران، « التراث والمعاصرة في الفن »، «ملاحظات اولية حول التراث والمعاصرة والاتجاهات الاسلوبية الجديدة » لفائز الزبيدي (العراق) ، وقدم الفنان شوكت الربيعي من العراق ، ما يشبه الشهادة الذاتية حول تجربته وحول فهمه للفن والقضايا المصيرية . فيما قدم الدكتور شمس الدين فارس عرضا لاهمية الفن الجداري ، مركزا على جدارية «نصب الحرية» للفنان العراقي جواد سليم في بغداد . وكانت ثمة مساهمات اخرى متفاوتة المستوى والاهمية من حليم جرداق (لبنان) حول

« الفنان في العالم العربي بين الحداثة والتراث » ، شاكر حسن ال سعيد (العراق) عن « الرؤية الفنية التأملية » ، د. صالح محمد رضا (مصر) عن « مقومات الفن التشكيلي العربي المعاصر » ، الصادق قمش (تونس) عن « الفنون التشكيلية ودورها في معركة المصير » ... الخ ..

ان بعض « البحوث » ، لا تستحق هذا الاسم ، فهي سرد عمومي وتعرضي مسطح لموضوعات كبيرة وهامة ، وما تنطوي نظرتها الى الفن عن وجهة نفعية وظائفية محضة مثل « الفنان العربي ودوره الخلاق في بناء الدولة العصرية » و« دور الفن في القضايا العربية المصيرية » ، « مفهوم للفن القومي » ، « دور الفن التشكيلي في خدمة الصناعة » ، كما ان البعض الاخر من البحوث تغرق في التعمية والميتافيزيقية ، كما هو الحال مع « الرؤية الفنية التأملية او متقدمة في معنى الحقيقة الكونية » لشاكر حسن ال سعيد وتسطلهم مصادر عفى عليها الزمن في الفن والفلسفة . والى حد كبير ينطبق ذات الوصف على « الفنان في العالم العربي بين الحداثة والتراث » لخليم جرداق . على ان البحوث الاخرى تنطوي على اهمية خاصة كما هو الحال مع دراسة محمود صبري (العراق) التي تناولت الميكانيكية الداخلية لعملية استعانة الحاضر بالماضي ، بنظرة شمولية وتاريخية لفهم العلاقة بين التراث والمعاصرة .

أما مساهمة فائز الزبيدي ، رغم انها تتناول بعمومية مبدئية حميمة الاتجاهات الاسلوبية الجديدة في الفن ، الا أنها تنطوي عن جمود واسقاطات وقولبة غير مبررة . وتميزت شهادة شوكت الربيعي من حيث حرارة همومها ، ومن حيث لغتها الذاتية وتجربتها بطابع مميز عن باقي المساهمات . انها أحد الكشوف الداخلية لقضايا الفنان التشكيلي مع علاقته مع العالم ومع نفسه ومع صناعته . اما الدراسة المقدمة من ابو صالح الالفي (مصر) عن «اثر الفكر الاسلامي على الفن المصري الاسلامي»، تنطوي عن تحديدات اولية هامة في هذا النطاق . وربما كانت مساهمة عبد الرزاق بدران (فلسطين) عن رواد التحصيل الفني والصناعي في فلسطين من سنة ١٩٢٢ — ١٩٤٧ من ابرز المساهمات المقدمة ، رغم عيوبها المنهجية وقصورها وطابع رصدها الضيق . وذلك فقط لكونها احد المصادر الاولية القليلة والمحدودة عن الفن والفنانين الحرفيين في فلسطين في الفترة التي سبقت حرب ١٩٤٨ . لذا تستحق التنويه والعرض .

يروي السيد عبد الرزاق بدران في مساهمته ، التحاق اخيه جمال بدران في سنة ١٩٢٢ في مدرسة الفنون والزخارف في القاهرة القديمة، والفنون التي تعلمها ومساهماته في لجنة اعمار المسجد الاقصى والترميمات التي جرت عام ١٩٢٩ ، ثم عن كتاباته الكوفية وزخارفه وتعيينه مدرسا في الكلية العربية والرشيدية في القدس ثم مفتشا مساعدا للفنون في ادارة معارف القدس . وبعد ذلك دراسته في المدرسة المركزية للفنون في لندن ونعرف ان شقيق جمال ، خيري بدران كان قد تخرج من معهد الفنون التطبيقية بمصر .

ان جمال الذي عاد عام ١٩٣٧ من لندن الى عمله في معارف فلسطين قد تعلم على يديه معظم أساتذة فلسطين الذين تخرجوا من الكلية العربية والرشيدية بالقدس ، ومساهمته في عدد من المعارض . ثم خروجه بعد حرب ١٩٤٨ الى دمشق حيث درس في عدد من المعاهد فيها ، وتعاقده مع اليونسكو لمدة عشر سنوات كخبير فني قضاها في ليبيا ، اسهم خلالها في تخريج العشرات من الاساتذة والحرفيين. ثم اخيرا استقراره في رام الله واعتكافه هناك .

ويروي السيد عبد الرزاق بدران ، عن ايفاد شقيقه خيري بدران وزميله محمد وفا الدجاني الى مدرسة الفنون التطبيقية ، حيث تخصص خيري بالنسيج ، من طبع وتصميم وزخرفة ، وعمله في المجلة الكبرى، ثم عودته الى فلسطين عام ١٩٣٥ ، ثم دراسته عام ٣٧ في لندن وعودته ليعين مدرسا للنسيج في « مدينة النسيج اليدوي في فلسطين » ابان الحرب العالمية الثانية . وبعد ذلك انتقاله مع حرب فلسطين الى مصر ، فالكويت حيث ما زال مدرسا اول للمعارف في التربية الفنية .

اما عن محمد وفا الدجاني فذكر السيد عبدالرزاق بدران ان تخصصه كان في النجارة والاثاث ، وكان له انتاج في الحفر والنحت وفي الرسم الطبيعي ذا جدارة مهنية عالية . وانتقل بعد حرب ١٩٤٨ الى دمشق حيث عمل في تنظيم المتحف الوطني وفي عمل نماذج مصغرة للتماثيل الاثرية في صنع ماكيتات الهياكل الاثرية القديمة ، حيث انشغل فيها ، وقال

ان له دراسات حالية بالخطوط الاثرية والزخارف العربية تخص المتحف الوطني بدمشق .

يتحدث عبد الرزاق بدران عن دراسته عام ١٩٣٢ في مدرسة الصناعات الزخرفية ببولاق وحصوله على دبلوم بامتياز عام ٣٦ ، وانتقاله الى مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة ومتابعته الدراسة العليا فتخصص في الزجاج الزخرفي الملصق بالرصاص وقال ان تصميماته قد اتجهت الى الطبيعة في فلسطين والى استيحاء التراث القومي في الازياء. وتحدث عن تسجيل لوحاته ثورة ١٩٣٦ ، وعن رسمه الكاريكاتور في بعض صحف فلسطين في اثناء فترة انشاء مرسمه الفني في القدس من ٤٥ — ١٩٤٨ .

تخرج عبد الرزاق بدران عام ١٩٣٩ ، لكنه عاد الى نفس المعهد لدراسة التصوير الفتوغرافي ، حيث لم يجد مصدرا لمعيشته من تخصصه السابق وعاد في نهاية ١٩٤٠ واسس أول مرسم عربي في فلسطين يعتمد على الفن المجرد والتصوير الفوتوغرافي وبيع التحف الفنية في غزة ثم في القدس . وقال انه اسهم في التبشير بأهمية التخصص الفني والصناعي بين أبناء فلسطين ، وكان له أثر في ارسال العديد من الشبان للدراسة في مصر والتخصص في معاهدها .

ويروي عبد الرزاق بدران ، انه منذ مطلع عام ١٩٤٨ ولمدة ثمانية اشهر ، هرع الى الميدان يسجل بالكاميرا والقلم مآسي فلسطين وصورها المفزعة ، ثم كان نزوحه الى الكويت في مطلع عام ٤٩ ، حيث انخرط في سلك التعليم بادارة المعارف ثم انتدب الى جامعة الكويت عام ٦٧ لانشاء اول قسم للتصوير العلمي في الجامعة .

ويذكر عبد الرزاق بدران اسماء الذين تعيهم ذاكرته ممن تخصصوا في الفنون والفنون التطبيقية. مثل محمد وفا الدجاني المار ذكره ، فيصل الطاهر، الذي تخصص بالصناعات الزخرفية والتحق بثورة ٣٦-، وخليل بدوية الذي التحق اثناء دراسته الفنية سنة ٣٦ بالثورة واستشهد . وآخرون مثل حربي حب الرمان وأديب الزعيم ، داود علي الجاعوني ، شريف الخضرا ، وآخرون غيرهم . كما يذكر اسماء عدد من الفنانين غير الدارسين اكاديميا ، مثل داوود زلاطيمو ، حيدر الخالدي وجبرا جرجورة .

مما مر يمكن القول ان الكتاب المتضمن وثائق وأبحاث وتقارير المؤتمر الاول للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، يجمع كمية كبيرة جدا من المعلومات والتحليلات ووجهات النظر التي انطرحت اثناء انعقاد المؤتمر ، والتي تعكس الوضع العام للحركة التشكيلية العربية .

ان الكتاب بأوجهه المختلفة وثيقة هامة للفنانين والمثقفين والنقاد العرب . الا أنه يعكس ايضا جوانب القصور التي ما زالت تعانيها الحركة التشكيلية والنقد والدراسة التشكيلية . فمثلا لم تقدم اية دراسة حول الوضع المهني للفنانين التشكيليين. كما لم تناقش مسألة العرض والاتصال الجماهيري ، ولا قضايا التفرغ ودور الدولة في هذا النطاق . ويظهر الكتاب جوانب قصور اخرى ، في التقارير المقدمة عن واقع الحركة التشكيلية وتاريخها ، في عدد من البلدان ، مثل سورية ، العراق ، المغرب ، مصر ، لبنان ، وفلسطين . فهي اما تطرح خطوطا عامة سريعة ، او تقتصر على بضعة أسماء ، أو هي غائبة تماما . كما غاب عن المؤتمر وابحاثه اسماء اعلام معروفة باسهامها التقليدي في هذا الميدان .

هاني حوراني

عيسى عبد الحميد ، ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة
(مركز الابحاث ، م. ت. ف. بيروت ١٩٧٣)

سياسة الجسور المفتوحة هي احدى الركائز التي يعتمدها النظام الاردني في محاولة منه لفرض استمرار تحكمه السياسي والاقتصادي في الضفة الغربية المحتلة ومحاولة اجتلاب قطاع غزة الى دائرة التحالف بين الطبقة البرجوازية في الضفة والقطاع وبين النظام الاردني محاولا من خلال هذه السياسة محاربة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . وفي الطرف الاخر تقف اسرائيل من جانبها لتدعم سياسة الجسور المفتوحة لمصلحتها ، وهكذا تلتقي مصالح النظام الاردني ومصالح اسرائيل عند سياسة الجسور المفتوحة رغم التظاهر بأن كلا منهما يعمل على حدة ، فسياسة الجسور المفتوحة تصب في النهاية في الحلول الاسرائيلية والاردنية من خلال ترتيبها للمنطقة جغرافيا والسكان في اطار هذا الترتيب الذي تريده . وتقف البرجوازية في الضفة والقطاع لتساند هذه السياسة لتحافظ على مصالحها ولكنها تتردد أحيانا لتقف ضد سياسة الاردن واسرائيل اذا ما أحست انها لم تستفد من سياسة الجسور المفتوحة في بعض الاوقات .

كيف بدأت سياسة الجسور المفتوحة ؟ . « بعد انسحاب القوات العسكرية ، الاردنية والعراقية من الضفة الغربية اثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، قامت هذه القوات بعد اتمام عملية انسحابها بنسف الجسور الثلاثة القائمة على نهر الاردن ، لاعاقة تقدم القوات الاسرائيلية في حالة مواصلة اندفاعها الى الضفة الشرقية ، وبعد انتهاء المعارك بفترة قليلة أعادت كل من اسرائيل والاردن بناء تلك الجسور كل من ناحيتها ، لتسجيل عملية انتقال الافراد والبضائع باتجاه واحد في البداية ، من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، ويقول المؤلف : انه من الثابت ان القوات العراقية هي التي قامت بنسف الجسور الثلاثة وهي داميه ، أللنبي ، سويمه . وان سلاح الهندسة في الجيش الاردني هو الذي قام بموافقة اسرائيلية بترميم جسري اللنبي وداميه .

أما بالنسبة لاسرائيل فتهدف من وراء سياسة الجسور المفتوحة الى « الانفلات من طوق المقاطعة العربية للاطلال على «المجال الحيوي لاسرائيل» وقد جاء في المنشور السنوي « ثلاث سنوات من الحكم العسكري » الذي تصدره وزارة الدفاع الاسرائيلية ان الخطوط الموجهة للسياسات الاقتصادية والادارية الاسرائيلية في المناطق المحتلة هي ما يلي : ١ — عدم الحضور او التواجد ، ٢ — عدم التدخل ، ٣ — الجسور المفتوحة .

فسياسة عدم الحضور تقوم على اساس ان امكانية تقليل التصادم مع المواطنين في الارض المحتلة تكون كبيرة ، عندما تصبح قوات الاحتلال في وضع لا تسمع فيه ولا تشاهد ، وسياسة عدم التدخل تمثل الفكرة المركزية لنظام اسرائيل في الحكم غير المباشر ، باظهار سكان المناطق المحتلة أمام الرأي العام العالمي وهم يديرون شؤونهم الحياتية بانفسهم وفي ظل القوانين والانظمة التي كانت سائدة قبل الاحتلال وابقاء المجالس البلدية والقروية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية تعمل على الاسس نفسها التي كانت تعمل عليها قبل حرب حزيران. أما سياسة الجسور المفتوحة فهي تقوم على اساس اعادة الحياة الى مجراها الطبيعي قبل الحرب .

يقسم الاستاذ عيسى عبد الحميد مؤلف الكتاب كتابه الى خمسة فصول :

١ — النتائج السياسية لسياسة الجسور المفتوحة. ٢— النتائج الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة . ٣ — قطاع غزة : علاقات سياسية واقتصادية عبر الجسور . ٤ — حركة انتقال الاشخاص والاموال عبر الجسور المفتوحة . ٥ — الافراج عن الودائع واعادة فتح فروع البنوك الاردنية في الضفة الغربية .

ولنبدأ بالفصل الاول « النتائج السياسية لسياسة الجسور المفتوحة » حيث يقول المؤلف انه « اذا كانت اسرائيل لم تتخذ خلال السنوات الست الماضية قرارها السياسي حول مستقبل المناطق المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ ، فمن المؤكد انها اتخذت طوال هذه السنوات ، الخطوات التنفيذية التي يصبح معها وبانتهائها ذلك القرار وكأنه تحصيل حاصل » . ثم يشرح المؤلف التصور

الاسرائيلي لهذا القرار فمن المؤكد ان وزراء الحكومة الاسرائيلية جميعا يقولون بعودة الضفة الغربية الى الحكم الاردني ، في اية تسوية سياسية قادمة مع بعض التعديلات ، غير ان هذا التصور الاسرائيلي هذا لمستقبل العلاقة بين الضفتين يظل قاصرا ، فلقد غدت العقدة الفلسطينية من خلال القصور الاسرائيلي ، أكثر تعقيدا من أي وقت مضى ، ليس بفعل بروز دور المقاومة الفلسطينية بقوة فحسب ، وانما لخضوع مليون ونصف المليون فلسطيني تقريبا تحت الحكم العسكري الاسرائيلي ، الامر الذي يهدد « نقاء » الدولة العنصرية اليهودية ومن هنا بدأت عملية البحث عن « قيادة فلسطينية » بالشروط والمواصفات التي تستطيع معها اسرائيل الوصول الى اتفاقية صلح نهائية . فمن خلال فحص كافة القوى السياسية في الضفة الغربية ومراقبة ردود فعلها تجاه الاحتلال ، وجدت اسرائيل ان الجماعة السياسية التي تشمل اعضاء المؤسسة الاردنية السابقة كالوزراء والسفراء السابقين واعضاء البرلمان والموظفين الكبار ورؤساء البلديات الكبيرة ، وكافة من تتصل مصالحهم المادية والسياسية بالحكومة الاردنية في عمان ، قد التزموا الصمت تجاه الاحتلال الاسرائيلي قائلين « ليس عندنا ما نقوله . ان حكومتنا في عمان اذهبوا وتفاوضوا معها » . اما الجماعة الثانية التي تشمل الاحزاب السياسية فقد عملت على تنظيم حركة عصيان مدني في البداية ومن ثم أخذت تجند الشباب في المنظمات الفدائية التي تنتمي الى احزابها . واما المجموعة الثالثة التي تشمل خريجي الجامعات والمثقفين غير الملتزمين الذين لم يسبق لهم ان مارسوا نقدا علنيا للنظام الاردني فقد وجدوا انفسهم قادرين على انتقاد النظام الاردني بعد الاحتلال وقادرين على التعبير عن آرائهم السياسية طالما كان الامر يقتصر على ابداء الرأي فقط دون الالتزام بموقف عملي .

هذا وقد حرصت الحكومة الاردنية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على التمسك نظريا بحقها في السيادة على الضفة الغربية ، الامر الذي يمكنها فيما بعد من حق التمثيل ومن ثم التفاوض باسم الشعب الفلسطيني الذي تسكن غالبيته العظمى ضمن اطار « السيادة الاردنية » . انطلاقا من هذا التصور قامت الحكومة الاردنية بترميم الجسور المنسوفة على نهر الاردن من الجانب الشرقي وفعلت اسرائيل ذلك من الجانب الاخر ، ولم تكن سياسة النظام الاردني تجاه الضفة الغربية على الاقل ، تتعارض مع سياسات اسرائيل الراهنة فيها بشكل تصادمي اذ يعتبر موشيه دايان ان الاردن في النهاية هو المحاور في اية مفاوضات من اجل السلام « مع الاردن نحاربنا ومعه سنعقد صلحا . والعاجز عن الحرب عاجز عن عقد معاهدة الصلح» . ويصل الاستاذ عيسى عبد الحميد الى النتيجة التالية :

ان محاولات النظام الاردني لاستعادة وتكريس نفوذه في الضفة الغربية التي بدأت قبل نهاية عام ١٩٦٧ كانت بهدف تقوية مركزه التفاوضي مع اسرائيل اولا ، ولمواجهة الانفصاليين الفلسطينيين من دعاة الدولة الفلسطينية ثانيا ولقطع الطريق على حركة المقاومة التي بدأت نشاطها على نطاق واسع منذ ذلك التاريخ ثالثا .

لقد وضع النهوض الجماهيري الواسع الملتف حول اهداف وشعارات حركة المقاومة الفلسطينية، النظام الاردني وجها لوجه امام الحقائق الجديدة في الواقع الفلسطيني : ١ — تصاعد المقاومة ضد الاحتلال في الضفة الغربية وسائر المناطق العربية المحتلة ، واكتسابها الدعم والتأييد الشعبيين في هذه المناطق . ٢ — ازدياد الثقل العسكري والسياسي للمقاومة في الاردن واكتسابها شرعية التحرك والتواجد العلني بين مختلف التجمعات الفلسطينية في الضفة الشرقية . ٣ — اجماع شعبي عربي على حيوية الدور الفلسطيني ممثلا بحركة المقاومة في معسكر الثورة العربية .

كرست هذه الحقائق عبر الفترة الممتدة من ربيع عام ١٩٦٨ وحتى صيف عام ١٩٧١ حقيقة سياسية هامة في الاردن وهي وجود طرف فلسطيني قادر على ان ينتزع من النظام الاردني حق التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني الواقع في اطار « السيادة الاردنية » . وقد جاء اعتراف النظام للمقاومة بهذا الحق الشرعي بتوقيعه على اتفاقية وبروتوكول عمان في ١٣/١٠/١٩٧٠ ، والتي جاء فيها أن « الشعب الفلسطيني وحده متمثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره » .

لقد كانت الاجراءات الاسرائيلية الضاغطة على

البرجوازية التجارية في الضفة الغربية تتصاعد بتصاعد نشاط حركة المقاومة . لقد كان لبروز دور المقاومة الفلسطينية في ذلك الوقت ،على الصعيدين السياسي والعسكري ، اكبر الاثر في بلورة حركة شعبية مناهضة للاحتلال الاسرائيلي ، اتخذت الى جانب الكفاح المسلح شكل التظاهرات والاضطرابات وكان طبيعيا في مثل تلك الظروف ان يتضاءل دور الزعامات الفلسطينية التقليدية ، محليا داخل الضفة الغربية وقطاع غزة ولدى الاوساط الاسرائيلية المحتلة . غير ان سلسلة الهجمات العسكرية التي شنها النظام الاردني ضد حركة المقاومة في الفترة من ايلول ١٩٧٠ وحتى تموز ١٩٧١ خلقت وضعا سياسيا جديدا على جانبي نهر الاردن .

ويصل المؤلف الى القول : ان الثمار التي اراد النظام الاردني قطفها من وراء سياسة الجسور المفتوحة لم تأت اكلها الا بعد ضرب حركة المقاومة في الضفة الشرقية . فقد جاءت نتائج هذه السياسة متطابقة مع الاهداف الاسرائيلية الكامنة وراء تبني اسرائيل هي الاخرى لسياسة الجسور المفتوحة . فلم يعد التنافس الاردني — الاسرائيلي قائما خلال هذه الفترة على مسرح اثبات الوجود في الضفة الغربية او قطاع غزة بعد ان طرح الملك حسين في اذار ١٩٧٢ مشروع « المملكة العربية المتحدة » الذي جاء نسخة منقحة من مشروع ييجال آلون نائب رئيسة الوزارة الإسرائيلية آنذاك .

لكن المؤلف لم يناقش مسألة اعلان « الاتحاد الوطني الاردني » والذي كان يهدف الى اعادة الثقة بالنظام الاردني بعد مجزرة ايلول وهو بمثابة حزب النظام المعلن ، ووضعت على قمة هذا الاتحاد عناصر فلسطينية عرفت وما زالت من خدم النظام : مصطفى دودين وعدنان ابو عوده وجمعة حماد ، بالاضافة الى اجراء انتخابات صورية استخدمت فيها الرشاوي وضغط النظام نفسه وهي محاولة لخلق « قيادة فلسطينية » بديلة للوجوه التقليدية الفلسطينية في الضفة الغربية التي اهترأت ، هذه القيادة الجديدة هي التي جاءت لتبارك مشروع المملكة العربية المتحدة ، ولاحقا بذلك غيرت الحكومة الاردنية اسم « الاتحاد الوطني الاردني » الى « الاتحاد الوطني العربي » مما يبين ان هذا الاتحاد خطط له ان يكون قائد مرحلة تطبيق مشروع المملكة العربية المتحدة في حالة اية تسوية . لم يناقش المؤلف هذه المسألة رغم انها في تحليلها الاخير تصب في صميم تطبيق سياسة الجسور المفتوحة .

ويناقش المؤلف اجراء الحكومة الاردنية وهو فرض ضريبة على منتوجات الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الجسور المفتوحة بمقدار ١٢٪ من قيمة هذه المنتوجات في اواخر عام ١٩٧٢ فيتعرض للسياق التاريخي الذي جاءت فيه هذه الخطوة وهي الحقائق السياسية التي يسعى النظام لخلقها في اطار مشروع « المملكة العربية المتحدة » وثانيا الحقائق الاقتصادية التي ترتبت على سياسة فتح الجسور مع المناطق المحتلة .

والمؤلف يرى ان المدلول السياسي لضريبة الـ ١٢٪ على منتوجات المناطق المحتلة المصدرة الى الاردن هو انه انطلاقا من تمسك النظام باستمرار سيادته على الضفة الغربية بعد احتلالها في حزيران ١٩٦٧ ، ظل يعتبر المنتوجات والبضائع المتجهة شرقا وغربا عبر الجسور المفتوحة على نهر الاردن عملية تتم ضمن اطار السوق الاردنية الواحدة ، مما لم يستدع معه الامر فرض ضرائب ورسوم جمركية على حركة هذه المنتوجات . ولهذا فان اقدام السلطات الاردنية على فرض ضريبة على وارداتها من الضفة الغربية في اواخر العام ١٩٧٢ لا يمكن ان يكون ، في ضوء التحليل الذي اورده المؤلف ، الا خطوة على طريق خلق اساس مادي جديد للعلاقة المستقبلية بين « اقليمي المملكة العربية المتحدة » . وهذا الامر ينسجم تماما مع بعض الاتجاهات في الحكم الاردني ، الداعية الى تحمل التزامات ليس لها صفة الخصوصية تجاه الضفة الغربية والقضية الفلسطينية عموما والتعاطي معها على اساس الالتزامات العربية الاخرى .

وقد أشار المؤلف الى ردود فعل برجوازية الضفة الغربية تجاه القرار واشار الى ان الحكومة الاردنية ارادت ان تمتحن موقف البرجوازية الفلسطينية في المناطق المحتلة من القرار وكان يجب ان يشبع هذه النقطة شرحا تفصيليا افضل فقرار ضريبة الـ ١٢٪ جاء بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ كما اشار المؤلف وهذا يعني بالتالي

ان النظام الاردني بالاضافة الى انه يطرح القرار كامتحان للبرجوازية في المناطق المحتلة فهو ايضا يطرحه كاعادة للسيطرة الاردنية على المناطق المحتلة واعطائها صفة « الشرعية والحق » أي انها بالاضافة الى كونها « جس نبض » للبرجوازية فهي ايضا محاولة عملية لتثبيت « شرعية الامر الواقع » بعد مجازر ايلول وتموز .

أما النتائج الاقتصادية التي ترتبت على سياسة فتح الجسور وانعكست بصورة سلبية على اوضاع الاقتصاد الاردني ، فيلخصها المؤلف فيما يلي :

اولا : هناك عجز ثابت في الميزان التجاري بين الضفتين لغير صالح الضفة الشرقية بلغ خمسة ملايين دينار عام ١٩٧٠ ، ثم ازداد في العام التالي الى ستة ملايين دينار ونصف المليون .

ثانيا : ازداد تسرب الدينار الاردني الى الضفة الغربية ومنها الى البنوك الاسرائيلية .

ثالثا : كان استمرار فتح الجسور امام مختلف المنتوجات القادمة من المناطق المحتلة بكميات تفوق ما كان ينتج قبل حرب حزيران أدى الى ازدياد الضغط من قبل اصحاب المزارع الكبيرة وشبه الاقطاعيين في غور الاردن على الجهات صاحبة الاختصاص في الحكومة الاردنية لوضع حد لهذه السياسة التي تضر بتسويق محصولاتهم على الصعيدين المحلي والخارجي .

ثم يناقش المؤلف عنوانا فرعيا «منتوجات المناطق المحتلة امام مكتب مقاطعة اسرائيل ومجلس جامعة الدول العربية » ويورد حقائق عن عدم التزام الاردن بمقررات المكتب والى تعمد الحكومة الاردنية لعرقلة اعمال المكتب .

وفي الفصل الثاني (ص ٦٧) يناقش المؤلف النتائج الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة ويتحدث عن ميزات اقتصاد الضفة الغربية ثم يتحدث عن العوامل والاعتبارات الاقتصادية التي جعلت الاردن يتخذ قراره بفتح الجسور مع الضفة الغربية : « فبعد حرب حزيران مباشرة كان على سلطات الاحتلال الاسرائيلي ان تتخذ قرارا سريعا فيما يتعلق بالاحتمالات الممكنة امام اقتصاديات الضفة الغربية لمواصلة نشاطها « العادي » في ظل الاحتلال . وكان الهاجس الاساسي بالنسبة لاسرائيل هو تجنب ازمة سياسية قد تترتب على وقوع ازمة اقتصادية تهيء الشروط الموضوعية لنمو وتصاعد المقاومة الشعبية ضد الاحتلال . وامام الاحتمالات المتعددة وجدت اسرائيل نفسها أمام الخيارات الصعبة التالية :

١ ــ اقفال الاسواق الاسرائيلية والعربية شرقي نهر الاردن امام فائض الانتاج الزراعي والصناعي للضفة الغربية ، سوف يؤدي الى تعميق حدة الآثار السلبية التي تركتها الحرب على اقتصاديات الضفة ، مما سيؤدي في النهاية الى المزيد من المتاعب « الامنية » لقوات الاحتلال .

٢ ــ فتح الاسواق الاسرائيلية في وجه فائض المنتوجات من الضفة الغربية سوف يؤدي الى مضاربة شديدة للمنتوجات الاسرائيلية المماثلة لمنتوجات الضفة الغربية .

٣ ــ السماح لمنتوجات الضفة الغربية بعبور نهر الاردن شرقا الى اسواقها العادية امر مرهون بموافقة السلطات الاردنية دون غيرها .

وهكذا جاء القرار الاردني معتمدا استراتيجية استمرار التكامل الاقتصادي بين الضفتين ، على الرغم من واقع الاحتلال الذي ترزح تحته الضفة الغربية انطلاقا من ممارسة النظام الاردني «لحقه» النظري بالسيادة على الضفة الغربية . وبعد وقوع الضفة الغربية تحت حكم الاحتلال العسكري الاسرائيلي ، وامام الافاق الجديدة لعملية تصريف المنتوجات الاسرائيلية التي طرحتها واقعة الاحتلال تبنت اسرائيل سياسة حرية انتقال البضائع من اسرائيل الى الضفة الغربية ، لقد كانت اسرائيل ــ في رأي المؤلف ــ تبغي من خلال هذه السياسة الاقتصادية تحقيق ثلاثة اهداف هي :

الاول : حصولها على عائدات وموارد للخزينة في شكل ضريبة شراء ورسوم جمركية يدفعها التجار العرب .

الثاني : وهو الاهم ، فتح اسواق جديدة امام الصادرات الاسرائيلية « ضمن المجال الحيوي لاسرائيل » .

الثالث : حصولها على بضائع رخيصة نسبيا تدفع ثمنها بالليرة الاسرائيلية بدل ان تضطر لاستيرادها من الخارج بالعملة الصعبة .

وقد انعكست هذه السياسة بالضرورة على عمليات التبادل التجاري بين الضفتين .

ويصل المؤلف الى النتائج التالية :

اولا : آثار سياسة الجسور المفتوحة على الاقتصاد الاردني :

١ ــ ساهمت حركة التبادل التجاري بين الضفتين بعد حرب حزيران من خلال الجسور المفتوحة تزويد الضفة الشرقية باحتياجاتها من المنتوجات الزراعية .

٢ــ أدى ارتفاع المستوى العام لاسعار منتوجات الضفة الغربية بعد حرب حزيران الى ارتفاع أسعار هذه المنتوجات في الضفة الشرقية .

٣ ــ ساهمت حركة انتقال المنتوجات الزراعية الى الضفة الشرقية في الحد من آثار انخفاض حجم عرض المنتوجات الزراعية في سوق عمان المركزي .

٤ ــ أفادت حركة انتقال المنتوجات من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية في امداد السوق الاردني بمنتوجات مهمة ذات جودة عالية .

٥ ــ كان لاستمرار صادرات الضفة الغربية عبر الاردن الى الاسواق الخارجية اثر واضح في تخفيض عجز الميزان التجاري الاردني مع العالم الخارجي الذي يعاني من عجز دائم ومستمر .

٦ ــ ان استمرار علاقات التبادل التجاري بين الضفتين قد ساهم في بعث النشاط التجاري في الضفة الشرقية .

٧ ــ كان للقطاع المصرفي في الضفة الشرقية حظ كبير من استمرار حركة انتقال البضائع بين الضفتين .

٨ ــ ان استمرار تزويد الضفة الغربية ببعض حاجاتها من السلع والمنتوجات المستوردة من خارج الاردن مثل الاغنام والحبوب ادى الى استمرار تزويد صناعات الضفة الغربية بمواد خام ارخص بكثير مما لو استوردتها عن طريق اسرائيل .

٩ ــ رغم ان استيراد بعض المنتوجات ، خاصة الصناعية ، للضفة الغربية من خارج الاردن يساهم في الضغط على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية الا ان ذلك يقابله تزويد الضفة الغربية للضفة الشرقية ببعض المنتوجات الصناعية .

١٠ ــ رغم ان التجارة بين الضفتين تسجل عجزا كبيرا ومستمرا لصالح الضفة الغربية فان العجز مرتبط بالظروف الهيكلية للاقتصاد الاردني في الضفة الشرقية الذي يعتمد على الضفة الغربية .

ثانيا : آثار سياسة الجسور المفتوحة على اقتصاديات الضفة الغربية :

١ ــ ادت سياسة الجسور المفتوحة الى تمكين الضفة الغربية من تسويق فائض انتاجها من الفواكه والخضروات وبعض المنتوجات الصناعية الاخرى الى اسواق تصريفها العادية في الضفة الشرقية . ٢ ــ ساهمت هذه السياسة في استمرار حصول الضفة الغربية على احتياجاتها من المواد التموينية . ٣ ــ ادى نقل منتوجات قطاع غزة الى الضفة الشرقية عبر الضفة الغربية الى قيام تجارة ترانزيت نشطة في هذه الاخيرة . ٤ ــ حققت سياسة الجسور المفتوحة لبعض صناعات الضفة الغربية استمرار استيراد موادها الخام عن طريق الضفة الشرقية التي وفرت لها هذه المواد بالعملات الصعبة .

ثالثا : آثار سياسة الجسور المفتوحة على الاقتصاد الاسرائيلي : ١ ــ ساعدت الاقتصاد الاسرائيلي على التخلص من فائض الانتاج الزراعي للضفة الغربية . ٢ ــ اصبحت الضفة الغربية سوق تصريف رئيسية لكثير من منتوجات وبضائع الصناعة الاسرائيلية . ٣ ــ أدت الرسوم الجمركية المرتفعة على واردات الضفة الغربية عبر الجسور المفتوحة الى ايجاد مورد جديد ومهم لعائدات الخزينة الاسرائيلية . ٤ ــ ساهمت حركة انتقال البضائع والاشخاص الى تسرب جزء كبير من العملة الاردنية الى البنوك الاسرائيلية . ٥ ــ تمكنت اسرائيل عبر سياسة دعم وتشجيع وتصدير منتوجات المناطق المحتلة عبر الجسور الى الاسواق العربية من تسرب بعض منتوجاتها المماثلة لانتاج الضفة الغربية وقطاع غزة . ٦ ــ تمكنت اسرائيل من الحصول على بعض احتياجاتها من المنتوجات الزراعية عن طريق الاردن .

أما الفصل الثالث فيفرده المؤلف لقطاع غزة وسياسة الجسور المفتوحة فلقد كان اقدام السلطات الاردنية على معاملة منتوجات قطاع غزة معاملة

منتوجات الضفة الغربية بداية مخطط جديد للتعامل مع قطاع غزة سياسيا على نفس الاساس السياسي الذي تتعامل به السلطات الاردنية مع الضفة الغربية وذلك من اجل احتواء القطاع في اية تسوية قادمة . فقد تجلى ذلك في « مشروع المملكة العربية المتحدة » وفي انتخابات « الاتحاد الوطني العربي » الذي جعل فيه لسكان قطاع غزة ممثلين عنهم في مجالس الاتحاد ومؤتمراته ويشرح المؤلف اهداف زيارات الشوا الى عمان وتصريحاته حول ضرورة ارتباط قطاع غزة بالضفة الغربية .

بعد ذلك يتحدث المؤلف عن حركة انتقال الاشخاص والاموال عبر الجسور المفتوحة فيقدم المؤلف امثلة للتعاون الاسرائيلي الاردني حول هذا الموضوع سواء بصرف جوازات سفر جديدة او بصرف رواتب موظفي الدولة في الضفة الغربية من الجانب الاردني او مسألة التصاريح من قبل اسرائيل بالاضافة الى المردود الاقتصادي الذي يجيء لاسرائيل من وراء زيارات الصيف وقد جاءت هذه التسهيلات بعد ضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن كذلك بعد اعلان الملك حسين عن مشروع « المملكة العربية المتحدة » .

وفي فصل اخر يتحدث المؤلف عن « الافراج عن الودائع واعادة فتح فروع البنوك الاردنية في الضفة الغربية » فيطرح معالجة الازمة المالية والنقدية والاقتصادية من قبل الاردن فقد اتخذت قرارا بناء على توصية من لجنة الامن الاقتصادي والبنك المركزي الاردني وفي ظل الاحكام العرفية باغلاق جميع فروع البنوك المرخصة في الضفة الغربية اعتبارا من ١٩٦٧/٦/٥ ، كما جمدت الودائع وقيدت جميع عمليات السحب من مراكز وفروع البنوك في الضفة الشرقية بمبلغ لا يتجاوز مئة دينار اردني شهريا .

وفي عام ١٩٦٩ ظلت سلطات الاحتلال تكرر محاولاتها الرامية الى اعادة فتح فروع البنوك الاردنية في الضفة الغربية وقد اعادت الحكومة فتح البنوك بعد مذابح جرش ١٩٧١ ويصل المؤلف الى النتيجة التالية : « يمكن القول انه اذا كان قرار السلطات الاردنية بتجميد ارصدة وودائع البنوك الاردنية بعد الحرب قد جاء كتدبير احترازي ضد تعرض هذه البنوك لحملة سحوبات واسعة تهدد توازنها المالي ، فان استمرار حجز ودائع مواطني وتجار الضفة الغربية في وقت سمحت فيه للمودعين من الضفة الشرقية بسحب كامل ارصدتهم بعد ذلك لم يكن بهدف تشكيل ضاغط مادي وسياسي ايضا على جمهور واسع من المواطنين ، فقد اراد النظام الاردني من خلال الاستمرار في تجميد تلك الودائع ان يكثف الاحساس لدى ذلك القطاع من المواطنين بسيطرته المادية ومن ثم السياسية عليهم وبالتالي فليس غريبا ان تعود السلطات الاردنية عن قرارها السابق وتدعي ان الظروف تستدعي فتح فروع البنوك في الضفة الغربية لاسباب « وطنية وقومية » .

عز الدين المناصرة

ثقافة

الياس خوري

وجه الشاعر

يعود وجه الشاعر عبد الرحيم محمود ، وقد تبلل بندى التراب ، محمولا على قصائده التي يجمعها ، لاول مرة ، بشكل متكامل تقريبا كتاب واحد . يعود ، لنقف أمامه ، نقرأ الشعر الذي كتب بالبنادق والدماء ، ولا نستمع الى الشعر . نرى شكلا هو أجمل من كل القصائد ، جسد الشاعر وهو يرسم في سقوطه على الارض ، لوحة ثقافتنا الفلسطينية الجديدة . لم تنتج فلسطين أدبا عظيما ، بل انتجت ادباء عظماء . عظمتهم انهم لم يذهبوا الى الادب ، ذهبوا الى الحرب ، فجاء الادب اليهم وقد تبلل بدمائهم . ذهبوا الى الثورة، وعلى ايقاع دماء الجماهير التي قاتلت وتقاتل ، جاء الشعر نشيدا ، ودعاء . هذا الشعر الذي يفجر ولا ينفجر ، يمطر ولا يعصف ، هو شعر البدايات التي عادت فنبتت في صوتنا الشعري ادبا مقاتلا ، يفجر بنية الادب فيما ينفجر جسد الاديب على التراب . هذه المعادلة رسمتها ممارسة عميقة الجذور في التراب ، هي ممارسة الجيل الذي لم يحصد من الشعر سوى مجد الموت . رغاق القسام الذين حددوا الطريق الذي يسير عليه كل وطني من بعدهم. هذه الكوكبة من فرسان تاريخنا ، الذين بنوا بأجسادهم امكانية الخروج من ذل يطوقنا ، هم الذين أصبحوا في كلمات عبد الرحيم محمود نشيدا مستقبليا .

بين الوطن والموت ، هناك حد واحد هو جسد الشاعر :

« سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
ونفسي الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى »

هذا الحد ، هو الكلمة المختصرة التي تلخص. لا تبدع او تنفجر ، لكنها تحمل تجربة حقيقية ، ومعاناة شعبية كاملة . فهو « الفتى » الذي يحتقر الموت ، ويمد له جسده . فحين يصف مصرعه في الفلاة ، يقيم احتقارا للموت نفسه ، من خلال موقف وطني :

« وبان على شفتيه ابتسام
معانيه هزء بهذي الدنى »

الشعر ، الخطابة ، والالتزام

في صوت عبد الرحيم محمود ، تقف مرحلة كاملة ، كان الشعر فيها هو ميدان الخطابة الامثل . كان الشعر هو الخطابة حين تأخذ معنى تراثيا عميق الجذور . فحين يأتي شعره الخطابي مليئا بالالتزام ، وداعيا الى وضع النقاط على الحروف تحت شعارات مرحلة وطنية ، فانه يأتي تعبيرا عن هذه المرحلة واستشرافا لافاقها . فالشعر حين يريد أن يكون سلاحا مباشرا ، يلجأ الى تراثه القديم ، ويصبح نشيدا للقتال . ففي الثلاثينات والاربعينات حين كتب محمود غالبية أشعاره ، كان المقياس الاساسي للشعر هو مدى قدرته على الخروج من شروط الانحطاط ، ومدى قدرته في الوقت نفسه على التعبير عن هموم

---

* **ديوان عبد الرحيم محمود** . جمع القصائد وقدم للديوان الدكتور كامل السوافيري . اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين — دار العودة. بيروت ١٩٧٤ .

ومشاعر وطنية ، كانت قاسما مشتركا للاكثرية الساحقة من أبناء الشعب الذيـن شاركوا في نضالات طويلة ضد الاحتلال . هنا يأتي تفرده ، بوصفه يحمل قضية فريدة . فهو أول شاعر عربي حديث ، يحمل الموت في شعره هذا المعنى المركزي المرتبط بالنضال الوطني . وهو صوت الثورة ، أو لغتها مع أقرانه الذين رسموا في الثلاثينات لوحة مضيئة لشعرنا . الخطابة اذن ، هي مرحلة استجماع للذات الجماعية في مواجهة أعدائها . من هنا تركيزها على الرمـوز الثقافية (القرآن أساسا) ووقوفها طويلا امام الرموز النضالية الحية ، الثورات ، الانتفاضات ، التي وجدت في عزالدين القسام رمزها الاساسي :

« هذي طريقك في الحيـاة فلا تحد
قد سارها مـن قبلك القسـام »

الخطابة ، هي نشيد قتال . يأتي الشعـر الخطابي ، ليصبح صورة القتال ، ومركز الذاكرة الجماعية . جماعية الذاكرة هنـا ، هي المبرر والحافز لكتابة شعر خطابي في ملمحه الاساسي . فالذاكرة الجماعية في لحظـات التهديد الجسدي بالاقتلاع والنفي ، تصبح أكثر محافظة ، لكنهـا تحمل في الوقت نفسه قدرة هائلة على التكيف مع ظروف القتال الجديدة . تلجأ الى تراثها ، وترسم أناشيد قصيرة هي رجع لايقاع المعارك المنتظرة ، او دعوة لخوض غمارها :

« دعا الوطـن الذبيح الى الجهاد
فخـف لفـرط فرحتـه فـؤادي
وسـابقت النسيـم ولا افتخـار
أليس علـي ان أحمـي بلادي »

الارض ومعاناة الاقتلاع

لم يكن الاقتلاع والتشرد حقيقة واحدة ، لكنه كان ماثلا كل لحظة في الاذهان . لذلك اكتسبت الارض وفي وقت مبكـر جدا ، بعدها الشعري الجديد ، الذي سيصبح عنوان مرحلة شعريـة لاحقة . فالارض الفلسطينية هي مكان الصراع ، وهي التي يجري من أجلها الصراع . من هنا بدأت تأخذ حجما مختلفا عن الحنين « الثوري » الذي اجتاح الادب المهجري في بدايات القرن . انها هنا رمز ووجود حقيقي . لذلك كانت النبرة الوطنية تتوتر بمضمون البعد **المكاني** الذي هو لحظة انفجار الزمن داخل صراع لا رحمة فيه . هنا يعود الشعر الى لهجته الاولى فهو صوت القبيلة التي تتوحد :

« شعب تمرس بالصعاب ولم تنل منه الصعاب
متمـرد لـم يرض يومـا ان يقر على عذاب »

وهو كذلك ، صوت الفلاح الذي يتشبث بأرضـه فيما يشعر انها تتحرك من تحت قدميه . يعود الفلاح الى أغانيه القديمة ويرسم بها خريطة حركته الانفعالية داخل لهب القتال . يعود الى التراث ويلتجيء الى لغة المتنبي ، حيث تجيب هذه اللغة على طموح مزدوج : طموح الشاعر الذي يرى نفسه فتى القبيلة والناطق باسمهـا ، وطموح القتال ، الذي هو وحده طريق الخلاص الوطني . لذلك فحين يتوقف عبد الرحيم محمود طويلا عند لغة المتنبي ، فان لهذا التوقف دلالة جماعية . دلالة ضرورة قتال الاعداء ودلالة روح الفروسية التي كانت نتاج تلك المرحلة .

الارض ، ونشيدها . تلك هي علامة بدايات الشعر الفلسطيني . وداخل هذه البدايات ، كان تفرد عبد الرحيم محمود ، هو تفـرد الالتزام الكامل ، الذي حول الشعر الى ممارسة دموية ، فهو ليس مخاطبة في فراغ ، وليس امتدادا بغير قدمين ثابتين . انه الارض وقد رسمت ملامحها في كلمات شاعر ، فجاءت الكلمات وكأنهـا تلال مخضبة بالدماء . وأصبح الشعـر مدخلا الـى الموت .

ان صوت هذا الشاعر ، هو صوت بداياتنا التي يجب دراستها بشكل متأن ومستفيض . فتلك المرحلة ، التي حملت نضالا أجهض من الداخل والخارج. كانت كذلك مرحلة الالم الشعبي الكبير، الذي لا يتراجع . ففي أصوات شعـراء هذه المرحلة ، بذور النمو لشعر الالتزام الوطني ، من موقع الممارسة الثورية .

فحين سقط عبد الرحيـم محمود في معركـة الشجرة ، ١٣/٧/٤٨ جنديـا قائدا من قـادة شعبنا ، ترك اوجاع الولادات التي عادت لتنمو على جذوعه ، وتنضج أدب الموت والثورة ، وهو يحمل جمال الموت داخل لهب الدماء .

الشاعر ، الجميل ، حين أمسك بندقيته ، ترك لشعره حرية القتال . وأمام هذه الحرية ، بدأت قافلة الشهداء تزداد ، ودخلت الكلمات لهب الموت لتشهد على ولادة جديدة .

صوت الادب الفلسطيني

حين يرتفع صوت الادب الفلسطيني ، يختلط الصوت برجع الدماء . أو هكذا نفترض حين نقرأ عنوانا كاملا لعدد خاص تصدره مجلة أدبية كمجلة « الآداب » . فالصوت الفلسطيني ، ليس فلسطينيا ، الا بمقدار قدرته على تكثيف تجربة الرؤية الثورية العربية في الثقافة والادب ، داخل حقل ممارسة دموي ، رسمت خريطته آلاف الانتفاضات ، وأجساد الرجال الذين سقطوا وعيونهم تفيض بالحلم الثوري . حلم تأسيس رؤية جديدة . فالحقل الثقافي العربي ، هو حقل صراع داخلي هم مركزي ، هو هم اكتشاف الذات الواقعية . أي هم اكتشاف منافذ جديدة للرؤية التي تصاغ على ايقاع ممارسة جماهيرية صاخبة. لتكون هذه الرؤية صوت الممارسة او اقرب الاصوات اليها ، ولتحاول اعادة تلك الوحدة التي فقدناها تحت ضربات قرون الذل والاغتراب. لذلك كانت فلسطين احدى اكثر المحطات أهمية ومركزية . فعلى أطرافها ، من سيناء الى الجولان الى الجنوب اللبناني ، تشتعل الارض بصراع يلخص مجمل صراعاتنا ويكثفها في نقطة تحدي الوجود الكبرة، الذي تفرضه علينا صليبية جديدة، استطاعت ان تمزق شعبنا لحظة ، ثم كانت فاتحة لمرحلة الانتفاضات الثورية العربية الجديدة .

بهذا المعنى ، يكون كل أدب عربي ، يحمل هموم مسيرة المطابقة ، فلسطينيا ، بمقدار ما هي فلسطين رمزنا الدموي . واذا كانت الاحتفالية العربية بمولد الادب الفلسطيني المقاوم ، كانت تعبر ، من جملة اشياء اخرى ، عن فرح النهر باكتشاف احد روافده . فانها في المقابل حملت خصوصية **المكان** الى أدبنا المعاصر . فأتى هذا المكان ، من موقع هموم يومية تتمركز في بؤرة صراع هي كثافة التاريخ وهو يحمل أصوات الشعوب في مواجهة أعدائها . لذلك كان المكان نقطة صدام ، ولم يكن حنينا فولكلوريا . كان وهج الرياح الساخنة . نقل نفسه من تمحور جغرافي حنيني الى زمن تاريخي يبشر بالولادات . هكذا نفهم صوت الشعر الرؤيوي الذي يصيغه الوعي المأساوي الفلسطيني في أكثر لحظاته جدلية ومعاناة . أو هكذا يرتفع صوت « المتشائل » في تلخيصه لآفاق الصراع الذي يشير اليه حوار « الاعمى والاطرش » وهما يكتشفان ثورتهما الممكنة من جديد .

الولادات في زمن الموت ، هي رؤيتنا الجديدة للعناصر التي تولد وهي تحمل اشارات دمائنا . لذلك نولد لحظة النزع ، وتنفجر اجساد الرجال شعرا جميلا ، وهي ترسل أنينها الاخير .

العدد الخاص

لا تصلح هذه المقدمة ، مقياسا نقديا ، لعدد خاص أصدرته الآداب ، وحشدت فيه أكثر الاسماء الفلسطينية . لكنها تصلح كمؤشر نقدي لمناقشة معنى هذا العدد الخاص ، حين لا يحمل سمات الحلم الثوري وهو يحتضن تجربتنا المأساوية بشكل شامل . فحين تصدر مجلة ثقافية ، عددا خاصا ، حول موضوع معين ، فانها تكون بذلك ، قد أرادت أن تضيف شيئا جديدا الى قناعاتنا حول الموضوع الذي جرى اختياره. أو هي تريد في أبسط الاحوال أن تعيد تقييم أدب معين بمقاييس جديدة تضيف الى تقييمنا السابق . لكن أي قراءة متأنية لعدد « الآداب » الاخير ، لا تشير الى احد هذين الاحتمالين . فالعدد تجميعي عشوائي ، لا يجمعه مقياس واحد ، او هو بغير مقاييس نقدية او فنية، نرى الاسماء وقد وضعت خلف بعضها ، وتتوالى القصائد والقصص القصيرة والدراسات النقدية ، لتشكل عودة الى الوراء . فاذا كنا ، على المستويين الابداعي والنقدي ، بدأنا رحلة الخروج من « قدسية » الادب الفلسطيني ، لنقوم باعادة تقييمه بمقاييس علمية فنية ، او لتأتي الاصوات الابداعية مضيفة اليه نفس التعدد والابعاد الشاملة . فان هذا العدد هو خطوة الى الوراء. لانه يكرس البعد الرومانسي، والرداءة ، بوصفهما مقاييس جديدة للادب الفلسطيني . ان رحلة البحث التي يخوضها أدبنا العربي المعاصر ، بحثا

---

* مجلة **الآداب** . بيروت . العدد ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

عن صوته الجديد ، وعن امكانية تفجير الاشكال الادبية السائدة ، في سبيل اكتشاف اشكال قادرة على حمل رؤيتنا الثورية الجديدة ، تختفي هنا ، ليأتي السائد بكل عناصره القديمة ، وكأنه هو صوت هذه المرحلة .

طوفان المستقبل

في الافتتاحية التي كتبها محمود درويش لهذا العدد «لا تعود الى الماضي حين تذهب في العودة»، استكمال للخط النثري التأملي ، الذي استطاع فيه درويش ان يمزج الشعر بالنثر ، وان يقيم سلسلة دوائر بلا حدود ، ينساب داخلها الماء الشعري ، وكأنه حلم يأتي داخل حلم سابق . لذلك فحين تمتزج الاسلوبية القصصية باستدارة الشعر ، فانها تحايل ، يصوغه الوعي الفلسطيني في معركته من اجل الوجود . فدرويش حين يؤكد على مستقبلية العودة . « الانسان الذي تخلقه الثورة هو انسان منجز لا وارث » . يتابع محاولته لصياغة الوعي الفلسطيني في أكثر لحظاته توترا وصفاء . لذلك يلتقي صوته في هذا العدد بصوت أحمد دحبور « وأشهد انني أصل انفجاري بالولادة » . هنا تتحد الرؤيا المستقبلية بوصفها رؤيا الطوفان الذي سيأتي على سواعد الفقراء « أقول : ان قبيلة الفقراء تحفظ حكمة الطوفان ». بين هذين الحدين : المستقبل الذي يصنعه وعي تاريخي مأساوي تقوم الثورة بصياغته ، وملامحه التي تأتي لحظة الموت . الولادة ، داخل طوفان تصنعه الجماهير المقاتلة، تتحدد بعض ملامح الوعي الفلسطيني في رحلته داخل سفينة الثورة الى البحر الواسع . لكن هذين الحدين ، اللذين نلمحهما في بداية العدد ، يختفيان بشكل مأساوي . لنعود الى النغم القديم بعد أن خلع رداءه الموسيقي ولبس صوتا خشنا غير قادر على الاقناع .

قصائد هذا العدد ، هي تنويع على الماضي . ولولا اللحظات الانفجارية التي يضعها دحبور في قصيدته ، لاستطاعت الرتابة التكرارية أن تضمها هي الاخرى . لكن هذه القصيدة في تقدمها داخل لغة شاعرها السابقة ، تستطيع ان تومض في لحظات قليلة ، قدرة على التجاوز من خلال نقطة محددة استطاع صوت دحبور تطويرها في شعرنا الفلسطيني . هي نقطة الزمن الجديد الذي يصيغه الفقراء . فالفقراء ، هي احدى الكلمات — المفاتيح ، التي تضيء اشكالية التداعي في شعر دحبور . لكن بعض المقاطع الشديدة المباشرة في القصيدة ، لا تخدم بنيتها الفنية ، بل تؤكد على الدلالة الخارجية التي لا تفسح لحقل التداعي الدلالي في القصيدة بالتوسع عاموديا . وهذا ما يحاوله محمد القيسي في قصيدته « فاتحة العذاب وفاتحة الاغاني » . لكنه في موسيقته الخارجية القصيرة ، لا يعطي لابعاد رؤيته الفنية مجالا رحبا للتشكل . فتأتي قصيدته وكأنها تحمل في داخلها امكانية رؤية شعرية متقدمة تؤشر في لجوئها الى عناصر الطبيعة ، الى قدرة هذه العناصر ، على تشكيل ميدان رحب لرؤية فنية متقدمة .

ما عدا هذين الصوتين الشعريين ، تأتي بقية القصائد ، وكأنها مجبولة برؤية مفتتة . رؤية غير قادرة على توحيد اللحظات الشعرية ، داخل لحظة فنية متكاملة . فتأتي بعض الفقرات او الاسطر الشعرية ، لتضيء مساحة لا تستطيع القصيدة في بنيتها احتمالها ، فتضيع اللحظات الشعرية ، داخل صخب نثري ، لا يحمل اية دلالات جديدة . هل يعود هذا الى ظاهرة عامة في الشعر الفلسطيني ، ام أنه مجرد لحظة ؟ ربما كان السؤال خاطئا . فهذه الاصوات الشعرية التي تجتمع في هذا العدد ، تفتقد من حيث المبدأ قدرتها التمثيلية الشاملة. فلا توجد قصيدة واحدة لشعراء الارض المحتلة . وهذا خطأ او خطيئة وقعت فيها هيئة تحرير « الآداب » . فكيف نتحدث عن صوت الادب الفلسطيني الحديث ، وأصوات شعراء الارض المحتلة غائبة بشكل كامل ؟ ثم جاء هذا الحشد الشعري ليمثل تجارب لم تنضج فنيا بشكل متكامل . ان عدم النضج ليس خطأ او عيبا . لكن الخطأ هو في وضع تجارب لم تستكمل عدتها بصفتها تعبر عن الصوت الشعري الفلسطيني . فأصوات الكثير من الشعراء هنا تحمل قدرة مستقبلية على العطاء ، لكنها ليست هي واقع الشعر الفلسطيني . من هنا سوء التفاهم المبدئي بين القارىء وبين هذا العدد . كما يجب من ناحية ثانية ، تسجيل ملاحظة مبدئية: فهذا الشعر الذي يجيء في اغلبه مباشرا ، وملتقطا من المارسة السياسية طرفا واحدا من معادلتها المتعددة ، يقع في تسطح معانيه . فالمارسة الثورية ، ليست مجرد فعل سياسي بالمعنى المباشر للكلمة ، بل هي

فعل شامل ، يلتقط المعاناة الانسانية بأسرها . لذلك حين يأتي الشعر الى هذه الممارسة ، وهو يطمح ان يكون معبرا عنها ، فانه ان لم يعش في أعماقها ، ويرسم من خلال لغته وقدرته على اكتشاف روافدها العميقة ، لتقوم هذه الروافد بدور مفجر عناصر البنية الفنية في سبيل بنية اكثر قدرة على التعبير ، يبقى في مجال التحريض الخطابي الذي يلعب دورا تعليميا في افضل الاحوال . لكنه لا يقدم لهذه الرؤية عنصرها الشعري الجديد . من هنا منشأ التخبط الشعري في هذه المجموعة الكبيرة من القصائد ، التي لم تكتشف لغتها الخاصة ، فاستندت على تجارب جاهزة ، أو حاولت نقل وجهة نظر سياسية ، أكثر مما حاولت التعبير من معاناة فنية متكاملة . فأتى الشعر وقد صيغ بلغة البيان السياسي . او بقي عند حافة تجربته الخاصة ، لا يخوض فيها ولا يستطيع ان يقدم عناصره الفنية المتفردة . قد يكون منشأ هذا الخلل في معادلة القصائد عائد في المقابل ، الى تصور عن دور الشعر . فالشعر هو صوت التجربة الجماهيرية النضالية ، لذلك فهو ليس مجرد بنية فنية تحمل هما ثقافيا بالمعنى السيىء للكلمة . انه ممارسة سياسية من طبيعة خاصة . هذا صحيح ، والذي نشير اليه ، هو الغياب النسبي لكون الشعر ممارسة سياسية من طبيعة خاصة . انه وعاء تجربة جماعية ، يقوم من خلال لغته ، بنقل هذه التجربة والتنويع عليها ، في سبيل صياغة اناشيدها . فالتجربة الجماعية هي فعل وحركة . والشعر لا يستطيع ان يكون صوتها الساكن . او صوتها المباشر انه صوت عناصرها المتحولة ، لذلك فهو لغة هذا التحول التي تتحول الى تغير في عالم الدلالات ، وعالم البنى . لذلك فهو تجريبي ، يبحث عن صوته وعن آفاق هذا الصوت . ان الغنائية وحدها ، لا تنتج شعر مرحلة ، مليئة بالتحولات . فمرحلة التحولات الثورية والتقدم والتراجع ، تنتج شعرا متحولا .

البطل الفلسطيني

قد تكون قصة « سر البري » لعلي زين العابدين الحسيني ، مدخلا لدراسة الملامح الجديدة التي بدأت تخطوها القصة الفلسطينية القصيرة . لكن نبرتها التعليمية البالغة الوضوح ، وهي قصة كتبت أصلا للاطفال ، ولم نعثر على اشارة في النص لهذا ، تحجب عن شخصية البري عمقها التي استطاع المؤلف ان يشير اليه اقتيا ، دون أن يوسع مدى اشارتـه لتشمل جميع عناصر شخصيته . لكنها كقصة تعليمية كتبت للاطفال ، تحمل ملامح البساطة الشعبية لحظات عرس شعبي كبير مقاوم . فالمقاومة هي الممارسة الجماهيرية في أعلى مراحلها ، مرحلة الكفاح الشعبي المسلح ، لذلك فحين تأتي النبرة التعليمية في البداية لتؤطر هذه القصة ، فانها ترسم ملامح بطولة شعبية شاملة ، يتخللها جو شعري ، يذكر بالقصة الشعبية التي يتعود الاطفال على سماعها ، بعد أن تغير مضمونها ، لتعبر عن هموم جديدة هي هموم الثورة الفلسطينية . البطل ليس فردا ، انه الجماعة ، هكذا تشير قصة الاطفال ، وهكذا ايضا تشير قصة محمود الريماوي «محمد الصغير في الدائرة». ورغم ان هذه القصة تفتقر الى حرارة أسلوبية الريماوي السابقة ، فانها تأتي لتؤشر الى نفس المفهوم الواسع للبطولة . فمن خلال لغة طفل ، يكتشف واقع الاحتلال ، تمتد البطولة ، لتشمل الجميع ، ولترفع عاليا صوت لحظة جماعية هي أفق نضالي واسع ، يلف الجميع لحظة مواجهة الاعداء . هكذا يمتد مفهوم البطولة ، ليشمل شعبا بأكمله ، وتصبح **العلاقات** بالمعنى الشامل هي الزاوية التي يتطور منها منظور القصة القصيرة . فالقصة ليست لحظة او موقفا او حالة نفسية : انها ميدان واسع لعلاقة طرفين ، الشعب والاعداء ، ومن خلال الجدل الصدامي والدموي بينهما ، تجري الولادات الجديدة .

الفقرات والمباشرة : في قصتي يحي يخلف «مقامة من كتاب الزيت » ، ورشاد ابو شاور « مربعات فلسطينية » ، محاولة لكتابة القصة القصيرة ، من خلال فقرات ، تشكل استدارات ثم تتوحد هذه الاستدارات في بنية متكاملة . والواقع ان قصة ابو شاور اكثر قدرة على التحكم بعناصر وحدتها البنائية من خلال قدرة الاستدارة التي يختلط فيها عاملان . الرمز الكامل الذي يستعير من « رجال في الشمس » رمز الخزان ، ويمده على مساحة الواقع الفلسطيني بأسره . واللحظات المباشرة التي تقترب من الانتقائية التسجيلية في رسمها لمجازر عمان الرهيبة . وبين هذين الحدين ، تقيم القصة توهجها الخاص الذي يمسك جيدا بجميع

العناصر التي تشكل القصة . في حين يقع يحي يخلف في عدة القدرة على الامساك الدقيق بتوازن عناصرها الداخلية ، ففي حين يفتتح القصة بمقطع رمزي شديد الوضوح ، يستعير مرجعه من الواقع المباشر ، فانه ينحدر بعد أن يمر بالمقطع الثالث البالغ الدلالات والذي ينفذ هذه القصة ، الى مباشرة فجة كما في خاتمة المقطع الرابع « ولا بأس من أن أذكر انه لا يحب المزاح ، ويحب فتاة اسمها زاهرة ، ويحلم بشكل متواصل في بناء الحزب الثوري » . عند هذا الحد تفقد المقاطع سبب وجودها ، وتنحل الى مجرد حالات لا تستطيع الامساك بلحظة الوحدة في القصة . من هنا تأتي الفقرات ، وكأنها حد فني للقدرة على صياغة حقل رؤيوي موحد .

اللوحة القصصية : ترسم قصة توفيق فياض « المنجد » لوحة قصصية من واقع الاحتلال الاسرائيلي . تقف هذه اللوحة على لحظة توتر واحدة في العلاقات . انكشاف خيانة رب العائلة . ثم تنساب الاحداث وكأن القصة القصيرة ليست سوى ذريعة ، لا ضوابط لها . عالم العلاقات ينحل الى سرد من طبيعة ثانوية ، لذلك تأتي اللوحة وكأنها لا تريد سوى ان تقول موقفا. في المقابل تأتي قصة محمود الخطيب « حكاية الازعر الكوكباوي » ، لتروي من داخل لوحة واقعية ، علاقات القمع واحلام الخروج من تحت مظلته وصولا الى اشكال الرفض والتمرد . لكن المقدمة الطويلة التي صاغها المؤلف وكأنها نوع من المونولوغ بصيغة الغائب تعرقل حركة الفصل في القصة . غير ان هذه الحركة نفسها ، تعود الى التبلور في سياق الحوار والحلم والسرد الذي يرسمه المؤلف بدقة ليقدم لوحة قصصية لا تخرج عن المألوف ، لكنها تحمل لفحة غنية لا تزال حارة وقادرة على التشكل .

بين هذين الحدين اليائسين تقف بقية قصص هذا العدد ، لتحاول ان تبحث عن البطل الفلسطيني في علاقاته وطموحاته .

تسمح هذه المجموعة الكبيرة نسبيا من القصص برفع ثلاث ملاحظات :

١ — الغياب الكامل للرواية الفلسطينية . فما عدا دراسة نقدية قصيرة جدا وسريعة ، كتبها عادل أديب آغا حول رواية رشاد ابو شاور الاخيرة « البكاء على صدر الحبيب » . ان هذا الغياب ليس تعبيرا حقيقيا عما يجري فعلا . لكننا نميل الى الاعتقاد انه جاء نتيجة تقصير المشرفين على هذا العدد . فالرواية الفلسطينية واقعيا ، روايات كنفاني وحبيبي وجبرا ، هي اكثر اهمية على المستوى الفني من العطاء الفلسطيني في حقل القصة القصيرة . وحين تغيب الرواية بهذا الشكل ، فان هذا يعطي مؤشرات مسيئة لانها غير صحيحة .

٢ — لا نزال في حقل القصة القصيرة ، ندور حول الشيء في غالب الاحيان دون ان نخترقه . فالقصة العربية القصيرة مع يوسف ادريس وزكريا تامر ، استطاعت ان تصل اطراف التجربة الشعرية الحادة المشتعلة بحدث هو من طبيعة شعرية كاملة كما عند تامر ، او بجو شعري عام كما في قصص ادريس . واذا كانت اضافات كنفاني بالغة الاهمية، فاننا لا نزال عند الوصف الخارجي ولم نستطع الاختراق الى توحيد اللحظة الآنية بأبعادها . أي ان نمط الشخصيات والعلاقات لا تزال عند الموحد الخارجي ، الحيز ، ولم تنتقل الى الفعل الشامل الذي ينقل اكثر ما في المقاومة من عناصر انسانية شاملة ويسحبها على تجربة الانسان العربي .

٣ — لا تزال التجربة القصصية الفلسطينية ، أسيرة المستوى التشكيلي الذي وصلته القصة العربية . أي انها تفتقد العنصر التجريبي الذي بدأ في القصة والرواية ، محاولا كسر الشكل القديم وصولا الى بنية جديدة . وقد تكون اضافة بعد الحكاية الشعبية التي بدأها اميل حبيبي في روايته الاولى « سداسية الايام الستة » هي مفتاح الجديد في التجربة الفلسطينية هنا ، لكننا لا نزال أمام بدايات هذا ، اي ان التقدم في هذا الخط الذي يستطيع ان يكون اجابة على ضرورة كتابة القصة النضالية المباشرة . غير ان واقع القصص الفلسطينية القصيرة ، لا تزال بعيدة عن القدرة على الاستفادة من امكانيات كهذه . ان القصة « الواقعية » حين لا تستطيع ان تتشكل ، فارضة من داخل تجربتها اطاراتها الخاصة ، فانها لا تستطيع ان تكسر رتابة العادة التي تحجب عنها قدرة الوصول الى انجاز حقيقي . « فالمقاومة »

ليست جواز مرور ادبي بشكل مجرد . انها اطار تستطيع التجربة الادبية ان تنفجر في داخله ، لترسم ابعادها الجديدة .

ان ما يوحد هذه الملاحظات السريعة، بالملاحظات حول الشعر ، هو غياب الطابع التجريبي في أكثرية الاعمال الادبية المنشورة . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان هذه الكتابات هي في اغلبها لكتاب جيلنا الادبي ، فاننا نصاب بخيبة امل . فهذا الطابع المستسلم أمام الكتابة المتعارف عليها ، والذي لا يخطو اية خطوة الى الامام تكون بمثابة مغامرة ادبية ، لا يستطيع ان يتطور باتجاه بلورة مصطلحات جديدة ، تحمل تجربتنا الثورية في ممارستها وطموحها .

النقد ، الغائب

ما عدا دراسة يوسف اليوسف « محاولة رقم ٧ لمحمود درويش ، دراسة تحليلية نقدية » . لا نكاد نعثر على اي اثر للنقد الادبي في هذا العدد. فعدا عن غياب اية دراسة نقدية شاملة ، تحلل وتقيم مسيرة الادب الفلسطيني ، والتي لا غنى عنها في عدد بهذا الطموح . فاننا لا نعثر سوى على محاولة نقدية سريعة لاحسان عباس ، ودراسة لهاني الزعبي عن « أزمة المضمون والشكل في الرواية الفلسطينية » ودراسة طويلة جدا لنزيه ابو نضال « الشعر والجماهير » . ومقابلة مع توفيق فياض . ولست ندري اين نضع مقال معين بسيسو القصير . فهو ليس محاولة نقدية ، انه مقال صحافي قصير يحاول ان ينبه الى مزالق النقد الذي تجاهل الشعر العربي الثوري بأسره بعد ٦٧ ليهرب الى دراسة شعر المقاومة .

لن نقوم بدراسة مفصلة لهذا النقد المنشور لكننا نكتفي بمجموعة من الملاحظات : —

١ — لماذا غياب الدراسات النقدية الشاملة. فاذا كانت دراسة هاني الزعبي تدعي هذا الشمول ، فانها بكل بساطة حين تحذف كنفاني وحبيبي وجبرا من الرواية ثم تدعي دراسة ازمة الرواية ، فماذا عساها تدرس ؟؟ اما محاولة نزيه ابو نضال ، فانها تحتاج الى مناقشة واسعة جدا ، لانها تبسط العلاقة بين المستويات الى درجة الاندغام الكامل . وهي جزء من كتاب سوف يصدر قريبا ، نأمل ان نناقشه كاملا حين صدوره .

٢ — ان لغياب الدراسات النقدية الجادة ، دلالة واضحة . فلا يزال النقد الفلسطيني الحديث في المراحل الاولى من تطوره . ولا تزال الدراسات النقدية المتكاملة التي تواكب تجربتنا الادبية في بداياتها تلمس مفاهيمها ومقارباتها . لكن هذا الغياب النسبي لا يبرر هذا الشكل من الركاكة والفقر المدقع البارزين في هذا العدد بشكل واضح .

٣ — تبقى دراسة يوسف اليوسف ، التي تنحو منحى بنائيا . اي تدرس مجموعة شعرية بوصفها بنية متكاملة . ونقوم بدراسة علاقة عناصرها ببعضها . هذه الدراسة الهامة تستحق وقفة نقدية طويلة . لانها تطرح امكانية دراسة الشعر بوصفه حالة سيكولوجية فردية وجماعية .

أما ملاحظات عادل اديب آغا على رواية أبو شاور ، فانها لا تتعدى قراءة نقدية سريعة ، تصل الى الاحكام قبل دراسة بنية الرواية .

هذا الادب !

ليس هذا الادب ، هو الصوت الفلسطيني ، فالرداءة ، لا يمكن ان تكون شعار مرحلة ادبية كاملة . فهذا العدد الذي اتى ليضيف مساحة جديدة فارغة الى ممارستنا الادبية وانتاجنا الثقافي . لا يعبر الا عن لحظات تستطيع التجربة الادبية باصواتها الاصيلة والملتزمة ان تمحوها من الذاكرة . فليست كل محاولة شعرية قصيدة، وليس اي نوع من الكتابة نقدا . ان التجربة الادبية الفلسطينية هي التعبير الحقيقي والاصيل عن معاناتنا ومعاناة الجماهير داخل حقل الكفاح الثوري الذي لن يتوقف . فلا شيء يستطيع ان يوقف مسيرة النهر الجماهيري . والادب ، حين يلتصق بهموم الطبقات والفئات التي يعبر عنها ، يستطيع ان يستشرف الافق المستقبلي الذي لا تحدد اطرافه سوى الممارسة الثورية .

من هنا كان الاديب مقاتلا في ابداعه . فالابداع واختراق السائد وتدميره ، وسحق الفكر الرجعي ، هو المهمة المركزية لكل انتاج ثقافي ، يريد ان يكون معبرا عن هموم الطبقات المسحوقة.

الادب الفلسطيني ، هو كل صوت عربي ، يبحث ويضيف ، من موقع النضال الوطني .

رسائل من الخارج

[١] رسالة من بروكسل
عندما لا تفي « أرض الميعاد » بوعودها
او قضية اليهود السوفييت الفارين من اسرائيل

منذ عام ونيف غادرت اسرائيل عائلة يهودية سوفييتية متجهة الى بلجيكا . وما ان وصلت بروكسل حتى اتصلت بمنظمة يهودية تطلعها على عدم رغبتها في العودة الى اسرائيل وتطلب منها الدعم والمساعدة لكي تتمكن من الاستقرار نهائيا في بلجيكا . وتم اتصال عاجل بين المسؤول في هذه المنظمة اليهودية ورؤسائه . واتصل هؤلاء بالسفارة الاسرائيلية في بروكسل واتصلت هذه الاخيرة في الحال بوزارة الخارجية البلجيكية . وانتهى الامر بترحيل العائلة اليهودية السوفييتية الى اسرائيل على متن اول طائرة متوجهة الى تل ابيب . ولم تستغرق العملية كلها اكثر من يومين . وعلى أثر هذا الحادث تسرب نبأ مفاده ان هناك اتفاقا ضمنيا ومبدئيا بين الحكومة الاسرائيلية والحكومات الاوروبية الغربية يقضي بالا تسمح هذه الاخيرة لاي يهودي سوفييتي بالاقامة على اراضيها بشكل دائم وذلك لعدم تشجيع الهجرة المضادة من اسرائيل . خصوصا وان دول اوروبا الغربية لا ترغب بمثل هؤلاء المهاجرين اولا لانهم سوفييت وثانيا لانهم يهود . ولكن لم يؤكد هذا النبأ احد لا في وزارة الخارجية البلجيكية ولا في اوساط المنظمات اليهودية .

وفي مطلع شهر ايلول الماضي تسرب الى الصحافة خبر يفيد بانه يوجد في بلجيكا حوالي ستمائة يهودي سوفييتي هجروا اسرائيل نهائيا ولا يريدون العودة اليها بتاتا . وتأكد الخبر . وبدأت تعرف تفاصيله . ويبدو ان هؤلاء اليهود السوفييت قد أخذوا يتوافدون الى بلجيكا ابتداء من مطلع شهر تموز الماضي . وظل عددهم يتزايد بشكل مستمر حتى أن هناك من يؤكد انه يبلغ حاليا ٨٠٠ شخص(١) . ولو لم تقفل الحكومة البلجيكية الحدود في وجههم لأصبحوا الان يعدون بالالاف اذ ما أن تمكن بعضهم من الاستقرار في بلجيكا حتى انتقل الخبر الى اسرائيل فأخذ يتوافد الى مطار زافنتيم (مطار بروكسل الدولي) من ١٠ الى ٢٠ لاجئا يهوديا سوفييتيا كل يوم قادمين من اسرائيل(٢) .

لماذا وقع خيارهم على بلجيكا ؟ لانها كانت البلد الاوروبي الوحيد الذي فتح لهم حدوده في بادىء الامر على الاقل . فقد سافر عدد منهم الى فرنسا او ايطاليا او المانيا الغربية . ولكن هذه الدول اغلقت أبوابها في وجوههم الواحدة تلو الاخرى وعملت حتى على ترحيل بعضهم بالقوة . فاستقر بعضهم في بلجيكا . ووجدوا منظمات خيرية تهتم بهم وتقدم لهم الاكل والمأوى . وما أن استقر هؤلاء في بلجيكا حتى بدأ يعمل « الهاتف اليهودي » على حد قول صحيفة بلجيكية وانتشر الخبر انتشار النار في الهشيم اليابس بين الاهل والمعارف في اسرائيل فأخذوا يتوافدون على مطار بروكسل جماعات جماعات .

يقول الصحفي البلجيكي هوج لوبيج* لقد تمكن هؤلاء اليهود من مغادرة الاتحاد السوفييتي قبل عام او ما يزيد عن العام بقليل . وكانت اسرائيل وجهتهم وهدفهم . ولكن « أرض الميعاد لم تف بوعدها » . فتركوا اسرائيل لاسباب عديدة ومختلفة وعاودوا المسيرة من جديد يبحثون عن جنة اخرى .

---

* يستند هذا المقال على ما نشره هوج لوبيج بمجلة لا روليف ١٩٧٤/٩/٢٨ .

ويضيف السيد لوبيج ان قصة هؤلاء اليهود تثير الدهشة ، ولكن المذهل في الامر هو التعتيم الحقيقي الذي فرض على وجودهم في بلجيكا . فبينما لم تحتج قوى الامن لاكثر من يومين لتكشف النقاب عن وجود مئة عامل باكستاني دخلوا البلد بطرق غير شرعية وتقوم بابعادهم بالقوة لم تلاحظ وجود عدة مئات من اليهود السوفييت الذين يقيمون في البلد منذ ما يزيد عن شهرين . لم يعلم احد بذلك او على الاقل لم يتحدث عن ذلك احد .

وكان احد المخبرين قد اطلع السيد لوبيج في ٨ أيلول على وجود هؤلاء المهاجرين السوفييت في بلجيكا . وكان المخبر نفسه قد علم بالامر على سبيل الصدفة . وبعد يوم كامل من البحث والتحري والاستطلاع تمكن الصحفي من اذاعة الخبر ولاول مرة في النشرة الاخبارية للاذاعة البلجيكية . ولفت ذلك انتباه بعض الصحف البلجيكية للموضوع . فنشرت في الايام التالية بعض الايضاحات الاضافية . ولكن معظم الصحف اليومية والمجلات استمرت في تجاهل الامر تجاهلا تاما . وكان قد مضى على اذاعة الخبر اسبوع كامل عندما نشرت صحيفة لوسوار الكبيرة وفي عددها الصادر في ١٥-١٩٧٤/٩/١٦ وعلى الصفحة الاولى مقالا طويلا تحدثت فيه عن « الاوديسة المدهشة للفارين من اسرائيل » .

اما السيد لوبيج فقد كان قد تأكد من الخبر منذ التاسع من شهر ايلول . واعترف له احد المسؤولين في منظمة « كاريتاس كاتوليكا » المسيحية وعلامات التردد والتخوف بادية على وجهه أن منظمته تهتم فعلا بمئتي مهاجر سوفييتي قادم من اسرائيل . وكانت مؤسسة تولستوي تهتم بعدد آخر منهم يقدر بمئتين وخمسين . اما الباقون فيقيمون عند أصدقاء او معارف او في فنادق وضيعة على حسابهم الخاص . ومؤسسة تولستوي منظمة للروس البيض تم تأسيسها بعد ثورة ١٩١٧ وتشرف عليها حاليا كما يبدو حفيدة الكاتب الروسي المشهور الذي تحمل المؤسسة اسمه بالتعاون مع جهات اميركية . وهدف هذه المؤسسة الاهتمام بلاجئي دول المعسكر الشرقي ومساعدتهم . ويقال حتى ان المسؤولين عن هذه المؤسسة معروفون بميولهم اللاسامية . ولكن معاداتهم للاتحاد السوفييتي تغلبت في هذه الحالة بالذات على معاداتهم للسامية . وقد رفض المسؤولون في هذه المنظمة الافشاء بأية معلومات او استقبال أي صحفي او الادلاء بأي تصريح حول هذا الموضوع . وقد توجه السيد لوبيج مثلا الى مقر هذه المؤسسة وقرع الباب . فلم يفتح له احد . ولكن نافذة فتحت في الطابق الاول واطلت منها عجوز شرسة طردت الصحفي بغلظة .

وتقوم منظمة كاريتاس ومؤسسة تولستوي باعالة ٤٠٠ او ٤٥٠ مهاجرا سوفييتيا قادمين من اسرائيل فتقدمان لهم المسكن والمأوى وبعض الملابس . وقد اسكنت منظمة كاريتاس الذين تهتم بهم في مصيف يقع على شاطىء البحر تابع للنقابات المسيحية بينما اسكنت مؤسسة تولستوي القسم الاخر في مركز تابع لها في بروكسل او في بعض الفنادق الواقعة في الاحياء الشعبية بالقرب من المحطة الجنوبية . وتقوم المنظمتان باعداد ملفات لهؤلاء اللاجئين تمكنهم من تقديم طلبات هجرة الى الولايات المتحدة او كندا او استراليا. كما أن هناك عددا منهم يرغب في البقاء في بلجيكا ولا بد من ترتيب اموره من الناحية القانونية .

وان اكثر ما يثير الدهشة في هذا الموضوع ان المنظمات اليهودية البلجيكية لم تبد أية رغبة في مساعدة هؤلاء اللاجئين اليهود . وقد اتصل السيد لوبيج في التاسع من ايلول بلجنة التنسيق للمنظمات اليهودية البلجيكية . فأكد له المسؤولون انه لا علم لهم بهذا الموضوع . ولكنه لم يفتأ ان وقع على شخصيتين يهوديتين أكدتا له الخبر بعد أن اعربتا عن دهشتهما البالغة لانه توصل الى الاطلاع على الامر بالرغم من جدار التكتم الشديد الذي اقيم حول هذا الموضوع . وهذا يعني ان الاوساط المعنية كانت حقا تريد اخفاء الموضوع عن الرأي العام. وطلبت هاتان الشخصيتان اليهوديتان من الصحفي بالحاح الا يتطرق الى الحديث عن هذا الموضوع بتاتا لان ذلك يشكل على حد رأيهما خطرا في الظرف الحالي على مصير ومستقبل هؤلاء المهاجرين ومن المحتمل ان يعرقل المساعي التي تبذل حاليا لترتيب امورهم من الناحية القانونية .

والواقع ان هؤلاء اليهود السوفييت يعيشون الان وضعا دقيقا . فقد دخلوا بلجيكا بجواز سفر

او وثيقة مرور عادية . وكل اسرائيلي يدخل بلجيكا لم يكونوا بحاجة الى تأشيرة دخول . ولكن دخول البلد بهذه الطريقة لا يعطيهم الحق في الاقامة الدائمة في البلد ولا يسمح لهم قانونيا بممارسة اي عمل . فهم يعتبرون سياحا ويحق لهم ان يقيموا في بلجيكا مدة ثلاثة شهور عليهم بعد ذلك ان يغادروا البلد والا تعرضوا مبدئيا للطرد او الابعاد . وقد مضى على وجود بعض هؤلاء المهاجرين في بلجيكا اكثر من ثلاثة شهور . ولكن الحكومة البلجيكية لم تتخذ اي قرار حتى الان بشأنهم . فالسلطات البلجيكية لا ترغب في ترحيلهم الى اسرائيل بالقوة (كما فعلت مع الباكستانيين) لئلا تتهم باللاسامية وتثير الرأي العام . وهي مع ذلك لا تريد تسهيل امورهم لئلا تغيظ السلطات الاسرائيلية اذ هي بذلك تشجع الهجرة من اسرائيل ولئلا تثير سخط بعض الاوساط التي ستقارن بين تسامح الحكومة مع اليهود السوفييت وشدة معاملتها للباكستانيين والعرب . ولذا تتصرف السلطات البلجيكية بترو لكي تتوصل الى اتفاق حول هذا الموضوع مع الحكومة الاسرائيلية اولا . وعليه نرى المسؤولين البلجيكيين يعالجون الامر بسرية وتكتم. ومن المتوقع ان توافق السلطات البلجيكية على منح الاقامة للمهاجرين الموجودين حاليا في بلجيكا بشكل نهائي او مؤقت ريثما يتمكنون من الهجرة الى مكان اخر . ولكنها لن تسمح بدخول اي مهاجر جديد سواء جاء من اسرائيل او من أية دولة اوروبية اخرى . وهكذا تكون قد وجدت مخرجا من الازمة التي وضعها فيها هؤلاء الهاربون من اسرائيل بدون أن تشجع الهجرة المضادة واثارة سخط السلطات الاسرائيلية والصهيونية وحلفائها الكثيرين .

لماذا هذا التكتم ؟ هناك من يدعي ان اثارة أية ضجة حول هذا الموضوع تشكل خطرا على امن هؤلاء المهاجرين . يخشى البعض مثلا ان يقوم العرب بعمليات « ارهابية » ضد هؤلاء المهاجرين. ولكن مثل هذا التفكير بعيد عن المنطق . فهل هناك ما يبرر قيام العرب بعمليات ضد يهود تركوا اسرائيل وساهموا بتحطيم خرافة « ارض الميعاد » وكذبوا النظرية الصهيونية التي تعتبر اسرائيل وطنا لكل اليهود ؟ وهناك من يخاف على هؤلاء المهاجرين من عمليات ارهابية تقوم بها ضدهم اوساط صهيونية انتقاما منهم لمغادرتهم اسرائيل واقناعا لغيرهم من اليهود السوفييت الذين ما زالوا يعيشون في اسرائيل ويرغبون في الهجرة بالعدول عن هذه الرغبة . ولا شك ان السلطات الاسرائيلية ساهمت في حملة التعتيم هذه خوفا من أن يزعزع هذا العدد الكبير من المهاجرين السوفييت العقيدة الصهيونية لدى عدد من الطائفة اليهودية البلجيكية . كما هي تخشى ان يصبح هؤلاء الهاربون من اسرائيل حجة دعائية يستغلها الفلسطينيون لمهاجمة النظرة الصهيونية وتستغلها السلطات السوفييتية للحد من هجرة اليهود الى اسرائيل . والجدير بالذكر ان عددا من هؤلاء اليهود السوفييت قد توجهوا الى السفارة السوفياتية في بروكسل يطلبون السماح لهم بالعودة الى الاتحاد السوفييتي . وقد أكد ذلك مستشار في السفارة المذكورة في حديث خاص ان عددا من الطلبات ارسلت فعلا الى موسكو ليتم النظر فيها .

ولم يتلق هؤلاء المهاجرون أية مساعدة تستحق الذكر من المنظمات اليهودية البلجيكية . وجدوا بعض التعاطف لدى بعض اليهود كأفراد . اما المنظمات فقد تجاهلتهم تماما حتى ان بعضها ناصبهم العداء جهارا . ولا شك ان لهذا التصرف مدلولا خاصا خصوصا والكل يعلم هنا مدى وقوة وفاعلية التضامن اليهودي . وقد صرح بعض هؤلاء المهاجرين ان المنظمات اليهودية رفضت مساعدتهم رفضا قاطعا وان بعضها يعتبرهم خونة لانهم غادروا اسرائيل ويشكلون حجة يستعملها اعداء اسرائيل للدعاية المضادة للهجرة نحو « الدولة اليهودية » . كما ان مغادرتهم لاسرائيل على حد قول هذه المنظمات تعتبر نوعا من التكذيب للنظرية الصهيونية . ولذا فهي تعرض عليهم نوعا واحدا من المساعدة : ان تشتري لهم تذكرة عودة الى اسرائيل(٣).

واليهود السوفييت يعلمون جيدا ان المنظمات اليهودية البلجيكية ناقمة عليهم . فقد ذهب بعضهم في بادىء الامر الى كنيس بروكسل الكبير للصلاة.لم يطلبوا شيئا من احد . ولكنهم شعروا انهم غير مرغوب فيهم حتى في ذلك المكان فغادروه . وبعد ذلك بايام جاء بعض اليهود البلجيكيين بشكل

فردي لرؤيتهم والتحدث اليهم . ولكنهم لم يعودوا يتحدث اليهود السوفييت عن ذلك بمرارة(٤).

وقد قال احد هؤلاء اليهود السوفييت : « هم يكرهوننا جميعا : السوفييت والعرب واليهود . نعم حتى اليهود يكرهوننا لاننا نحرجهم اذ نحطم الرواية التي اخترعوها بأنفسهم ليقدموها للعالم الخارجي اعني ادعاءهم ان اسرائيل هي الوطن — الجنة لكل اليهود ... وهم يكرهوننا لاننا غادرنا اسرائيل ».وقد رفض المتحدثون من بينهم ذكر اسمائهم او الكشف عن هوياتهم خوفا من ان يتعرض اهلهم في اسرائيل الى المضايقات او الانتقام(٥).

والكل يعلم — على حد قول صحفي بلجيكي اخر — ان هذه الهجرة تزعج الاوساط الصهيونية. فهي تدحض الحجج الاساسية في نظريتهم القائلة بأن اسرائيل هي وطن كل اليهود المشتتين في العالم . ويتساءل الصحفي : ماذا سيكون مصير هذه النظرية بعد ان يثبت ان اسرائيل عاجزة عن تلبية متطلبات عدد كبير من هؤلاء اليهود الى درجة يضطرهم الى محاولة الهجرة مهما كلف الثمن؟(٦).

والجدير بالذكر ان هؤلاء المهاجرين من اليهود السوفييت كانوا قد اتصلوا حال وصولهم الى بلجيكا بمسؤول في منظمة اجتماعية يهودية بلجيكية طالبين العون والمساعدة . الا ان هذا المسؤول لم يعتبر اليهود السوفييت اهلا لتلقي مساعدة من منظمة يهودية فأرسلهم الى منظمة كاريتاس الكاثوليكية(٧) واللجنة المركزية للمنظمات الاجتماعية اليهودية في بلجيكا ترفض من الناحية المبدئية تقديم اي عون الى اليهود الذين يغادرون اسرائيل نهائيا(٨). وتعتبر الاوساط اليهودية هذه مغادرة اسرائيل أمرا يتنافى مع مبادىء الصهيونية وقد صرح السيد ستراسبيرج رئيس « الاتحاد العام للصهيونيين الاحرار » انه ليس من الممكن مساعدة هؤلاء اليهود السوفييت من قبل المنظمات اليهودية لانهم خانوا اسرائيل واستغلوا هجرتهم اليها ليتمكنوا من الهجرة في نهاية الامر الى كندا او الولايات المتحدة(٩). كما ان هناك طبيبا يهوديا بلجيكيا ذهب الى ابعد من ذلك وشكك في«يهودية» هؤلاء المهاجرين واكد أنهم ادعوا انهم يهود ليتمكنوا من الهجرة .

ويعترف السيد دافيد سوسكند رئيس لجنة التنسيق للمنظمات اليهودية البلجيكية واحد كبار المشرفين على الحملة من أجل هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل بأن المشكلة محرجة لا بل أنها « مشكلة ضميرية » . فالامر على حد قوله لا يتعلق بناس طردوا من بلدهم . فقد استقبلتهم اسرائيل بعد أن صرفت مبالغ طائلة لتمكنهم من مغادرة الاتحاد السوفييتي . وبعد ذلك اختاروا بمطلق الحرية ان يغادروا اسرائيل . فلماذا نساعدهم ؟(١٠) وكان السيد سوسكند نفسه قد صرح امام بعض هؤلاء المهاجرين : اذا كانت نفسي تريد مساعدتكم فهي لا ترغب في الحاق اي ضرر باسرائيل(١١) ويقول الاستاذ مارسيل ليبمان ان المؤسسات الاجتماعية اليهودية قادرة على مد يد المساعدة لهؤلاء اليهود السوفييت . ولكنها تتردد في تقديم المساعدة او حتى ترفض تقديمها لانها تخشى ان فعلت أن تسيء الى اسرائيل(١٢).

واتضح ان التضامن اليهودي مسخر لخدمة الصهيونية واسرائيل . وان المنظمات اليهودية ترفض تقديم اي عون ليهودي اذا ما ادركت ان تقديم مثل هذا العون لا يخدم المصلحة الاسرائيلية. والجدير بالذكر أن الطائفة اليهودية البلجيكية لم توافق على مثل هذا التصرف . ولذا نشرت مجلة بلجيكية تصدر بانفيرس وتعتبر الناطقة الرسمية بأسم المنظمات اليهودية الموالية لاسرائيل واسمها « المجلة الاسبوعية البلجيكية الاسرائيلية » مقالا تنتقد فيه رفض المنظمات اليهودية تقديم المساعدة لليهود السوفييت . كما انتقد المقال الحكومة الاسرائيلية لانها استعملت حق النقض — على حد قول كاتب المقال — لتحمل المنظمات اليهودية على الامتناع من مد يد المساعدة لهؤلاء المهاجرين(١٣). ولكن كاتب المقال يضيف انه ليس من السهل اتخاذ قرار حول هذا الموضوع اولا لان الطائفة اليهودية لا تتعاطف مع هؤلاء المهاجرين وثانيا لان معالجة هذا الموضوع تحتاج الى مبالغ طائلة .

عندما كشفت الصحف النقاب عن الهجرة المضادة من اسرائيل اخذت الاوساط الصهيونية تحاول تقليص اهمية هذه الهجرة وتفريغها من محتواها السياسي وتحويلها الى امر عادي لا

يستحق اي اهتمام خاص . فقال مثلا بعض المسؤولين في المنظمات اليهودية انه يجب اعتبار مشكلة اليهود السوفييت كمجموع مواقف فرديـة وليس كظاهرة جماعية . وانه لا يجوز بسبب هجرة هؤلاء اليهود مهاجمة سياسة الهجرة الاسرائيلية . فقد هاجر الى اسرائيل على حد قولهم منذ ١٩٦٨ حوالي ١٠١ الف يهودي سوفييتي . ونسبة الفشل بين هؤلاء المهاجرين ضئيلة جدا اذ لا تزيد نسبة الذين يغادرون اسرائيل منهم عن ٣ر٥٪ . وهـذه نسبة منخفضة جدا في نظرهم اذا ما قورنت بنسبة الفشل بين المهاجرين الى اي بلد اخـر غـير اسرائيل .

وقد أصدرت السفارة الاسرائيلية في بروكسل بيانا صحفيا اكدت فيه أن كل يهودي يملك الحق والحرية في الهجرة الى اسرائيل وفي الهجرة مـن اسرائيل نحو بلدان اخرى . ويضيف البيان انه من بين المئة الف يهودي الذين استقروا مؤخرا في اسرائيل ١٧٠٠ فقط لم ينجحوا في التكيف مـع المجتمع الاسرائيلي وان ذلك امر طبيعي اذ تلاحظ نفس الظاهرة في أية هجرة وفي اكثر الاحيان بنسب أعلى بكثير . ويقول البيان ايضا ان الحكومـة الاسرائيلية لا تعتقد انه من حقها او من واجبهـا التدخل في قرارات المنظمات اليهودية في الخارج وخاصة في بلجيكا . ولذا فالخبر الذي نشر حول استعمال حق الفيتو من قبل الحكومة الاسرائيلية مناف للحقيقة ...(١٤).

هذا وقد بعث السيد دانيد سوسكند رئيس لجنة التنسيق للمنظمات اليهودية البلجيكية برسالة الى صحيفة بلجيكية حول هذا الموضوع جاء فيها: منذ عام ١٩٧٣ وحتى مطلع شهر ايلول من العام الحالي وصل الـى اسرائيـل ٩٦٥٣٠ يهوديـا سوفييتيا . وبالاضافة الى ذلك هناك ٣٥٩٠ فضلوا البقاء في فيينا وسافروا من هناك الى الولايات المتحدة او كندا او استراليا للالتحاق في اكثـر الاحيان باقارب لهم يعيشون هناك منذ زمن طويل. ومن بين ٩٦٥٣٠ يهوديا غادر اسرائيـل منهـم ٢٩٥٠ يهوديا لاسباب مختلفة : صعوبة التكيف ، الطقس ، اللغة ، صعوبة معادلة الشهادات ، ممارستهم لمهن غير موجودة في اسرائيل الخ ... ويضيف السيد سوسكند بأن اسرائيـل بلـد ديموقراطي لا يغلق حدوده يوما واحدا . ولـذا يستطيع كل من يهاجر الى اسرائيل ولا يجد فيها السعادة ان يغادرها حين يشاء والى البلد الذي يشاء . واليهود السوفييتو الاصل المتواجـدون حاليا في بلجيكا هم مواطنون لبلد حر لهم فيه كل الحقوق . فهم ليسوا لاجئين ولكنهم نساء ورجال يريدون لاسبـاب تتعلق بهم وحدهـم تحسـين اوضاعهم . وعليه يجوز اعتبار هؤلاء المواطنين الاسرائيليين كالمواطنين البلجيكيين الذين يذهبون للبحث عن الثروة في فرنسا . ويقول ايضا السيد سوسكند ان المنظمات اليهوديـة ستقوم بواجبها لمساعدتهم وان الاشاعات حول تدخل السفـارة الاسرائيلية او الحكومة الاسرائيلية خالية مـن الصحة وان ذلك يجب الا يمنع الرأي العـام من « متابعة النضال ليفتح الاتحـاد السوفييتي ابوابه واسعة امام اليهود الذين يرغبون مغادرته الى اسرائيل وهم يعدون بمئات الالاف »(١٥) وينهي السيد سوسكند رسالته قائلا : « يجب الا تخفي الشجرة الغابة » .

سنعود فيما بعد الى الحديث عن الحرية التي يتمتع بها اليهود السوفييت لمغادرة اسرائيل متى يشاؤون والى البلد الذي يشاؤون . كما سنتطرق الى الحديث عن تدخل السفارة الاسرائيليـة والحكومة الاسرائيلية لدى المنظمـات اليهوديـة البلجيكية لمنعها من مد يد المساعدة لهؤلاء المهاجرين ولدى السلطات البلجيكية لحملها على قفل حدودها في وجه « الفارين من اسرائيل » . واما الان فنكتفي بنقل رد الصحفي البلجيكي هوج لوبيج على حجتين قدمتهما الاوساط الصهيونية . ويجوز التعبير عن هاتين الحجتين بسؤالين : هل يجوز اعتبار الهجرة الى اسرائيل كأية هجرة اخرى الى كندا او الولايات المتحدة مثلا ؟ وهل الارتـام التي اوردتها الاوساط الصهيونية صحيحة ؟ ولا بد من الاشارة هنا الى الاختلاف بين الارقام التي قدمتها السفارة الاسرائيلية في بيانها والارقام التي ذكرها السيد سوسكند .

يقول السيد لوبيج ان سياسة الهجرة الاسرائيلية تقوم على قانون العودة الذي يتجه مبدئيا الى كل يهود العالم ويشكل فعلا احد الاسباب الرئيسية التي اوصلت القضية الفلسطينية الى الطريـق المسدود الذي تتواجد فيه حاليا . وحتى اذا كان اليهود السوفييت المقيمين حاليا في بلجيكا او فـي

غيرها من الدول الاوروبية قد غادروا اسرائيل لاسباب مختلفة (اللغة والطقس والخوف من الحرب والنقص في العمل ...) وحتى اذا كانت خيبة الامل ظاهرة منتشرة عادة بين المهاجرين فاننا لا نستطيع اعتبار حجم هذه الهجرة من اسرائيل كمجموعة من المواقف الفردية او المصادفات التعيسة . يجب أن لا ننسى ان الهجرة الى اسرائيل لا تشبه غيرها من الهجرات . فالمبررات القومية والسياسية والدينية هي عادة عميقة جدا في نفوس الذين يقررون تلبية نداء قانون العودة ، وهذه المبررات اعمق من التي تحمل اي شخص عادي على الهجرة ليجرب حظه تحت سموات اكثر رحمة . فقانون العودة لم يعد آذن الان في اتجاه واحد . وهذا ما يبرر قلق المنظمات الصهيونية والحكومة الاسرائيلية .

واما الاستاذ مارسيل ليبمان فيقول انه اذا كانت اسرائيل تتردد في الاعتراف بالواقع (الهجرة المضادة) فلان هذا الواقع « يشكل تكذيبا لادعاءين تجعل اسرائيل منهما اساس وجودها واساس سياستها . الا تقدم اسرائيل نفسها كأنها دولة كل اليهود وحامية كرامتهم ومصالحهم ؟ الا تقدم نفسها كذلك كأنها البلد — الملجأ لكل يهود العالم ؟ ولكن نجد أن عددا كبيرا من الذين اعتبروها البلد — الملجأ يحاولون مغادرتها وتذهب محاولتهم عبثا في بعض الاحيان . وتدل هذه المشكلة على الاقل بأن دولة اسرائيل، مهما كان الحكم الذي نصدره على سياستها ، لا تشكل وحدة جوهرية لا مع مصير يهود الشتات ولا مع مصالحهم . وانه من الممكن ان توجد تناقضات صارخة بين مصالح دولة اسرائيل ومصالح هؤلاء اليهود(١٦).

فلا يجوز اعتبار هجرة اليهود الى اسرائيل كهجرة المواطنين البلجيكيين الى فرنسا . وفشل اسرائيل في استيعاب اليهود السوفييت لا يقارن بفشل كندا مثلا في استيعاب المهاجرين . لان كندا لا تدعي وجود روابط بينها وبين المهاجرين اليها من لبنان مثلا مثل الروابط التي تدعي وجودها اسرائيل بينها وبين كل يهود العالم . والهجرة المضادة من كندا مهما بلغ حجمها لا تشكل خطرا على وجود الدولة الكندية . بينما الهجرة المضادة من اسرائيل تهدد الوجود الصهيوني في المنطقة وتنسف النظرية الصهيونية من اساسها .

وتواجه سياسة الهجرة الاسرائيلية منذ بعض الوقت صعوبات كثيرة . ويقول السيد لوبيج انه يكفينا للتأكد من ذلك ان نرجع الى التصريحات الرسمية الاسرائيلية . فقد صرح وزير الاستيعاب الاسرائيلي نفسه في ١٦ آب الماضي بأن « الانخفاض في الهجرة الذي نلاحظه حاليا يعود الى صعوبات الاستيعاب في البلد وبشكل خاص الى النقص في المساكن والعمل والى مشاكل التكيف الاجتماعي ». وقد اعطى الوزير بعض الارقام : لقد هاجر الى اسرائيل في الاشهر الاولى من العام الحالي ٩٧٢٢ يهوديا سوفييتيا مقابل ١٤٥٢٥ في الفترة نفسها من العام الماضي ١٩٧٣ . ومن بين هؤلاء الـ٩٧٢٢ يهوديا سوفييتيا هناك الف غادروا البلد بعد فترة وجيزة .. و١٢ ٪ من اليهود السوفييت الذين وصلوا الى فيينا في الفترة نفسها اختاروا الهجرة الى بلد غير اسرائيل .

ويضيف السيد لوبيج : اما فيما يتعلق بمجموع المهاجرين الى اسرائيل (من اليهود السوفييت وغيرهم) فقد بلغت نسبة الانخفاض ٣٠ ٪ في عام واحد : فقد هاجر الى اسرائيل في الاشهر الستة الاولى من العام الحالي ١٦٨٠٠ شخص مقابل ٢٤٤٠٠ للفترة نفسها من العام الماضي ١٩٧٣ . وقد صرح مؤخرا السيد لودلين امين صندوق الوكالة اليهودية انه من اصل المئة الف يهودي الذين تمكنوا من مغادرة الاتحاد السوفييتي بقي ٤٠٠٠ منهم في اوروبا الغربية بينما غادر ١٧ الف اسرائيل بعد أن استقروا فيها بعض الوقت . فأين نحن من نسبة ٣ر٥ ٪ من الفشل التي تحدثت عنها الاوساط الصهيونية ؟ وتضيف مجلة « بريس نوفيل » اليهودية التي تصدر في باريس والتي استقى منها السيد لوبيج هذه المعلومات ان نسبة اليهود السوفييت الذين كانوا يفضلون البقاء في اوروبا على الهجرة الى اسرائيل بعد وصولهم الى فيينا كانت لا تزيد عن ٤ ٪ عام ١٩٧٣ ولكنها ارتفعت الى ١٠ ٪ في شهري آذار ونيسان من العام الحالي وبلغت ١٧ ٪ في شهري ايار وحزيران من العام نفسه . ويقول ايضا السيد لوبيج ان هذه الارقام تفسر الازعاج الذي يسببه اليهود السوفييت الذين وصلوا بلجيكا لبعض المنظمات الصهيونية .

لماذا غادر هؤلاء اليهود السوفييت اسرائيل ؟

هذا سؤال كانوا يرغضون الاجابة عليه في بادىء الامر . لا بل ابدى هؤلاء اليهود تخوفا من الصحفيين والمصورين وناصبوهم العداء . لماذا هذا التخوف وما الذي يبرر هذا العداء ؟ هناك طبعا مشاكل امنية . ولا يريد هؤلاء اليهود اثارة ضجة حول وجودهم في بلجيكا . ولكن السبب الاساسي الذي يفسر تخوفهم من الصحافة هو أن بعض الصحفيين سارعوا لمقابلتهم لا للاستفسار عن احوالهم والسؤال عن الاسباب التي حملتهم على الهجرة ولكن ليكيلوا لهم اللوم قائلين : « لماذا هجرتم بلدكم ؟ هل نسيتم حركة الدعم التي بدأناها: هنا لصالحكم ؟ » . وهذا ما حمل سيدة يهودية سوفييتية على مواجهة صحفي جاء لمقابلتها بهذا القول : « ماذا تريد ! لا حاجة لان تأخذ قلمك . لن أقول شيئا . تريد ان تعرف لماذا غادرنا اسرائيل ؟ لان الطقس هناك حار جدا . الموضوع موضوع طقس . لم نتمكن من احتمال الاختلاف في الطقس بين الاتحاد السوفييتي واسرائيل »(١٧).

لماذا غادرتم اسرائيل ؟ « لعدة أسباب » . ما هو وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي ؟ «صعب». ويضيف احدهم بأن اللاسامية موجودة في كل مكان . وينتهي الحوار . لا يرغبون في العودة الى الاتحاد السوفييتي ولا الى اسرائيل (مع العلم ان بعضهم تقدم بطلبات الى السفارة السوفييتية للعودة الى الاتحاد السوفييتي) . الى اين سيذهبون ؟ الى الولايات المتحدة . وهناك من يرغبون في الهجرة الى كندا او الى استراليا او حتى الى جنوب افريقيا .

ولكن بعض الصحفيين تمكنوا من التحدث الى هؤلاء المهاجرين بعد ان اقنعوهم أنهم يريدون فقط تفهم مشاكلهم لشرحها للرأي العام . ويقول الصحفي جان بول بروكرير ان محدثيه اصروا قبل التحدث اليه بصراحة على التأكيد من أنه ليس يهوديا بما يدل على تخوفهم من اليهود . فما هي الاسباب التي دفعتهم على الهجرة ؟ « كان بيننا كثير من الشباب . ولم يغادر هؤلاء الاتحاد السوفييتي ليصبحوا جنودا في اسرائيل . ولكن هذا ما حدث في الواقع . فلم يمض على وجودهم في اسرائيل بضعة شهور حتى وجدوا أنفسهم يرابطون في الكيبوتسات القريبة من الحدود ويرتدون البزة العسكرية . واستطيع حتى ان اروي قصة شاب اعفي من الخدمة العسكرية في الاتحاد السوفييتي بسبب عجز في بصره . وعندما هاجر الى اسرائيل اجبروه على تأدية الخدمة العسكرية. وعندما رفض القته السلطات في السجن ... »(١٨).

ولم تكن الخدمة العسكرية والخوف من الحرب التي تهدد بالاشتعال كل يوم المشاكل الوحيدة التي واجهتهم . فقد كانوا يأملون ان يجدوا عملا في اسرائيل . والكثيرون من هؤلاء اليهود السوفييت أصحاب مؤهلات عالية . ولكنهم واجهوا صعوبات عديدة في هذا المجال بالذات . وفيما يلي بعض الامثال التي ساقوها لاحد الصحفيين : امرأة في الثامنة والعشرين كانت تعمل في مختبر في الاتحاد السوفييتي . لم تستطع ايجاد اي عمل في اسرائيل. وكان زوجها مهندسا في الاتحاد السوفييتي . واضطر الى العمل في الميناء كعامل بسيط . ومن بين المهاجرين مهندسون سابقون اشتغلوا عمالا عاديين في اسرائيل . وتقول امرأة : « أنا مختصة بالكيمياء أصبحت خدامة في اسرائيل ... الرواتب منخفضة في الاتحاد السوفييتي . ولكن العمل متوفر للجميع . ويستطيع كل فرد ان يجد العمل الذي يتماشى مع اختصاصه وكفاءته »(١٩). بينما امرأة اخرى ــ وصفها الصحفي بأنها تشبه اديت بياف ــ كانت موسيقية مبدعة في الاتحاد السوفييتي لم تجد لها اسرائيل عملا سوى مدرسة لقراءة الالحان وطالبين(٢٠).

وقال أيضا احد هؤلاء اليهود السوفييت : «كنت مدير مصنع في لينينغراد . ولكنني لم أعد مديرا في اسرائيل . اضطررت الى العمل في الكيبوتس . وهذا عمل غير جيد » . وقال غيره « كنت اهتم بالثقافة والسينما والمسرح عندما كنت في لينينغراد. واما في اسرائيل فقد وضعوني في كيبوتس حيث لا ثقافة ولا سينما ولا مسرح »(٢١). لماذا اذن تعمل السلطات الاسرائيلية على تسهيل هجرتهم الى اسرائيل بينما هي تعلم تماما انها لن تستطيع ان تؤمن لهم وضعا لائقا ؟ ويجيب احدهم على هذا السؤال بقوله : « اسرائيل بحاجة الى المزيد من السكان لكي تتمكن من المطالبة بالمزيد من الاراضي. وهي بحاجة الى المزيد من الشبان للحرب »(٢٢).

ومن بين الاسباب التي ذكرها هؤلاء المهاجرون

ايضا : الاختلاف في النظام الاقتصادي بين الاتحاد السوفييتي (نظام اشتراكي واقتصاد موجه ونظام يهتم بالانسان منذ ولادته وحتى وفاته) واسرائيل (نظام رأسمالي يقوم على العمل الشاق والمنافسة الشديدة). وهناك ايضا الحالة النفسية وتوتر الاعصاب بسبب حالة الحرب الدائمة والخوف من حرب جديدة ومن العمليات الارهابية والقاء القنابل(٢٣). وتقول صحيفة اخرى : كانوا يعتبرون اسرائيل ارض الميعاد ولكنهم وجدوها بلدا كغيرها من البلدان لا بل بلدا يعيش في حالة حرب مستمرة يفرض على مواطنيه اعلى درجات الالتزام ، بلدا يقوم على اسس دينية مما يتنافى مع ثقافتهم السوفيتية(٢٤).

وقد صرح بعض اليهود السوفييت : « لم نكن نشعر في هذا البلد الجديد (اسرائيل) اننا حقا في بلدنا . ولم نكن مرتاحين في علاقاتنا مع الاسرائيليين المقيمين هناك منذ زمن طويل . كانوا يسموننا « اليهود » في الاتحاد السوفييتي . واما في اسرائيل فقد اطلقوا علينا تسمية « الروس » . هل تفهم الان لماذا غادرنا اسرائيل ؟ كنا نبحث عن الحرية . لم نجدها في الاتحاد السوفييتي . ولكننا لم نجدها في اسرائيل »(٢٥).

وتحدث بعضهم عن علاقة المهاجرين من اليهود السوفييت بالصابرا الاسرائيليين فقالوا : «يتصرف الصابرا وكأن البلد بأكمله ملك لهم . ويقولون لنا: انتم الروس تصلون الى البلد فتسلمكم الحكومة في الحال بيتا بينما نعمل نحن الصابرا بمشقة ولا نحصل على بيت » . ويضيف هؤلاء : كنا في الاتحاد السوفييتي مواطنين من الدرجة الثانية لاننا يهود . واما في اسرائيل فهم يعتبروننا روسا وشيوعيين خطرين(٢٦).

وتقول كريستينا بينر في مجلة نوفيل اوبسيرفاتير ان المرء يلمس في اقوال هؤلاء اليهود « شعورا بعدم الانتماء الى المجتمع الاسرائيلي » . وتنقل الصحفية قول ربة عائلة من بين هؤلاء المهاجرين : « كنا هناك غرباء (في اسرائيل) . كانوا يسموننا « الروس » . ومع ذلك فنحن يهود . الا انهم كانوا يحملوننا على الشعور باننا مختلفون . العلاقات الاجتماعية في الاتحاد السوفييتي سهلة وبسيطة . لا يوجد اخوة في اسرائيل . هل تفهم ؟ انكم أغرب الينا انتم الاوروبيين من هؤلاء الناس».

وتضيف الصحفية بأن « هؤلاء الناس » هم اليهود الشرقيون . العرب اليهود الذين كان يجهل اليهود السوفييت وجودهم . فقد اكتشفوهم لدى وصولهم الى اسرائيل . وكل شيء يفرق بين هاتين الفئتين الاجتماعيتين اللتين لا تستطيعان حتى التقارب من خلال ديانة مشتركة لان عددا كبيرا من اليهود السوفييت ملحدون. ويعتبر اليهود الشرقيون هؤلاء الذين يسمونهم باحتقار « الروس » ابناء النظام المدللين الذين يحصلون على المزيد من العناية ويتمتعون بامتيازات كثيرة ، وما اليهود الشرقيون في نظر اليهود السوفييت سوى «عرب» او « مغاربة » كما يقولون . ولا يستطيع اليهود السوفييت التفاهم معهم لا بل يشعرون بعدائهم . ولا شك أن هذه الظاهرة تشكل اكبر خطر يهدد اسرائيل . ويعلق على ذلك شاب غادر اسرائيل لانه لم يرد تضاء ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية : « اسرائيل مكونة من أناس شديدي الاختلاف فيما بينهم لديهم من المبررات ما يحملهم على الموت معا ولكن ليس لديهم من المبررات ما يكفي لحملهم على الحياة معا »(٢٧).

ويمكن تلخيص المشكلة التي تواجه المهاجرين الروس ، كما يقول فؤاد موياتي ، بعبارة قالها أحدهم : « جئت الى هنا وانا اعتقد ان جميع الاسرائيليين اصدقاء في ما بينهم . لكنني اكتشفت أنهم ليسوا كذلك » . وينقل الصحفي رأي يهودية شرقية حول النفور القائم بين المقيمين والمهاجرين: « أنا وزوجي هنا منذ الخمسينات عندما هاجرنا من المغرب . وقد عانينا مصائب ثلاث حروب . وفي الحرب الاخيرة أصبح زوجي اقل من نصف رجل. (جرح زوجها على الجبهة السورية في ١٣ تشرين الاول ١٩٧٣ فقطعت يده اليسرى واصيب بعطل عام بنسبة ستين بالمائة شل ذراعه وركبته اليسرى) . فلماذا ندفع نحن ثمن الرفاهية التي تغدق مجانا على المهاجرين الجدد الذين لم يضحوا بأي شيء في سبيل اسرائيل » ؟(٢٨).

وقد شرح أحد اليهود السوفييت الذين لجأوا الى بلجيكا لصحفي بلجيكي الاسباب الرئيسية التي دفعته الى النزوح عن اسرائيل فقال وردد ذلك مرارا على حد قول الصحفي ان الذنب ليس ذنب اسرائيل (وهنا نلحظ محاولات الاوساط الصهيونية لتطويق الموضوع ومحاولة حصره لئلا يشكل خطرا

على النظرية الصهيونية) . يعود فشلهم في التكيف مع المجتمع الاسرائيلي على حد قوله الى كونهم اناسا ضعيفي الالمام بالواقع الاسرائيلي وليس لهم في أكثر الاحيان هوية واضحة يذهبون لملاقاة شعب ما زال في مرحلة التكوين النهائية له منزل استولى عليه بصعوبة وله تقاليده وعاداته وتصرفاته وحتى بعض التعصب احيانا الذي يجعله ينظر الى القادم الجديد بنوع من الحذر ... ويتحدث الرجل عن البيروقراطية الثقيلةفي اسرائيل وصعوبة الاستيعاب وكثرة المثقفين وبالتالي صعوبة ايجاد عمل يتناسب مع كفاءاتهم . ثم يتحدث عن استقبال الاسرائيليين لهم فيقول : انه لم يكن دائما اخويا . صحيح ان الصابرا والفاتيكيم عاشوا في البداية تحت الخيام وعملوا بشدة قبل التمكن من بناء البيت الذي يحصل عليه المهاجرون الجدد بسهولة . ولكن الظروف تختلف الان . فبينما كان هؤلاء يهربون من الاضطهاد واللاسامية والحرب بعد أن فقدوا كل شيء في اوروبا نرى اليهود السوفييت يتخلون عن الرفاهية وعن عمل شيق في الاتحاد السوفييتي وذلك ليتخلصوا من الدكتاتورية واللاسامية وليخدموا اسرائيل ... ويضيف ايضا ان هناك لدى الصابرا نوعا من المعاداة السلافية يعتبرها اليهود السوفييت مماثلة للاسامية التي كانوا يعانون منها في الاتحاد السوفييتي . وينهي اللاجىء اليهودي كلامه قائلا بحزن : « كنا يهودا في روسيا وروسا في اسرائيل »(٢٩).

اقامت المنظمات اليهودية البلجيكية اتصالات عاجلة مع السلطات الاسرائيلية لدراسة امكانية معالجة الموقف دون الحاق أي ضرر بالصهيونية واسرائيل . وقد بعثت المنظمات مندوبا عنها الى اسرائيل لمعالجة الموقف . كما عقد مجلس الوزراء في اسرائيل اجتماعا خاصا لبحث مشكلة اليهود السوفييت الذين وصلوا بلجيكا . ويؤكد السيد لوبيج ان السلطات الاسرائيلية تتدخل بهذا الموضوع بشكل متزايد ومباشر . فقد عرضت على هؤلاء المهاجرين دفع تكاليف عودتهم الى اسرائيل. ولكن يبدو ان ليس هناك مرشحين للعودة ، مع ان احدهم صرح ان البعض على استعداد للعودة الى اسرائيل اذا ما وافقت السلطات على شروطهم . وتدخلت السلطات الاسرائيلية لدى المنظمات اليهودية البلجيكية لتحملها على عدم مد يد المساعدة لهؤلاء « الخونة » . وقد فضحت هذا التدخل الذي بلغ درجة استعمال « حق النقض » مجلة صهيونية .

ولم تنظر السلطات الاسرائيلية بعين الرضا الى المساعدة التي قدمتها منظمة كاريتاس ومؤسسة تولستوي لهؤلاء اليهود . فكتب مراسل احدى الصحف البلجيكية من تل ابيب يقول بأن السيد موشي ريفلين المدير العام للوكالة اليهودية قد عبر عن قلقه الشديد بسبب المساعدة التي تقدمها منظمات غير يهودية الى اليهود الذين يغادرون اسرائيل او لا يرغبون في الهجرة الى اسرائيل(٣٠) كما عاب ايضا على هاتين المؤسستين المساعدة التي تقدمانها للاجئين من اليهود السوفييت السيد ستراسبيج رئيس الاتحاد العام للصهيونيين الاحرار(٣١).

وتدخلت الحكومة الاسرائيلية لدى السلطات البلجيكية . فاغلقت بلجيكا حدودها في وجه المهاجرين الجدد . وقد وصل الى مطار بروكسل الدولي عشرات من اليهود السوفييت قادمين من اسرائيل او من دول اوروبية غربية فقامت قوى الامن البلجيكية بطردهم او ابعادهم او اعادتهم الى البلد الذي جاءوا منه . كما طلبت الحكومة البلجيكية من شركة سابينا بأن تمتنع من نقل اي يهودي سوفييتي هاجر مؤخرا الى اسرائيل ويريد السفر الى بلجيكا . بينما أصدرت الحكومة الاسرائيلية تعليمات الى شركة العال(٣٢).

والجدير بالذكر ان اليهود السوفييت الذين يهاجرون الى اسرائيل لا يحصلون على جواز سفر اسرائيلي مباشرة . تمنحهم السلطات الاسرائيلية في بادىء الامر وثيقة مرور تستبدلها بجواز سفر بعد مضي ستة شهور او سنة او سنتين . وقد تم الاتفاق مع السلطات البلجيكية بالا تسمح هذه الاخيرة لاي مهاجر يحمل فقط وثيقة مرور بدخول بلجيكا دون الحصول سلفا على تأشيرة من السفارة البلجيكية في تل ابيب . ولا شك ان السفارة البلجيكية تلقت تعليمات مشددة تقضي برفض منح مثل هذه التأشيرة لاي يهودي سوفييتي يشتبه فيه انه يرغب في مغادرة اسرائيل نهائيا . وقد اعترفت اوساط وزارة الخارجية البلجيكية بذلك واضافت بأن الاسرائيلي الذي يحمل جواز سفر او وثيقة مرور مع تأشيرة يستطيع دخول بلجيكا على

أن لا يقيم فيها اكثر من ثلاثة شهور وان يملك من المال ما يكفي لسد حاجاته وان يكون حاملا لتذكرة سفر للعودة الى اسرائيل(٢٣). وعليه نرى السلطات البلجيكية توافق على التمييز بين الاسرائيليين حسب نوعية وثيقة السفر التي يحملونها وقد اثار ذلك سخط بعض الجهات التي تهتم بحماية حقوق الانسان والتي تنوي الاحتجاج علنا على هذا التصرف المنافي لحقوق الانسان ولحرية الفرد في التنقل .

ويعترف اليهود السوفييت الذين تمكنوا من الوصول الى بلجيكا انهم واجهوا صعوبات كثيرة قبل أن يتمكنوا من مغادرة اسرائيل . فقال احدهم: « لم يكن الخروج من اسرائيل امرا هينا . فكان علينا قبل كل شيء ان نصفي حساباتنا مع الدفتر الازرق . وهو دفتر تسجل عليه كل ديوننا ونستلمه لدى وصولنا الى اسرائيل . الدين الاول : تكاليف السفر . وبعدها علينا ان ندفع تكاليف دروس اللغة ... ومن المستحيل ان نتمكن من مغادرة اسرائيل قبل أن نقوم بتسديد كل هذه الديون . ويشكل ذلك في اكثر الاحيان عقبة كأداء في وجه من يرغب في السفر . ولكن البعض جاءوا من الاتحاد السوفييتي مع بعض الاثاث او جهاز تلفزيون او بسط . فيبيعونها ليتمكنوا من مغادرة اسرائيل ... »

ويضيف الصحفي الذي نقل هذا الكلام : ما هو وضع الذين يرغبون في مغادرة اسرائيل ولكنهم لا يستطيعون التغلب على العقبات التي تضعها السلطات الاسرائيلية في طريقهم ؟ فبعد المظاهرات التي اقيمت لصالح اليهود في الاتحاد السوفييتي هل ستقام الان مظاهرات لصالح الروس في اسرائيل ؟(٢٤).

نعيم خضر

---

١ — صحيفة **لو سوار** بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨ .
٢ — صحيفة **لو سوار** بتاريخ ١٩٧٤/٩/١٣ .
٣ — La Relève عدد ٣٩، بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨.
٤ — مجلة La Relève نفس المرجع .
٥ — مجلة **بانوراما** عدد ٣٩ بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨.
٦ — Journal d'Europe ٢٤—١٩٧٤/٩/٣٠ ☒
٧ — صحيفة Het Laatste Nieuws بتاريخ ١٩٧٤/٩/١٣ .
٨ — النشرة الاخبارية في الاذاعة الهولندية بتاريخ ١٩٧٤/٩/١١ .
٩ — مجلة Nieuwe Gids بتاريخ ١٩٧٤/٩/٣٠ .
مجلة La Relève نفس المرجع .
١١ — صحيفة **لو سوار** بتاريخ ١٥ — ١٩٧٤/٩/١٦ .
١٢ — مجلة Europe 74 hebdo عدد ١ بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٣ .
١٣ — Belgische, Israelische Weekblad بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٣ .
١٤ — النشرة الاخبارية من الاذاعة البلجيكية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٤ .
١٥ — صحيفة **لو سوار** بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨ .
١٦ — مجلة Europe 74 hebdo نفس المرجع .
١٧ — مجلة Journal d'Europe ٢٤ — ٣٠/ ١٩٧٤/٩ .
١٨ — **المرجع نفسه** .
١٩ — **المرجع نفسه** .
٢٠ — صحيفة **لو سوار** بتاريخ ١٥ — ١٩٧٤/٩/١٦ .
٢١ — مجلة **بانوراما** ، المرجع نفسه .
٢٢ — مجلة Journal d'Europe المرجع نفسه .
٢٣ — مجلة **بانوراما** ، المرجع نفسه .
٢٤ — صحيفة Het Laatste Nieuws /١١ ١٩٧٤/٩ .
٢٥ — Journal d'Europe المرجع نفسه .
٢٦ — مجلة **بانوراما** ، المرجع نفسه .
٢٧ — مجلة Le Nouvel Observateur عدد ٥١٧ ، بتاريخ ٧ — ١٩٧٤/١٠/١٣ .
٢٨ — مجلة **الديار** ، بتاريخ ٧ — ١٩٧٤/١٠/١٣.
٢٩ — صحيفة **لو سوار** ، بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٩.
٣٠ — صحيفة De Standaard بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٤ ☒
٣١ — صحيفة **لو سوار** ، بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٣ .
٣٢ — صحيفة **لو سوار** ، بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨ .
٣٣ — صحيفة Het Laatste Nieuws بتاريخ ٢١ — ١٩٧٤/٩/٢٢ ، وصحيفة **الثورة** السورية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢١ .

[٢]

رسالة من امستردام
الرأي العام الهولندي والقضيـــة الفلسطينيـــة

شاءت الظروف ان تتيح للشعب الهولندي على مدى الشهرين الماضيين ، بعض الفرص ليتأمل من جديد في صحة تلك العلاقة العضوية والروحيـــة التي تربطه باسرائيل وشعبها والتي تكونت مـــع الزمن بفعل عوامل خارجة عن ارادته . ذلك ان امستردام ، العاصمة الهولندية ، كانت على مدى القرون ملجأ لليهود المضطهدين في غرب اوروبـــا وشرقها ، كما أن ابناءها واكبوا عمليات اضطهـــاد النازيين لليهود في الحرب الاخيرة دونما حماس كبير من جانبهم لحماية اليهود والدفاع عنهم . فـــاذا اضيف لذلك حقيقة ان عائلات يهودية هولندية كثيرة أصبحت منذ الخمسينات تقتسم هولندا واسرائيل كأوطان لها وانها تتخذ من سوق امستردام التجارية وبالتالي صحفها ووسائل اعلامها مطية لها ، يصبح سهلا على الانسان تصور هذه العلاقة واسبابهـــا ودوافعها. ونعرف بطبيعة الحال ان هولندا بحجمها المحدود ومكانتها المتواضعة على خارطة القـــارة الاوروبية لا تؤثر في الموازين التي تتحكم بصراع الشرق الاوسط . ومع ذلك من المفيد ان نتعرف على ما يجري بهذا الشأن في الاقطار الغربية التي كانت الى وقت قصير مضى تدعم اسرائيل معنويا وتبرر اخطاءها ومخازيها ، واصبحت اليوم تعيد النظر في هذا كله بعد أن توفرت لها أدلة لا تدحض على أن اسرائيل دولة عسكرية تطمح للتوسع والعـــدوان لا للسلام ، وان العرب عامة والفلسطينيين خاصة طلاب حقوق مشروعة تطاول عليها المعتدون واجترحوا الاثام على مدى عشرات السنـــين لاغتصابهـــا وابتلاعهـــا .

وفي طبيعة الحال لم تحدث هذه التغيرات بـــين ليلة وضحاها . فقد استغرقت سنوات كثيرة لعب فيها الاعلام العربي دوره ولعب فيها التضامـــن العربي دوره ، ولعبت فيها حرب تشرين اهـــم الادوار . انما ما يلفت النظر في هذا كله ان امستردام المدينة الاوروبية المفتوحة التي كـــانت مركا صهيونيا تسرح فيه خيول الصهاينة علـــى هواها، تحولت الى حلبة صراع بـــين أنصـــار الصهيونية وخصومها الهولنديين ، على مختلـــف اتجاهاتهم السياسية وانتماءاتهم العقائدية ومهنهم أيضا . وبينما كانت قاعات المحاضرات في المدينة مسدودة الابواب أمام المدافعين عـــن القضيـــة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بفعـــل اساليب الارهاب والتخويف ، أصبحت هذه القاعـــات نفسها تكاد لا تستقبل حاليا محاضرا يدافع عـــن اسرائيل . اكثر من ذلك ان الصحف الامستردامية التي كانت تسند اسرائيل بدون تحفظ ، أصبحت تحاسب اسرائيل بمسر واحيانا بعنف. ولعل في هذا النموذج الاوروبي المصغر دلالة اخرى على أن من واجب العرب ان يثقوا وان يعوا بأن تضامنهم المشرف في تشرين وما نجم عنه من مكاسب عسكرية وسياسية واقتصادية ، احدث تغييرات واضحة في خارطة العالم وسيحدث فيها تغييرات اعمق فيمـــا اذا حافظوا على هذه المكاسب وارتقوا الـــى مستواهـــا .

ولكن .. لنعد الى تلك الاحداث ، نتابعها بشيء من التفصيل في سبيل تفحص مكوناتها. في مطلع شهر تشرين الاول من هذا العام ، اعتقلت سلطات الامن الاسرائيلية في رام الله في الضفة الغربيـــة فتاتين هولنديتين تنتميان للجنة فلسطين الهولندية، وشابا هولنديا متزوجا من فتاة فلسطينية وينتمي أيضا للجنة فلسطين الهولندية . الثلاثة كانوا في سياحة في الشرق الاوسط ، وعندما اعتقلوا على يد بوليس اسرائيل ، قيل في التهمة الموجهة اليهم انهم حملوا من سوريا تعليمات سرية مكتوبة بحبر خفي وموجهة الى الفدائيين الفلسطينيين داخـــل الاراضي المحتلة . ولم تعلن اسرائيل النبأ الا بعد أيام من حدوثه . فلما سمعت به الصحف الهولندية عالجته باهتمام ملحوظ . قالت صحيفة الخمين داخ بلاد الصادرة في روتردام يوم الرابع من تشرين الاول في مقابلة اجرتها مع السيد هندريكس سكرتير لجنة فلسطين الهولندية : ان اعتقـــال الفتـــاتين والشاب كان على الاغلب مناورة اسرائيلية لتأليب الرأي العام داخل اسرائيل وهولندا على لجنـــة فلسطين الهولندية . وقالت الصحيفة ان مـــن الصعب تصديق الخبر لان من عادة اللجنة اصدار التعليمات لاعضائها بأن يمتنعوا عن القيام بأي عمل

سياسي عندما يكونون في اجازات في اقطار الشرق الاوسط . يوم الخامس من تشرين الاول قالت صحيفة تلغراف الصادرة في امستردام والمعروفة بميولها الاسرائيلية : تبين حسب اخر المعلومات ان محامية الدفاع عن المعتقلين الهولنديين لم تستطع الاتصال بهم بعد . وعلى الاثر اثيرت اسئلة في البرلمان الهولندي من جانب بعض الاحزاب السياسية اليسارية حول مدى اهتمام الحكومة بالامر . في عدد الصحيفة نفسها بتاريخ الحادي عشر من تشرين الاول صدرت مقالة مطولة من مراسل هولندي شهد المحاكمة يوم العاشر في رام‌الله ، وجاء في المقالة قوله ان الشاب اطلق سراحه لثبوت براءته وان الفتاتين بقيتا في سجن انفرادي وبدون محام وبدون معرفة شيء عما يجري لمدة ثلاثة عشر يوما . وفي المحاكمة قالت الفتاتان انهما لا تعرفان شيئا عن النص المكتوب بحبر خفي في دفتر مذكراتهما ، وقد يكون النص كتب بواسطة شخص معين في غفلة منهما . كما اعلنتا في المحكمة ان طعامهما سيء جدا ، يصيب احداهما باسهال مستمر ، وان المعاملة التي يلقيانها داخل السجن في غاية السوء ، وانه لم يسمح لهما طيلة ثلاثة عشر يوما بالاتصال باحد . تلك المحاكمة تأجلت حتى السابع والعشرين من تشرين الاول . يوم الثامن والعشرين ، صدرت معظم صحف امستردام بترويسات واضحة في اماكن بارزة تعلن ان الفتاتين الهولنديتين ادلتا بما ادلتا به من تصريحات للمحققين بين المحاكمتين تحت الضغط والتخويف .

في هذه الفترة نفسها ، دعت لجنة فلسطين الهولندية الدكتور شاحاك رئيس رابطة حقوق الانسان في اسرائيل لالقاء محاضرة في امستردام عن كيفية تطبيق القانون المدني في اسرائيل على العرب. الدكتور شاحاك يعمل ايضا مدرسا في الجامعة العبرية ومعروف عنه مواقفه الصلبة ضد السلطات الاسرائيلية في مجال معاملتها للعرب داخل اسرائيل وللمساجين الفلسطينيين في سجون الاراضي المحتلة. قالت صحيفة الفولكسرانت يوم ٣٠ تشرين الاول: لقد اتضح من الحقائق التي اوردها الدكتور شاحاك انه يشبه القوانين الامنية في اسرائيل بقوانين جنوب افريقيا على أساس انها قوانين عنصرية وتفرقة جنسية ضد العرب .

ومما يستحق التسجيل لهذه المحاضرة ان يهوديا اسرائيليا معروفا على النطاق الدولي ، جاء الى الهولنديين في عقر دارهم ليطلعهم في قلب حصن من الحصون الصهيونية المنيعة ، على حقائق مذهلة ومرهقة للعقل والضمير عن « الديموقراطية الاسرائيلية » وكيف تطبق بالفعل . وقد سرد على الحضور امثلة كثيرة . قال ان عربي يقيم في اسرائيل كمواطن يحمل الجنسية الاسرائيلية ، يمكن أن يتسلم في صباح اي يوم أمرا فوريا بمغادرة البلاد او بالبقاء محتجزا في بيته لمدة ستة شهور قابلة للتجديد . قال ايضا انه يعرف شخصا عربيا مقيما في الناصرة حاول ولمدة سنة كاملة الحصول على تصريح لزيارة ابنته المقيمة في يافا مع زوجها واطفالها . لكن طلبه لم يجب ابدا . قال أيضا انه يعرف عربيا يسعى لدخول السجن حتى يجنب اطفاله مغبة الجوع . ذلك انه ملزم بالبقاء في بيته بأمر من البوليس ، ولا يستطيع على هذا الاساس العثور على عمل ، وخير ما يفعله هو دخول السجن بأمل تعهد السلطات بطعام أبنائه . قال ايضا ان عربيا حصل على اذن لمراجعة طبيب الاسنان في مدينة مجاورة ، لثماني مرات ، لكن التصريح سحب بعد الزيارة الرابعة بتهمة ان هذا الشخص قام بالتجول في الحي المجاور لطبيب الاسنان ولم يدخل العيادة فورا عندما ذهب اليها اخر مرة . قال أيضا ان المدن الجديدة في اسرائيل تابعة للصندوق القومي اليهودي، والسكنى في هذه المدن وقف على اليهود الاطهار . أما غير اليهود من عرب ويهود لا تجري في عروقهم دماء يهودية نقية ، فلا يحق لهم زيارة هذه المدن . وبعد ذلك تحدث المحاضر بالتفصيل عن عمليات تعذيب العرب في سجون الاراضي المحتلة ، وطالب بتشكيل هيئات دولية مستقلة تضغط على حكومة اسرائيل لتسمح لها بدراسة اوضاع هؤلاء المساجين .

بعد المحاضرة قام رئيس لجنة يهودية لا صهيونية في بلجيكا كان بين المدعوين ، باعتلاء منصة الخطابة لتأييد ما قاله شاحاك ، وتحميل اسرائيل اوزار سوء الوضع في الشرق الاوسط . ثم تحولت القاعة فجأة الى تظاهرة تضامن رائعة بدأت تتوالى عليها برقيات التأييد من المنظمات واللجان الهولندية الانسانية ومن لجنة الدفاع الهولندية الديموقراطية عن تشيلي ومن لجنة تحرير ايران في هولندا ومن

منظمة الطلاب اليسارية اسفا ، ومن عدة لجان جامعية ومن لجان العمال المغاربة والاتراك ومن لجنة الدفاع عن استقلال ارلندا الشمالية .

وجدير بالذكر ايضا ، ان الصهاينة الذين احاطوا بالعمارة وتسربوا الى صفوفها ليخربوها لم يقدروا على ارهاب احد ولم يقبل احد من الحضور تسلم اي من نشراتهم . وعندما دخل رجل امن مدني ، يطالب سكرتير اللجنة هندريكس باخلاء القاعة لان تهديدا تلفونيا أعلن وجود قنبلة في القاعة ، رد هندريكس بكل شجاعة انه ينتظر من الحضور ان يبقوا في اماكنهم لان ارهاب الصهيونيين لا يفيد مع لجنة فلسطين . وهنا دوت القاعة بتصفيق حاد ، ولم يغادرها اي انسان من مجموع ستمائة شخص أو اكثر .

يوم التصويت في الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة ، على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كناطق وحيد بأسم القضية الفلسطينية عند بحث القضية الفلسطينية في الجمعية العامة في دورة هذا العام ، وقف مندوب هولندا بجانب الدول الممتنعة عن التصويت . وكانت هولندا بهذا تتصرف تصرفا مخالفا تماما لما تعودت عليه في المحافل الدولية . وفي السابق كانت في المؤتمرات الدولية تصوت دائما في جانب اسرائيل في كل صغيرة وكبيرة . اليوم وقفت ممتنعة عن التصويت في اهم قرار دولي يتخذ في غير صالح اسرائيل . ورغم ذلك لم تقم اية صحيفة هولندية بانتقاد او تجريح موقف الحكومة .

تعليقا على مؤتمر الاقطاب العرب الاخير في الرباط ، قالت صحيفة الفولكسكرانت الواسعة الانتشار التي تمثل يسار الوسط ومعظم الرأي التقدمي في هولندا : ان اسرائيل تواجه الان المطالب العربية الموحدة دفعة واحدة . بعد اليوم مطالب العرب في الجولان والضفة الغربية وسيناء سوف تقدم غير مجزأة . ونتيجة لهذا ستظل محاولات البحث عن السلام بواسطة مؤتمر جنيف وغيره من المنابر الدولية مجرد محاولات ، ما لم تقبل اسرائيل بمبدأ افساح المجال للفلسطينيين بالتعبير عن مطامحهم الوطنية والقومية .

ليلة الخميس الموافق ٣١ تشرين الاول ، طلع رابين رئيس وزراء اسرائيل على الشعب الهولندي ليقول في مقابلة تلفزيونية ان اسرائيل احتلت الجولان لتبقى فيه الى الابد . قال هذا بدون ان ترتجف له رمشة عين . كذلك راح يكيل التهم القاسية المزوجة بالابتزاز « اللاسامي » للاوروبيين ، بسبب تخليهم عن اسرائيل مفضلين عليها المال والبترول على حد قوله . اكثر من ذلك انه شبه الاعتدال الاوروبي الحالي بأنه انحراف تام نحو العرب يشبه انحراف اوربا الغربية نحو النازيين عندما باعوها تشيكوسلوفاكيا في ميونيخ. الى اخر ذلك الكلام المجوج الذي سئمه الاوروبيون من كثرة ترديده طيلة ربع القرن الاخير . وطبعا ، أساء رابين لنفسه بهذه التصريحات كثيرا وخسر اكثر مما جنى ، وترك مئات الوف المشاهدين مصعوقين لا يصدقون ما يسمعون .

هذه الحوادث كانت ايجابية النتائج في طبيعة الحال ، جاءت متلاحقة لتحتن الهولنديين بكمية جديدة من اكسير التحرر من قيد الصهيونية الذي يكبل اعناقهم . باستثناء حادثة واحدة أدت منتوجا فاسدا وتستأهل مع ذلك الاشارة اليها للاستفادة من دروسها . هذه الحادثة كان بطلها فلسطينيا يدعى نوري ويقيم منذ ثمانية شهور في سجون هولندا مع زميل له اسمه تميمه . الاثنان اختطفا في بيروت في شهر اذار المنصرم طائرة ركاب لشركة الخطوط الجوية البريطانية في طريقها من باكستان الى لندن . وقبل الوصول الى لندن امرا قائدها بالهبوط في مطار امستردام . وبعد اخراج جميع ركابها اشعلا النار في الطائرة ثم سلما نفسيهما واسلحتهما للبوليس . قالا عندئذ انهما ينتميان الى احدى منظمات التحرير الفلسطينية وانهما يريدان الانتقام من الحكومة البريطانية على مواقفها الموالية لاسرائيل .. وكفى المؤمنين شر القتال . وجرت محاكمتهما في تموز وصدر الحكم بسجنهما مدة خمس سنوات . مساء يوم السبت الموافق ٢٦ تشرين الاول ، فاجأ نوري الهولنديين باستيلائه على كنيسة سجن لاهاي الذي يقيم فيه ، عندما كان يؤمها فريق من الموظفين وعائلاتهم وابنائهم . كان يشاركه العملية سجينان هولنديان متهمان بجرائم عادية وبسجين جزائري الاصل فرنسي الجنسية متهم باقتحام مخزن للاسلحة . أما تميمه فكان في ذلك الوقت في مبنى مستشفى السجن يعاني من الارهاق الذي حل به نتيجة لاضرابه عن الطعام .

وبينما كان عدد الرهائن ٢٦ شخصا ، انخفض مع الوقت الى ١٥ رهينة بعد اطلاق سراح النساء والاطفال . وعرف اثناء المفاوضات المرهقة التي جرت بين نوري وزملائه من جهة وموظفي وزارة العدل من جهة اخرى ، انه كان يطالب بنقل زميله تميمه من المستشفى الى الكنيسة وان تميمه كان يرفض ذلك ، وانه وزملاءه يطالبون بطائرة تنقلهم الى بلد اخر مقابل اطلاق سراح الرهائن . وقد استغرق التفاوض اكثر من مائة ساعة ، في جو مرهق حلق فوق هولندا ، وكان الناس يضعون أيديهم على قلوبهم خشية ان ينتهي الحادث باسالة دماء كثيرة . هذا الا ان الحكومة الهولندية اثبتت في عملية سابقة قام بها قبل مضي وقت غير بعيد نفر من الشبان اليابانيين احتلوا سفارة فرنسا في لاهاي لاطلاق سراح زميل لهم مسجون في فرنسا ، انها في هذه الحالات تؤثر التفاوض على العنف . على هذا الاساس ، كان الاعتقاد السائد رغم الرهبة ، ان العملية ستنتهي بهروب السجناء العصاة . ولكن طلع الراديو على الناس صباح الخميس الموافق الحادي والثلاثين من الشهر ، ليعلن أن السجناء استسلموا دون مقاومة بعد أن داهمتهم زمرة من جنود البحرية في ساعات الصباح الباكر وهم شبه نيام . فألقوا مسدساتهم على الارض مستسلمين دون اطلاق رصاصة واحدة .

المهم، المدعو نوري الذي ادعى انه يمثل الثورة الفلسطينية لم يطلق رصاصة واحدة وكأنه كان يعلم ان تمثيليته ستفشل . كذلك لم يحاول الاستفادة من الحادث ليفرض على الصحف ووسائل الاعلام الاخرى تصريحات مفيدة . اكثر من ذلك انه سمح لنفسه بالاشتراك في العملية مع مساجين مجرمين عاديين ، يعرف عنهم الشذوذ الذهني ولا يعرف عنهم اي ارتباط ثوري . ثم ان الحادثة ابتدأت يوم بدء مؤتمر الاقطاب العرب في الرباط . واذا عدنا بالذاكرة الى ما حدث يوم افتتاح مؤتمر الاقطاب العرب قبل الاخير في الجزائر ، فاننا سنستعيد حادثة اختطاف طائرة ركاب هولندية على يد ثلاثة من الفلسطينيين قالوا حينئذ انهم يحاولون الانتقام من حكومة هولندا على مواقفها المساندة لاسرائيل . كما اننا سنستعيد ما حدث حينئذ في مجال التغطية على مؤتمر الاقطاب . فالطائرة راحت تجوب اجواء الاقطار العربية في افريقيا ، ونجح خاطفوها في لفت انظار العالم اليهم وصرف الانظار عن مؤتمر الاقطاب . ولعل المقصود من حادثة سجن لاهاي لا يختلف عن ذلك كثيرا . فالتوقيت ، وللمرة الثانية ، كان واضح الاهداف ولا يعقل ان يكون صدفة . لكن .. لحسن الحظ لم تأبه الصحف العالمية كثيرا بالحادث هذه المرة ، كأنها احست باللعبة وبأن الحادثة فردية الاهداف والدوافع . ولعل اجهزة الاعلام العربية ان لا تغفل هذا الموضوع ولا تقلل من شأنه . عليها ان تكشف عن دور اجهزة المخابرات الاسرائيلية في هذا كله ، او دور بعض المنظمات التي تدعي الانتماء للثورة الفلسطينية وتقوم بأعمال لا تشرف اسم هذه الثورة المجيدة وسمعتها بأي حال من الاحوال .

عقيل هاشم

[٣]

رسالة من ستوكهولم

حول التصويت لجانب منظمة التحرير الفلسطينية

كان الانتصار السياسي الذي حققه الشعب الفلسطيني نتيجة التصويت الذي تم في الامم المتحدة والذي تمخض عنه تقديم الدعوة الى منظمةالتحرير الفلسطينية للمناقشة العامة التي ستدور حول « قضية فلسطين » اثرا كبيرا في السويد على الصعيد السياسي الرسمي وغير الرسمي . اما على الصعيد الرسمي فكانت اهمية القرار معالجة المناقشات الدبلوماسية والسياسية التي عقبت اتخاذ الحكومة السويدية قرارها بالتصويت لصالح منظمة التحرير الفلسطينية . فمن الناحية الدبلوماسية فقد شهدت العاصمة السويدية عدة اتصالات بين اعضاء السفارة الاسرائيلية ووزارة الخارجية ، حاول الطرف الاسرائيلي خلالها معرفة وجهة النظر السويدية ومن ثم التأثير على القرار السويدي في حالة الايجاب . ونتيجة فشل هذه المحاولات جرت اتصالات على مستوى اعلى بين وزير الخارجية الاسرائيلية ووزير الخارجية السويدية لدى تواجد الاثنين في الولايات المتحدة خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر) . الا ان دوائر سويدية مطلعة قد اعربت سلفا عن اسف الحكومة الاسرائيلية في حالة اتخاذ قرار سويدي يؤدي الى منح الثقة بمنظمة التحرير الفلسطينية . وان دل هذا على شيء فانه يؤكد معرفة اسرائيل بالقرار السويدي قبل عملية التصويت . ومن ناحية اخرى فلقد اشارت الصحف السويدية بان مسؤولين في وزارة الخارجية السويدية والوفد السويدي لدى الامم المتحدة قاموا بالاتصال بعدد من المسؤولين الفلسطينيين بمنظمة التحرير الفلسطينية عن طريق غير مباشر (بواسطة دول صديقة) لمعرفة وجهة النظر الفلسطينية قبيل اتخاذ قرار نهائي بشأن التصويت .

ان وجهة النظر السويدية الرسمية من القضية الفلسطينية قد تغيرت كثيرا نتيجة التصويت التاريخي في الامم المتحدة ، وان هذا التغيير في السياسة السويدية جاء تدريجيا لدى اقتناع السويد في السنوات الاخيرة بان قضية الشعب الفلسطيني قضية سياسية بالدرجة الاولى اضافة الى انها قضية انسانية . والاعتبار الاخير بأن المشكلة تحتاج الى تفهم انساني فقط كان قد حكم السياسة السويدية تجاه الصراع في الشرق الاوسط خلال ربع القرن الماضي . ان هذا التحول في السياسة السويدية له اهمية عظمى ليس فقط لكسب صوت واحد في الامم المتحدة وعلى نطاق المؤتمرات الدولية وحسب ولكن لكسب دولة حيادية لها اثر هام في الامم المتحدة وفي السياسة الدولية . وانه نتيجة لهذا الدور المهم الذي تلعبه « دولة صغيرة » مثل السويد ونتيجة لثقل قرار سياسي كهذا لصالح منظمة التحرير ، ان احدث التصويت (بنعم) ضجة عاصفة في البرلمان السويدي ولدى الصحافة والراديو والتلفزيون .

لقد شن الحزب اليميني والليبرالي حملة ضد الحكومة لدى افتتاح جلسة البرلمان الخريفية . لقد تركز نقاش المعارضين من نقطة انطلاق تترجم معنى قرار التصويت (بنعم) ليس بالمفهوم الفلسطيني بل بالمفهوم السويدي منح منظمة التحريرالفلسطينية حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، وهذا يعني :

١ — القبول بالقرارات السياسية الصادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ — عدم قبول قرار ٢٤٢ الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .

هذا ولقد ذكر وزير خارجية السويد « سفن اندرسون » لدى افتتاح دورة البرلمان اهمية دعوة منظمة التحرير للمشاركة في دورة الامم المتحدة حيث ان المنظمة حسب قوله اكثر التنظيمات السياسية تمثيلا للشعب الفلسطيني ولذلك فانه من غير العدل ومن السخف ايجاد حوار مجد ومفيد ومناقشة فعالة عادلة لقضية فلسطين دون تواجد اهم طرف في الصراع — اي الطرف الفلسطيني — لذلك وجدنا اهمية التصويت لصالح منظمة التحرير الفلسطينية لاعطاء الفرصة للمنظمة ان تناقش قضية فلسطين من خلال اطار الامم

المتحدة عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. واعرب وزير الخارجية عن ان الحكومة السويدية ترى الاهمية السياسية الناتجة عن الحوار السياسي دون استعمال « الارهاب والعنف » للحصول على الحقوق الشرعية .

ادت وجهة النظر هذه الى تعرض وزير الخارجية والحكومة لعدد من الاتهامات التي اشارت الى الدور « الارهابي » الذي تمارسه منظمة التحرير والى ان السويد بتصويتها لدعوة المنظمة فانها بذلك تشارك بشرعية (اعمال منظمة ارهابية) وقامت بدعوة منظمة للتحدث عن اعمالها في الامم المتحدة . واما عضو البرلمان الليبرالي — والمعروف بمعاداته الشديدة للعرب — بيد المارك وصف القرار السويدي بانه قرار محزن واتهم الحكومة بتأييدها لاكثر المنظمات تطرفا وبان مثل هذا التأييد يترجم بمساندة حرب ارهاب ضد اسرائيل .

وفيما يتعلق بالراديو والتلفزيون فلقد قدم كل منهما برامج خاصة تستطيع القول بانها كانت مؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني موضحة من خلال المناقشات والصور والوثائق والخرائط التوسع الاسرائيلي على حساب فلسطين وشعبها .

اما الصحافة السويدية فلقد عالجت المشكلة بطريقة مختلفة ومعادية على الاغلب لقرار التصويت (بنعم) . هذا وعالجت معظم الصحف القرار السويدي واعطته اهمية كبيرة من ناحية وجهة النظر الرسمية لدى الحكومة السويدية اولا والمضمون السياسي للقرار . لقد اكدت الصحف من معالجتها للموضوع النقاط التالية :

١ — تغيير جذري لمفهوم السويد لقضية فلسطين . ٢ — اهمية هذا التغيير وتأثيره في الامم المتحدة . ٣ — اهمية الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بتمثيلها للشعب الفلسطيني ونتيجة ذلك على الصراع في الشرق الاوسط . ٤ — امكانية انهاء محاولات كيسنجر للتوصل الى حل الصراع . ٥ — موقف اسرائيل من السويد مستقبلا . ٦ — محاولة تفريغ اهمية القرار السويدي .

هذا وان انجراف الصحافة في حملة ضد الحكومة كان محاولة فاشلة لربط التغير في السياسة السويدية تجاه الفلسطينيين بالبترول العربي . الا ان وزير الخارجية شجب وجود اي تأثير للبترول على القرار السويدي واعطى مثلا على ذلك بان قرار النرويج بالتصويت بنعم يسند وجهة نظر الحكومة السويدية ، حيث ان النرويج منتجة ومصدرة للنفط ولا تحتاج قسط للبترول العربي ليؤثر في تقرير سياستها الخارجية .

من المؤكد ان السويد ابدت منذ نشوب ازمة الطاقة في العام الماضي تقربا ملحوظا من الدول العربية لا سيما المصدرة للنفط . ودليلا على ذلك زيادة التعاون بين السويد والسعودية والكويت وليبيا والجزائر ، وتبادل الزيارات على اعلى المستويات الرسمية ، الا ان السويد بالرغم من تعاطفها وتأييدها لاسرائيل وشجبها لعدد كبير من عمليات المقاومة فانها تحاول دائما ان تصل الى قراراتها على صعيد السياسة الخارجية بوضع يسمح لها الظهور بسياسة الحياد . وقد ظهر ذلك واضحا بعد عملية معلوت حيث رفضت السويد شجب العملية دون شجب اعمال العنف الاسرائيلية ، فقد ذكرت وزارة الخارجية اسفها لجميع عمليات العنف في المنطقة وبالطبع عمليات قصف مخيمات الفلسطينيين في لبنان . وقد اثارت هذه التصريحات غضب الجهات الاسرائيلية والصهيونية والمتعاطفين مع اسرائيل ، ومن بينهم رئيس وزراء السويد الاسبق وزوجته اللذين وقعا على عريضة تشجب نقط ، اعمال « الارهاب » الفلسطيني .

ولقد تميزت الحملة الصحفية ايضا بمحاولة ذكية لتفريغ اهمية القرار السويدي بالتصويت لصالح الفلسطينيين . فلقد ذكرت الصحف على لسان رئيس الوفد السويدي للامم المتحدة السفير أولف ريدبك قوله بان القرار السويدي لا يعني ان السويد اتخذت موقفا سياسيا من وجهة نظر منظمة التحرير السياسية ، وزيادة على ذلك فان السفير السويدي حسب ما اوردته الصحافة شدد على ان السويد لم تتخذ قرارا فيما يتعلق بادعاء منظمة التحرير بتمثيلها للشعب الفلسطيني . ان القرار السويدي يعني فقط رغبة السويد في اعطاء الحق لاحد الاطراف المعنيين بابداء رأيه في الامم المتحدة . ان تفسير ريدبك لقرار التصويت يختلف عن تفسير وزير الخارجية وذلك يعود الى ان سفير السويد لدى الامم المتحدة لا ينتمي الى الحزب الحاكم .

[٤]

رسالة من نيويورك
الحملة الاعلامية الصهيونية ومحاضرة دايان في جامعة نيويورك

في الوقت الذي تدخل فيه منظمة التحرير الفلسطينية الى هيئة الامم المتحدة كقوة معترف بها عالميا ، وتعترف فيه المنظمة الدولية بالطابع السياسي للقضية الفلسطينية ، وتسجل الثورة الفلسطينية انتصارا سياسيا على صعيد « المناورة الخارجية » يمثل في جوهره حصيلة التراكمات الطويلة للنضال الفلسطيني المسلح ، تتصرف اسرائيل والصهيونية العالمية بعصبية بالغة ، وخاصة في نيويورك ، معقل الصهيونية الاميركية وحصنها الحصين ، وتشن حملة دعاية مضادة على مختلف المستويات . ففي الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤، غطت الاعلانات الصهيونية صفحات الصحف النيويوركية وجدران الجامعات والمؤسسات العامة معلنة عن سخطها لحضور منظمة التحرير الفلسطينية الى الامم المتحدة . ولم تخل الدعاية الصهيونية هذه المرة بمكرها المعهود واساليبها الذكية المخادعة ، بل كانت تتسم بالانفعالية ، وتدل على ان الصهاينة يحسون بالخطر الذي يتهددهم . ولقد بدا ذلك واضحا ايضا في الهتافات التي هاجموا بها منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات خلال المهرجان ، واثناء الحفلات الخطابية والمقابلات المتعددة .

ويلاحظ المراقبون الذين تابعوا الاحداث في الولايات المتحدة منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) حتى الان ، ان الصهيونية تعيش فترة قلق وعدم ارتياح . ولا يعني هذا ان القلعة الصهيونية قد انهارت بشكل كامل ، او ان القضية العربية حققت انتصارا ساحقا في الولايات المتحدة ، ولكنه يعني ان هناك بدايات انحسار في الاعلام الصهيوني ، ودلالات لا شك فيها من حبوط المعنويات الصهيونية .

ولا يزال الصهاينة الاميركيون رغم كل شيء اقوياء ، فلقد ظهرت قوتهم خلال مشاركتهم الفعالة في الحملة الانتخابية الاميركية ، كما ظهرت في تصريحات المرشحين البارزين للكونغرس . ويؤيد هؤلاء الصهاينة اسرائيل دون تحفظ ، وهم على استعداد لتخريب الولايات المتحدة في سبيل سلامة اسرائيل . وهذا هو في الحقيقة جوهر المأزق الاميركي الذي لا يجهله الساسة الاميركيون وعلى رأسهم الدكتور هنري كيسنجر . وانه لمما يساعد الصهيونية ويدعم قوتها في الولايات المتحدة اعتمادها على خداع الانسان الاميركي العادي الذي يشكل الاكثرية الساحقة في المجتمع الاميركي . فهو ساذج ، يتسم بقسط كبير من اللامبالاة حيال سياسة بلاده الخارجية ، الا اذا كانت هذه السياسة ستقود الولايات المتحدة الى خوض غمار الحرب في مكان ما من العالم . ويبدو ان الاكثرية الاميركية المعنية قد تخلت عن دورها في رسم سياسة البلاد الخارجية ، ولا تلعب سوى دور المراقب السلبي ، الامر الذي يجعلها هدفا سهلا للدعاية الصهيونية .

ورغم مرور الصهيونية عبر ازمة عصيبة ، فان اعلامها يحاول استغلال سذاجة الاميركي العادي لاقناعه بأن مشاكل الشعب الاميركي الاقتصادية ، والصعوبات اليومية التي تجابهه ، ناجمة عن ارتفاع اسعار النفط ، والمقاطعة النفطية التي فرضها العرب خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر). وتتجه هذه الدعاية نحو التأكيد على اتهام العرب واعتبارهم سبب ارتفاع الاسعار المذهل والتضخم النقدي المتزايد وتدهور قيمة الدولار . ولقد بدا ذلك واضحا خلال السجال التلفزيوني الذي جرى في ١٩٧٤/١١/٣ بين مرشح الحزب الجمهوري لمجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك جاكوب جافيتز (وهو زعيم صهيوني اميركي كبير) ، ومنافسه مرشح الحزب الديمقراطي رمزي كلارك ، والتي كان فيها التفوق الى جانب جافيتز . فلقد اقترح جافيتز على الشعب الاميركي عدة وسائل لمحاربة التضخم النقدي ، وكان على رأسها تخفيض استهلاك الطاقة بنسبة ١٥٪ او اكثر . ولقد قال جافيتز ان هذه الوسيلة ستجعل الاميركيين

قادرين على مجابهة التحدي العربي . ولم يكن كلارك يتمتع بالكفاءة الاقتصادية اللازمة للرد على جافيتز . ولو انه كان ملما بعلم الاقتصاد لرد عليه بان هذا التدبير سيؤمن على العكس مصلحة الدول العربية المنتجة للنفط ، لان تخفيض الطلب يؤدي الى تخفيض الانتاج، الامر الذي يضمن الحفاظ على الاحتياطي النفطي العربي مدة اطول ، خاصة وان المملكة العربية السعودية والكويت غير مضطرة ماليا لبيع كميات كبيرة من البترول ، في الوقت الذي تبحث فيه عن اماكن توظف فيها اموالها الطائلة ومدخراتها من العملات الصعبة ، كما انه ليس من مصلحة الدول النفطية الحصول على دولارات تنخفض قيمتها سنة بعد اخرى مقابل النفط الذي ستزداد قيمته مع الايام. والملاحظ خلال السجال ان كلا من كلارك وجافيتز تسابقا في مهاجمة منظمة التحرير الفلسطينية ، واعربا عن تأييدهما المطلق لاسرائيل .

وتستهدف الحملة الاعلامية الصهيونية احباط مهمة منظمة التحرير الفلسطينية ، وسرقة الاضواء من الوفد الفلسطيني المدعو الى الامم المتحدة ، وتخفيف اثار الانتصار السياسي العالمي الذي حققته المنظمة بعد قرار الجمعية العامة بدعوتها للاشتراك في المناقشة العامة التي بدأت في الثالث عشر من تشرين الثاني . ولقد كان يوم الرابع من تشرين الثاني يوم « التجمع الصهيوني » في ساحة داغ همرشولد قرب مبنى الامم المتحدة ، اذ نظمت ٣٢ منظمة صهيونية اميركية في هذا اليوم مهرجانا خطابيا كبيرا حضره حوالي ١٠٠ الف شخص ، قصت بهم الطرقات والساحات المؤيدة الى مبنى الامم المتحدة . وكان نداء « التجمع » هو « اذا لم تشاركوا ، فسوف تشاركوا بسكوتكم في اطلاق صوت الارهاب الفلسطيني » . ولقد تجاوب اليهود الاميركيون مع هذا النداء ، وجاءوا من جميع الولايات الاميركية ليبرهنوا « كيف يؤيد اليهود اسرائيل » .. على حد تعبير احد المشتركين .

ويبدو ان الصهيونية اختارت يوم ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) لعرض عضلاتها في شوارع نيويورك ، لانه يقع مباشرة قبل موعد الانتخابات الاميركية (٧٤/١١/٥) . وبالفعل ، استقطب المهرجان المرشحين المتنافسين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، كما استقطب عددا من الشخصيات الاميركية التي جاءت لتأييد اسرائيل ومهاجمة منظمة التحرير الفلسطينية وهيئة الامم المتحدة . وكان من بين الخطباء موشي دايان ، وابا ايبان ، وجاكوب جافيتز ، ورمزي كلارك ، وروي ويلكنز مدير اللجنة الوطنية لتطوير الشعب الملون ، ولين كيركلينك الذي يشغل منصب امين سر اتحاد العمال الاميركي وامين صندوقه ، والاب الدكتور ارنولد اولسن رئيس الكنيسة الانجيلية الاميركية الحرة ، وابراهام بيم محافظ نيويورك . وظهر بين الحضور كبار المرشحين للانتخابات الاميركية مثل هيو ل. كاري ، وبول اوديوير ، وهريسون ج. غولدن ، وبرسي ساتون ، ولويس ج. لفكويتز ، وروبرت ابرامز . ويمكن تصور طبيعة هذا المهرجان ، والخطب التي القيت فيه اذا عرفنا ان الهتافات التي انطلقت خلاله كانت « منظمة التحرير الفلسطينية هي الجريمة الدولية » ، و « الامم المتحدة ترضخ للمجرمين » ، و « اسرائيل ، نعم . منظمة التحرير ، لا » .

ولم تكتف الصهيونية بهذا المهرجان ، بل كلفت الزعماء الاسرائيليين بالقاء الخطب والمحاضرات على طلاب الجامعة الاميركية . وكان موشي دايان من نصيب جامعة نيويورك ، ولقد القى محاضرته في مساء الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) . وكان دايان قد القى في ظهر اليوم نفسه خطابا حماسيا في المهرجان المذكور . وسبقت محاضرة دايان حملة دعائية واسعة ، وغطيت جدران الجامعة بعبارات معادية للعرب والثورة الفلسطينية بصورة خاصة . وجرى بيع البطاقة للطلاب بسعر ٥ر١ دولار ، ولغير الطلاب بسعر ٣ دولارات . ولكن البطاقات اختفت منذ اليوم الاول . ويرجع ذلك الى ان اليهود والاميركيين اقبلوا على شرائها لحضور المحاضرة . لذا كانت نسبة الطلاب بين الحاضرين ١٥٪ فقط . على حين كانت بقية الحضور من اليهود والاثرياء الذين جاءوا الى المحاضرة يعتمرون قبعة « اليارمولكا » التقليدية . ولم يسمح لاحد من الطلاب العرب دخول قاعة المحاضرة لاسباب امنية ، وكان من المنتظر — حسب العادات السائدة في الجامعة — ان يتابعوا المحاضرة من خلال مكبرات الصوت واجهزة التلفزيون الموجودة في القاعة الكبيرة

المؤدية الى قاعة المحاضرات . ولكن « العادات » تبدلت خلال محاضرة دايان ، وطلب من الطلاب العرب متابعة المحاضرة في قاعة خاصة جهزت بأجهزة تلفزيونية . على ان يدفع كل طالب دولارا مقابل دخول هذه القاعة . وبدأت المحاضرة وسط تدابير امنية مشددة اتخذتها الشرطة الاميركية واجهزة الامن التابعة للجامعة . وفتش الداخلون الى القاعة تفتيشا دقيقا . ولم يكن دايان نجم هذه الامسية ، اذ نافسته على هذا المركز القوى الطلابية التقدمية في الجامعة . ولقد نظم هؤلاء الطلاب مظاهرة ضخمة معادية لاسرائيل ، شاركت فيها « جمعية الطلاب الايرانيين » التي تعتبر من انشط العناصر في الجامعات الاميركية ، و « لجنة يوم فلسطين » ، و « فرقة الطلاب الثوريين » ، و « مجموعة التحرير الايريترية » ، و « لجنة مساندة العمال في جامعة بروكلين » ، و « لجنة التضامن الاميركية ــ الهند صينية » ، و « جمعية الشباب المعادين للحرب والفاشية » و « جمعية خمير المقيمين في اميركا » ، و « منظمة طلاب تاهيتي » ، و « الشباب الافريقي للتحرر والوحدة » ، و « جماعة الاسيويين الاميركيين للعمل » . واستمرت هذه المظاهرة التقدمية طوال محاضرة دايان ، وكانت تهتف ضد اسرائيل والولايات المتحدة على السواء » ، ومن هتافاتها والشعارات التي رفعتها : « عارضوا العدوان الاميركي ــ الاسرائيلي على الفلسطينيين » ، و « اوقفوا التسليح الاميركي لاسرائيل » ، و « فلسطين ، نعم . اسرائيل ، لا » ، و « النصر لمنظمة التحرير الفلسطينية » ، و « فليسقط الاستعمار الاسرائيلي » ، و « اهلا وسهلا بمنظمة التحرير الفلسطينية » ، و « اوقفوا التهجم الصهيوني على الشعب الفلسطيني » ، و « من معالوت الى لبنان ، محاكمة جريمة موشي دايان » ، و « الشعب الفلسطيني يدافع عن حقه » ، و « الولايات المتحدة خارج الشرق الاوسط » ، و « عاش التضامن الدولي مع منظمة التحرير الفلسطينية » ، و « اشجبوا الارهاب الاسرائيلي » ، و « الولايات المتحدة ، ارفعي يدك عن البترول العربي » ، و « كيسنجر و فورد ودايان يتابعون خطة نيكسون » ، و « اكسون ، غولف ، موبيل اويل ، ليس لها حق في البترول العربي » . ولقد تجمع المتظاهرون امام المبنى الذي القى فيه دايان خطابه. وانضمت اليهم جماهير غفيرة ، وكانت الشرطة تجد صعوبة في احتواء المتظاهرين .

وكان دايان في ذلك الوقت يخطب بالانكليزية متابعا سلسلة اكاذيبه وتبجحاته . ولكن حديثه نم عن العصبية والاضطراب ، ولقد بدا بمظهر الرجل الذي يتحدث من مركز الضعف ، ويتملق الحضور بشكل ساخر . ولقد ركز في محاضرته على نقطة واحدة هي « ان هناك خطرا يتهدد اليهود والسلام في المنطقة ، وهو الاتحاد السوفياتي » . ضاربا بذلك على وتر حساس لدى المواطن الاميركي الساذج ، ومدغدغا مشاعر هذا المواطن الغارق في مشاغله ومخاوفه اليومية ، ومتحدثا باللغة التي يريد الاميركي سماعها . ولقد تعمد دايان ان يستخدم كلمة « انتم » كلما اراد ذكر الولايات المتحدة . وعند الحديث عن دور روسيا في الشرق الاوسط قال « اذا كنتم لا تريدون تزويدنا بالسلاح ، فانه لن يوجد احد يقول لروسيا كلمة لا » . ثم تحدث دايان عن حرب ١٩٧٣ ، وعن تسليح الاتحاد السوفياتي للعرب ، وقال انه زود العرب بـ ٥٥٠٠ دبابة ، و ١٠٥٠ طائرة ، وصواريخ مضادة للطائرات ، وصواريخ مضادة للدبابات . وقارن هذه الارقام بعدد الدبابات التي كانت في حوزة الالمان في افريقيا خلال الحرب العالمية الثانية . ثم قال مازحا بان الاسرائيليين ليسوا كالفرنسيين ، وحمد الله لان العرب ليسوا كالالمان !

وكانت المحاضرة مملة بشكل قاتل ، اذ كان دايان يكرر نفسه ، ليعود بعد الاستطرادات المملة الى موضوع الاتحاد السوفياتي ، الذي قال بأنه يتمتع الان في الشرق الاوسط بمركز اقوى مما كان عليه قبل عشرين عاما ، وهو ينافس الغرب في هذا المجال سياسيا وعسكريا . وذكر ان في سورية ٣٠٠٠ عسكري سوفياتي يعملون باسم خبراء ، وان في العراق ١٠٠٠ ، وان في مصر عدة مئات ، ثم اضاف « وعندما اندلعت الحرب [الحرب الرابعة] كان جنودهم وعملاؤهم هناك. والسؤال الان هل الروس أحرار للعمل دون أي تدخل اميركي ؟ لا يمكن لاحد ان يتحدى روسيا الا أنتم . نحن هنا ، ولكننا لا نستطيع تهديد

روسيا » . وذكر ان العرب لم يكونوا وحدهم خلال حرب ١٩٧٣ . فلقد ساعدهم اصدقاؤهم من كوريا الشمالية ، وفيتنام الشمالية ، والمانيا الشرقية ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، وزودوهم بالخبراء والطيارين والسلاح . واعاد الى الاذهان حادثة اشتباك الطيارين السوفييت مع الطيارين الاسرائيليين فوق سيناء في عام ١٩٧٠ .

وعندما حلل دايان حالة التأهب النووي التي أعلنتها السلطات الاميركية خلال حرب ١٩٧٣ ، قال « كانت هناك معلومات تفيد بأن الاتحاد السوفياتي ينوي التدخل في الحرب لصالح مصر عن طريق ارسال قوات محمولة جوا ، وهذا ما دفع الولايات المتحدة الى اعلان حالة التأهب النووي » . ثم عاد الى تملق الحضور ودغدغة عواطفهم بالحديث عن قوة السوفييت في الشرق الاوسط ، والتي لا يستطيع أحد ان يقاومها ، وسأل الحضور ان كانوا على استعداد لتحدي الاتحاد السوفييتي اذا ما قررت موسكو ان ترسل الى المنطقة أشخاصا غير الخبراء. [قطعات مسلحة] .

ثم انتقل دايان الى الحديث عن دور الولايات المتحدة في المنطقة ، واشار الى انها لا تعتبر نفسها « شرطيا عالميا » ، ولكن هناك الاتحاد السوفياتي ، « فان لم تفعلوا شيئا ، فليس هناك من يفعل أي شيء » . **وقال بانه ليس هناك أي بديل للتدخل الاميركي في الشرق الاوسط . والقوات الدولية نفسها عاجزة عن القيام بأي عمل** . واعاد الى الذاكرة كيف طلب الرئيس جمال عبد الناصر من هذه القوات ان تنسحب في العام ١٩٦٧ . وبالرغم من اشادته بالدور الاميركي ، فقد ذكر دايان **ان الولايات المتحدة لم تتدخل بعد بما فيه الكفاية** ، وهاجم الرؤساء الاميركيين السابقين الذين فشلوا في تأمين حرية الملاحة لاسرائيل وخاصة في باب المندب . وقال ان كيسنجر يحاول اجراء مفاوضات ، وان اسرائيل طلبت منه بحث موضوع المرات الدولية « ولكنكم لا تودون التعهد بشيء » ... « ان روسيا تساعد العرب . ونحن لا نطلب منكم ان تحاربوا من أجلنا . وسيكون يوما بائسا بالنسبة الى اسرائيل اذا ما اضطر الشباب الاميركي للحرب من أجلها » . وكرر دايان هذه الجملة عدة مرات ، فهو يعرف ان الشعب الاميركي لا يزال يعيش كابوس تدخله العسكري في فيتنام . وكان يخشى ان يظهر وكأنه يطلب من الاميركيين التدخل المباشر في الشرق الاوسط . « نحن نستطيع حماية أنفسنا ، وان نوقف العرب . ولكننا لا نستطيع ذلك بدون سلاح . كما لانستطيع ان نبقي روسيا خارج المنطقة . فهل تستطيعون ابقاءها خارج المنطقة ؟ ما عليكم الا ان تقولوا لها : اذا أتيت فسنأتي » .

ولم يترك دايان مناسبة الا وامتدح فيها الشعب الاميركي : « أنتم الاولون في كل المجالات ، في العلم ، في غزو القمر ... الخ » .. « أنتم أمة عظيمة . وهذا يعني ان على ممثليكم في الامم المتحدة ان يرفعوا أصابعهم » ... « أنتم مهتمون بأزمة الطاقة ، وارتفاع الاسعار ، والتضخم المالي ، وتودون تحسين علاقاتكم مع العرب للحصول على البترول بأسعار منخفضة . أما هم، فيطلبون منكم ان تضغطوا علينا ، وان تحشرونا. ونحن أقوياء قادرون على مجابهة العرب عسكريا، فهل تستطيعون الوقوف في وجه ضغط العرب ؟ ».

وهنا بدا دايان يتزلف بشكل مهين لاي رجل ، وخاصة بالنسبة الى قائد عسكري كان يتمتع قبل حرب تشرين الاول (اكتوبر) بسمعة اسطورية . وقال ان الاسرائيليين مستعدون للاستماع الى الاميركيين وشكرهم على مساعدتهم خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) . ولكنه يخشى ان يقال للاسرائيليين عندما سيطلبون « الفانتوم » بأن الولايات المتحدة بحاجة لصداقة الملك فيصل وغيره من الحكام العرب ، وان تزويد اسرائيل بالفانتوم يخرب العلاقات الاميركية مع العرب . وعندما قال دايان « **انني قلق فيما يتعلق بالمستقبل** » ارتسمت حالته النفسية السيئة على تعابير وجهه ، وأحس الحضور بأن وزير الدفاع السابق متشائم يشعر بقبضة العرب الفولاذية حول عنق اسرائيل .

وتطرق دايان الى اجتماع الرباط ، وخطورة الوضع الذي خلقه . وذكر ان العرب يحاولون خنق اسرائيل لانهم أغنياء ، وعبر عن أمله بالتوصل الى اتفاق منفصل مع مصر . وقال انه اذا تم ذلك بقيت سورية لوحدها عاجزة عن محاربة اسرائيل ، وذكر ان هذا الامر ينطبق على الاردن ايضا . ووصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها

عصابة «ارهابيين» لا قوة عسكرية ، وانها لا تشكل خطرا على اسرائيل . وهنا وقع دايان في أشنع تناقضات محاضرته ، لان اعطاء منظمة التحرير الفلسطينية هذا الوصف يتناقض مع الحملة الهستيرية ضدها ، والقلق الكبير الذي نجم عن دعوتها الى هيئة الامم المتحدة . وربما نسي دايان انه حضر ظهر اليوم نفسه مهرجانا اعتبره الصهاينة حدثا « تاريخيا » ، وقالوا بأنه « أكبر مهرجان صهيوني » ، ونسي ان هذا المهرجان ما عقد الا للاحتجاج على وجود منظمة التحرير الفلسطينية « الضعيفة التي لا تخيف » في الامم المتحدة !

وحاول دايان ان يقنع مستمعيه بأن جميع العرب داخل اسرائيل يرحبون بالاحتلال الاسرائيلي، وانهم لا يظهرون ترحيبهم خوفا من انتقام الفدائيين منهم ومن اقربائهم في الضفة الغربية وغزة . وأشاد بعدد من الزعماء العرب في اسرائيل مثل أنور نسيبة ، وأنور الخطيب ، والشيخ محمد علي الجعبري ، ورشاد الشوا . وختم دايان محاضرته بالتركيز على ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تتمتع بالحجم الذي تريد اعطاءه لنفسها ، وانها لا تمثل الا نفسها ، ولا تشكل أي خطر على المنطقة ، باستثناء خطف «الاطفال» والطائرات وغيرها من الاعمال الارهابية . ثم عاد ليكرر نفسه مرة اخرى متسائلا بشكل ابتزازي « هل ستستمرون في تزويدنا بالسلاح حتى ولو لم يقبل العرب بذلك ؟ هل ستأخذون حصتكم في محاربة الروس ؟ » .

وتلى المحاضرة أسئلة متعددة ، ورغم تدابير الامن المشددة ، واستبعاد الطلاب من المحاضرة ، وحضور غالبية من اليهود الاميركيين ، فقد وجهت الى دايان أسئلة محرجة . ومن بينها سؤال **حول شرعية انشاء المستعمرات في الضفة الغربية** . وأجاب دايان على ذلك « ان كل ما تفعله اسرائيل هو العودة الى الديار » . وكان السؤال الثاني **حول التفاوض مع الفلسطينيين** . ولقد أجاب عليه دايان بأنه لا مانع من التفاوض مع زعماء الفلسطينيين الموجودين في الاردن او الضفة الغربية أو غزة ، ولكن ليس مع منظمة التحرير الفلسطينية . ثم أضاف بأنه ليس هناك زعيم عربي عاقل يعتقد بامكانية وجود دولة جديدة في المنطقة . وان بوسع الفلسطينيين الذهاب الى جنيف مع الوفد الاردني . وعندما سئل : **هل رفض التفاوض مع المنظمة أمر مطلق** ، أجاب بحدة « نعم » .

وطرح على دايان سؤال أمني **يتعلق بقدرة اسرائيل على البقاء اذا ما وقعت حرب جديدة مع العرب** . فأجاب بأن الحرب غير متوقعة في الوقت القريب ، وعبر عن أمله في ان لا تكون اسرائيل في حالة الحرب وحيدة . ثم عاد ألى التزلف المشين بقوله « ان الولايات المتحدة قادرة على اركاع اسرائيل » ، ثم استطرد مازحا « اذا حدث ذلك فسوف نصرخ، ونذهب الى كل جامعاتكم لنحاضر».

وكان هناك سؤال **حول السلاح النووي** ، رد عليه دايان بأنه ليس عالما ليعرف التفاصيل ، وانه لا يوجد لدى اسرائيل سلاح نووي . وعندما سأله أحد الحاضرين **ماذا ستفعل اسرائيل اذا حصل العرب على سلاح نووي** ، أجاب : « سنحاول ان نعمل ما نقدر عليه » .

وفي معرض الرد على سؤال **يتعلق بالمفاوضات مع الاردن** ، أجاب بأنه كان هناك مفاوضات مع الاردن على أساس مشروع آلون ، وأضاف بانه ليس من الواقعية في شيء عقد اتفاقية منفصلة مع الاردن . وعندما سئل عن **الدرس الذي استخلصته اسرائيل من استخدام العرب للصواريخ المضادة للطائرات** ، اجاب دايان سائله بقوله : « لا أعتقد انك مطلع على قضايا التكنولوجيا العسكرية ، وليس هناك جواب سهل حول الدفاع ضد الطائرات . وعلى كل حال فانه لم يكن هناك شيء خاص حول الصواريخ التي استعملت خلال الحرب » ، ولقد بدا رده في هذا المجال غامضا مشوشا ، حاول فيه الاقلال من أهمية شبكة الصواريخ العربية المضادة للطائرات ، واغفال دورها في حرب ١٩٧٣ ، رغم انها استطاعت الحد من حرية عمل سلاح الطيران الاسرائيلي الى حد بعيد ، وكبدته خسائر تفوق تقديراته . وسئل دايان **فيما اذا كان هناك ضغط اميركي على اسرائيل للانسحاب من سيناء** ، فأجاب بأنه ليس هناك أي ضغط ، وانه شخصيا « قد حبذ الانسحاب بضعة أميال لكي يتسنى لمصر فتح القناة. وانه لن يتم أي انسحاب جديد الا ضمن اتفاقية سلام » . أما السؤال الاخير فكان **حول موقف**

الفاتيكان من القدس . ولقد كان جواب دايان عليه غريبا ومثيرا للسخرية بآن واحد . ذلك انه قال بأن كل ما يهم الفاتيكان هو ان يكون مسؤولا عن الاماكن المسيحية المقدسة . وهذا أمر لا تعارضه اسرائيل . لان تدخل الفاتيكان في القدس أكثر من ذلك سيجعله مضطرا لمواجهة مشكلة الامـــاكن الاسلامية المقدسة. ثم تساءل ما اذا كان المسلمون يقبلون ان يضع الفاتيكان يده على أماكنهم المقدسة. وأشار الى ان الفاتيكان لم يطالب بالقدس ، بل طالب بالاماكن المسيحية المقدسة فقط . ثم أعاد الى الأذهان ان الملك عبدالله لم يقبل اتخاذ القدس عاصمة له ، بل اختار عمان . وعندما جعلت اسرائيل من القدس عاصمة لها ، ثار العرب وطالبوا بالقدس .

ولم يقبل بعد ذلك أسئلة أخرى ، وانتهت المحاضرة في الساعة العاشرة وسط تصفيق جمهور مختار بعناية ومعد لهذا الغرض . وكنت أول الخارجين من الصالة التي تابعت فيها محاضرة الجنرال المهزوم الذي يحـــاول ان يلعب دور السياسي ، بعد ان تخلى عن بساريته المزعومة ، واتجه أكثر فأكثر نحو اليمين الليكودي المتعصب . وكنت أفكر خلال سيري كم كنت مخطئة عندمـــا اعتقدت في الماضي بأن وزير الدفاع الاسرائيلي شخص ذكي ، فلقد بدا أمامي شخصا عاديا مصابا باضطراب عصبي أكيد ، ولا يتمتع بأية حصافة أو لباقة سياسية ، وقلت في نفسي لقد نجحت الدعاية الصهيونية في اختيار المكان والزمان ولكنها أخطأت هذه المرة في اختيار الرجل المناسب . وقطع سلسلة أفكاري رجل الشرطة الذي يحرس الباب ، فلقد استوقفني متسائلا « كيف كانت المحاضرة » ، فأجبته : « مريعة ! تصور انني عربية » . وتابعت سيري دون أن التفت نحوه . وتوجه الشرطي نحو رفاقه قائلا «عربية ، عربية»، وكانت هذه آخر كلمة سمعتها في هذا المبنى الذي اهتزت جدرانه طوال ساعتين لاكاذيب دايـــان المكشوفة ، وتهريج المصفقين المتعامين عن حقائق التاريخ .

سلمى حداد

صدر حديثا عن مركز الابحـــاث

كتـــاب

دروس الحرب الرابعة

بقـــلم

المقدم الهيثم الايوبي

ويحتوي هذا الكتاب خلاصة الدروس التي يمكن استنباطها من مجريات حرب تشرين الاول على صعيدي الاستراتيجية والاستراتيجية العليا ، استنادا الى اعترافات القـادة والمنظرين العسكريين الاسرائيليين ، وملاحظات المراسلين العرب والاجانب الذين شهدوا معارك الحرب الرابعة عن كثب . وهو يحدد الخطوط العريضة التي يمكن الاستناد اليها لفهم ادارة العمليات في هذه الحرب ، واعداد استراتيجية عربية مستقبلية جديـــدة ، تاخذ بعين الاعتبار العوامل العالمية والمحلية التي تحدد معطيـــات الصراع العربي — الاسرائيلي .

سعر النسخة ٢ ل.ل. ، تضاف اليها أجور البريد الجوي :
٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

أطلب نسخك من قسم التوزيع في مركز الابحاث
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

[٥]

كيف عالجت الصحف السوفياتية القضيـــة الفلسطينية خلال شهر اكتوبر سنة ١٩٧٤

شـــهدت القضية الفلسطينية تطورات هـــامة وخطيرة في شهر اكتوبر ، وقد كانت الصحافـــة السوفياتية مهتمة بشكل أساسي بهذه التطورات وأولتها التحليلات والتعليقات الواعية وقد كان محور تركيز الصحافة السوفياتية يدور حول عدة قضايا رئيسية أهمها :

١ ـــ قرار الامم المتحدة بالسماح لوفد من منظمة التحرير لعرض ومناقشة القضية في الجمعية العمومية للمنظمة الدولية . ٢ ـــ قرار مؤتمر الرباط باعتبار منظمة التحرير الممثل الشـــرعي الوحيد للشعب الفلسطيني والدعوة لاقامة سلطة وطنية على الاراضي التي ستنسحب منها القوات الاسرائيلية . ٣ ـــ جولة كيسنجر في الوطن العربي والمقترحات الامريكية لحل ازمة الشرق الاوسط . ٤ ـــ مؤتمر جنيف وضرورة الاسراع بعقده لمتابعة بحث تسوية ازمة الشرق الاوسط . ٥ ـــ السياسة النفطية العربية واثرها على الغرب ومن أجل ايجاد حل للازمة في منطقة الشرق الاوســـط . ٦ ـــ كما ركزت بعض الصحف ووكالات الانباء على تعليقات لمعلقين سوفيات حول الحركة الصهيونيـــة وسياستها الارهابية وارتباطها مع هتلر من أجل تنشيط هجرة اليهود لفلسطين في الثلاثينـــات والاربعينات من هذا القرن . وكذلك محاولات الصهيونية الدائبة لاعادة علاقات اسرائيل مـــع دول افريقيا النامية والتي قطعت علاقاتها مع اسرائيل مؤخرا .

فتحت عنوان « الجمعية العمومية للامم المتحدة والمسألة الفلسطينية » كتب معلق وكالة أنبـــاء نوفستي بوريس يانوف يقول : « ان القرار المتخذ من قبـــل الجمعية العموميـــة يؤدي منطقيـــا الى الاعتراف من قبل الدول الاعضاء بالامم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثـــل الشرعي الوحيد للشعب الذي يناضل في سبيل اقامة دولة خاصة به وفي سبيل وجـــــوده القومي... ».

ويتابع المعلق تحليله للوضع الناتج بعد قرار الجمعية العمومية ليقول : « وقد عارض رئيس الوزراء الاسرائيلي رابين المسألة في التلفزيـــون الاسرائيلي ، اذ قال : « ألا تعتقدون انه بعد قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة تجاه الشعب الفلسطيني ستصبح مواقف الحكومة الاسرائيلية دون قيمة ؟ » ان اسرائيل تريد تأزيم الوضع وزيادة التوتر . ان اعانات الولايات المتحدة والمساعدة الانكلو ـــ فرنسية بالسلاح تشجع رابين على الادلاء بتصريحات عدوانية وتشجع الجيش الاسرائيلي على شن اعتداءات ضد سوريا ولبنان ، ولكن لا يغامر أحد اليوم على ان يعلن بأعلى صوته تأييـــده لسياسة الحكومة الاسرائيلية » . ويتابع المعلق تحليلاته للوضع ليستشهد بخطاب اندريه غروميكو في الجمعية العمومية قائلا : « وأكد وزير الخارجية السوفياتي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي اندريه غروميكو ، في خطابه أمـــام الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية للامم المتحدة ان المسألة الفلسطينية هي مسألة مبدأ عالمي كبير » . ويستطرد المعلق قائلا : « وفيما يتعلق بالحاجات والامال الوطنية لعرب فلســـطين التي يجب تلبيتها ، يناضل الاتحاد السوفياتي من أجل ذلك لا بالاقوال بل بالافعال ... » ويختتم مقاله بكلمة للاخ ابو عمار اذ يقول المعلق : « وقال ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمـــة التحرير الفلسطينية في حديث ادلى به لمجلة **شؤون فلسطينية** الشهرية « ان الاتحاد السوفيـــاتي والبلدان الاشتراكية تقف الى جانب شعب فلسطين في كل الندوات الدولية ونحن لا ننسى أبدا ان السوفياتيين كانوا ويظلون الاصدقاء الحقيقيـــين الاوفياء لنضـــال شعبنا الفلسطيني وكل الامـــة العربية ضد النازية الجديدة الممثلة بشـــخص اسرائيل » .

وحول موقف الاتحاد السوفياتي والاســـــرة الاشتراكية من قضية الشعب الفلسطيني يقـــول فينوغرادوف بعد ان يستعرض نتائج التصويت في الامم المتحدة وموقف الدول الاربع التي صوتت ضد مصالح الشعب الفلسطيني : « ومنذ أكثر مـــن

٢٥ عاما والشعب العربي الفلسطيني محروم من امكانية استخدام حقه المشروع في تقرير المصير ، وهو حق اعترفت به وأكدته قرارات عديدة لمنظمة الامم المتحدة ، ويكمن سبب ذلك في السياسة العدوانية للاوساط الحاكمة الاسرائيلية وموقف القوى الامبريالية والصهيونية الدولية التي تحمي اسرائيل وتدعم أطماعها التوسعية في الشرق الاوسط » . ويتابع فينوغرادوف مقاله حول دعم الاتحاد السوفياتي لحركة المقاومة على مختلف الاصعدة مستشهدا بما جاء في خطاب للرفيق بريجنيف اذ يقول : وأعرب عن نفس وجهة النظر الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف اذ قال : « من الضروري تنفيذ قرارات منظمة الامم المتحدة وضمان انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، وتلبية المصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في وطن مستقل ، ويجب ان يتحقق ذلك دون مماطلة اذا اردنا ان يقوم سلم وطيد في الشرق الادنى ، ان تأجيل حل هذه المسألة والابقاء على الوضع الراهن ، الذي يفيد المحتلين الاسرائيليين فقط ، يعني الجلوس فوق برميل من البارود يمكن ان ينفجر في كل لحظة » .

وحول مؤتمر جنيف وضرورة استئناف أعماله أولت الصحافة اهتماما بذلك وكتب المعلقون حول هذا الموضوع مقالات متعددة وكلها تنطلق من منطلق اساسي واحد وهو ضرورة الاسراع بعقد المؤتمر من أجل بحث مشاكل الشرق الاوسط ، ويجمع كل المعلقين على ضرورة مساهمة الفلسطينيين بالمؤتمر فيقول برسادا وهو معلق سياسي معروف تحت عنوان « استئناف اعمال مؤتمر جنيف هو المهمة التي يتوقف عليها حل أزمة الشرق الاوسط» : « وفي نفس الخطاب الذي القي في دورة الجمعية العمومية للامم المتحدة أعلن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي « أن الاتحاد السوفياتي يرى انه ينبغي ان تتخذ دون تأخير ، تدابير تهدف الى تسوية سياسية جذرية لنزاع الشرق الادنى ، ويتعلق الامر بالاستئناف الفوري لاعمال مؤتمر جنيف حول السلم في الشرق الادنى ، هذه الندوة التي هي أفضل ما يكون من أجل بحث مسألة الشرق الادنى بكل تعقدها ، والعثور على حلول تقبلها الاطراف المتنازعة ، ويشمل ذلك ايضا الشعب العربي الفلسطيني الذي يجب ان يأخذ ممثلوه المكان العائد اليهم بحق في المؤتمر » .

هذا واوردت معظم الصحف الرسمية البرقية التي بعثها ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى ليونيد بريجنيف والذي يعبر فيه عن شكره العميق للموقف الحازم الذي يقفه الاتحاد السوفياتي والاسرة الاشتراكية دعما للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة .

وتحت عنوان « اسرائيل تسلك طريقا خطرا » كتبت صحيفة النجم الاحمر مقالا محللة فيه ردة الفعل الاسرائيلية في أعقاب اتخاذ قرار الامم المتحدة حول دعوة منظمة التحرير لمناقشة القضية في الجمعية العمومية ، واوردت الصحيفة الناطقة باسم الجيش السوفياتي مقتطفات من خطاب ليونيد بريجنيف المشار اليه في مكان سابق من التقرير كما اشارت الى المساعدات العسكرية الامريكية التي تقدم باستمرار لاسرائيل ومحاولات اسرائيل لزيادة التوتر في المنطقة وعرقلة أعمال مؤتمر جنيف . وقالت الصحيفة : « ان الانتصار الاول هو انه يستحيل بعد الان ان يناقش في جنيف او في أي مكان آخر ، أي اتفاق دون اشراك الفلسطينيين . والانتصار الثاني هو ان هذه التسوية لا يمكن تصورها دون الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير » .

وعن مؤتمر القمة العربي وقراراته فقد كتبت معظم الصحف السوفياتية البرقية التي بعثها القادة السوفييت للمؤتمر وكتبت تعليقات كثيرة حول التضامن العربي والموارد الاقتصادية لدى الدول العربية والتي بامكانهم استخدامها للضغط على الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى من أجل ايجاد تسوية سياسية لازمة المنطقة .

وتحت عنوان « أهمية مؤتمر القمة العربي الذي يعقد في الرباط » كتبت الازفستيا بقلم مراسلها الخاص كوريافين : « ويجب ان تكرس كل جهود الدول العربية الى الاهداف الرئيسية الواجب تحقيقها فيما يتعلق بالتسوية في الشرق الادنى ، وهذه الاهداف هي سحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وتلبية الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » ويواصل كوريافين مقاله في الازفستيا قائلا : « ويتوجب على

البلدان العربية ايضا حل مهمة هامة كالنضال في سبيل تعزيز استقلالها الوطني ، وتولى أهمية رئيسية ، على هذا الصعيد الى مسائل التحرر من تسلط الاحتكارات الغربية ، وبالدرجة الاولى الاحتكارات النفطية » .

وفي اثناء عرضها للاحداث الدولية كتبت صحيفة برافدا تحت عنوان : « زيارة كيسنجر الى الشرق الادنى لم تحقق تغيرات ذات شأن في المنطقة » ، تقول البرافدا : « وقد انتهت مؤخرا الرحلات التي قام بها هنري كيسنجر في الشرق الادنى ، وقد زار خلالها اسرائيل والبلدان العربية . ولدى وصوله الى واشنطن ، أعلن كيسنجر ان مهمته كانت ناجحة لانها قربت مرحلة جديدة من المحادثات العربية الاسرائيلية ، وقال بأن الولايات المتحدة ستواصل القيام بدورها . وتعليقا على هذا النشاط الدبلوماسي ، تطلق الصحافة الامريكية مختلف الآراء حول مدى جدواها . ولكن هناك شيئا واضحا هو ان الدبلوماسية الوحيدة الجانب او الدبلوماسية الصامتة كما تسمى ايضا ، لم تحقق تغيرات ذات شأن في هذه المنطقة من العالم» . وتواصل البرافدا في سياق عرضها للاحداث الدولية قائلة : « ان انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية واعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني هما وحدهما اللذان يمكن ان يحملا سلما وطيدا ودائما الى الشرق الادنى . وهذه المهمة الحسية بالتحديد هي التي تطرح أمام مؤتمر السلام حول الشرق الادنى ، المؤتمر الذي يجب ان يستأنف أعماله في جنيف » .

أما معلق وكالة أنباء نوفوستي اندريه دولغوف فيقول حول زيارة كيسنجر للمنطقة : « علق بعض السياسيين العرب آمالا معينة على الرحلة الاخيرة التي قام بها وزير خارجية امريكا الى الشرق الادنى ، ومع ذلك ، يبدو بأن زيارته الى تل ابيب والى العواصم العربية قد خيبت الامال » . ثم يواصل دولغوف تعليقه حول ما اذيع ونشر عن احتمال التوصل لاتفاقات جزئية بين اسرائيل وبعض الدول العربية تقوم على اثرها اسرائيل بمزيد من الانسحاب من اراض محتلة مقابل تنازلات سياسية عربية قائلا: «وهل يمكن ان تقرب الاتفاقات الجزئية الجديدة التسوية النهائية او انها لن تفعل سوى الابقاء على الوضع الراهن أو حتى جعله أكثر خطرا ؟ تثبت تجربة العام الماضي ان اتفاقات مماثلة لم تستطع ان تغير الوضع جديا . وفضلا عن ذلك فان المحادثات المنفصلة والقرارات الجزئية التي يجري التفكير بها ، يمكن ان تخدم اولئك الذين يريدون استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن عملية التسوية » .

وعن الحركة الصهيونية تواصل أجهزة الاعلام والصحافة تخصيص أمكنة خاصة على صفحاتها من أجل فضح الحركة الصهيونية بأيديولوجيتها وسياستها ومحاولاتها منذ تأسيسها على محاربة الشعب الفلسطيني وانتهاج سياسة الارهاب ضده فتحت عنوان « تطورات الصهيونية » تقول وكالة أنباء نوفوستي : « في اوائل سنة ١٩٧٠ قدم شاليت ، أحد سكان اسرائيل ، الى الحكومة الاسرائيلية شكوى ضد مجلس الحاخامات الذي رفض الاعتراف باولاده كيهود ، وبالتالي كمواطنين اسرائيليين بحجة ان أم اولاده غير يهودية . وبعد مناقشات عاصفة صدق البرلمان الاسرائيلي على قرار مجلس الحاخامات وأعلن « ان اليهودي من ولد من أم يهودية » ، لقد دلت قضية شاليت بصورة رسمية على ان التمييز القومي أصبح في اسرائيل سياسة رسمية تقوم على أساس المفهوم الصهيوني للدولة التي تعتبر وطنا « لليهود » ، ولليهود وحدهم » . وبعد ان يشرح المقال عنصرية الحركة الصهيونية ويبين عداءها للشعوب حسبما وضح لينين ذلك قبل سبعين عاما ، يتطرق لعلاقة الحركة الصهيونية مع النازية قائلا : « ففي سنة ١٩٢٩ وضع بنك «مندلسون وشركاه» في امستردام تحت تصرف هتلر مبلغ عشرة ملايين دولار جمعتها المنظمات الصهيونية ومعظمها من المنظمات الامريكية، وفي سنة ١٩٣١ وضع ١٥ مليون دولار اخرى ، وبعد استيلاء الهتلريين على السلطة في المانيا نال زعيمهم بمثل هذه الطرق مبلغ ١٢٦ مليون دولار » . ويستطرد المقال الى القول : « وأشار غولدمان الى ان عددا من الشركات الصهيونية كانت عميلة للشركات الالمانية التي حققت اعادة تسليح المانيا . ووفقا للاقتراح الذي قدمه بواسطة ايخمان المفوض الخاص للحكومة الفاشية لـ « حل المسألة اليهودية النهائي » نظم الزعماء الصهيونيون سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ في البلدان الاوروبية حملات دعاية للدفاع عن النظام الفاشي » . ويتابع المقال :

« وقد تحدث نائب البرلمان الاسرائيلي ج. لانتوا سنة ١٩٦٦ عن واقع ان رؤساء الصهيونية عرفوا في ذلك الوقت خير المعرفة جميع تفاصيل سياسة ابادة اليهود التي نهجها رؤساء النازية ولكن زعماء الصهيونية التزموا الصمت حول ذلك وحاولوا ارغام غيرهم على التزام الصمت ايضا ». ثم يتحدث المقال عما ادت اليه جرائم هتلر من مصلحة لصالح الحركة الصهيونية في تنشيط الهجرة اليهودية لفلسطين ، فيقول : « وكان الصهيونيون يأملون من وراء ذلك بأن تؤدي جرائم الهتلريين الى تزايد سيل المهاجرين الى فلسطين فتنشأ بالتالي المهدات لتحقيق أحلامهم في انشاء دولة يهودية موحدة ، وقد تحققت آمال الصهاينة ، واذا كان عدد المهاجرين الى فلسطين قد بلغ في سنوات ١٩٢٩ — ١٩٣١ بصورة متوسطة ٤ — ٥ آلاف شخص سنويا ، فبعد ان وصل الهتلريون الى الحكم بلغ عدد المهاجرين لفلسطين سنة ١٩٣٣ ٣٠٣٢٧ شخصا، وفي سنة ١٩٣٤ ٤٢٣٥٩ شخصا، وفي سنة ١٩٣٥ ٦١٨٥٤ شخصا » . ويتابع المقال : « وبعد انشاء دولة اسرائيل ، تجلى بصورة أوضح الجوهر الرجعي للصهيونية ، وبالدرجة الاولى بالنسبة الى علاقاتها بسكان فلسطين العرب الاصليين . ان رؤساء دولة اسرائيل اذ أنشأوا مشكلة العرب الفلسطينيين يحلونها الآن عن طريق الطرد القسري للعرب الى ما وراء حدود البلاد . وليس من قبيل الصدفة ان يتم في مدينة القدس العريقة تدمير ١٥٣ بيتا تخص العرب الفلسطينيين بحجة تنظيف الساحة امام جدار المبكى . كما دمر في اسرائيل اكثر من سبعة آلاف بيت تخص العرب الفلسطينيين » . وبعد تحليل لظروف العمل الصعبة التي يعاني منها العمال الفلسطينيون والمواطنون الآمنون بحجة حماية أمن الدولة ينهي الكاتب مقاله قائلا : « وفوق ذلك ، فان الشعب المختار نفسه ينقسم الى فئة عليا وفئة دنيا ، أما الفئة العليا فانها تتألف من « الصابرا » أي اولئك الذين ولدوا في اسرائيل ، و « أشكينازيم » وهم الذين انتقلوا اليها من اوروبا الغربية وامريكا ، والفئة الدنيا تتألف من « سفارديم » وهم اليهود الاسيويون والافريقيون — السود — وكذلك المنتقلون من بلدان اوروبا الشرقية . وعلاوة على ذلك ينقسم اليهود الى يهود أنقياء ، اي المولودون من يهودي ويهودية والى يهود غير انقياء ، أي المولودون من زواج مختلط. وان افراد الفئة الدنيا وهم غير انقياء يتعرضون للتمييز في جميع ميادين الحياة الاجتماعية في البلاد ». وعن سياسة اسرائيل في افريقيا ومحاولاتها الدائبة لاعادة علاقاتها السياسية والاقتصادية مع دول افريقيا فقد كتبت تعليقات عدة . فهذا المعلق « ديفيت » يكتب قائلا : « تنشر الصحف الاسرائيلية من حين الى آخر أخبارا تزعم بأن الدول الافريقية تستعد لاعادة علاقاتها الودية مع اسرائيل ، وتشير الصحف الاسرائيلية حتى الى أسماء بعض الزعماء الافريقيين الذين يقفون هذا الموقف » . ويستطرد ديفيت قائلا : « وغرض اسرائيل من تدخلها في شؤون افريقيا هو ان تكون جسرا بين الدول الاستعمارية السابقة وبين المستعمرات السابقة » . ويتابع القول : « وعلاوة على كون اسرائيل نفقا لتغلغل الشركات الاحتكارية الأمبريالية الى البلدان النامية ، فان اسرائيل تنفذ كذلك مشاريعها الاستعمارية الجديدة الخاصة، وتسعى ارباب العمل في اسرائيل الى الاغتناء على حساب استثمار بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ويمد الرأسماليون الاسرائيليون ايديهم الى الثروات الطبيعية المستخرجة من هذه البلدان مثل الماس ، البوكسيت ، وفلز النحاس والحديد والاخشاب والمطاط وغيرها » .

كانت تلك أهم الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية والتي عالجتها الصحافة السوفياتية ابان شهر اكتوبر سنة ١٩٧٤ .

ساميه النونو

تقارير

[١]

مقارنة تكنولوجية وتكتيكية بين طائرتي « ميغ ــ ٢٣ » و « ميغ ــ ٢٥ » وطائرات « الفانتوم » و « توم كات » و « ايغل »

منذ ان حصلت اسرائيل على الدفعة الاولى من صفقة طائرات الفانتوم الامريكية في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، وبدأت في استخدامها ضد مصر خلال حرب الاستنزاف في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠، والحديث يدور في العالم العربي حول ضرورة حصول مصر وسورية على طائرات « ميغ ــ ٢٣ » من الاتحاد السوفييتي ، حتى يتحقق التوازن الجوي مع طيران العدو .

ونتيجة لنقص المعلومات الدقيقة عن هذه الطائرة، خلطت المراجع العلمية الاجنبية المتعلقة بشؤون الطيران بين « الميغ ــ ٢٣ » (التي يسميها حلف الاطلسي « فلوجر ») و « الميغ ــ ٢٥ » (التي يسميها حلف الاطلسي « فوكس بات ») وتسرب هذا الخطأ الى الصحافة العربية لفترة طويلة ، ومن ثم كتب دائما عن « الميغ ــ ٢٥ » (ونشرت صورتها كذلك) على انها « الميغ ــ ٢٣ » ، خاصة فيما يتعلق برحلات الاستطلاع الجوي التي قامت بها الميغ ــ ٢٥ فوق اسرائيل قبيل حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ من ارتفاعات شاهقة ولم تستطع اجهزة الرادار الاسرائيلية ان ترصدها سوى مرتين حاولت خلالهما طائرات « الفانتوم » ان تطاردها وتسقطها فلم تنجح في كلتا المرتين نظرا للسرعة الهائلة التي كانت تطير بها « الميغ ــ ٢٥ » والارتفاع الكبير الذي كانت تحلق عليه والذي لم تستطع صواريخ « الفانتوم » من طراز « سبارو » ان تصل اليه (ويقال ان هذه الطائرات كانت تؤدي هذه المهام بواسطة طيارين سوفييت من قواعد جوية مصرية) ، وعقب زيارة الرئيس السوري حافظ الاسد للاتحاد السوفيايتي التي جرت في النصف الاول من نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ترددت انباء حول احتمال تزويد سورية بطائرات « ميغ ــ ٢٣ » وذلك ضمن سياسة الاتحاد السوفييتي التي تستهدف زيادة القدرات العسكرية العربية في مواجهة السياسة العسكرية العدوانية الاسرائيلية المدعومة بقوة من الولايات المتحدة الامريكية . وتؤكد المصادر الامريكية والاسرائيلية ان لدى سورية حاليا اكثر من ٢٤ طائرة « ميغ ــ ٢٣ » (ر.١٠١٠. العدد ٦٠٢ ، ص ٢٣١) .

وعلى اثر قيام « شمعون بيرس » وزير الدفاع الاسرائيلي بزيارة للولايات المتحدة الامريكية في اواخر حزيران (يونيو) الماضي قال « جيمس شليسينجر » وزير الدفاع الامريكي يوم ٦/٢٦/ ١٩٧٤ في كلمة القاها امام لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ « ان تفوق اسرائيل وتدريب جنودها لا يتعادل مجددا مع الاسلحة المتطورة الموجودة في حوزة مصر وسوريا » . وكتبت صحيفة « واشنطن بوست » في اليوم نفسه تقول ان اسرائيل تريد الحصول على طائرات متقدمة من انواع « ف ــ ١٤ » ، اي « توم كات » ، و « ف ــ ١٥ » ، اي « ايغل » ، وفي ١٩٧٤/٦/٢٨ قالت الاذاعة الاسرائيلية ان مصادر موثوقا بها قد صرحت في ذلك اليوم بواشنطن ان الولايات المتحدة وافقت على بيع اسرائيل، طائرات من طراز « ف ــ ١٤ » القادرة على مواجهة « ميغ ــ ٢٣ » (ر.١٠١٠. ، عدد ٥٦٨ ، صفحة ٥٤٤) . وتزايدت الانباء بعد ذلك مؤكدة نية الولايات المتحدة في تزويد اسرائيل

بهذا النوع من الطائرات الحديثة بالاضافة الى احتمال تزويدها بطائرات « ف ــ ١٥ » أي «ايغل» وطائرات « واي ف ــ ١٦ » و « واي ف ــ ١٧ » التي ستبدأ انتاجها على نطاق واسع قريبا ، بعد اعتماد نتائج اختباراتها الاخيرة بواسطة السلاح الجوي الامريكي .

وعلى هذا الاساس أصبح من المؤكد ان الشهور القادمة ستشهد بدء تزويد اسرائيل بطائرات « ف ــ ١٤ » ، على الاقل ، لمواجهة طائرات « الميغ ــ ٢٣ » التي زودت بها سورية (والتي ستزود بها مصر غالبا في وقت قريب ، خاصة وانه قيل مؤخرا ان الاتحاد السوفييتي يدرب بعض الطيارين المصريين على استخدام هذه الطائرات وطائرات ميغ ــ ٢٥ ، وذلك كما ورد في مجلة « افياشين ويك » عدد ١٩٧٤/٣/١١) .

ومن الممكن الافتراض احتمال حصول اسرائيل بعد ذلك على طائرات « ف ــ ١٥ » وحصول سوريا ومصر على طائرات « ميغ ــ ٢٥ » خلال السنوات القليلة القادمة ، ولذلك يصبح من المفيد اجراء مقارنة تكنولوجية وتكتيكية بين طائرتي «الميغ ــ ٢٣» و « الميغ ــ ٢٥ » من جهة وطائرات « الفانتوم » التي تملكها اسرائيل حاليا وطائرتي « ف ــ ١٤ »، « ف ــ ١٥ » من جهة اخرى .

والواقع ان اي دراسة مقارنة من هذا القبيل تواجه صعوبتين اساسيتين ، الاولى متعلقة بنقص المعلومات المفصلة عن مثل هذه الطائرات الحديثة التي تحرص كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على حجبها او حجب جوانب معينة منها، فضلا عن ان الاختبار او التقييم الحقيقي لقدرات أية طائرة ، خاصة القدرات التكتيكية ، مسألة يصعب الوصول اليها قبل اختبار الطائرات المعنية في سلسلة من الاعمال القتالية الفعلية التي تكشف عن نواحي الضعف والقوة في الطائرة المستخدمة .

والصعوبة الثانية التي تواجه مثل هذه الدراسة المقارنة ، هي ان كل من الدولتين المنتجتين لهذه الانواع من الطائرات تصمم طائراتها وفقا لنظريات وعقائد قتالية تكتيكية مختلفة مفروض ان يجري استخدامها ضمن اطارها ، الامر الذي يؤدي الى اختلاف في الخصائص الفنية والقدرات القتالية لا بد من مراعاته ، عند اجراء أي مقارنة ، ومع اخذ هاتين المسألتين في الاعتبار سنجري المقارنة بين الانواع المذكورة من الطائرات السوفييتية التي لدى العرب (أو التي ستكون لديهم) والطائرات الامريكية التي لدى اسرائيل (أو ستكون لديها) .

« الميغ ــ ٢٣ » :

طائرة مقاتلة معترضة بمقعد واحد ذات أجنحة متحركة مزودة بمحرك توربيني نفاث قوة ١٢٧٠٠ كلغ تقريبا في حالة استخدام حراق خلفي ، وتقدر سرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر بنحو ١٣٩٠ كلم في الساعة (أي ١٤٢ ماك) وتقدر سرعتها القصوى على ارتفاع ١٢٠٠٠ متر بنحو ٢٤٤٦ كلم في الساعة (أي ٢٤٣ ماك) وذلك في حالة عدم حملها لاي صواريخ جو ــ جو ، اما في حالة تسليحها الكامل بالصواريخ المذكورة ، (٤ صواريخ متطورة من طراز «اناب» الموجهة بالرادار او صاروخين من النوع المذكور وصاروخين آخرين من الصواريخ الموجهة بالاشعة تحت الحمراء) ، فان سرعتها القصوى تصبح نحو ١٨٠٠ كلم في الساعة (أي ١٤٧ ماك) ، ويقدر مداها القتالي في حالة تزويدها بخزاني وقود اضافيين بنحو ١١٢٦ كلم ، واقصى ارتفاع عملي لها يبلغ ١٥٢٥٠ مترا. كما يقدر وزن الطائرة عند اقلاعها وهي تحمل صاروخين جو ــ جو فقط بنحو ١٣٦٠٨ كلغ ، وبالاضافة الى الصواريخ الموجهة جو ــ جو التي تستطيع ان تحملها في مهام الاعتراض القتالي فان الطائرة مسلحة بمدفعين رشاشين عيار ٢٣ مم او ٣٠ مم ، وهي مزودة بأجهزة ومعدات الكترونية مماثلة (من حيث قدراتها ومهامها) لتلك الاجهزة الموجودة بطائرات « الفانتوم » ، وأجنحة « الميغ ــ ٢٣ » ذات هندسة متغيرة ، بمعنى انها تستطيع ان تفرد او تضم أجنحتها وفقا للمتطلبات التكتيكية الذي يتطلبها الموقف الذي تواجهه، ذلك لانها عندما تفرد الاجنحة (وهو الوضع العادي لطيرانها) تقلل من سرعتها وتزيد من قدرتها على حمل الحمولات الخارجية من وقود او ذخيرة جوية كما تقلل من استهلاكها للوقود ، وعندما تضم أجنحتها تزيد من سرعتها وقدرتها على المناورة في القتال الجوي ، ولذلك فان تصميمها على هذا النحو يوفر لها ميزة طائرة احراز التفوق الجوي ، وهناك طراز آخر منها يعرف بالميغ ــ ٢٣ ب به بعض التعديلات في التصميم يتيح لها القيام بدور المقاتلة الضاربة لقصف الاهداف الارضية .

وقد حلقت هذه الطائرة للمرة الاولى كنموذج تجريبي خلال عام ١٩٦٧ وبدأ انتاجها في اوائل عام ١٩٧١ ويعتقد انها دخلت الخدمة الفعلية بالسلاح الجوي السوفييتي في بداية عام ١٩٧٣ بكميات محدودة نسبيا . وهي تعد من طائرات الصف الاول في هذا السلاح .

« الميغ — ٢٥ » :

طائرة مقاتلة معترضة بمقعد واحد مزودة بمحركين نفاثين قوة كل منهما ١١٠٠٠ كلغ تقريبا في حالة استخدام الحراق الخلفي ، وتبلغ سرعتها القصوى التقريبية لفترة طيران قصيرة نحو ٣٣٨٠ كلم في الساعة (أي ٢،٢ ماك) وذلك على ارتفاع ١٢٠٠٠ متر ، وأقصى سرعة متصلة لها على الارتفاع المذكور تقدر بنحو ٢٨٦٥ كلم في الساعة (أي ٢،٧ ماك) ، اما سرعتها القصوى على ارتفاع ١٥٠٠ متر فقط فتقدر بنحو ١٥٧٠ كلم في الساعة (أي ١،٣ ماك) ، ويصل مداها القتالي العادي نحو ١١٢٥ كلم (أي بدون خزانات وقود اضافية وبتسليح عادي للقتال الاعتراضي) ، وتستغرق للارتفاع الى ١٠٩٧٠ متر مدة ٢،٥ دقيقة ، واقصى ارتفاع عملي لها هو ٢٤٣٨٥ مترا . ويقدر وزنها بحمولة عادية من الاسلحة الخاصة بالاعتراض الجوي نحو ٢٢٦٨٠ كلغ او ٢٤٩٥٠ كلغ .

ويعتقد ان الطائرة تسلح بأربعة صواريخ جو — جو ، ذلك لان هناك ٤ نقاط تعليق على الاجنحة لصواريخ جو — جو ولكن لا توجد معلومات عن نوع هذه الصواريخ ، كما يعتقد ان الطائرة مسلحة برشاشين عيار ٢٣ مم او ٣٠ مم موضوعان في فجوات الهواء بالجزء الامامي لمداخل الهواء على كلا الجناحين ، وفي حالة قيام الطائرة بمهام الاستطلاع توضع اجهزة التصوير في أماكن الرشاشات . وقد جاء في دراسة اسرائيلية نشرت عن « الميغ — ٢٥ » في مجلة « جيل خا أفير » ، أي سلاح الطيران ، في العدد ٨٦ الصادر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، ان هذه الطائرة تسلح بأربعة صواريخ جو — جو توجه بالرادار يصل مدى عملها الى ٦٥ كلم وانها تستطيع ان تحمل ٢٣٠٠ كلغ من القنابل او القذائف الصاروخية في حالة استخدامها للقصف الارضي ، وانها مزودة برادار بحث ومراقبة نيران مداه ٨٠ كلم ، وانها ذات كفاءة مثالية في القتال الاعتراضي على الارتفاعات التي تزيد عن ١٨٠٠٠ متر وبسرعة تبلغ ٢،٨ ماك .

تلك هي أبرز الخصائص التقنية لطائرتي « الميغ — ٢٣ » و « الميغ — ٢٥ » ويتضح منها ان كل من الطائرتين مهمتها الرئيسية هي الاعتراض الجوي واحراز التفوق في القتال ، وان دور القصف الارضي هو دور ثانوي ، كما ان قدرات الاستطلاع الجوي ليست هي الهدف الاساسي لطائرة « الميغ — ٢٥ » التي تعتبر مقاتلة معترضة مخصصة لمجابهة الطائرات التي تطير على ارتفاعات كبيرة وبسرعات عالية ، على حين ان « الميغ — ٢٣ » مخصصة لمجابهة الطائرات التي تطير على ارتفاعات متوسطة واكثر قدرة في الغالب على المناورة في مثل هذه الارتفاعات ، وبطبيعة الحال فان كل من الطائرتين تعدان من المقاتلات الثقيلة ذات المعدات الالكترونية الاكثر تعقيدا وتطورا من «الميغ — ٢١» التي تعتبر مقاتلة خفيفة ذات كفاءة مناورة عالية وقدرات قتالية ممتازة في ظروف معينة وضد الانواع العادية من الطائرات ، وينبع هذا من ان العقيدة التكتيكية السوفييتية لا تميل الى تصميم واستخدام طائرة تجمع كل القدرات من قتال اعتراضي ومطاردة وقصف ارضي واستطلاع كما سارت سياسة تصميم وانتاج الطائرات الامريكية في الخمسينات والستينات وكانت قمتها هي « الفانتوم » المعقدة التصميم المرتفعة التكلفة والتي أسفرت خبرات استخدامها الرئيسي في حرب فيتنام عن ثبوت عدم اقتصادية مثل هذا الاستخدام كما سنورد عند حديثنا عن الطائرة الفانتوم .

طائرة « فانتوم ف — ٤ أي » :

مقاتلة قاذفة معترضة بمقعدين صالحة للقتال في جميع الاجواء (مثلها مثل طائرات الميغ ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥) مزودة بمحركين نفاثين قوة الواحد منهما ٨١٢٠ كلغ مع حراق خلفي ، وتبلغ سرعتها القصوى بدون خزانات وقود اضافية ١٤٦٤ كلم (أي ٢،٢ ماك) في الساعة على ارتفاع ٣٠٥ أمتار ، اما على ارتفاع ١٢١٩٠ مترا فتبلغ أقصى سرعة لها ٢٤١٤ كلم في الساعة (أي ٢،٢٧ ماك) ، ويصل مدى عملها التكتيكي في القتال الاعتراضي ، الذي تتسلح فيه بأربع صواريخ جو — جو من طراز « سبارو ٣ » ، واربعة صواريخ جو — جو من طراز « سايد ويندر » ، الى ٢٢٥ كلم فقط لانها لا تحمل في هذه

الحالة أي خزان وقود اضافي ، أما في حالة حملها خزان اضافي سعة ٥٠٠ غالون فان مدى عملها المذكور يصل الى ٣١٥ كلم ، أما في حالة قيامها بمهمة قصف ارضي ، تحمل فيها ٤ قنابل زنة الواحدة ٤٥٠ كلغ واربعة صواريخ جو ـ جو و٣ خزانات وقود اضافي بها ١١١٦ غالونا ، وتطير خلالها على ارتفاعات عالية ومنخفضة وعالية فان مدى عملها يصل الى ١٠٥٦ كلم . ويبلغ وزنها عند الاقلاع وهي تحمل ٤ صواريخ «سبارو ٣» ٢١٥٠٠ كلغ ، وهي مسلحة بمدفع رشاش دوراني ذو ٦ مواسير عيار ٢٠ مم من طراز فولكان (الذي يبلغ معدل سرعة نيرانه ٦٠٠٠ طلقة في الدقيقة) وفي حالة قيامها بمهمة قتال اعتراضي يضم أقصى تسليح لها ٦ صواريخ « سبارو » أو ٤ صواريخ سبارو و ٤ صواريخ « سايد ويندر » ، أما اقصى حمولة لها من القنابل فتبلغ ٧٢٥٧ كلغ. وهي مزودة بعدد من الاجهزة الالكترونية المتطورة من رادارات وحاسبات الكترونية مختلفة تمكنها من القتال النهاري والليلي والقصف الجوي المحكم الخ ...

و « الفانتوم » هي أقصى تطور عملي وفعال بلغته طائرات جيل الستينات الامريكية القائمة على أساس صلاحيتها لكل المهام القتالية الدفاعية والهجومية ، ولكن خبرة حرب فيتنام اثبتت ان استخدام الطائرة المذكورة في مهام القتال الجوي هو أفضل استخدام يتلاءم مع قدرات الطائرة ، ذلك لانها في كل مرة كانت تقوم بمهام قصف جوي اضطرت لالقاء حمولتها من القنابل والخزانات الاضافية عند مهاجمتها بواسطة المقاتلات الفيتنامية من طراز « ميغ ـ ٢١ » (التي كثيرا ما كانت تقترب من تشكيلات الفانتوم لتجبرها على القاء حمولتها من القنابل ثم تفر منها ولا تشتبك معها في قتال جوي) ولذلك كانت مهام القصف الجوي الرئيسية يعهد بها في المراحل الاخيرة من الحرب المذكورة الى قاذفات القنابل « ب ـ ٥٢ » والقصف التكتيكي القريب كان يعهد به الى طائرات الهجوم « كورسير » على حين تقوم « الفانتوم » بالحراسة الجوية .

ومن الواضح ان « الميغ ـ ٢٣ » تتفوق على « الفانتوم » في السرعة القصوى على ارتفاع كبير (١٢ الف متر) اذ تبلغ سرعة الاولى ٢٤٤٦ كلم تقريبا والثانية ٢٤١٤ كلم ، مع ملاحظة ان « الميغ ـ ٢٣ » لها محرك واحد و « الفانتوم » لها محركين كما ان وزن «الميغ ـ ٢٣» أقل من وزن «الفانتوم» وكذلك مسطح جناحيها أصغر ، لذلك فان من المعتقد ان « الميغ ـ ٢٣ » ذات قدرات أفضل في المناورة عن « الفانتوم » . كما يبدو ان كلا الطائرتين على درجة متقاربة للغاية بالنسبة للمعدات الالكترونية ، تبقى للفانتوم ميزة واحدة متمثلة في زيادة نسبة تسلحها بالصواريخ جو ـ جو بالقياس للميغ ـ ٢٣ (الاولى تستطيع ان تحمل ٦ صواريخ « سبارو » والثانية تحمل ٤ صواريخ) ولكن ذلك التسلح الاكبر عددا سيكون على حساب انخفاض سرعة الطائرة نسبيا بالقياس لسرعة «الميغ ـ ٢٣» التي تحمل حمولة أخف . ونظرا لشعور المسؤولين في السلاح الجوي الامريكي بتفوق الميغ ـ ٢٣ ، او على الاقل فقدان الفانتوم لتفوقها السابق على « الميغ ـ ٢١ » في القتال الجوي ، فقد عمدوا الى تصميم وانتاج طائرة مقاتلة متعددة المهام هي « غرومان ف ـ ١٤ أ توم كات » .

الطائرة « ف ـ ١٤ أ توم كات » :

تعد « التوم كات » من أحدث طائرات جيل السبعينات الامريكية ، اذ طارت لاول مرة في ١٩٧٠/١٢/٢١ ودخلت الخدمة العملية بسلاح البحرية الامريكية في أواخر ١٩٧٣ ، ومن المتوقع ان تحل محل « الفانتوم » خلال السنوات القليلة القادمة ، وهي بديل أحدث وأدق تصميما من الطائرة « ف ١١١ » ذات الاجنحة المتحركة التي فشلت في فيتنام ، وهي وان كانت ذات قدرات في الدعم التكتيكي القريب الا انها اساسا طائرة تفوق جوي واعتراض للطائرات التي تهدد السفن بصواريخ جو ـ سطح بعيدة المدى ، ولذلك روعي في تصميمها ان تكون قادرة على حمل واطلاق ٦ صواريخ ثقيلة جو ـ جو من طراز « فونيكس » الذي يزن الواحد منها ٣٨٠ كلغ ويستطيع ، نظريا، اصابة هدف طائر يبعد نحو ١٢٦ كلم من الطائرة التي أطلقته ووجهته بالرادار . (قالت مصادر البحرية الامريكية انه أمكن لهذا الصاروخ ان يصيب هدفا كان يطير بسرعة ١٥٩٠ كلم ، أي ١٤٥ ماك ، من مسافة ١٠٠ كلم في احدى الاختبارات) كما يقال ان الطائرة تستطيع ، من الناحية النظرية ، ان تطلق الصواريخ الستة

دفعة واحدة على ٦ أهداف مختلفة . بيد ان هذه الميزة لا تزال بحاجة للتحقق منها والتأكد من صحتها ـ وقد روعي في تصميم الطائرات ان تكون ذات قدرة عالية على احراز التفوق الجوي في القتال القريب dog-fight الذي يعتمد على مناورات الالتفاف حول ذيل الطائرة المعادية ، وذلك على ضوء الدروس المستفادة من حرب فيتنام التي اثبتت خطورة الاعتماد المطلق على الاشتباك الجوي من بعيد بواسطة الصواريخ جو ـ جو (استطاعت الميغ ١٧ و ٢١ ان تسقط الفانتوم في مناورات القتال القريب بالرشاشات) ولهذا فان تسليح « التوم كات » يتضمن ، مثل الانواع الاخيرة من الفانتوم ، الرشاش « فولكان » عيار ٢٠ مم السداسي السبطانات . وقد اختبرت قدرة « التوم كات » في احراز التفوق الجوي خلال اسلوب الاشتباك القريب مع طائرة « فانتوم » اثناء مناورة تجريبية جرت في شباط (فبراير) ١٩٧٣ بدأت بوضع تتمتع فيه الفانتوم منذ البداية بميزة الطيران خلف التوم كات الا ان الاخيرة استطاعت بعد ١٥ ثانية أن تغير الموقف والتفت حول مؤخرة الفانتوم. و « التوم كات » مزودة بمحركين نفاثين قوة الواحد منهما ٩٣٤٤ كلغ مع حراق خلفي ولها مقعدان وأجنحتها متحركة، وتبلغ سرعتها القصوى التقريبية على ارتفاع سطح البحر (وهي تحمل ٤ صواريخ « سبارو ») ١٤٧٠ كلم (أي ١٤٢ ماك) ، وتصل سرعتها القصوى بدون خزانات وقود اضافي او صواريخ جو ـ جو الى ٢٤٨٦ كلم في الساعة وذلك على ارتفاع ١٢١٩٠ مترا (أي انها متقاربة في السرعة مع سرعة الميغ ـ ٢٣ التقديرية في هذه الحالة والتي تبلغ ٢٤٤٦ كلم/ساعة) ، ويبلغ مدى القتال التكتيكي لهذه الطائرة (وهي مسلحة بأربع صواريخ « سبارو » وبدون خزانات وقود اضافي ومع توفر دقيقتين للقتال الجوي على ارتفاع ٣٠٥٠ مترا) ٧٢٥ كلم (لاتتوفر معلومات عن مدى الميغ ٢٣ في هذه الحالة وانما يقدر مداها القتالي مع خزانات وقود اضافي بنحو ١١٢٦ كلم ، ولذلك نعتقد ان مدى الميغ ـ ٢٣ في الحالة السابقة متقارب مع مدى « التوم كات » على الاغلب) .

وتزن « التوم كات » عند اقلاعها لمهام قتال اعتراضي وهي مسلحة بأربعة صواريخ « سبارو » ٢٤٩٤٨ كلغ (على حين تزن الميغ ـ ٢٣ وهي مسلحة بصاروخين « اناب » ١٣٦٠٨ كلغ فقط) وتبلغ مساحة جناحي « التوم كات » ٥٢٫٥ مترمربع (على حين تقدر مساحة اجنحة الميغ ـ ٢٣ بنحو ٣٩٫١٠ متر مربع) واذا ما وضعنا في اعتبارنا قوة المحركات ووزن الطائرة ومساحة الاجنحة بالنسبة لكل من « التوم كات » و « الميغ ـ ٢٣ » فانه يبدو لنا ان الاخيرة ذات قدرات تقنية أفضل في المناورة . (وهذا هو شأن المقاتلات السوفييتية عامة) وتسلح « التوم كات » ، بالاضافة للرشاش فولكان ، بأربعة صواريخ « سبارو » و٤ صواريخ « سايد ويندر » (ذات المدى القصير) أو ٦ صواريخ « فونيكس » وصاروخين « سايد ويندر » في حالة القتال الاعتراضي . وفي حالة قيامها بمهام قصف جوي تسلح بـ ١٤ قنبلة مارك ٨٢ و٨ قنابل مارك ٨٣ او ٤ قنابل مارك ٨٤ . و « التوم كات » مجهزة بعديد من أجهزة الرادار للملاحة الليلية وتوجيه الصواريخ وضبط النيران ورادار انذار بالدخول في نطاق رادار معادي والتأهب لاخذ الموقف المناسب ، بالاضافة الى المعدات الالكترونية المعقدة الاخرى ، الامر الذي يرفع ثمنها الى أكثر من ١٧ مليون دولار (وتصل قيمتها مع قطع الغيار الى ٣٠ مليون دولار) .

وتقول المصادر الامريكية انها أجرت اختبارا عمليا اعترضت خلاله طائرة « توم كات » كانت تطير بسرعة ١٫٣ ماك نموذجا لطائرة «ميغ ـ ٢٥» كان يطير على ارتفاع ٢٥٠٠٠ متر بسرعة ٢٫٢ ماك واستطاعت ان تسقطه بصاروخ أطلق من مسافة ١٤٣٢٦ مترا (مجلة الطيران والبحرية الدولية عدد ٦ عام ١٩٧٤ ، صفحة ٧٠) ، وبطبيعة الحال فان هذه التجربة ، على فرض صحة بياناتها ، تؤكد قدرة « التوم كات » على التصدي « للميغ ـ ٢٥ » على ارتفاع كبير ، ولكنها لا تعني بالضرورة امكان ضمان تفوقها على الميغ ـ ٢٥ او الميغ ـ ٢٣ لان النماذج التي تطلق عليها الصواريخ مجرد نماذج صماء لا تملك قدرة المناورة او الرد على الطائرة التي تطلق عليها الصواريخ . ولهذا فنحن نعتقد ان « التوم كات » متقاربة القدرات مع « الميغ ـ ٢٣ » وخطورتها الاساسية هي في قدرة اسلحتها البعيدة المدى والكثرة النسبية لاسلحتها الصاروخية جو ـ جو عموما ، أما بالنسبة للميغ ـ ٢٥ فانه من الواضح انها متفوقة على « التوم كات » في

السرعة والارتفاع ، اما القدرة على المناورة فغير معروفة بوضوح ، خاصة وان الطائرتين متماثلتين تقريبا في الوزن (التوم كات تزن ٢٤٩٤٨ كلغ في القتال الاعتراضي وهي مسلحة بأربعة صواريخ «سبارو» و« الميغ ــ ٢٥ » تزن في هذه الحالة نحو ٢٤٩٥٠ كلغ على الاكثر) .

الطائرة « ف ــ ١٥ ايغل » :

صممت لمواجهة « الميغ ــ ٢٥ » اساسا وهي لا تزال في مرحلة الاختبار وانتجت منها ٢٠ طائرة فقط ، وهي مقاتلة بمقعد واحد لاحراز التفوق الجوي ، مزودة بمحركين نفاثين قوة الواحد ١٢٢٤٧ كلغ ، وتبلغ اقصى سرعة تقريبية لها لفترة طيران قصيرة ٢٦٥٥ كلم في الساعة (اي ٢٠٥ ماك) على ارتفاع ١٠٩٧٥ مترا ، واقصى سرعة مستمرة لها على هذا الارتفاع ٢٤٤٦ كلم/ساعة (اي ٢٠٣ ماك) ، أما على ارتفاع ٣٠٥ امتار فتقدر أقصى سرعة لها بنحو ١٤٧٠ كلم/ساعة (أي ١٤٢ ماك). وتزن عند اقلاعها في مهمة اعتراض جوي نحو ١٨١٤٤ كلغ وهي مسلحة بمدفع « فولكان » عيار ٢٠ مم وسيجري استبداله بمدفع من طراز « فيلكو ــ فورد » عيار ٢٥ مم ، الذي يستخدم طلقات ليس لها فوارغ ، بالاضافة لاربعة صواريخ « سبارو » وأربعة « ساید ويندر ». ويقال ان لها قدرة صعود عمودي بسرعة تفوق الصوت ، وانها تستطيع ان تزيد سرعتها في حالة الطيران من أقل من سرعة الصوت الى سرعة ١٫٥ ماك (أي ١٥٩٠ كلم) في مدة تقل عن دقيقة واحدة ، وينتظر ان تدخل خدمة السلاح الجوي الامريكي في ١٩٧٥ ومن المعتقد انها ستكون طائرة الصف الاول الامريكية في مجال طائرات التفوق الجوي حتى عام ١٩٨٥ ، وينوي السلاح الجوي الامريكي شراء ٧٢٩ طائرة منها في ميزانيات ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ .

ومن الواضح ان « الميغ ــ ٢٥ » تتفوق على « ف ــ ١٥ » في السرعة القصوى في جميع الحالات (الميغ ــ ٢٥ سرعتها القصوى لفترة قصيرة ٣٣٨٠ كلم مقابل ٢٦٥٥ كلم للايغل ، ٢٨٦٥ كلم في السرعة المتصلة مقابل ٢٤٤٦ كلم للايغل ، ١٥٧٠ كلم للسرعة على ارتفاع ١٥٠٠ متر مقابل ١٤٧٠ كلم على ارتفاع ٣٠٥ امتار للايغل) ، ومن الصعب معرفة الفروق في قدرات المناورة التكتيكية ، وان كان من الواضح ان وزن « الميغ ــ ٢٥ » يزيد عن وزن « الايغل » (٢٤٩٥٠ كلغ مقابل ١٨١٤٤ كلغ) . ويبدو ان تصميم كل من الطائرتين يختلف من حيث الغرض ، فالميغ ــ ٢٥ مقاتلة معترضة للاجواء العالية وطائرة استطلاع و « الايغل » مقاتلة تفوق جوي .

والخلاصة اننا نعتقد ان « الميغ ــ ٢٣ » تفوق في قدراتها الاعتراضية « الفانتوم » ويمكنها ان تواجه تحدي «التوم كات» (وان كان ذلك يتطلب على الاغلب درجة أكبر من المهارة المطلوبة في حالة التصدي للفانتوم) الا انها أقل قدرة على مواجهة « الايغل » وان كان هذا لا يعني انها ستكون عاجزة امامها ، وعموما فان نتائج المعارك الجوية لا تتوقف فقط على القدرات التقنية والتكتيكية للطائرات المتجابهة ، وانما تعتمد في جوهرها على كفاءة التدريب الفردي والجماعي والتنظيم القتالي الذي تجري به المعركة وكفاءة محطات المتابعة الارضية وشجاعة الطيارين وقدرة قيادتهم .

محمود عزمي

[٢]

ردود الفعل الاردنية تجاه بيان مؤتمر القاهرة الثلاثي

[١]

بقدر ما تعود سياسات الحكم الاردني الفلسطينية عليه بدعم مادي وسياسي من قبل الامبريالية ، قادته هذه السياسات طوال فترة السنوات الماضية ، الى قطيعة عربية شاملة على المستوى الشعبي وجزئية على المستوى الرسمي . وباعتبار ان مصر اولا وسوريه ثانيا ، هما مفتاح علاقات الاردن العربية ، فانه يمكن القول بأن الحكم الاردني عاش طوال فترة ما بعد مجازر الاحراج والاغوار عام ١٩٧١ ، ضمن دائرة شبه كاملة من القطيعة العربية . ولم تشهد علاقاته أي تحسن ملموس الا في أعقاب مؤتمر القمة الثلاثي الذي عقد في القاهرة عشية حرب تشرين الاول. غير ان احجام الحكم الاردني عن المساهمة الجدية في الحرب ، قطع أيام الانفراج المحدودة في علاقاته العربية ، واعاده مرة اخرى الى اجواء العزلة الحقيقية . وكان شاهدا على ذلك الفوز السياسي الكبير الذي حققته منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر قمة الجزائر ، وردود الفعل والمواقف الانفعالية التي صدرت في عمان ، ازاء اصدار مؤتمر القمة قراره باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

وفي فترة لاحقة استطاع الحكم الاردني ان يتجاوز جزئيا نطاق عزلته العربية ، من خلال الاجتماع الذي عقده الملك حسين والرئيس السادات بالاسكندرية في شهر تموز (يوليه) الماضي ، والذي صدر بنتيجته البيان الشهير ، حيث يتم بموجبه تقسيم تمثيل الشعب الفلسطيني بين المنظمة والحكم الاردني .

بصدور بيان الاسكندرية ذلك ، اكتسب النظام الاردني تغطية عربية خولته السعي بدأب لتحقيق فك الارتباط على الجبهة الاردنية ، غير انه لم يتمكن ، لاسباب متعددة ، من تحقيق غايته هذه .

من ناحية اخرى بذلت منظمة التحرير الفلسطينية من جانبها جهودا سياسية متواصلة ، على الصعيدين العربي والدولي ، لتعديل الموقف المصري من مسألة التمثيل الفلسطيني ، واستطاعت المنظمة تحقيق ذلك مؤخرا في الاجتماع الثلاثي ، الذي عقد في القاهرة في ٢٠ و٢١ ايلول (سبتمبر) الماضي ، وحضره وزيرا خارجية كل من مصر وسوريا ورئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية .

ردود الفعل الرسمية

ازاء صدور بيان القاهرة الثلث الاطراف ، شهدت العاصمة الاردنية ردود فعل عنيفة ، عبرت عن نفسها بمجموعة من المواقف الرسمية وشبه الرسمية . ودخل الحكم بنتيجة ذلك مرة اخرى في اجواء العزلة الرسمية العربية .

في اليوم التالي على صدور بيان القاهرة ، جاءت ردة الفعل الاردنية ، عبر بيان حكومي مسهب ومليء بالمرارة ، يعلن عن اتخاذ الحكم الاردني لقرار تجميد نشاطاته السياسية وتحركاته المنبثقة عن قبوله مؤتمر جنيف وقراري مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ . فبعد ان أعلن البيان قرار الحكومة الاردنية ذلك ، ذكر ان الملك حسين أبلغ قرار تجميد تحركه هذا ، الى سفيري الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وان « قرار التجميد يأتي كخطوة مرحلية حتى يتم لقاء القمة العربي المقبل المقرر عقده في المملكة المغربية » . واعتبر البيان ان ما تضمنه بيان القاهرة « قرارات خطيرة لا يملك ازاءها الا ان يتخذ موقفه المذكور » . واضاف ان الاردن ينتظر انعقاد القمة العربية « ليقرر مسبقا ان تبني المؤتمر للبيان المذكور سيعني اعفاءه من كل مسؤولية سياسية وعلاقة مباشرة خاصة بالقضية » . وحمل البيان بعد ذلك « هذا القرار ونتائجه والتبعات المترتبة عليه مجموع الدول العربية الشقيقة كافة » . وفي الختام ذكّر البيان بموقف الاردن « النضالي » الذي ظل يصر على ضرورة استعادة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وعودة السيادة العربية على القدس ، « ومن ثم تمكين الشعب الفلسطيني وتحت اشراف دولي محايد من ممارسة حقه الكامل في تقرير مصيره ». (جريدة **الرأي** الاردنية ، ١٩٧٤/٩/٢٣) .

ومن الجدير بالذكر ان وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام كان قد وصل الى عمان يوم صدور

البيان الثلاثي في ١٩٧٤/٩/٢٢ . واثر مغادرته لعمان في اليوم نفسه ، اصدرت الحكومة الاردنية بيانا آخر اعتذرت فيه عن قبول الدعوة التي حملها خدام لحضور « مؤتمر تنسيق رباعي يضم كلا من مصر وسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية». وجاء في بيان الحكومة الاردنية ، ان هذا الرفض يأتي نتيجة « للظروف التي نشـأت عما سمي بمؤتمر التنسيق الثلاثي ... والبيان المشـترك الصادر عنه » (**الرأي** ، المصدر نفسه) .

لم تتوقف ردود الفعل الاردنية عند هذين البيانين الرسميين ، فتوالت ردود شبه رسمية من مختلف المؤسسات الرسمية ، وأبرزها مجلسي « الاعيان والنواب » . فقد ذكرت جريدة الراي شبه الرسمية ان مجلس النواب الاردني سيعقد قبل ظهر يوم ٩/٢٤ اجتماعا « غير عادي » بدعوة من رئيسه كامل عريقات . وقالت انه سيتم في هذا الاجتماع « استعراض التطورات الاخيرة التي نشأت في أعقاب المقررات التي تضمنها البيان الذي صدر عن مؤتمر التنسيق الثلاثي ... وقرار الحكومة الاردنية بتجميد نشاطاتها وتحركاتها السياسية المتعلقة بمؤتمر جنيف وقراري مجلس الامن ردا على المقررات المذكورة. واضافت « الرأي » انه في اليوم السابق — ٩/٢٣ — كان عدد من الاعيان والنواب قد عقدوا اجتماعا تدارسوا خلاله النتـائج التي « ستترتب على مقررات مؤتمر التنسيق المذكور ورد الحكومة الاردنية على هذه القرارات » . وذكرت الصحيفة ان الدكتور سامي جوده عضو مجـلس « النواب » عن لواء رام الله ، قد بعث ببرقية الى الملك حسين « أعرب فيها عـن استنكاره لقرارات القاهرة التي جاءت للتفريق وطعنة في ظهر كل عربي في ضفتي المملكة ». ونقلت على لسانه انه قد أعرب عن «تأييده لمواقف الحسين وسياساته المعلنة » ، وعن « استنكاره للاساليب التي أذيعت في اجتماع القاهرة لابعاد الاردن عن المسرح السياسي وحرمان أصحاب الحق الشرعي والدولي من الدفاع عن جزء لا يتجزأ من المملكة بضفتيها اللتين يجمعهما الهدف الواحد والمصلحة الواحدة بدستور نموذجي عال » . وأكد في برقيته للملك ان الفلسطينيين « المتواجدين في الاردن لا يقبلون غير جلالة الحسين ممثلا لقضيتهم والدفاع عنها في جميع المحـافل الدولية والعربية ، قناعة وايمانا منهم وعن تجربة بمواقف الحسين » (**الرأي** ، ١٩٧٤/٩/٢٤).

الى جانب ذلك أصدر من يسمون أنفسهم بنواب الضفة الغربية بيانا آخر جاء فيه وصف لبيان الاسكندرية الذي صدر عن اجتماع السادات — حسين ، بانه كان قد « وضع الامور في نصابها » ، الا ان بيان القاهرة الثلاثي « عاد فاتبع الاساليب المألوفة في رفع الشعارات والابتعاد عن الحقيقة والجوهر والمضمون » . وبالنظر لما تضمنه بيان القاهرة الثلاثي من « خطر » ، فقد توجه نواب الضفة الى الامة العربية مهيبين بها ان « تتدارك الاخطاء » . وبعد ذلك أعلنوا وقوفهم وراء الملك ومساندتهم لحكومته . (جريدة **الدستور** الاردنية ، ١٩٧٤/٩/٢٥) .

ومرة اخرى لم تتوقف ردود الفعل الاردنية ذات الطابع الانفعالي عند هذه الحدود . اذ قرر مجلس « النواب » الاردني في قرار دراماتيكي آخر ، الغاء سفر وفده الى مؤتمر البرلمانيين الذي كان من المقرر عقده في العاصمة اليابانية في ذلك التاريخ ، وذلك « نتيجة للبيان الثلاثي » كما ذكر كامل عريقات في برقيته الى رئيس الحكومة ، والمتضمنة نص القرار ذلك . (**الرأي** ، ١٩٧٤/٩/٢٥) .

بعد ذلك ، اخذت الصحف الاردنية من جانبها ، تعبر من خلال اخبارها وتعليقاتها الرئيسية عـن ردود الفعل الحقيقية للنظام . فذكرت جريدة اللواء الاسبوعية ، فيما بدا انه خبر للتهويش وجس النبض ، ان اتصالات مكثفة تجري في « هـذه » الايام بين عدد من الشخصيات الفلسطينية ، تمهيدا لاتخاذ خطوات هامة ردا على بيان القاهرة الثلاثي. واضافت أن عددا من « شخصيات » الضفة الغربية سيتوافدون خلال الايام المقبـلة عـلى عمان ، « وستتم خطوات تمهيدية لعقد اجتماع شـعبي كبير في عمان يضم ابناء الضفتين من المملكة للبحث في ابعاد بيان المؤتمر الثلاثي » . وقالت الصحيفة نقلا عما أسمته مصادر حسنة الاطلاع ، ان عددا من الشخصيات الفلسطينية المقيمة في البلاد العربية « **استدعي** للمشاركة في هذا الاجتماع وخاصـة الشخصيات التي تقيم في بيروت ودمشق ومصر » . وذكرت « اللواء » كذلك ان الشخصيات الفلسطينية المقيمة في الضفة الغربية، « تجري حاليا مشاورات موسعة لاصدار بيان تمهيدي يتعلق ببيان المؤتمر الثلاثي التنسيقي ، وسيكون هذا البيان مـن

الخطوات التمهيدية للاجتماع الشعبي الذي سيتم عقده في عمان في وقت قريب » (جريدة **اللـــواء** الاردنية ١٩٧٤/٩/٢٥) .

وفي نبأ آخر ذكرت « اللواء » ان الجهـــات المسؤولة في الحكم الاردني « تدرس بعناية فائقة الموقف الذي يجب ان يتخذه الاردن » ازاء الزيارة المقررة لوزير الخارجية الاميركي للمنطقة في ١٠/٩/ ١٩٧٤ . وقالت ان « البعض يرى عدم تشجيع مثل هذه الزيارة انطلاقا من قرار تجميد جميع نشاطات الاردن المتعلقة بالتسوية السلمية ... في حين يرى البعض الاخر ان تجميد النشاطات لا يعني الانعزال ، وبالتالي فان زيارة كيسنجر للاردن تتيح للمسؤولين التعرف على ما قد يطرأ من تطورات على مدائن كل من تل ابيب والقاهرة ودمشـــق » (**اللواء** ، المصدر نفسه) .

ردود الفعل الصحافية

بالنظر الى السيطرة الحكومية على الصـــحف الاردنية ، فان رصد ومتابعة ما جاء فيها حول البيان الثلاثي ، يعتبر ملاحقة لتفاصيل المـــوقف الاردني ، وتسجيلا لخلجات وانفعالات الرسميين ، على مختلف نزعاتهم .

فقد وصفت جريدة الرأي اليومية شبه الرسمية بيان القاهرة الثلاثي ، بأنه موجه « لنسف القاعدة التي يتحرك الاردن منها» ، وجعل التحرك السياسي هذا « غير ذي موضوع » . (**الرأي** ، ٢٣/٩/ ١٩٧٤) . أما صحيفة الدستور فقد قالت ان البيان الثلاثي « نقض مجموعة من الاتفاقات السابقة » وانه قد « أخرج الاردن فعلا من اطار المبـــادرة السياسية ولم يترك له دورا يمارسه » . وطالبت الدول العربية بالسعي لايجاد « حل وسط يحقق جميع المصالح للفرقاء » . (**الدستور** ، ٢٣/٩/ ١٩٧٤) .

في اليوم التالي ، وبعد ان فرغت صحيفتا الاردن اليوميتان الرئيسيتان من شرح الخطوة الاردنية ازاء بيان القاهرة ، انبرت للرد على ما جاء من نقد لخطوة الاردن تلك في صحيفة الاهرام القاهرية . فقالت « الرأي » تحت عنوان « اعلام ما قبـــل ١٩٦٧ » ، ان صحيفة الاهرام « أخذت في التراجع الى الاسلوب الاعلامي السابق » على حرب تشرين الاول ، ثم أبدت تعجبها من « دهشة » الاهرام للخطوة الاردنية وقالت : ان الذي يثير الدهشة هو « عملية الزوغان » من بيان الاسكندرية « قبل ان يجف مداده » . وقالت ايضا ان الاهرام قـــد تعلم شيئا عن تلك « الاتفاقية الخاصة التي تتعلق بالتفصيلات » والموقعة بين زيد الرفاعي واسماعيل فهمي ، وان « مضمون هذه الاتفاقية سيكشف في الوقت المناسب حين يفرض على الاردن هـــذا الكشف » (**الرأي** ، ١٩٧٤/٩/٢٤). أما صحيفة الدستور فقد أبدت أسفها لسلسلة « المغالطـــات والتشويه » التي وقعت فيها الاهرام وهي تناقش الخطوة الاردنية . وتساءلت : كيف يمكن قبـــول بيان القاهرة الثلاثي وقد « نسف الاتفاق الاردني ـــ المصري » وجرد الاردن من « كافة المسؤوليات » ؟. وذكرت « الدستور » كذلك ، ان البيان الثلاثي يشكل تراجعا عن « الاتفاق السري » الذي اشارت اليه جريدة الرأي . (**الدستور** ، ١٩٧٤/٩/٢٤).

ومن الملاحظ ان تعليقات الصحيفتين الاردنيتين الرئيسيتين ، قد تناولت في يومين متتاليين ـــ كل على حدة ـــ شرح الخطوة الاردنية ازاء البيان الثلاثي ، والتهويل بالخطر الناجم عن ذلك ، ثم استنكارها لما ورد في بيان القاهرة وما اعتبر نسفا لقاعدة الموقف السياســـي الاردني . ثم تناولت الصحيفتان في اليوم التالي موقف الاهرام الانتقادي من تجميد الاردن لتحركه السياسي ، وذكرتا باعلام ما قبل حرب تشرين ، وأصرتا على وجود اتفـــاق سري بين مصر والاردن ، وان بيان القـــاهرة قد تجاوز ذلك .

ومن الملاحظ كذلك ، توقف الحملة الرسمية والصحافية الاردنية حول بيان القاهرة بعد يومين من بدئها . وهي أمور كلها تشير الى رغبة رسمية أردنية في عدم قطع الحوار مع القاهرة ، تحسبا من خطورة أجواء العزلة والقطيعة العربية الخانقة. وحتى عندما عادت « الرأي » الى التعليق على خطاب الرئيس السادات الذي ألقاه في الذكرى الرابعة لوفاة الرئيس الراحل عبد الناصر، خصت بالتركيز ما جاء في خطاب السادات حول التضامن العربي . وقالت ان عبد الناصر ضحى بحياته من أجل الوحدة العربية ، « وكانت آخر وصية له هي التشديد على توحيد الجهد العربي » لمواجهة العدو . واضافت : لعل الرئيس السادات ، وهو رئيس الدولة المعنية بأزمة المنطقة « يدرك الاهمية

الخاصة لضرورة التضامن العربي وتوحيد جهود الامة العربية في صف واحد لمواجهة متطلبات المرحلة القادمة بوعي ووضوح تامين ، وضمان التنسيق الكامل بين الاطراف العربية تجاه سائر القضايا ، وعلى الصعيدين الدولي والقومي » . وتابعت الصحيفة الاردنية تركيزها على الجانب الوحدوي من خطاب السادات قائلة : « ولم تكن اشادة السادات الصريحة بمواقف الاشقاء العرب الذين هبوا في حرب تشرين ، ومدوا يد العون بالرجال والمال ودفعوا بها الى ساحات المعارك ، وكذلك استعمال سلاح النفط بحكمة من قبل الدول المنتجة له ... وليس هذا الا دلالات واضحة على ما لتوحيد جهود الامة من اثر في المعركة ودور في احراز النصر » . وانتقلت « الرأي » الى موضوع آخر من خطاب السادات ، وهو موضوع تحرير الارض، وأهملت ما جاء فيه عن عودة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، فقالت ان موضوع تحرير الارض يتقدم على سائر المواضيع « وليس هناك ما هو أكثر أهمية من هذا الموضوع » ، وتقصد بذلك موضوع التمثيل الفلسطيني . وختمت « الرأي » تعليقها على خطاب السادات بالقول : « ان هدف أمتنا في هذه المرحلة هو تحرير الارض وتأمين انسحاب اسرائيل عن جميع الاراضي العربية المحتلة .. وان كل جهد يجب ان يكرس في هذا الاتجاه ومن أجل تحقيق هذه الغاية » . ونسيت صحيفة الحكم الاردني شبه الرسمية ان عودة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، الى جانب تحرير الارض ، هما الهدفان المعلنان لحرب تشرين، وان الامة العربية قد قاتلت من أجل تحقيق هذين الهدفين المعلنين ، بينما تخلف الحكم الاردني عن المشاركة من أجل ذلك. أما وصفها لموضوع التمثيل الفلسطيني بأنه يثير « نقاشا » و « خلافا » بين الاشقاء وبالتالي يجب ان يؤجل « الى مراحل قادمة » ، فليس ذلك الامن قبيل وضع اليد على الارض الفلسطينية ، وبالتالي اعادة مصادرة الحقوق الوطنية الشرعية للشعب الفلسطيني .

[ب]

بقي الحكم الاردني على موقفه المعلن ، غداة صدور البيان الثلاثي المشترك ، وحتى عشية انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط ، حيث اعاد الحكم طرح كافة مفاهيمه السابقة حول «حقه» في تمثيل جانب من الشعب الفلسطيني ، و «حقه» في التفاوض على الضفة الغربية ... الخ .

ظل هذا الطرح قائما داخل مؤتمر الرباط من قبل الوفد الاردني الى المؤتمر ، ومن خلال كافة وسائل الاعلام الاردنية خارج المؤتمر . ونورد هنا جزءا من الخطاب الذي القاه الملك حسين في اجتماعات قمة الرباط ، للدلالة على مدى تعلق الحكم الاردني بطرحه السابق وتشبثه بموقعه التفاوضي على مستقبل الضفة الغربية . فقد قال: لا نستطيع « التسليم بان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جموع الفلسطينيين الذين تواجدوا في المملكة الاردنية الهاشمية واصبحوا من مواطني الدولة وجزءا كبيرا من شعبها في الضفتين وحملوا جنسيتها واندمجوا اندماجا عضويا في كل مناحي الحياة ودوائرها وميادينها ومؤسساتها . لا نستطيع ان نقبل ان حكومة هؤلاء المواطنين لا تمثلهم ولا تنطق باسمهم ولا تتولى قضيتهم ولا تتبنى امالهم وامانيهم ، وانما تقوم بكل ذلك ومن فوق سلطة الدولة وحقها ، منظمة التحرير الفلسطينية ... اننا نريد ان نسأل عن الدوافع والاسباب التي اوجدت فكرة ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني؟... وما هي الغاية من طرح هذه الصيغة خصوصا بعد ان اعترف الاردن مع غيره من الاشقاء بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني ولكن ليس الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ! » . واضاف الملك ما اعتبر بيت القصيد في خطابه : « لئن كان الاخوة العرب في هذا المؤتمر العالمي يرون ان المملكة الاردنية الهاشمية ليست لها صفة شرعية التكلم باسم الفلسطينيين الذين يعيشون في كنفها ويحملون جنسيتها والذين أصبحوا جزءا من مؤسساتها ، ولا الدفاع عن حق هذا الشعب ولا مسؤولية العمل لاستعادة ارضه المغتصبة ورفع الاحتلال عنه وازالة العدوان . واذا كانوا يرون

ان هذه الصفة الشرعية منحصرة في منظمة التحرير الفلسطينية وحدها ، فانني باسم المملكة الاردنية الهاشمية احملهم وحدهم مسؤولية رأيهم وقرارهم وكل النتائج المترتبة عليه ، واعتبره اعفاء لنا من مسؤولياتنا السياسية الاساسية الراهنة ، ونترك الحكم على هذا القرار ان صدر للتاريخ ... عندها ايها الاخوة يصبح من المحتم علينا ان ننسحب من الاشتراك بمؤتمر جنيف ومن كل عمل او نشاط دبلوماسي او دولي دخلنا فيه » (صحيفتا الرأي والاقصى الاردنيتان ١٩٧٤/١٠/٣٠) .

ولدى صدور قرارات قمة الرباط على عكس ما اشتهى وعمل النظام الاردني ، كان اول رد فعل رسمي له ، وضع تهديداته موضع التنفيذ ، حيث صرح « مصدر اردني مسؤول » في الوفد الاردني بالرباط بان الاردن « لن يشترك في محادثات جنيف القادمة الخاصة بالشرق الاوسط بعد ان نقل مؤتمر القمة العربي مسؤولية الضفة الغربية الى منظمة التحرير الفلسطينية بعد تحريرها » (الرأي ٣٠/١٠/١٩٧٤) .

أعذر من انذر

ان الحجة التي ارتكز عليها الحكم الاردني في مطالباته بالتفاوض على مستقبل الضفة الغربية ، هو ان اسرائيل لن تتنازل عن الضفة لصالح منظمة التحرير ، وبالتالي فان توصية مؤتمر الرباط حول التمثيل الفلسطيني سوف تكون عقبة حقيقية في وجه استعادة الارض .

كان هذا هو فحوى المناقشات الاردنية خلال جلسات قمة الرباط ، وكان هذا ايضا هو ملخص ما حملته الصحف الاردنية من تعليقات وافتتاحيات حول قرارات المؤتمر . واوضحت الصحف هذه في سائر تعليقاتها ان الموقف الاردني في مؤتمر الرباط جاء حرصا على وحدة التضامن والصف العربي وليس عن قناعة بحق منظمة التحرير الفلسطينية بتمثيل الشعب الفلسطيني كطرف وحيد . فقالت صحيفة الرأي في افتتاحيتها الرئيسية الصادرة غداة صدور قرارات قمة الرباط ، ان الملك حسين عرض « ما يؤمن بانه الحق ، وانه العدل ، وانه الصحيح ، وترك اتخاذ القرار الى الاشقاء العرب ليقولوا ما يرون وما يشاؤون ... وسيبقى الحكم — كما قال الحسين نفسه — للتاريخ والاجيال » (الرأي ٣٠/١٠/٧٤) .

ورددت صحيفة الاقصى عبارة « الحكم للتاريخ وحده » عبر افتتاحيتها الرئيسية التي ذكرت فيها ان الملك حسين بسط امام مؤتمر الملوك والرؤساء المشاكل « ووضع لها الحلول المناسبة ونصح باتباع الطرق المثلى والموصلة الى الاهداف التي يسعى العرب لتحقيقها ، والتي يفوتون فيها ان سلكوها الفرص على الاعداء ويحولون دون تمكينهم من تحقيق مكاسب جديدة على حساب الخلافات العربية » (الاقصى ٣٠/١٠/٧٤) .

وعادت « الرأي » في اليوم التالي مكررة التحذير من نتيجة قرارات قمة الرباط بقولها : « ونحن لا نحب ان نناقش قرارات القادة العرب ، فالتاريخ وحده هو الحكم الفصل عن مكانها من الخطأ او الصواب ، ولكننا نحب ان نقرر حقيقة تاريخية لا يخالفنا فيها احد ، وهي ان وحدة اي شعب او انفراط صفه لا يكون بالقرارات وانما يكون بارادة افراد هذا الشعب الذي له ان يثبت هذه الوحدة او يرضى بالانفصال » . وختمت الصحيفة شبه الرسمية تعليقها بمرارة واضحة : بالرجاء ان « لا يكتب التاريخ على قادتنا ان اجماعهم لم يتم الا على فصم وحدتنا ! انها لحظات تهز المشاعر ، وتلون الرؤيا بضباب الدمع ، غير انه مما يهدهد النفس ان الحسين الذي لم يتخلف يوما عن الوفاء بالوعد ، قد اعطى العهد ان يبقى كما كان دائما ، معنا ، ولنا ، هنا (الضفة الشرقية) ، وهناك (الضفة الغربية) ، في سويداء القلب واعماق الضمير » (الرأي ٣١/١٠/٧٤) .

اما صحيفة اللواء الاسبوعية فقد استفاضت من جانبها بالتعبير عن مشاعر عدم الارتياح لقرارات قمة الرباط ، وبرزت بين سواها من الصحف الاردنية بالتشكيك بجدوى قرارات المؤتمر وبحكمتها. فتحت عنوان « غياب العقل » نشرت تعليقا وضعته بامضاء « مصدر فلسطيني كبير » اوردت فيه اشد عبارات النقد والامتعاض لقرارات الرباط قائلة : « ان غياب العقل عن معالجة هذه القضية ، سيعرضها لكارثة افدح من كارثة ١٩٤٨ ونزوح مليون ونصف المليون لاجيء الى خارج وطنهم » واضافت الصحيفة : « ان حملة المزايدات الكلامية وغياب المنطق في النكبة الاولى ، التي

حولها غباء السياسيين الى مادة دسمة لاطلاق تصريحاتهم وخطبهم من فوق المنابر في الوقت الذي كان فيه اصحاب الارض يكتوون بنار الاحتلال والتشرد » . واضافت ان « المقارنة بين الوضع قبل نكبة ٤٨ وما يحدث الان ، نلمس بوضوح ان المزايدات السياسية واللعب بالعواطف لا زالت تتحكم بمن ولتهم الامة مقاديرها » . وأضافت الصحيفة على لسان « المصدر الفلسطيني الكبير »، ان الذين « يحاولون تقرير مصير الوحدة في الاردن لا يعلمون شيئا عن مدى الاندماج والتلاحم بين ضفتي البلاد منذ النكبة الاولى » . وحذرت من الخطوات التي تستتبع قرارات الرباط — وهي مما اقدم عليها الحكم فيما بعد — بقولها : « ان عملية الفصل تعني اعادة النظر في جميع مؤسسات البلاد بما فيها الجيش والامن والادارة المدنية على جميع المستويات » . ووصفت نتيجة ذلك — أي طرد العاملين الفلسطينيين في الدولة من وظائفهم واعمالهم — بـ « كارثة تهون امامها كل ما لحقنا من كوارث » . واختتمت اللواء تعليقها باستنكار المصدر الفلسطيني « الكبير » ، ان يكون « قيام كيان فلسطيني هو الحل للقضية » ، ووصفت قيامه بنكبة للشعب الفلسطيني « فاقت كل نكباته الاخرى» (جريدة اللواء الاسبوعية ٧٤/١٠/٣٠) .

« مبروك » ووداعا أيها الفلسطينيون

على عكس ما كتبته « اللواء » تحت امضاء « مصدر فلسطيني كبير »، نشرت على صدر صفحتها الاولى تعليقين آخرين، الاول تحت عنوان «مبروك»، والثاني تحت عنوان « رسالة وداع » ، رحبت من خلالهما مع التحفظ بقرارات قمة الرباط . ففي تعليقها الاول قالت الصحيفة : « من أعماق قلوبنا، نقولها لاهلنا واخواننا الفلسطينيين : مبروك وألف مبروك . فقد حقق لهم العرب احدى الاماني القومية المشروعة : بأن يكون لهم وطن وأرض ، مثلهم مثل أي شعب آخر على وجه الارض . ومن الاعماق نقول لهم ألف مبروك ، اذ آن الاوان ، لان يجلس المجارب ، ليمسح على جروحه ، وينظر في حساب الربح والخسارة » . وبعد اعتراف الصحيفة بصحة تطلع الفلسطينيين الى وطنهم وكيانهم الخاص بهم، وبعد اعترافها بتضحيات الفلسطينيين من أجل ذلك، تحفزت على الفور لتسجل باسم التاريخ « لبعض قادة وزعماء العرب صفحات تروي قصة أقذر مؤامرة ، على أقدس وحدة يمكن ان تقوم بين أبناء الشعب العربي الواحد » . وأضافت الصحيفة ذات النزعة الاقليمية الواضحة ، واصفة قرارات الرباط بأنها « أكبر جريمة وأعظم خيانة في التاريخ العربي، لانهم (الحكام العرب) ، في الوقت الذي يتشدقون فيه ويتباكون على الوحدة العربية، أقدموا بأعصاب باردة ، وخبث لا مثيل له في تاريخنا ، على اغتيال النموذج الوحدوي الوحيد واليتيم » . وتابعت الصحيفة « تبريكاتها » للشعب الفلسطيني ، مشددة على نهجها الاقليمي الواضح بقولها : « فالواجب القومي يحتم عليهم (الفلسطينيين) ان يحملوا أمتعتهم وان يتوجهوا الى وطنهم وبيوتهم وترابهم في الضفة الغربية » ، وذلك حتى لا تكون النتيجة « شعب بلا قادة وأرض محتلة بدون رجال [!] » (اللواء ١٩٧٤/١٠/٣٠) .

وتحت عنوان « رسالة وداع » كتب مدير التحرير في الجريدة يقول : « واخيرا وقع المحذور ووقفت كل الاقلام عاجزة عن ان تخط كلمة الوداع الذي لم نرده ولكن الاقدار أرادت ما لم نرد ». وجاء في رسالة الوداع المفتوحة حديثا مباشرا للفلسطينيين قال فيه الكاتب : « وانتم تحزمون أمتعتكم للعودة الى بيتكم الذي لم يزل بعد في خيالات من تولوا قيادتكم ، نهمس في اذنكم ... ان الاذرع التي احتضنتكم ستظل مفتوحة لكم رغم كل ما فيها من جراح » . ثم يهمس همسة اخرى تنم عن روح عنصرية متأججة ، حين يقول : « في وداعنا لكم نهمس في آذانكم بأننا لسنا بني أمية فلا تكونوا بني العباس ، فلنا عندكم قبور كثيرة فلا تنبشوها [!] لانها قبور الاطهار من أبنائنا الذين دفعتهم عقيدتهم وحبهم لكم ليرووا أرض بلدكم بدمائهم الزكية لانهم يؤمنون أبدا انها بلدهم وان النهر الخالد سيظل دائما اقوى من دول الكرنتينة التي تحاول ان تحكمكم » . ويخلص من كل ذلك الى القول : « ونحن لنا عندكم حساب فلا تغضبوا منا اذا تحاسبنا ليصل كل منا الى حقه . فنصف كيان دولتنا عندكم ونصف ميزانيتنا بين ايديكم ومعظمكم في أجهزة مؤسساتنا ... ولقد انتهى المشوار معنا ». وجاء في ختام رسالة الوداع التمنية : « ستظل نرحب دائما بكل المطرودين من أرضهم الباحثين عن جنسية تعجز منظمتهم عن منحها لهم » (اللواء ١٩٧٤/١٠/٣٠) .

وعادت « اللواء » في عددها الاسبوعي التالي تكتب تحت عنوان « الاحتجاج الصامت » افتتاحية بقلم مدير التحرير نفسه ، يقول فيها : « ان القرار الاخير الذي اتخذه مؤتمر القمة صنع مأساة انسانية لا يدركها الا الذين يعيشون في هذا البلد ... ان المواطنين هنا (في الاردن) شجبوا محاولة الفصم بأسلوب أبلغ من التصريحات والاحتجاجات » وتبرر الصحيفة عدم بروز حالات الاحتجاج تلك الى « الخوف والانتهازية » . الا انها تطالب بأن يعلن الناس « استنكارهم وخاصة اولئك الذين تصدروا الواجهة السياسية » (اللواء ١٩٧٤/١١/٦) . وتحت عنوان آخر جاء في اللواء تساؤل حول « عين الحكمة » في قرار مؤتمر الرباط . ثم رددت ما جاء في خطاب الملك حسين وتصريحاته من ان « الزمن وحده كفيل باظهار الحقائق » . وما قاله ايضا في مناسبة اخرى : « نحن لسنا شعبين . اننا شعب واحد » (اللواء ١٩٧٤/١١/٦) .

ع.ش

[٣]

الرئيس فورد والنزاع العربي ــ الاسرائيلي

مع تغيير الحكومة في واشنطن يحسن بنا ان نقوم بعملية جرد لمصالح اسرائيل في الولايات المتحدة .

لقد كان الرئيس فورد منذ عهد بعيد نصيرا متحمسا وصريحا لما يسمى « بحق اسرائيل في الوجود الآمن »(١). ومعنى هذا ان لاسرائيل الحق في التوسع ارضيا ، ولم يكن موقف فورد من اسرائيل يعود بصورة رئيسية الى أصوات اليهود أو أموال اليهود او تأثير اليهود على وسائل الاعلام ، بل ان شعوره نحو اليهود ينشأ من شعور عميق الجذور لليهود بوصفهم « شعبا تعرض للتمييز والاضطهاد »(٢). وتعزز تأييده لاسرائيل نتيجة للصداقة التي نمت بينه وبين ماكس فيشر وميلتون فريدمان . وفيشر هو أحد كبار الذين يجمعون الاموال لاسرائيل ، وفريدمان عمل سنوات عدة كمراسل لوكالة التلغراف اليهودية في واشنطن . وفريدمان حاليا هو أحد كبار كتاب الخطب لفورد . وان مراجعة سجل فورد في الكونغرس تظهر تأييدا قويا لاسرائيل .

كان فورد ، عام ١٩٥١ ، احد جماعة من رجال الكونغرس الذين أيدوا اول طلب تقدمت به اسرائيل للمعونة الاقتصادية . وعام ١٩٥٥ قاد فورد المعركة لحظر بيع الاغذية لمصر . وعام ١٩٦٧ ، عندما طلب الرئيس عبد الناصر من قوة الامم المتحدة الانسحاب من سيناء ، حث فورد الامم المتحدة على اعادة تأسيس نفسها بالقوة . وعام ١٩٦٧ ، ايضا ، اثنى فورد على « اسرائيل الصغيرة » بوصفها الامة التي منعت الاتحاد السوفياتي من السيطرة على الشرق الاوسط . وعام ١٩٦٨ قال ان اسرائيل تطلب من ادارة جونسون ٥٠ طائرة فانتوم نفاثة واضاف ان هذه الطائرات « يجب ان تكون في طريقها » الى اسرائيل . وعام ١٩٦٩ تكلم فورد ضد قيام الدول الكبرى بفرض تسوية على اسرائيل . وعام ١٩٧٠ اشترك فورد في قرار للكونغرس دعا الى اجراء مفاوضات مباشرة بين دول الشرق الاوسط وأكد على وجوب عدم اضعاف قوة اسرائيل الرادعة . وفي العام نفسه شدد فورد على الحاجة الى تقوية اسرائيل وأوصى بأن يزور الاسطول السادس الاميركي المرافىء الاسرائيلية لاظهار التأييد . وعام ١٩٧١ ساعد فورد في حشد التأييد من أجل تجديد اتفاقيات الاسلحة الاميركية ــ الاسرائيلية التي كان مقررا أن تنتهي . وعام ١٩٧٣ تبنى فورد بقوة استمرار تقديم القروض العسكرية والمعونة المساندة والمنح الخاصة لاعادة توطين المهاجرين اليهود السوفييت في اسرائيل .

وخلال زيارة رابين الاخيرة الى الولايات المتحدة تلقى توكيدات بالمزيد من الاعتدة العسكرية الاميركية. وقال رابين بعد اجتماعه بفورد : « ثمة التزام من جانب الولايات المتحدة باسرائيل قوية وأعتقد ان هذا التصريح سيترجم الى أفعال »(٣). وقال السيناتور جاكوب جافيتز ، الذي اجتمع هو الآخر

بكيسنجر خلال زيارة رابين : « أعتقد ان المعونة العسكرية ستتقدم ، لا أعتقد ان أمل اسرائيل سيخيب في الجوهر ، وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهودها لتساعد وتفيد »(٤).

وقد وعد فورد رابين في أول اجتماع لهما في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧٤ ، قائلا « سنستمر في الوقوف مع اسرائيل . فنحن ملتزمون ببقاء اسرائيل وامنها »(٥). وفي نهاية رحلة رابين الى الولايات المتحدة اعلنت واشنطن أنها ستزود اسرائيل بخمسين طائرة فانتوم نفاثة قبل الصيف القادم .

وبالاضافة الى طائرات الفانتوم ، فان قرار فورد يعني ان اسرائيل ستتلقى ، قبل الصيف القادم ، ما بين ٢٠٠ دبابة و٢٥٠ دبابة ميدان من طراز باتون م ٦٠ ، وعددا غير مقرر من طائرات الهليكوبتر المسلحة من طراز كوبرا ، وقنابل « سمارت » الموجهة بالليزر ومجموعة اخرى من الاعتدة(٦).

ويعتبر هذا كله معونة للمدى القصير وستضم الى المخصصات الاضافية الراهنة البالغة ٢،٢ بليون دولار التي اقرها الكونغرس عام ١٩٧٣ .

وفي ما يتعلق بطلب اسرائيل التزاما سنويا بمبلغ ١،٥ بليون دولار على اساس المنح (اي مجاني) ، حصل الاسرائيليون على اقل من المبلغ الذي طلبوه ، ولكنهم كانوا راضين على ما يبدو(٧).

وفي مقابلة اذيعت في الرابع والعشرين من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٤ ، قال رابين ان الولايات المتحدة قد زودت اسرائيل بما يكفي من الاسلحة لمنع نشوب حرب . واضاف : « اعتقد أن لا شك هناك في العقل الاميركي بانه لا بد لنا من الحصول على القدرة لمنع الحرب وكذلك لنكون قادرين على حماية أنفسنا بأنفسنا . ويكون الجدل أحيانا حول مادة واحدة او مادتين ، ولكن موقف حكومة الولايات المتحدة في الاساس هو أن لا تغيير هناك على الاطلاق في استعدادها لترجمته الى افعال »(٨). ويمكن تفسير عبارة « لمنع الحرب » كما يستخدمها رابين هنا على أنها تعني ان الاسرائيليين يسعون الى تفوق عسكري على الدول العربية . كذلك قال رابين ان الوعود التي تلقاها في واشنطن اثناء رحلته « قد ترجمت الى افعال »(٩).

وفي الامم المتحدة اتخذ فورد موقفا شديدا جديدا . قال : « لم تكن سياستنا ان نستعمل الاغذية كسلاح سياسي رغم حظر النفط وقرارات اسعار وانتاج النفط الاخيرة »(١٠). وبدا كأن المعنى الضمني هو ان الولايات المتحدة ، بوصفها منتجا رئيسيا ، تستطيع استخدام الاغذية كسلاح ضد العالم العربي اذا استخدم العرب سلاح النفط مرة اخرى للضغط على واشنطن لحمل اسرائيل على الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة .

وعلى الرغم من سجل فورد حول اسرائيل في الماضي وخطابه الشديد في الامم المتحدة ، فان الولايات المتحدة وحليفاتها ليست في موقف يمكنها من تبني سياسة معادية للعرب اذا ما اوضح العالم العربي ، وخصوصا العربية السعودية ، للولايات المتحدة بأنه ما لم تنسحب اسرائيل من كافة الاراضي المحتلة ضمن فترة محددة من الزمن ، فسيبقى حظر النفط مفروضا وستسحب الاموال العربية من المصارف الاميركية في الولايات المتحدة وفي اوروبا . وعلينا أن نتذكر دوما بان **اميركا ستستمر في تأييد التوسع الاسرائيلي ما لم يحول العالم العربي اسرائيل الى عائق بالنسبة للشعب الاميركي .**

وموقف الولايات المتحدة واضح في ما يتعلق بالشعب الفلسطيني . فلماذا تعترف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية في حين يستمر الكثير من الحكومات العربية المنافقة في تقديم الولاء الكلامي الكاذب فقط لمفهوم كون المنظمة الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ؟ لقد قام سفير الهند كاول ، وهو دبلوماسي يتمتع باحترام كبير في واشنطن ، بعمل ممتاز لشرح الموقف الفلسطيني للحكومة والكونغرس الاميركيين . وهو يرى ان على العالم العربي ان يقف موقفا موحدا بالفعل في دعمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والا ظلت اميركا مترددة حول معاملتها للفلسطينيين .

الدكتور عوده ابو ردينه

[٤]

تحليل لاتجاهات الدعاية الصهيونية أغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) ١٩٧٤

نطرح فيما يلي أضواء على الموضوعات الدعاوية التي سادت الصحافة الصهيونية والعبرية في شهري أغسطس — آب وسبتمبر — ايلول . ولقد استقينا المادة التي يقوم عليها هذا التحليل من عدد من الصحف الصهيونية في اسرائيل والخارج ، وتشمل : **جويش بوست ، وجويش بوست أند أوبنيون ، وجويش أوبزرفر ، وجويش كرونيكل ، وآرش ومجلة الجيروزاليم بوست** . ولن نشير الى المرجع الا حيث تقتضي الضرورة .

كانت اسرائيل منشغلة تماما قبل الشهرين المذكورين بموضوعين رئيسيين : أحدهما زيارات المسؤولين العرب والاسرائيليين الى واشنطن عشية استقالة نيكسون . ولقد تميزت هذه الفترة بسيل عارم من الحرب الكلامية التي شنتها الدوائر الصهيونية ، وهو تكتيك محسوب استهدف خلق الجو المناسب بينما كان القادة الاسرائيليون يحاولون الحصول على دعم أعظم من الولايات المتحدة ، سواء من حكومتها أو من التجمعات اليهودية . ثم جاءت مشكلة الفلسطينيين لتطغى على ما عداها ، منذ أواخر اغسطس — آب وحتى أواخر سبتمبر — ايلول .

وان الدعوة المرتقبة لمنظمة التحرير الفلسطينية الى الجمعية العامة للامم المتحدة في نوفمبر — تشرين الثاني ، وكذلك الاعتراف العالمي المتزايد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومبدأ الوطن القومي الفلسطيني، كل هذه واجهت الاعلاميين الاسرائيليين بمشكلات فريدة في طابعها . وسنتناول هذين الموضوعين فيما يلي :

فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية والامم المتحدة

يبدو وفقا لما يقوله الناطقون الصهاينة ، وكأن فلسطين لم تكن موجودة أبدا قبل هذا العام ! ولا حاجة هنا لسرد سلسلة التصريحات المعروفة جيدا والتي أطلقها قادة اسرائيل والصهيونية البارزون . بيد ان هذا الموقف قد غدا بالنسبة للدوائر الحاكمة في اسرائيل ، موقفا يصعب الدفاع عنه ، بدءا من البيان المشترك الامريكي — المصري غداة زيارة نيكسون للقاهرة ، وتتويجا بالدعوة التي وجهتها الجمعية العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها تمثل الشعب الفلسطيني . ومرد ذلك جزئيا الضغط الامريكي ، اذ وجدت القيادة الاسرائيلية نفسها مضطرة للتسليم بأن الشعب الفلسطيني **موجود فعلا** . وهكذا فحينما أشارت البيانات المشتركة الصادرة في أعقاب زيارات المسؤولين العرب لواشنطن ، الى « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني » ، اشتكت صحيفة صهيونية من « انه لا يجوز للخارجية الامريكية في هذه الفترة الحاسمة ان تمضي باستخدام مصطلح «الشعب الفلسطيني» الذي يخلق — خطأ أو صوابا — انطباعا بأن الفلسطينيين هم فعلا شيء منفصل عن الاردن » — أنظر **الجيروزاليم بوست** ٨/٢٠ . وهكذا فان الصحيفة حين تسلم تكتيكيا بأنه قد يكون هناك وجود للشعب الفلسطيني ، فانها تؤثر اغفال ذكر هذه الحقيقة الموجعة في الوقت الراهن . ولقد صدرت تصريحات مماثلة عن القادة الاسرائيليين ، رغم ان هؤلاء القادة — على وجه الاجمال — يسلمون مكرهين بوجود الفلسطينيين،ولو بلا أهلية او تحديد.

واذا كانت مثل هذه الاقرارات من جانب الرسميين الاسرائيليين البارزين تبدو اضطرارية ، الا انها ليست كذلك بالنسبة للقادة الصهاينة في الخارج . والواقع ان « التنازلات » الاسرائيلية اللفظية الاخيرة في مسألة الهوية الفلسطينية ، قد ووجهت بنقد زعماء الحركة الصهيونية البارزين في الولايات المتحدة ، الذين أصبحوا يجدون مهمتهم الاعلامية أكثر صعوبة — وبما لا يقارن — على ضوء المضامين السياسية المتفجرة . ولقد كشف الحاخام جوزيف شتيرنشتاين الرئيس الجديد للمنظمة الصهيونية الامريكية ، كشف في الآونة الاخيرة ، المعضلات المبدئية الخطيرة التي أصبح يتسبب بها الاعتراف المتزايد بالهوية المستقلة للشعب الفلسطيني ، لصهاينة امريكا . وفي حملته على القادة الاسرائيليين بسبب « التنازلات غير الضرورية » ، أشار الى انه اذا توصل الشعب الامريكي الى الاقتناع بوجود الشعب الفلسطيني ، فانه سوف يميل الى الدفاع عن حق هذا الشعب بتقرير مصيره بنفسه . ولقد حث القادة الاسرائيليين

— في مطلع حملة نظمتها المنظمة الصهيونية الامريكية المذكورة على « الخرافة الفلسطينية » — حثهم على مساندته بالاصرار على عدم وجود شعب فلسطيني ، وعلى انه لم يكن هناك في أي وقت مثل هـــذا الشعب — أنظر **الجيروزاليم بوست** ٨/٢ و٨/٤ .

وبينما كان الضغط السياسي الموضوعي على اسرائيل لتقر بوجود وشخصية الشعب الفلسطيني، يتنامى ويتزايد ، فان ردة الفعل الاسرائيلية حرفت الموضوع من مسألة الهوية الوطنية الى مسألة التمثيل . ومؤخرا ، وبصورة فظة للغاية ، وصف بيرس وزير الدفاع الاسرائيلي وجهة نظر اسرائيل بالقول : « ان هناك نوعين من الفلسطينيين ، اولئك الذين تمثلهم منظمة التحرير الفلسطينية ، واولئك الذين يمثلهم حسين ... واني لآمل ان يتمكن أحد الفريقين عاجلا او آجلا من الظـــفر بالسيطرة على الفريق الاخر مما يتيح امكانية ايجاد تسوية معه » . لكن هذه « التسوية » التي يشير اليها بيرس ، تختلف كثيرا عما تفهمه م.ت.ف. ولقد تعهد رابين كرئيس لوزراء اسرائيل ، بأن اسرائيل لن تلاقي او تلتقي بمنظمة التحـــرير الفلسطينية في أي مكان سوى في ساحات الوغى .

لقد غدا الموقف الاسرائيلي ازاء م.ت.ف. أكثر صعوبة — وبما لا يقارن — بعد الاعتراف الدولي الواسع النطاق الذي ظفرت به المنظمة في الامم المتحدة . بيد ان الاسرائيليين ، كانوا حتى قبل التصويت التاريخي في الجمعيـــة العامة ، قد بدأوا يهيئون خطا اعلاميا جديدا لمعالجة التحـــدي الفلسطيني . ويمكن اجمال هذا الخط بالتالي :

ان الفلسطينيين موجودون ، انما ، وبسبب تشتتهم في انحاء العالم العربي ، فان دولـــة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لن تستوعب غير قطاع يسير منهم ، وان دولة كهذه ، لن تكون ، سياسيا واقتصاديا ، قابلة للحياة ، ولن توفر حلا راسخا للمعضلة الفلسطينية . بهذه المعطيات ، يصبح أكثر « واقعية » دمج أي كيان فلسطيني في اطار المملكة الهاشمية ، في ظل أية ترتيبات تكون ملائمة « للعرب » . وعلى أي حال ، فان م.ت.ف. ، في تركيبها الراهن ، ليست منظمة شرعية أو ممثلة ، انها ليست سوى « المنظمـــة الام » او « المنظمة — السقف » لخليط من « الارهابيين المتنابذين والمتعطشين للدماء الذين لا يفهمون غير العنف ، ولا يستهدفون غير ابـــادة الاسرائيليين » . وان أية عناصر معتدلة في قيادة م.ت.ف. ، سوف تنساق في تيار القواعد المتطرفة في الحركة وفي الدول الاخرى ، مما يجعل أي احتمال لوضع اتفاقات معها ، مستبعدا . ويخلص الاسرائيليون على أي حال ، الى ان شعب الضفة الغربية مذعور من « حكم العنف » الذي قد تقيمه م.ت.ف.، وقد يضطرون الى الهرب اذا حصل فعلا.

سوف تحاول اسرائيل الدق على هذه «الحقائق» خلال الشهور المقبلة ، لكنهم ، اذا أكرهتهم القوى السياسية الموضوعية ، واذا بدت الحرب خيارا محفوفا بالمخاطر ، سيكونون مجبرين على تعديل خطهم ، بحيث **يظهرون في موقف معقول ازاء م.ت.ف.** ، مع طرح مطالب يعلمون جيدا اســـتحالة تلبيتها . وكتمهيد محتمل لهذا الخط المفترض ، ما قاله وزير الاعلام الاسرائيلي ياريف، من ان اسرائيل ستكون مستعدة لمفاوضة م.ت.ف. اذا تخلت م.ت.ف. عن ميثاقها (وتخلت بالتالي عن مطالبتها بكل فلسطين) ، وكذلك اذا اعترفت بالسيادة الاسرائيلية ، واذا أوقفت الارهاب ، على ان مثل هذه « التنازلات » لا تزال مبكرة للغاية وقبل أوانها . فيتسحاق رابين تبرأ من هذا الموقف علنا قبل مضي ٢٤ ساعة على تصريح بيرس .

التهديدات الاسرائيلية بالحرب

بينما كانت الدفة الدولية تنقلب في غير صالح اسرائيل ، فان دوائرها الحاكمة بدأت تفكر مرة اخرى بالخيار الحربي . ومنذ اوائل أغسطس — آب ، بدأت تظهر في الصحافة الصهيونية في جميع أنحاء العالم ، تصريحات عدوانية واستفزازيـــة للرسميين الاسرائيليين . ولقد كان الخط هو نفسه فيها جميعا ، واستهدف توليد جو معـــين بـــين الاسرائيليين ، وانصارهم الصهاينة في الخارج ، وفي المجتمع العالمي على السواء .

وجرى تركيز الحملة الدعاوية الصهيونية في هذا الصدد ، على ان الدول العربية ، وســـوريا خصوصا ، تهيء لشن حرب جديدة . ولقد أطلقت تصريحات متعددة في هذا الاتجاه ، من قبل قـــادة اسرائيل ، ونشرت في الصحافة العالمية . وان « الدليل » على هذا ، ان سوريا تقوم بزيادة وتقوية جيشها ، وتقوم بتدريبات عسكرية حثيثة

لشن الحرب ، وان سوريا تراعي « نص » لا « روح » اتفاقية فصل القوات . وهكذا مضى المعلقون الصهاينة في محاولة توليد انطباع بأن اتفاقيات فصل القوات على كلا الجبهتين ، تعني أكثر من اتفاقيات فصل القوات . وعلى حد قول احدى هذه الصحف : « الواقع انه لم يتحقق أي تقدم سياسي عبر هذه الاتفاقيات التي ظهر انها لم تكن أكثر من اتفاقيات لوقف اطلاق النار على حساب انسحابنا». **الجيروزاليم بوست**، ٩/١٠ .

واستخدم الصهاينة ، في محاولة زيادة التوتر والقاء اللوم على العرب ، أساليب أخرى لتهيئة الرأي العام الداخلي والعالمي . أولا اوضحوا ان اسرائيل لن تتردد بتوجيه الضربة الاولى ، اذا اضطرت لذلك . ولقد أبلغ رابين وغدا ضيفا من قادة الصهاينة الامريكيين « اذا ذهبنا الى الحرب ، فانما لعدم وجود بديل آخر ... ونحن نعلم ان الحرب وشيكة » . وحذر بيرس ، في مقابلة نشرت على نطاق واسع في الصحافة الصهيونية من ان « المباغتة ، والمبادرة ، والخداع ، لا يمكن ان تبقى امتيازات لطرف واحد » .

ومن جهة ثانية ، فان الدوائر الحاكمة بدأت تعيد الى الحياة بعض الذرائع القديمة للمسلك العسكري التوسعي، ولا حاجة بنا هنا لاقتباس هذه الاقاويل. على ان أهميتها تكمن في ان القادة الاسرائيليين بدأوا يطرحونها من جديد .

وكان على رجال الدعاوة الصهيونية ، كجزء من استعدادات اسرائيل لمغامرة عسكرية محتملة ، ان يحلوا التناقض الجلي بين رغبتهم بمحادثات السلام مع العرب ، وبين النوايا العربية العدوانية المزعومة . وضمن هذا الاطار طرح أحد الكتاب « تحليلا » مسهبا لتكتيكات الرئيس السادات « البراجماتية » ، في تعامله مع الولايات المتحدة ، واسرائيل ، والدول العربية الاخرى ، وخلص هذا الكاتب الى ان الرئيس السادات بينما يبدو في نظر بعض الاسرائيليين « مخلصا » وتواقا للسلام، فان هدفه النهائي يظل هو هو « الانتصار الكامل على اسرائيل » .

وهناك خط آخر ، فاذا اتخذ العرب بعض المواقف الدبلوماسية المعينة ، فان ذلك دليل على نواياهم العدوانية المبيتة . وهكذا قام يوسف تكواع المندوب الاسرائيلي في الامم المتحدة ، بابلاغ المراسلين في أغسطس — آب الماضي ، قبيل التصويت في الجمعية العامة ، ان أية محاولة لتقوية موقف م.ت.ف. ، فانها — من وجهة نظر اسرائيل — تناقض الرغبات السلمية العربية . وقال ان اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة سوف يكون « امتحانا » ، واضاف محذرا : « انه لامر مستحيل ، دعم م.ت.ف. ، والكفاح من أجل السلام ، في الوقت نفسه ». وهكذا بينما يتظاهرون بالسلام ، ويهيئون المناخ للحرب ، فان الاسرائيليين يشوشون الرأي العام العالمي : فاذا اندلعت الحرب فعلا ، فانهم سوف يزعمون انهم فعلوا كل ما في طاقتهم لمنع وقوعها « أمام تصلب وعناد العرب » .

ملحوظة عن النفط

بالرغم من كل الادلة التي أثبتت العكس ، فان بعض الناطقين الصهاينة مصرون على ان يواصلوا القول بلا اقناع ، ان « سلاح النفط » أثبت فشله. وانهم يزعمون في العادة ان النفط لا علاقة له بأزمة الشرق الاوسط ، وهم يأملون ان ينجحوا باقناع العالم الذي لا يصدق ما يقولون . ان أسباب هذا الموقف جلية. وعلى أي حال فان هذا الموقف يكشف بصورة فاضحة الخط الاسرائيلي بهذا الخصوص . وهذا ما قالته **الجيروزاليم بوست** (٩/٢٥) بهذا الشأن : « تثبت الازمة المتصاعدة قبل كل شيء ، ان مشكلة النفط هي في الاساس — كما قالت اسرائيل مرارا وتكرارا — مسألة اقتصادية تتعلق بالاسعار ، أكثر مما هي قضية سياسية مرتبطة بأزمة الشرق الاوسط . وحين ووجهت حكومة الولايات المتحدة بمواقف منتجي النفط المتصلبة والجشعة ، فانها أدركت هذه الحقيقة . ولقد اخفقت المساعي السعودية والخليجية المستمرة لكسب سياسات معادية لاسرائيل ، مقابل عرض امدادات نفطية ثابتة بأسعار معقولة » .

أ.خ

---

* نشر هذا التحليل في نشرة الادارة العامة لشؤون فلسطين بجامعة الدول العربية ، عدد نوفمبر ١٩٧٤ .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

فلسطين الوسطى تعود فلسطينية

أكثر من ربع قرن مضى على تزييف الهوية الفلسطينية لارض فلسطين الوسطى وشعبها ، حملت خلالها هذه الارض اسم « الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية » ووضعت مقدراتها بيد النظام الهاشمي . وفي مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط تمت الخطوة الاولى في عملية **تصحيح التاريخ** عندما استجابت القمة للنضال الفلسطيني ورفعت الوصاية الهاشمية عن هذا الجزء من فلسطين . ولم تكن الولادة سهلة ، كما هي الحال تماما لدى كل منعطف يتغير عنده التاريخ ، وانما كانت محصلة لنضال طويل ، شاق ، وفيه كثير من التضحيات ، اثبت فيه الشعب الفلسطيني وحدته اولا ، وحدته حيثما وجد ، وقدرته ثانيا على التعامل مع قضيته والحفاظ عليها . وكانت الحرب السياسية التي خاضتها منظمة التحرير الفلسطينية لاثبات أهليتها وحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني مستندة الى هذين الاساسين : وحدة الشعب وقدرته. وكانت الرباط المعركة الفاصلة في هذه الحرب التي سجلت تكريس منظمة التحرير ممثلة شرعية وحيدة للشعب الفلسطيني وانها هي صاحبة الحق في تقرير مصير الارض الفلسطينية ، كل الارض الفلسطينية ، بما في ذلك تلك التي مضى عليها أكثر من ربع قرن تحت الوصاية الهاشمية .

قاتل النظام الاردني معركته بجميع الوسائل المتاحة بين يديه حتى تلك المستهلكة منها في محاولة للتأثير على القرار الذي يمكن ان تتخذه قمة الرباط . فقبيل عقد المؤتمر « استكتب » النظام نواب « الضفة الغربية » مذكرة وجهوها الى الملوك والرؤساء العرب قالوا فيها « اننا نحن نواب الضفة الغربية نؤمن ايمانا عميقا بأن أية محاولة للفصل بين الضفتين الغربية والشرقية وبين شعبيهما هي محاولة عقيمة بل مستحيلة » وقالوا « الفلسطينيون الموجودون في ضفتي الاردن لهم وضعهم الخاص ... المملكة الاردنية الهاشمية هي وحدها صاحبة الحق الدستوري والقانوني في تمثيلهم ... أما سائر الاخوة الفلسطينيين المتواجدين في الاقطار العربية الشقيقة وفي الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ ... فاننا نعترف لمنظمة التحرير الفلسطينية بحقها في تمثيلهم » ، وطالبوا بـ « الاعتراف للمملكة الاردنية الهاشمية بحقها الدستوري والقانوني والشرعي بتمثيلها للفلسطينيين الموجودين في الضفتين الغربية والشرقية » (« الرأي » الاردنية ١٠/٢٣).

وقد صرح مصدر اعلامي فلسطيني على هذه « البادرة » بقوله « ان أصحاب هذه المذكرة هم مجموعة من تسعة نواب يعملون كموظفين في البرلمان الاردني منذ تعيينهم في هذا البرلمان قبل مدة تتجاوز عشر سنوات وتمتد الى ما قبل عام ١٩٦٧ . وطوال السنوات الماضية لم يتجرأ واحد من هذه المجموعة على التبشير بمواقفه خارج حدود الدائرة الرسمية وأجهزة الاعلام الاردنية في عمان وتعرض بعضهم عند زيارته للضفة الغربية — بتسهيلات اسرائيلية — الى الضرب والاهانة من المواطنين عندما حاول الدعاية لحكام عمان... ومن المفهوم ان تعمل هذه الحفنة لحماية مصالحها وارتزاقها على حساب مجموع الشعب الفلسطيني» (وفا ١٠/٢٣) .

ومن الاساليب العتيقة التي اتبعها النظام لتعضيد موقفه هذا المثال الذي كتبت عنه صحيفة

« الدستور » الاردنية (١٠/٢٦) ، « أمت الديوان الملكي الهاشمي صباح أمس وفود شعبية تمثل شيوخ ووجهاء اللاجئين والنازحين من عشائر التركمان والصقر والبشاتوة والكعابنة والتياها من فلسطين المحتلة والضفة الغربية ... وقد خطب أحد رؤساء الوفود فقال : اننا نأبى ... ان يرعى حمى الضفتين سوى الحسين ... ان وحدة الضفتين حقيقة كرسها الواقع التاريخي » . وقد مضغ النظام هذا الاسلوب « الوفود الشعبية » طويلا في تاريخه حتى لم يبق منه غير حثالة .

وفي المقابل كانت المؤشرات الى حقيقة الموقف الشعبي في فلسطين الوسطى تتلاحق وتدل دلالة قاطعة على ان عهد الوصاية الهاشمية قد انتهى هناك . من هذه المؤشرات المذكرة التي بعث بها الى ياسر عرفات ١٨٠ شخصا ممن يحملون صفات تمثيلية في فلسطين الوسطى (ممثلو هيئات ونقابات ومجالس بلدية وشخصيات وطنية) طالبوا فيها بـ « التأكيد ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا العربي الفلسطيني حيثما وجد ورفض ادعاء أي جهة اخرى حق تمثيل أي جزء من هذا الشعب الواحد والتحدث باسمه » (نص المذكرة واسماء الموقعين في « النهار » ١٠/٢٨) . ومن هذه المؤشرات كذلك التصريح الذي ادلى به أحمد كمال السعدي ، رئيس بلدية جنين ، الى وكالة « يونايتدبرس » وقال فيه « ان ٩٠ بالمئة من العرب الذين يعيشون في الضفة الغربية التي تحتلها اسرائيل يفضلون ان تصبح منطقتهم تحت سلطة منظمة التحرير الفلسطينية على ان تعود الى الملك حسين » .

وفي مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في الرباط تمهيدا للقمة العربية السابعة تمكنت المنظمة من ان تترجم هذا الموقف الشعبي الى قرار عربي، عندما اتخذ المؤتمر قراره (في ١٠/٢٥) الذي نص على ما يلي : « ان أي ارض من فلسطين يتم تحريرها عن طريق ممارسة الصراع بأساليبه المختلفة تعود لاصحابها الشعب الفلسطيني تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مع التأكيد على حقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة على الارض التي يتم تحريرها ، وتقوم قوى المجابهة العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى كافة المستويات » . وطالب الوفد الاردني بحذف عبارة « تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وعندما صوت الجميع مؤيدين بقاء هذه العبارة سجل الوفد الاردني تحفظه (« النهار » ١٠/٢٦) . وقد ذكرت « وفا » (١٠/٢٥) « ان الوفد الاردني حاول تمييع جلسات المجلس والمماطلة بنفاد الوقت حتى لا ترفع ورقة العمل الفلسطينية الى مؤتمر القمة الا ان وفود سوريا ومصر واليمن الديمقراطية ، بطلب من الوفد الفلسطيني ، عمدوا الى قطع الطريق على التكتيك الاردني المكشوف ليجري التصويت علانية واستجابت رئاسة المجلس لهذا الضغط وأقرت ورقة العمل بالاجماع بتحفظ الاردن » .

كانت تلك جولة كسبتها المنظمة وناضلت لتكريسها في قمة الرباط العربية التي عقدت بين ٢٦ و٢٩ تشرين الاول ١٩٧٤ . وكان محور هذا النضال يدور حول نقطتين : وحدانية التمثيل الفلسطيني من واقع وحدة الشعب ، ومصير الارض الفلسطينية التي سوف يجلو عنها الاحتلال الاسرائيلي . أما الموقف الاردني من هاتين النقطتين فقد وضحهما حسين في الخطاب الذي القاه في جلسة مؤتمر القمة (١٠/٢٧) فقد أكد بالنسبة للنقطة الاولى انه لا يستطيع « التسليم بأن منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جموع الفلسطينيين الذين تواجدوا في المملكة الاردنية الهاشمية وأصبحوا من مواطني الدولة وجزءا كبيرا من شعبها في الضفتين ، وحملوا جنسيتها ، واندمجوا اندماجا عضويا في كل مناحي الحياة ودوائرها وميادينها ومؤسساتها ... ثم من هم هؤلاء المواطنون الذين سيفرزون من الانتماء للدولة التي أصبحوا هم من عناصر بنائها ؟ هل هم الفلسطينيون الذين وفدوا من غربي النهر الى شرقيه عام ١٩٢٤ عندما تحددت الرعويات وشاركوا في تأسيس الدولة ؟ أم هم الذين لجأوا عام ١٩٤٨ ...؟ أم هم الذين نزحوا عام ١٩٦٧ ...؟ أم هم المواطنون الذين يسكنون الضفة الغربية فحسب وليس الضفة الشرقية ، أم هم الفلسطينيون الذين تشملهم الجنسية الاردنية خارج حدود المملكة الاردنية الهاشمية ! » أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد حدد حسين موقفه كما يلي : « ان الاردن سيواصل العمل من أجل الانسحاب الاسرائيلي الكامل من سائر الارض المحتلة وفي مقدمتها القدس ... من أجل تحديد

موقف الاردن من الضفة الغربية بعد تحريرها فان الاردن يتعهد بأن يترك الخيار في هذا لابناء الضفة الغربية ليقرروا الوضع الذي يختارون والمصير الذي يريدون بحرية تامة وتحت اشراف دولي محايد . وغير هذا فلست ارى ان من الحق ان نفرض على أهل الضفة الغربية وضعا لا يكونون فيه أصحاب الرأي واصحاب القول . ونحن اذ لا ندعي حق فرض أنفسنا عليهم بعد التحرير ، فأنا بنفس الدرجة لا نرى من الحق ان يفرض غيرنا عليهم أي وضع لا يختارونه ولا يقررونه هم أنفسهم » (من كراس أصدرته دائرة المطبوعات والنشر الاردنية بعنوان « مرتكزات الموقف الاردني: البيان القومي الشامل لجلالة الحسين في مؤتمر القمة بالرباط ») .

غير ان هذه الاطروحات كان قد تجاوزها الزمن فشرعية تمثيل المنظمة لوحدة الشعب الفلسطيني أصبحت احدى الحقائق الصلبة ليس في العالم العربي فحسب وانما في العالم أجمع ، وهكذا « أمام صلابة الموقف الفلسطيني والتضامن العربي الذي لقيه والى جانب الانتصارات التي سجلها النضال الفلسطيني في الاعوام والاشهر والايام الماضية ، أمام كل هذا أحبطت الضغوطات وتمكن مؤتمر القمة من الوصول الى قراراته التاريخية » (ياسر عبد ربه في مؤتمر صحافي عقده في مقر « وفا » في ١١/٢) ، وكانت هذه القرارات : « ١ — تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه وتقرير مصيره . ٢ — تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، على أية أرض فلسطينية يتم تحريرها . وتقوم الدول العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى جميع المستويات . ٣ — دعم منظمة التحرير الفلسطينية في ممارسة مسؤولياتها على الصعيدين القومي والدولي في أطار الالتزام العربي . ٤ — دعوة كل من المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية وجمهورية مصر العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية لوضع صيغة لتنظيم العلاقات بينها في ضوء هذه المقررات ومن أجل تنفيذها . ٥ — تلتزم جميع الدول العربية بالحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعمل الفلسطيني » .

وبذلك انتهت مرحلة من النضال السياسي توجت في القمة العربية السابعة باجماع عربي على رفع الوصاية الهاشمية عن فلسطين الوسطى عندما وضعت مقاديرها بيد الشعب الفلسطيني من جديد. غير ان قرارات القمة لم تكن تشمل مواطني فلسطين الوسطى ومستقبل ارضها فحسب وانما هي كرست كذلك تمثيل المنظمة تمثيلا شرعيا ووحيدا لجميع الشعب الفلسطيني بمن فيهم الفلسطينيون المقيمون في شرق الاردن والذين اكتسبوا الجنسية الاردنية . وهذا الجانب من الصورة هو الذي سيكون مادة الصراع مع النظام في الاردن في قادمات الايام ، وهو صراع اختاره حسين نفسه منذ اليوم التالي لاختتام أعمال القمة السابعة والمح الى نتائجه في اطار تحذيري مقصود . ففي الخطاب الذي ألقاه حال عودته الى عمان في ١٠/٣٠ (نص الخطاب نشرته دائرة المطبوعات والنشر الاردنية في كراس بعنوان آفاق المستقبل في الخطاب التاريخي لجلالة الحسين عقب عودته من مؤتمر الرباط) قال « أنتم ايها الاخوة — مهاجرين وانصارا — أهل وعشيرة وأسرة واحدة لا يفرقها قيام ظرف يقتضي التغيير . انكم وانتم من أكرم الشعوب وأنبلها **لا يمكن ان ينزل منكم احد الى مستوى الانحياز في المشاعر او النوايا او المعاملات** ولا ان يمس أحدكم الآخر بأية جارحة من قريب او بعيد . واذا حدث لا سمح الله أي شيء من هذا ، وهو غير منظور ، فاني اعتبر ذلك مساسا موجها الي والى كل مواطن في شخصي ». وفي الخطاب نفسه خلط حسين الى هذا « الانحياز ... في المعاملات » ، فبعد ان تساءل « عما يترتب عن هذا القرار » أوضح « ان الاردن سيظل وطن كل عربي فلسطيني يختار ان يكون مواطنا فيه له مثلما عليه من حقوق المواطن الكاملة وواجباتها ودون المساس بحقوقه الاصلية في فلسطين . وسيظل الفلسطينيون الذين يختارون الهوية الفلسطينية أخوة عربا أعزاء يتمتعون بما يتمتع به المواطنون من الاقطار العربية الشقيقة في هذا البلد العربي الاصيل » . وهذا التمييز أكده الملك في حديث له مع صحيفة « نيويورك تايمز » فأعلن انه ينوي اجراء تغييرات دستورية وحكومية لاردنة المملكة بعدما اعتبر مؤتمر الرباط

منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ووافق على اقامة سلطة وطنية بقيادتها ، وانه سيعيد تنظيم حكومته لاقصاء « ممثلي الفلسطينيين » الذين يقيمون في الضفة الغربية المحتلة كما سيجري تغييرات دستورية . (« النهار » ١١/٦) . وقد انصبت التغييرات الدستورية حتى الان على الامور المتعلقة بمجلس الامة الاردني ، واتجاه التغيير يسير في مجريين الاول اقصاء النواب الفلسطينيين من المجلس ، والثاني التمكن من حله دستوريا وعدم اجراء انتخابات جديدة لمهلة يتمكن فيها الملك من اجراء تعديل في اوضاع المملكة بمعزل عن السلطة التشريعية . وقد توضح هذا الاتجاه في المواد التي جرى تعديلها في الدستور والتي انحصرت في المادتين ٣٤ و٧٣ . ففي جلسة استثنائية عقدت يوم ١١/٩ (دعا اليها الملك في ١١/٥ لتعديل هاتين المادتين) أقر مجلسا النواب والاعيان وهما اللذان يتكون منهما مجلس الامة الاردني تعديل المادة ٣٤ من الدستور وهي المادة التي تعطي الملك حق حل مجلس النواب ، فاضيف اليها فقرة جديدة أعطت الملك الحق في « ان يحل مجلس الاعيان او يعفي أحد اعضائه من العضوية » . وهذا المجلس الذي يعين الملك اعضاءه تعيينا يضم ٣٠ عينا نصفهم من الفلسطينيين . وبذلك فان هذا التعديل يتيح للملك اعفاء هؤلاء الاعضاء من مناصبهم وتعيين خلفاء « اردنيين » لهم . كذلك أقر المجلس في الجلسة الاستثنائية نفسها تعديل المادة ٧٣ من الدستور والتي تنص الفقرتان الاولى والثانية منها على ما يلي : « ١ — اذا حل مجلس النواب فيجب اجراء انتخاب عام بحيث **يجتمع المجلس الجديد في دورة غير عادية بعد تاريخ الحل باربعة أشهر على الاكثر** ... ٢ — اذا لم يتم الانتخاب عند انتهاء الشهور الاربعة يستعيد المجلس المنحل كامل سلطته الدستورية ويجتمع فورا وكأن الحل لم يكن ويستمر في أعماله الى ان ينتخب المجلس الجديد » . وكان مشروع التعديل الذي تقدمت به الحكومة الى المجلس يتضمن اضافة فقرة جديدة تنص على ما يلي : « بالرغم مما ورد في الفقرتين ١ و٢ من هذه المادة **للملك ان يؤجل اجراء الانتخاب العام لمدة لا تزيد على سنتين** اذا كانت هنالك ظروف قاهرة يرى معها مجلس الوزراء ان اجراء الانتخاب أمر متعذر » (« الرأي » الاردنية ١١/١٠) . وقد أقر المجلس تعديل هذه المادة بحيث يكون تأجيل اجراء الانتخاب لمدة سنة واحدة وليس سنتين كما ورد في مشروع الحكومة (النهار — ١١/١٠) ومن المتوقع ان يجري حل مجلس النواب فتتحقق الغايتان معا: اقصاء النواب الفلسطينيين عنه واتاحة الفرصة للملك ونظامه في التصرف بمعزل عن السلطة التشريعية .

تمثلت ردة الفعل الفلسطينية الرسمية على هذه الاجراءات في الرسالة التي وجهها ابو اللطف، رئيس الدائرة السياسية في المنظمة ، الى المؤتمر الوطني العام لاتحاد طلبة الاردن الذي عقد في بغداد فقد جاء في هذه الرسالة (وفا ؛ ١١/١١) ما يلي : ان كل الاجراءات والتغييرات الدستورية والانتخابات والتسميات التي يراد بها التدليل على انفصال الشعب الواحد في الضفتين هي كلها زائفة ولا يمكن لها ان تأخذ مجراها في واقعنا اليومي . ليغفل الغرباء عن هذا الوطن ما يمكنهم ان يفعلوه فقوة شعبنا وصلابته في الضفتين ووحدته هي أقوى من كل اجراءاتهم وتسمياتهم . فالاردن لنا وفلسطين فلسطيننا وسوف نقيم على هذه الارض بكاملها كياننا الوطني بعد ان يتم تحريره كاملا من الوجود الصهيوني والوجود الرجعي العميل » .

ان هذه الاجراءات ان كانت مقصودة فعلا ولم تكن محاولات ابتزاز ستضع شرق الاردن حيث الفلسطينيون فيه هم الاغلبية ، على مدخل تحول جذري سياسي واجتماعي ، ان تحكم الملك في بدايته فان نهايته ستكون بالتأكيد محكومة بعوامل الصراع الموضوعية وقوانينه التي لن تكون بحال لمصلحة النظام .

العالم يقبل الحقيقة الفلسطينية

عندما صوتت ١٠٥ دول في ١٠/١٤ الى جانب القرار : « ان الجمعية العمومية ، اذ تعتبر ان الشعب الفلسطيني هو الفريق الرئيسي المعني بمسألة فلسطين ، تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني الى المشاركة في مناقشاب الجمعية العمومية حول قضية فلسطين في الجلسات العامة » ، كان ذلك تكريسا لاعتراف العالم الرسمي والمعلن بالحقيقة الفلسطينية التي

لم يعد تجاهلها ممكنا بعد ان فرضت نفسها بكثافة وفاعلية على ضمير العالم وعقله ، وبعد ان أصبح أخذها بالاعتبار امرا محتما لدى صنع كل قرار لا يتناول شؤون المنطقة العربية فحسب وانما كذلك علاقات الدول خارج المنطقة بعضها ببعض ، مهما كان هذا القرار سياسيا او اقتصاديا او عسكريا. واذا كان معسكر الاعداء قد حاول طمس هذه الحقيقة طويلا وبمختلف الوسائل الابادية فان النضال الفلسطيني مشفوعا بالتأييد العربي قد تمكن من جلوها بفعل تضحيات كثيرة كانت دائما تجعل الحقيقة الفلسطينية أكثر سطوعا . وكان لا بد ان تسطع هذه الحقيقة على الامم المتحدة ، مجمع الدول ، التي تظل — مهما كان الرأي بقراراتها — احدى ميادين الصراع من جهة، ومرآة للعالم ، لحقيقة ما يجري في العالم ، من جهة اخرى . وكان لا بد من الناحية المقابلة ان يحاول معسكر الاعداء حجب هذه الحقيقة عن هذا الميدان، وعندما أحاط الغش بهذه المحاولة (لاول مرة في تاريخ الامم المتحدة تحصر اسرائيل والولايات المتحدة في زاوية منفردتين معزولتين غير قادرتين على التأثير سوى بدولتين هامشيتين) تجري محاولة أخرى للتشويش ، وهي ملجأ العاجز المقهور ، بأساليب متعددة : الارهاب كان واحدا منها فجرى اعتداء على مكتب منظمة التحرير في نيويورك (١٠/٣٠) وهدد الوفد الفلسطيني بالقتل . كذلك لجأوا الى خلق جو من الاضطراب والفوضى في نيويورك نفسها لصرف الانظار عن حقيقة ما يجري فقامت تظاهرة صهيونية في ١١/٥ أمام مبنى الامم المتحدة « احتجاجا على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الجمعية العمومية للامم المتحدة » ، وهدد بتسيير تظاهرة اخرى تضم ربع مليون شخص في يوم عرض القضية . ولان لبنان وقع الاختيار على رئيسه ، سليمان فرنجيه ، ان يكون ناطقا باسم العرب في الدفاع عن القضية من على المنبر الدولي، أصاب لبنان قسط كبير من هذه المحاولات الرامية الى التشويش . ففي اليوم نفسه الذي خطب فيه فرنجيه « عوقب » لبنان بعملية انتقامية استهدفت النبطية في الجنوب وأسفرت عن قتلى وجرحى كثيرين . ولكن على الرغم من ذلك فقد استمع العالم الى الحقيقة الفلسطينية أعلنها ياسر عرفات في ١١/١٣ ، وصفق لها طويلا دليلا على القبول بها والتسليم ليس بواقعها فحسب وانما بنتائجها ايضا .

قبل ايام قليلة من عرض القضية على الامم المتحدة اجاب أبو عمار عن سؤال لمراسل التلفزيون الفرنسي عما اذا كانت مشاركة منظمة التحرير في مناقشات الامم المتحدة « ستجبركم على وقف العمليات الفدائية » ، اجاب بقوله « يجب ان نعرف ما هي الثورة ، الثورة هي عمل متكامل ، عمل عسكري ، عمل سياسي ، عمل دبلوماسي ، عمل شعبي ، وكل هذه تشكل الثورة ، لان البندقية منفردة لا تشكل شيئا ، ولكن البندقية المجتمعة مع هذه الاشياء التي ذكرت تشكل الثورة بمجموعها . من هنا يجب ان نفهم ان العمل الدبلوماسي الذي نقوم به داخل الامم المتحدة انما هو فرع وجهد من الجهد الذي نقوم به في عملنا السياسي والدبلوماسي والعسكري الذي يشكل في مجموعه الثورة الفلسطينية ، ومعنى هذا اننا لا يمكن ان نوقف عملياتنا العسكرية ، انما يجب ان نصعد هذه العمليات العسكرية اكثر فأكثر ، كما نصعد عملنا الدبلوماسي والسياسي . يجب ان نصعد عملنا العسكري الى ان نأخذ حقوقنا ، ونحن لسنا عنصريين ولسنا فاشيست ، نحن عبارة عن ثورة حضارية تدعو الى هدف حضاري وهو انشاء الدولة الديموقراطية الفلسطينية التي يتعايش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون بمساواة وحرية واخاء » (وفا ١٠/٢٢). وكانت تلك بالفعل هي خلاصة الحقيقة الفلسطينية كما عرضها عرفات بتفصيل أمام المجتمع الدولي (نص خطاب أبو عمار صفحة ٥ من هذا العدد) .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

لربما كان أهم تطور دولي طرأ على النزاع العربي ــ الاسرائيلي هذا الشهر هو بوادر تحرك العلاقات المصرية السوفياتية باتجاه التحسن وذوبان الجليد الذي يغلفها . وقد تمثل هذا التطور في الزيارة التي قام بها وزير خارجية مصر الى موسكو وفي تحديد موعد زيارة ليونيد بريجنيف للقاهرة . ولا بد من الاشارة هنا الى الخلفية التي انبثق عنها هذا التطور الايجابي . اولا ، أخذ الشعور المتزايد بجمود الوضع السياسي بالنسبة للتسوية السلمية ينتشر بقوة كما بدأ يظهر بوضوح ان السياسة الاميركية التي يقودها كيسنجر في المنطقة لم تعد متحمسة لانعقاد مؤتمر جنيف للسلام او لتحقيق أية انجازات جديدة باستثناء اغداق الوعود واطلاق التصريحات والتطمينات المغرقة في عموميتها . على سبيل المثال مع كل جولة يقوم بها كيسنجر في المنطقة (وقد قام بتسع جولات حتى الان) يعد بأنه سيعود بعد فترة قصيرة للاستمرار بجهوده السلمية. ثانيا ، الموقف الواضح والصريح أكثر من أي وقت مضى الذي أعلنه بريجنيف في الاسبوع الثاني من شهر تشرين الاول (اوكتوبر) بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني حيث أكد : (أ) ان اسرائيل تحاول جهدها التمسك بالاراضي العربية المحتلة معتمدة على « حماتها التقليديين » . (ب) ان اتفاقي فك الارتباط على الجبهتين المصرية والسورية كانا مفيدين كخطوة اولى الا انهما لم يحلا القضية التي تتطلب تسوية شاملة . (ج) ضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة وتحرير الاراضي التي استولت عليها اسرائيل وتحقيق الكيان القومي للشعب الفلسطيني . (د) المطالبة بشدة باستئناف مؤتمر جنيف في أسرع وقت ممكن وبحضور جميع الفرقاء المعنيين بما فيهم منظمة التحرير الفلسطينية . ثالثا ، مبادرة الرئيس السادات الى منح وسام النجمة العسكرية من الدرجة الاولى الى كبير الخبراء العسكريين السوفيات في مصر « تقديرا لما قام به من أعمال ممتازة مع الخبراء السوفيات » قبل انهاء مهماتهم في تموز ١٩٧٢ . وكانت هذه المبادرة نوعا من رد الاعتبار الى الدور الهام الذي قام به الخبراء السوفيات في مصر .

بعد هذه المقدمات سافر وزير خارجية مصر ، اسماعيل فهمي ، على رأس وفد هام الى موسكو ضم رئيس اركان الجيش المصري ووزير التخطيط وعددا من كبار الخبراء السياسيين والعسكريين والاقتصاديين . وحمل فهمي رسالة « مهمة وطويلة » من السادات الى بريجنيف . وعند مغادرته القاهرة صرح فهمي قائلا ان زيارته تعتبر خطوة جديدة كبيرة على طريق العلاقات السوفياتية المصرية هدفها تطوير هذه العلاقات على أسس ثابتة وسليمة واستنادا الى تفاهم حقيقي يخدم مصلحة البلدين واستمرار الصداقة بينهما. وذكرت مصادر مطلعة ان محادثات فهمي مع غروميكو وبريجنيف تناولت الموضوعات الرئيسية التالية : (أ) السعي الى تحسين العلاقات بين البلدين بعد التدهور الذي شهدته في السنوات الثلاث الاخيرة وبعد الهجوم العلني الذي تعرض له الاتحاد السوفياتي على يد الزعامة المصرية واجهزة الاعلام في البلد . (ب) الاتفاق على عدد من القضايا التجارية والمالية والصناعية والاقتصادية العالقة بين البلدين وخاصة مسألة تزويد الاتحاد السوفياتي لمصر بما تحتاجه من سلع ومعدات بالاضافة الى التفاهم حول مشكلة القروض التي استحقت على مصر للاتحاد السوفياتي . وبهذا الصدد صرح وزير التجارة الذي رافق الوفد المصري ان مباحثاته في موسكو ستتناول « تنمية التبادل التجاري وتحديد نوعيات السلع المتبادلة في السنوات المقبلة » وأكد بأنه لا بد وان يحاول الطرفان ازالة أية عقبة في طريق تنمية التبادل التجاري بين البلدين . (ج) الوصول الى اتفاق حول حصول مصر على مزيد من الاسلحة السوفياتية الجديدة وضمان وصول قطع الغيار واستمرار الدعم العسكري السوفياتي . ومن المفترض ان يناقش رئيس الاركان بالتفصيل احتياجات مصر من الاسلحة مع المسؤولين العسكريين السوفيات. (د) التمهيد لاجتماع القمة الذي سيتم عقده بين السادات وبريجنيف في القاهرة في الاسابيع المقبلة .

وقد اسفرت هذه الزيارة عن نتيجتين هامتين : اولا الاعلان رسميا عن موعد زيارة بريجنيف للقاهرة

(١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥) . وقد اشار بيان رسمي اذيع عقب اجتماع فهمي ببريجنيف الى تصميم الطرفين على تنمية علاقات صداقة وتعاون كاملة بين البلدين استنادا الى اساس صلب هو معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية المبرمة في ايار (مايو) ١٩٧٠ كما أكد تأييد الاتحاد السوفياتي للشعوب العربية في نضالها ضد الامبريالية ومن أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي واقامة سلام عادل ودائم في المنطقة . هذا بالاضافة الى تعبيره عن شكر جمهورية مصر العربية وامتنانها للاتحاد السوفياتي على مساعداته ودعمه لاقتصادها وتقوية قدراتها الدفاعية . وترددت انباء صحفية بهذا الصدد تقول ان بريجنيف سيزور ايضا سوريا والعراق والجزائر وانه سيترأس وفدا عسكريا وسياسيا واقتصاديا وحزبيا كبيرا، وان محادثاته مع الرئيس السادات ستتناول مجالات التعاون الثنائي بين البلدين . ومن المنتظر ان تؤدي الزيارة الى توقيع اتفاقات للتعاون الاقتصادي والتجاري والتقني والنووي والحزبي بين البلدين ، وان يساهم الاتحاد السوفياتي في خطة التنمية المصرية وان يوقع معها اتفاقات عسكرية لتزويدها بأسلحة ومعدات عسكرية جديدة . ثانيا ، صدور بيان مشترك ركز بصورة رئيسية على القضية الفلسطينية ولم يتطرق الى العلاقات الثنائية بين البلدين . وذكر البيان النقاط التالية : (أ) انه تم الاتفاق على ان التسوية السياسية النهائية والشاملة التي ينبغي التوصل اليها في مؤتمر جنيف غير ممكنة بدون ضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي ولا سيما حقه في انشاء كيانه الوطني. (ب) الاتفاق على ضرورة اشتراك ممثلين من منظمة التحرير الفلسطينية بصفة مستقلة وعلى قدم المساواة مع بقية الاطراف في مؤتمر جنيف . (ج) الاتفاق على ضرورة عمل الطرفين من أجل استئناف أعمال مؤتمر جنيف للسلام في أقرب وقت ممكن . (د) الاتفاق على التعبير عن ارتياح الطرفين الى القرار الذي أصدرته الجمعية العمومية للامم المتحدة بتوجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في مناقشة القضية الفلسطينية . (هـ) الاتفاق على التعبير عن ثقة الطرفين بأن الجمعية العمومية ستتخذ قرارا بناء حول هذا الموضوع يسهم في ضمان الحقوق الفلسطينية المشروعة . ويبدو ان البيان المشترك لم يتطرق الى العلاقات الثنائية بين البلدين لان الاتحاد السوفياتي فضل الوصول الى نتائج ملموسة حول هذا الموضوع في اللقاء الذي سيجري بين بريجنيف والرئيس السادات . وقد ذكرت انباء صحفية ان الاتحاد السوفياتي وافق مبدئيا على تزويد مصر بمفاعل نووي لاغراض سلمية .

وجدير بالاشارة هنا انه على اثر زيارة فهمي شنت أجهزة الاعلام السوفياتية هجوما عنيف اللهجة على دبلوماسية هنري كيسينجر في الشرق الاوسط وذلك في وقت كان الوزير الاميركي يقوم بزيارة موسكو . وركز الهجوم على القول بأن سياسة كيسينجر لن تؤدي أبدا الى حل القضايا الجوهرية المطلوب حلها في أية تسوية سلمية في الشرق الاوسط . كما هاجمت الفكرة الاساسية التي يعمل كيسينجر استنادا اليها وهي فكرة اجراء المحادثات الثنائية المنفصلة بين اسرائيل والدول العربية المعنية وابرام الاتفاقات الجزئية « التي لا تؤدي الا الى اطالة أمد النزاعات » . وفي هذا الكلام نقد واضح لمحاولة الوزير الاميركي استبدال مؤتمر جنيف بهذا النوع من المفاوضات والاتفاقات .

تمثل التطور الدولي الهام الاخر في الزيارة التي قام بها وزير خارجية فرنسا سوفانيارغ الى كل من بيروت وعمان وتل ابيب والآثار التي تركتها زيارته . وكان الجانب المثير في هذه الجولة اجتماع الوزير الفرنسي الى رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات . وقد فسر اجتماعه هذا بقوله ان فرنسا تضع القضية الفلسطينية في موقع الصدارة في تسوية ازمة الشرق الاوسط ، ولذلك ينبغي « الاستماع الى الفلسطينيين وبالتالي الى القائد الفلسطيني الذي يمثل أماني شعبه ويجسدها ». وبعد تصويت فرنسا الى جانب منظمة التحرير في هيئة الامم اعتبر اجتماع سوفانيارغ بعرفات اعترافا من جانب الحكومة الفرنسية بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني . وذكرت مصادر فلسطينية ان الحوار بينهما كان « صريحا وديا ومباشرا ، كما كان حوار حليفين » . كما ذكرت هذه المصادر ان الوزير الفرنسي أكد النقاط التالية خلال محادثاته مع عرفات : (أ) ضرورة تفهم الثورة

الفلسطينية للواقع الدولي لكي تكسب المزيد من الدعم والاصدقاء . (ب) في الاهمية التي تنطوي عليها دعوة منظمة التحرير الى الامم المتحدة باعتبارها مكسب سياسي كبير . (جـ) تأييد فرنسا للانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة . (د) مطالبة فرنسا باعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه الشرعية وتأييدها لوجود اسرائيل ضمن حدود آمنة . (هـ) تأييد فرنسا لاقامة سلطة وطنية فلسطينية مستقلة. (و) ضرورة اشتراك منظمة التحرير في مؤتمر جنيف باعتبار ان ذلك شرط اساسي لتحقيق أية تسوية عادلة . وعلى اثر انتهاء المحادثات ادلى عرفات بالتعليق التالي « كان اللقاء وديا وساده جو من التفاهم على الكثير من القضايا المطروحة ونتوقع ان يوصلنا هذا اللقاء الى المزيد من تطوير العلاقات الفرنسية — الفلسطينية . جاء اللقاء تتويجا للمواقف الفرنسية الايجابية تجاه القضية العربية عموما والقضية الفلسطينية خصوصا » . وفي هذه الاثناء أعلن ناطق رسمي باسم الحكومة الفرنسية ان الرئيس ديستان أكد في جلسة مجلس الوزراء صباح الاربعاء ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ، ان السلام لا يمكن ان يعود الى الشرق الاوسط بدون اتفاق كامل يتضمن تسوية للقضية الفلسطينية وان هدف زيارة الوزير الفرنسي هي التأكيد على وجهة نظر فرنسا هذه . وعاد الرئيس ديستان الى تحديد الموقف الفرنسي الرسمي شخصيا عبر مؤتمر صحافي عقده خصص قسما كبيرا منه للحديث عن القضية الفلسطينية وشدد على ان مشكلة الفلسطينيين ليست مشكلة لاجئين لانهم « يشكلون كيانا وحقيقة وشعبا » . واضاف قائلا بأنه يجب ان يكون لهذا الشعب وطنه . وان بلاده تعتبر ان أية تسوية سلمية دائمة في المنطقة غير ممكنة بدون معالجة القضية الفلسطينية وحلها بشكل عادل ، وان المفاوضات يجب ان تبدأ من اجل الوصول الى هذا الحل على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . مع ذلك وجه ديستان نقدا لهذا القرار لانه لا يتحدث عن الفلسطينيين الا في صيغة اللاجئين . كما دعا الى عقد مؤتمر كبير للطاقة في مستهل ١٩٧٥ تحضره البلدان المنتجة للنفط والبلدان الغربية الرئيسية المستهلكة له بالاضافة الى بلدان مستهلكة اخرى غير صناعية .

وفي طريقه الى اسرائيل زار سوفانيارغ عمان حيث صدر بيان رسمي ذكر ان محادثاته مع الملك حسين تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين ووسائل دعمها وتطويرها بالاضافة الى تبادل وجهات النظر حول آخر تطورات الوضع الراهن في الشرق الاوسط .

في اسرائيل اتصفت زيارة الوزير الفرنسي بالحدة والاثارة والتصادم العلني في وجهات النظر بينه وبين المسؤولين الاسرائيليين . عند وصوله الى تل ابيب صرح سوفانيارغ قائلا بأنه جاء على أمل « بأن يتمكن من ازالة سوء التفاهم بين فرنسا واسرائيل » . وشدد على ان فرنسا تؤيد حق اسرائيل في الوجود ضمن حدودها التي كانت قائمة قبل حرب ١٩٦٧ . واشار كذلك الى لقائه بياسر عرفات قائلا بأن حكومته تعتقد بأنه ليس بالامكان حل مشكلة الشرق الاوسط بدون حل مشكلة مصير الشعب الفلسطيني الذي لم يعد بالامكان اعتباره مجرد مجموعة من اللاجئين . وظهرت الخلافات الحادة في وجهات النظر منذ وصول الوزير الى تل ابيب . اذ أكد آلون ، بمناسبة استقباله للزائر ، بأن اسرائيل لا يمكن ان توافق على العودة الى حدود عام ١٩٦٧ . وذكرت أوساط دبلوماسية مطلعة ان محادثات سوفانيارغ مع آلون ورابين لم تكن « محادثات » بالمعنى الدقيق للعبارة اذ ان كل طرف عرض وجهة نظره المتعارضة مع وجهة نظر الطرف الاخر . فقد بين الوزير الفرنسي ان السلام مستحيل اذا ارادت اسرائيل الاحتفاظ بالاراضي المحتلة وان السبيل الوحيد لحصول اسرائيل على حدود سلام حقيقية هو عدم اعتراض أحد على هذه الحدود وتحصينها بضمانات دولية ، وانه لا بد من ايجاد حل عادل لمشكلة الشعب الفلسطيني . كما اشار على اسرائيل من موقع الحرص على سلامتها ومستقبلها ان تعترف بالفلسطينيين ومنظمة التحرير لتفادي حرب جديدة اذ ان العرب يملكون طاقات هائلة واظهروا في الحرب الاخيرة امتلاكهم لارادة القتال والقدرة على تجنيد الاصدقاء في الحرب ضد اسرائيل . وأكد انه يقول هذا الكلام الى الاسرائيليين كصديق « يدعوهم الى التفكير بمستقبلهم » . أما الجانب الاسرائيلي فقد طرح موقفه المعروف على لسان رابين والذي يتلخص في

رفض اسرائيل ان يتوقف أمنها على ضمانات دولية ورفضها لخطوط عام ١٩٦٧ كحدود دائمة ورفضها لتسوية المشكلة الفلسطينية مع منظمة التحرير . بالاضافة الى ذلك حذر رابين ضيفه بأن السياسة الخارجية التي تنتهجها فرنسا في المنطقة يمكن ان تؤدي الى نشوب حرب جديدة . وقبل مغادرته اسرائيل عقد الوزير الفرنسي مؤتمرا صحافيا أعلن فيه انه لاحظ نتيجة محادثاته هناك بأن المسؤولين الاسرائيليين يعارضون معارضة تامة أية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية . وعاد الى التأكيد من جديد على وجود الشعب الفلسطيني والواقع الفلسطيني الذي ينبغي أخذه بعين الاعتبار . وجدير بالاشارة الى ان الوزير الفرنسي خرج عن النص الرسمي لخطابه الوداعي (بسبب الهجوم الشديد الذي شنه عليه آلون في مأدبة العشاء الوداعية) بقوله ان موقف فرنسا يتعارض مع المصالح الحيوية لاسرائيل ويشجع على نشوب الحرب في المنطقة . كما ان سياسة تأييد الجانب العربي ستضعف من دور فرنسا في المنطقة) ليرد على اتهامات آلون فذكر مستمعيه بأن فرنسا لم تخترع القضية الفلسطينية وان سياستها تقوم على اعتبار ان أمن اسرائيل يستند الى قرارات الامم المتحدة والضمانات الدولية وليس الى احتلال الاراضي .

وفي معرض هذه الاشارة الى الموقف الفرنسي المستجد حول قضية الشعب الفلسطيني لا بد من ان نذكر الاعلان الذي أصدرته الحكومة البريطانية العمالية في الاسبوع الثاني من الشهر الجاري حول الموضوع نفسه . وقد جاء هذا الاعلان على لسان وزير الخارجية البريطاني في اجتماع للحركة الصهيونية العمالية في انكلترا . وأكد هذا البيان ان الفلسطينيين هم مركز الصراع في الشرق الاوسط وان اية محاولة لتجاهلهم أو طرحهم جانبا ستقضي حتما على ما تم تحقيقه على صعيد مساعي السلام في المنطقة . كما اشار الى انه على الاسرة الدولية ان تعثر على طريق تمكن الشعب الفلسطيني من الاعراب عن شخصيته وممارسة حقوقه الوطنية المشروعة شريطة الا يمس ذلك حق اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة ومعترف بها والا يثير اية تساؤلات حول هذا الحق ، وشدد المتحدث البريطاني بان السلام لن يعود الى الشرق الاوسط الا اذا حقق الفلسطينيون مركزا يستطيعون ان يعتبروه ملكا لهم ، وان هدف بريطانيا في هيئة الامم هو الحصول على مشروع قرار يعترف بالاماني المشروعة للشعب الفلسطيني بدون ان يثير العراقيل في طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى الرغم من عبارات التحفظ الشديدة التي صيغ بها هذا البيان الرسمي فانه يعتبر أفضل ما صدر عن الحكومات العمالية البريطانية بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني .

أما فيما يتعلق بمؤتمر القمة العربي في الرباط والانتصار الذي تمكنت منظمة التحرير من انتزاعه هناك فقد كان له امداء دولية هامة . وقد تمثل هذا الانتصار بالاعتراف العربي الاجماعي بمنظمة التحرير كممثل الشعب الفلسطيني الشرعي والوحيد وبتأييد اقامة السلطة الوطنية على كل أرض فلسطينية ينحسر عنها الاحتلال الاسرائيلي مما يعني كف يد الملك حسين عن الضفة الغربية. وبرزت الناحية الدولية لاجتماعات القمة العربية أول ما برزت في المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك الحسن الثاني عقب انتهاء اجتماعات القمة حيث حذر الولايات المتحدة واسرائيل من مغبة عدم الاعتراف بمنظمة التحرير كطرف مفاوض لان ذلك سيعني انفجارا جديدا في المنطقة وستكون اليد العليا فيه للسعرب . واشار الى الطاقات والثروات العربية المتراكمة ونصح اسرائيل بضرورة القيام بالخطوة التالية لان الطرف العربي لم يعد هو الطرف الاضعف . كذلك اشار الى موضوع سلاح النفط بقوله ان الدول العربية قررت عدم استخدامه مرة اخرى ضد الغرب « لان هذا السلاح ذو حدين » ولذلك فان النفط سيستمر في التدفق في الوقت الحاضر .

بالنسبة لاسرائيل كان رد فعلها على قرارات مؤتمر القمة عنيفا ومزوجا بالتوتر والمرارة . فقد أعلن وزير الاعلام اهارون ياريف ان اسرائيل ما زالت تعارض انشاء دولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير في الضفة الغربية على الرغم من قرار مؤتمر القمة العربي . كما اكد المسؤولون الاسرائيليون على أعلى المستويات بان حكومتهم ترفض رفضا قاطعا التفاوض مع منظمة التحرير حول مستقبل الضفة الغربية . على سبيل المثال

اعلن رابين أن قرار مؤتمر القمة الفلسطيني « سيجبر اسرائيل على تغير سياستها وسيعقد المفاوضات في الشرق الاوسط » . كما اعلن وزير الدفاع ان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الاردن لاعادة بعض اجزاء الضفة الغربية . وحددت الحكومة الاسرائيلية موقفها الرسمي في بيان القاه رابين في الكنيست ذكر فيه ان حكومته ترفض رفضا قاطعا نتائج مؤتمر القمة وترفض قراراته كما ترفض ان تتفاوض « مع المنظمات الارهابية التي تعلن ان هدفها هو تدمير اسرائيل » . كما قال ان نتائج قرارات مؤتمر القمة خطيرة جدا لانها تعني استمرار سياسة مؤتمر قمة الخرطوم. وأكد رابين في بيانه ان اسرائيل ستستمر في سياساتها القائمة على المفاوضات خطوة خطوة مع الاردن من ناحية اولى ومع مصر من ناحية ثانية . واعلن باريف مرة اخرى ان بلاده ترفض التفاوض مع منظمة التحرير « الا اذا تخلت عن مبدأها الاساسي وهو ازالة دولة اسرائيل » . وانها لن تتفاوض مع وفد عربي موحد تكون منظمة التحرير جزءا منه ولن تتفاوض الا مع كل دولة عربية على حدة . كذلك اكد ان اسرائيل لم تقطع الامل في التفاوض مع الملك حسين حول الضفة الغربية ، « لكن اذا تخلى الملك حسين نهائيا عن التفاوض مع اسرائيل فانها ستتفاوض مع طرف اخر شرط ان يعترف بأن اسرائيل واقع يجب ان يستمر في هذه المنطقة » .

أما رد الفعل الاميركي فقد تم التعبير عنه بتصريحات يلفها الغموض المتعمد وشيء من التناقض مع ميل الى تأكيد استمرار خط السياسة الاميركي على حاله وكأن قرارات مؤتمر القمة لم تكن . فعلى اثر صدور قرارات مؤتمر الرباط صرح كيسنجر قائلا خلال زيارته لطهران « ان بلاده لا تنوي تغيير سياستها » لكنها ستدرس باهتمام شديد قرارات مؤتمر الرباط . وادلى الرئيس فورد بتعليق على القمة قال فيه بان الفرصة لم تتوافر له بعد لتقييم قرار القمة لكن « بامكاني ان اقول بأنه من المهم جدا ان يحدث تحرك نحو تسوية للمشكلات بين مصر واسرائيل وبين اسرائيل والاردن او منظمة التحرير الفلسطينية ، وبين اسرائيل وسوريا » . وقد لفتت هذه الاشارة الى منظمة التحرير الانتباه بشكل واسع لانها تشكل المرة الاولى التي يتلفظ فيها رئيس اميركي باسم منظمة التحرير وفي سياق كونها الطرف المفاوض البديل للاردن . وقد اعتبرتها بعض الاوساط مقدمة لاعتراف الولايات المتحدة في المنظمة باعتبارها أحد أطراف النزاع الاصيلة مع اسرائيل . كما اعتبرتها اوساط اخرى مجرد زلة لسان خاصة وان الناطق الصحافي باسم البيت الابيض اعلن ان ما قاله الرئيس فورد « عن مفاوضات محتملة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل لا يمثل اي تغير في السياسة الاميركية » . واضاف الناطق قائلا ان الرئيس فورد لم يتخذ القرار النهائي بعد حول السياسة الاميركية ازاء قرارات مؤتمر القمة المتعلقة بالمنظمة وباقامة السلطة الوطنية . وعندما تم توجيه الاستيضاحات الى الناطق حول ما اذا كان نفيه لوجود اي تغير في السياسة الاميركية يعني سحب كلام فورد حول منظمة التحرير اجاب الناطق بالنفي . وعندما سئل اذا ما كان الرئيس فورد قد ارتكب خطأ عند اشارته الى منظمة التحرير اجاب الناطق بأن الرئيس لم يرتكب اي خطأ . وقد اثارت هذه التصريحات الغامضة وغير المنسجمة مع بعضها القلق والشكوك في اسرائيل مما دعا السفارة الاسرائيلية في واشنطن الى طلب ايضاح رسمي حول هذه المسألة من وزارة الخارجية الاميركية . ومن جانب اخر اعلن كيسنجر في مؤتمر صحفي عقده خلال زيارته لنيو دلهي قال فيه على الرغم من اعتراف مؤتمر القمة بمنظمة التحرير الفلسطينية فان الحكومة الاميركية تعتبر المفاوضات بين الاردن واسرائيل اكثر الطرق فعالية لمعالجة القضية الفلسطينية ومسألة الضفة الغربية المحتلة . واضاف قائلا ان طريق المفاوضات في المستقبل لا يعتمد على وجهة نظر طرف واحد (أي الطرف العربي) بل على وجهات نظر كل الاطراف المعنية . وعاد كيسنجر الى تأكيد الموقف الاميركي القائل بأن المفاوضات خطوة خطوة « بما في ذلك المفاوضات بين الاردن واسرائيل حول الضفة الغربية » تقدم افضل أمل للنجاح في الوقت الراهن .

وفيما يتعلق بمؤتمر جنيف ذكر مصدر اردني رسمي بأن منظمة التحرير ستذهب وحدها الى المؤتمر وسيشارك وفدها في اعماله ولن يذهب

اي وفد اردني على اعتبار ان مصير الضفة الغربية قد تحدد .

على أثر انتهاء مؤتمر القمة بدأ كيسنجر جولته التاسعة في الشرق الاوسط وقد شملت مصر والسعودية والاردن وسوريا واسرائيل وتونس . وحدد الوزير الاميركي هدف زيارته قبل وصوله الى القاهرة بقوله انه آت لاجراء محادثات مع المشتركين في مؤتمر الرباط وغيرهم من الزعماء في المنطقة وتقييم الوضع معهم على ضوء التطورات الاخيرة . وأكد ان حكومة بلاده « لا تقوم في هذه اللحظة باعادة تقييم سياستها » وان الرئيس فورد وكبار مساعديه يدرسون الوضع في المنطقة بمجمله بعد عودتي (الى واشنطن) ولكني لا اتوقع تغييرا في السياسة الاميركية » . وعند وصوله الى مطار القاهرة قال كيسنجر أنه سيناقش مع الرئيس السادات والوزير فهمي اخر تطورات الوضع في المنطقة على ضوء نتائج مؤتمر الرباط وقراراته . واكد ان بلاده ما زالت على استعداد لمساعدة الاطراف المعنية على تحقيق تقدم سريع نحو السلام . وقد ذكرت أوساط مطلعة ان الجانب المصري ابلغ كيسنجر في هذه المحادثات : (أ) ان قرارات الرباط لا يمكن ان تشكل عقبة في طريق التسوية السياسية العادلة لانه لا يمكن لاي سلام ان يتم في المنطقة بمعزل عن الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني . (ب) ان اية قطعة ارض فلسطينية ينحسر عنها الاحتلال الصهيوني ، ان سلما او حربا ، لا بد ان تقام عليها السلطة الوطنية الفلسطينية مما يعني ضرورة مشاركة منظمة التحرير في جهود التسوية بصفتها كطرف اصيل . (ج) ان موافقة الاردن على قرارات الرباط لا تعني الغاء دوره في المشاركة في الجهود السياسية والمساعي الرامية للتوصل الى التسوية . (د) ان مصر لن تدخل في محادثات سياسية ثنائية مع اسرائيل ولن توقع على معاهدة منفردة للسلام في مقابل انسحاب من سيناء . وعلى اثر انتهاء المحادثات مع الرئيس السادات عقد كيسنجر مؤتمرا صحفيا قال فيه : (أ) ان محادثاته مع الرئيس السادات كانت مفيدة وبناءة وأن اكثر الطرق فعالية لتحقيق التسوية السلمية هو « اسلوب التقدم خطوة خطوة » . (٢) ان قرارات مؤتمر القمة عقدت الامور بعض الشيء وانه ما زال عليه « ان يبحث في تأثير هذه القرارات » . (٣) نفى ان يكون لديه اي نية للاجتماع بياسر عرفات . (٤) قال انه سيكون بالامكان استئناف مؤتمر جنيف عندما تشعر كل الاطراف المعنية بأن انعقاده سيؤدي الى مساهمة مفيدة في تحقيق السلام .

اما الرئيس السادات فقد اكد في المؤتمر الصحفي نفسه ثقته الكاملة في الدكتور كيسنجر وتأييده لاستمرار جهود الوزير الامريكي من اجل التوصل الى السلام العادل في المنطقة . كما أكد السادات ان الباب نحو التقدم بهذا الاتجاه ما زال مفتوحا لان مؤتمر الرباط لم يضع اية عقبة في وجه حركة التقدم نحو الحل المنشود، وان مصر « على استعداد دائم لاسترجاع كل ما يمكن استرداده من الاراضي » . ورهن السادات امكانات لقائه مرة اخرى بالوزير الاميركي « بقوة الدفع التي تسير بها الاحداث في المستقبل القريب» واضاف قائلا ان هذه القوة الدافعة لا تزال مستمرة ، وان جهود كيسنجر اصبحت مطلوبة في المستقبل القريب اكثر من اي وقت مضى . وفي هذه الاثناء اعلن الناطق الصحافي باسم البيت الابيض ان موضوع مستقبل الشعب الفلسطيني هو جانب مهم من قضية الشرق الاوسط ، وان الولايات المتحدة تعترف بان الوصول الى تسوية عادلة ودائمة في الشرق الاوسط لا بد من يأخذ بعين الاعتبار المصالح الشرعية للشعب الفلسطيني . الا ان الناطق لم يحدد ما اذا كانت الولايات المتحدة تعتبر منظمة التحرير هي ممثلة مصالح الشعب الفلسطيني في مفاوضات السلام أم لا . لكنه اكد مجددا ان الاشارة التي وردت في تصريح الرئيس فورد الى منظمة التحرير لا تشكل اي تغير في السياسة الاميركية .

بعد القاهرة قام كيسنجر بزيارة سريعة للعربية السعودية حيث اجرى محادثات مع الملك فيصل . وادلى كيسنجر بتصريح مطول قال فيه ان محادثاته مع الملك فيصل كانت جيدة ومفيدة وانه شرح للملك « ولاصدقائنا في المملكة باننا على استعداد للاستمرار في جهودنا اذا كانت الاطراف المعنية موافقة على ذلك وقابلة به » . واكد كيسنجر انه وجد كل مؤازرة من الملك فيصل

من اجل تحقيق هدف السلام وانه بتشجيع من جلالته ستستمر الولايات المتحدة في جهودها لتضييق شقة الخلاف بين الطرفين العربي والاسرائيلي . وبالنسبة لموضوع البترول قال كيسنجر انه شرح للملك النتائج السلبية المترتبة على الكيانات الاقتصادية والسياسية في جميع انحاء العالم بسبب اسعار النفط المرتفعة . واعرب عن أمله في ان تستمر الحكومة السعودية في محاولاتها لتخفيض اسعار النفط .

في الاردن اجرى كيسنجر محادثات مع الملك حسين وأكد بصورة علنية ان حكومته « تسولي اهمية كبيرة جدا لدور الاردن بصفته احد العوامل الرئيسية لتحقيق السلام في المنطقة » . كما اشاد بالعلاقات الاردنية — الاميركية ووصف محادثاته بأنها جرت في جو من الصداقة والتفاهم . وذكرت الانباء الصحافية الصادرة من عمان بان الجانب الاردني اخبر كيسنجر بالتزام الاردن بقرارات مؤتمر الرباط وموافقته عليها . بعد ذلك وصل كيسنجر الى دمشق حيث اجرى محادثات مع الرئيس الاسد ووزير خارجيته . وصرح كيسنجر قائلا ان الرئيس الاسد عرض وجهة نظره بالنسبة لتطور الاوضاع في المنطقة ولتفسيره لمعنى قرارات مؤتمر الرباط ، وانه عرض هو بدوره موقف الولايات المتحدة في مسألة التسوية السلمية والتقدم نحوها على اساس « السير خطوة خطوة لتحقيق السلام العادل والدائم » . وذكرت الانباء ان مهمة كيسنجر لم تكن سهلة في دمشق بسبب تشدد السلطات هناك حول موضوع الانسحاب الاسرائيلي الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة . وقبل وصول كيسنجر الى تل ابيب اعلن وزير الخارجية الاسرائيلي الون بأنه تلقى تأكيدات من البيت الابيض ومن وزارة الخارجية الاميركية بأنه لم يطرأ أي تغيير على سياسة الولايات المتحدة فيما يتعلق بالمفاوضات مع الفلسطينيين . وقد جاءت هذه التأكيدات نتيجة اعراب الون عن قلقه من التناقضات التي ظهرت في التصريحات الاميركية عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي . وقد أكدت وزارة الخارجية الاميركية لالون بان الولايات المتحدة لن تدعو اسرائيل الى التفاوض مع منظمة التحرير . وعند وصول كيسنجر الى اسرائيل اكد مجددا في تصريح له ما كان قد قاله حول عدم حدوث اي تغيير في السياسة الاميركية نتيجة قرارات مؤتمر القمة . وعلى اثر انتهاء محادثات الوزير الاميركي مع رابين وبقية المسؤولين الاسرائيليين ذكر وزير الاعلام الاسرائيلي ان كيسنجر ترك انطباعا بأن امكانات التفاوض مع مصر هي اكبر من امكانات التفاوض مع سوريا وأن الملك حسين بات خارج المفاوضات في الوقت الحاضر وان كيسنجر يقبل وجهة النظر الاسرائيلية القائلة برفض التفاوض مع منظمة التحرير . بعد ذلك عقد الون مؤتمرا صحافيا شرح فيه الموقف الاسرائيلي بقوله : (أ) ان اسرائيل لا تنوي اطلاقا التفاوض مع منظمة التحرير لكن هذا لا يعني بانها لن تتفاوض الا مع الاردن فقط اذ « توجد امكانات اخرى تدرسها الحكومة الاسرائيلية حاليا » . (ب) ان الاردن يبقى طرفا في مفاوضات السلام مع اسرائيل على الرغم من تخليه عن دوره في التفاوض حول الضفة الغربية . (ج) ان اسرائيل لا تعتقد بأن مؤتمر الرباط هو الكلمة الاخيرة في سياسة الشرق الاوسط وفي مشكلة المنطقة اذ أن فرصا جديدة لا بد ان تطرح نفسها في المستقبل المنظور « عندما تدرك حكومات اكثر مسؤولية واكثر حكمة في المنطقة ان ما حدث في الرباط لا يمكن ان يؤدي الى حل سياسي » . (د) ان اسرائيل قلقة من القوة العسكرية السورية لكنها لا تنوي مهاجمة سوريا . (هـ) ان اسرائيل ما زالت تنتظر ايضاحات من كيسنجر حول ما اذا كانت مصر مستعدة لاجراء مفاوضات في خطوة اخرى نحو السلام . ويمكننا القول ان حصيلة جولة كيسنجر تمثلت اولا في اصراره على التمسك بخط السياسة الاميركي المعلن قبل مؤتمر القمة وقراراته مما يعني ان كيسنجر يريد منع المؤتمر من التأثير على تصور الولايات المتحدة للتسوية السياسية ، وثانيا في تمسكه بالتصور الاميركي لدور الاردن في هذه التسوية وهذا واضح من عدة تصريحات اطلقها تعليقا على قرارات مؤتمر القمة خلال جولته .

في هيئة الامم قام الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعرض قضية فلسطين امام الهيئة الدولية . وأصبح مسلم به ان مناقشة القضية الفلسطينية في المنظمة الدولية قد كرس نهائيا طابعها السياسي الدولي

بدلا من تناولها ، كما في السابق ، كفرع من فروع النزاع العربي الاسرائيلي وكمسألة مساعدات يجري تقديمها للاجئين الفلسطينيين . وقبل افتتاحه مناقشة القضية الفلسطينية في الجمعية العامة توجه ياسر عرفات الى الشعب الاميركي عبر مقابلة مطولة اجرتها معه احدى الشبكات الاميركية الرئيسية للتلفزيون وعبر مقابلة صحفية نشرتها « النيويورك تايمز » . وقد شدد عرفات في هاتين المقابلتين على : (أ) ضرورة التميز بين العنف الفلسطيني الذي يشكل سلاحا للدفاع عن النفس وبين الارهاب الذي تمارسه اسرائيل لتصفية الفلسطينيين وازالة هذا الشعب الذي ترفض اسرائيل الاعتراف بوجوده . (ب) ان بلادا مثل اسرائيل وجنوب افريقيا وروديسيا هي بؤر الحرب الحقيقية في العالم لانها تقوم على التمييز العنصري والتفرقة . (ج) انه ما لم توقف الولايات المتحدة مساعداتها غير المشروطة وتأييدها المستمر وتخطيطها المشترك مع اسرائيل لن يكون بالامكان الحؤول دون وقوع حرب جديدة في المنطقة . (د) ان الحكومة الفلسطينية ستشكل قريبا كخطوة تمهيدية لتحقيق السيادة الفلسطينية على الاراضي الفلسطينية التي ستنسحب منها اسرائيل . (هـ) دعوة الولايات المتحدة الى الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في أن تكون له دولته كشرط للسلام في الشرق الاوسط معتبرا السلطة الفلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة « نواة دولة المستقبل التي ستمتص اسرائيل الحالية بحيث يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود على قدم المساواة ». (و) ان اعتراف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير كفريق في مفاوضات السلام سيساعد كثيرا . ولذلك ناشد الشعب الاميركي والمواطنين المخلصين والشرفاء كي يمارسوا الضغط على حكومتهم كما فعلوا بالنسبة الى حرب فيتنام وذلك كي تدرك هذه الحكومة حقيقة القضية الفلسطينية لان « السلام في المنطقة سيبقى بعيدا ما دامت الولايات المتحدة تصر على عدم وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني » .

وجدير بالاشارة اخيرا ان انباء صحافية ترددت استنادا الى مصادر فلسطينية تقول بأن الحكومة المصرية وجهت رسالة هامة الى الحكومة الاميركية عشية مناقشة القضية الفلسطينية في هيئة الامم هدفها وضع الحقائق التالية امام الرئيس فورد ووزير خارجيته كيسنجر : (١) ان القاهرة تعتبر عرض قضية فلسطين امام الامم المتحدة ومشاركة القيادة الفلسطينية في هذا العرض يشكلان فرصة هائلة امام الولايات المتحدة كي تقوم بدور فعال من اجل التوصل الى حل عادل للمشكلة . (٢) انه على الولايات المتحدة ان تبادر منذ الان الى تفهم الصوت الفلسطيني وان تنظر نظرة موضوعية الى اسس المشكلة المتمثلة بالمطالب المشروعة للشعب الفلسطيني وتنفيذ مقررات الامم المتحدة بالاضافة الى الاخذ بعين الاعتبار المصالح الاميركية الضخمة في المنطقة . (٣) ان اي تصور لحل المشكلة بعيدا عن الاستجابة للمطالب الفلسطينية المشروعة يظل تصورا قاصرا وناقصا وسترفضه المجموعة العربية كما انه سيؤدي الى تطورات لا تخدم قضية السلام . (٤) ان جهود التسوية تواجه الان اختبارا صعبا وان امورا كثيرة ستبقى مرهونة بالموقف الذي ستتخذه الحكومة الاميركية اثناء عرض القضية الفلسطينية في هيئة الامم . (٥) ليس بالامكان التوصل الى حل شامل وعادل يضمن مصالح كافة الفرقاء الا في العودة الى قرارات الامم المتحدة وحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم الوطنية في الضفة الغربية وغزة . (٦) ان اي حديث عن مستقبل الضفة الغربية وغزة يجب ان يوجه الى الطرف المعني اساسا بالمشكلة وهو منظمة التحرير اذ ان الدول العربية جميعا بما فيها الاردن متمسكة بقرارات مؤتمر الرباط . (٧) انه بعد انتهاء مناقشات الجمعية العامة ستقوم الدول العربية باعادة تقييم مواقف مختلف الدول ، وبصورة خاصة الولايات المتحدة ، مما يعني ان الوقت قد حان لتراجع اميركا حساباتها في المنطقة .

(٣) المناطق المحتلة

[١]

عززت سلسلة الانتصارات السياسية التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية ، على الصعيد العربي والدولي ، حالة النهوض الوطني بين صفوف الشعب الفلسطيني في سائر اماكن تواجده. ومثلت سلسلة الانتصارات تلك على صعيد المناطق المحتلة ، بصفة خاصة ، وما صاحبها من ردود فعل واسعة ، انجازا وطنيا هاما للثورة الفلسطينية . اذ ثبت بالدليل الحسي اجماع الشعب الفلسطيني وتأييده في كل مكان للاهداف المرحلية المعلنة للثورة الفلسطينية والمتمثلة في اقامة سلطته الوطنية الديمقراطية المستقلة على كل ارض يتحرر عنها ظل الاحتلال .

وكان انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط وما صدر عنه من قرارات فلسطينية هامة، ووصول الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة لافتتاح النقاش الخاص بالقضية الفلسطينية ، مناسبتين بارزتين لاعلان الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عن انحيازه الشامل لبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية ، المقر في برنامج النقاط العشر ، والصادر عن اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر .

مؤتمر القمة العربي وقراراته

كان انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع ، مناسبة هامة ، لاظهار انحياز جماهير الضفة والقطاع لبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وقد تأكد عمق هذا الانحياز وشموليته ، عبر المذكرة الهامة التي وقعها ١٨٠ شخصا من ممثلي مختلف القطاعات في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وحملها قائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات الى مؤتمر الرباط . وكانت السلطات الاردنية قد بذلت جهودا مكثفة على اعقاب انعقاد مؤتمر القمة ، وذلك لاثبات وجودها في الضفة الغربية « باي شكل » كما ذكرت جريدة الشعب ، وهو الامر الذي يزيد من اهمية الوثيقة التاريخية التي حملها ياسر عرفات الى القمة . ومن الاجراءات التي بذلتها السلطات الاردنية لاظهار مواطني الضفة الغربية كمؤيدين لها ، تقديم التسهيلات للبلديات في الضفة الغربية وتوزيع الاموال « مقابل عرائض وتواقيع مؤيدة » والضغوط التي مارستها حيال دفع رواتب الموظفين . فقد هددت بعضهم بقطع راتب « كل من لا يؤيد سياسة الاردن بالنسبة لتمثيل الشعب الفلسطيني » . كما قام بعض اعوانها بجمع التواقيع على عرائض من المعلمين في الضفة والبالغ عددهم ٤٥٠٠ معلم . وذكرت جريدة الشعب ان ١٥٠ معلما فقط وقعوا على تلك العريضة « رغم المغريات ووسائل الاقناع المتعددة » (الشعب ٧٤/١٠/٢٥) .

وكتبت صحيفة الفجر عشية انعقاد القمة افتتاحية جاء فيها : « ان الملوك والرؤساء العرب مطالبون بتوكيد الانتصارات العربية توكيدا سياسيا وجعل التضامن العربي يحمل معنى نضاليا للوقوف صفا واحدا عاملا لتأييد دول المواجهة العربية ودعم وتعزيز قوة منظمة التحرير الفلسطينية » . وختمت افتتاحيتها بالقول ان شعوبنا « مصممة على ان يكون مؤتمر القمة هذا مؤتمر انتصار للارادة العربية والفلسطينية والتصميم على النصر هو ربح نصف المعركة » (الفجر ٧٤/١٠/٢٥) .

وعادت « الفجر » في افتتاحيتها لليوم التالي تخص النظام الاردني وموقفه في مؤتمر القمة بالتعليق . فقالت : « سيواجه الاردن امتحانا عسيرا في مؤتمر القمة بالرباط . ومن المستبعد جدا ان يغير النظام جلده ويظهر بغير مظهره فيقول او يوافق على امور تختلف جذريا عن طبيعة ايديولوجية هذا النظام » . وتوقعت الصحيفة ان يجد النظام الاردني نفسه « وحيدا في الساحة . فالدول العربية الرجعية لن تجرؤ على الوقوف معه علنا باي حال رغم التقائها معه وتأييدها له ... كذلك فان دول المواجهة ايضا ستعتبر الاردن خارجا عنها ولن تقف معه لمواقفه المشبوهة والتآمرية اثناء حرب تشرين . والدول التقدمية ترى في النظام الاردني عدوا عميلا وورما خبيثا في جسم الامة العربية يجب استئصاله فورا والقضاء

عليه » . وتوقعت الصحيفة ان يدعم الاردن الشرعية الوهمية التي يدعيها « ببصمات واختام المخاتير النحاسية » . وقالت ، غير ان محاولاته الان «مكتوب لها الفشل الذريع». وقالت ان هذا الفشل امر محتم رغم « المرائض المشبوهة واللقاءات والزيارات المتآمرة التي يعقدها أتباع الاردن هنا في الارض المحتلة بمباركة وتأييد السلطات الاسرائيلية » . وتخوفت الصحيفة في ختام تعليقها ان يقوم الحكم الاردني بالتعاون مع الدول الامبريالية « الى اجراء تسوية مباشرة ثنائية بينه وبين اسرائيل » (الفجر ٧٤/١٠/٢٦) .

وذكرت جريدة الشعب من جانبها ان النظام الاردني قد حمل معه الى مؤتمر القمة عريضة حملت « بعض توقيعات من بعض المجالس البلدية الجديدة والصغيرة وبعض المخاتير في القرى والمخيمات الى جانب اعداد من الموظفين ومعظمهم ممن واصلوا العمل لدى سلطات الاحتلال ويتقاضون راتبين من عمان والاحتلال » وذكرت الجريدة ان عدد التوقيعات هذه لم يزد على مئة (الشعب ٧٤/١٠/٢٧) . وفي « حديث الشعب » الافتتاحي تناولت الجريدة ذاتها مؤتمر القمة بالتعليق ، بعد ان انهى وزراء الخارجية العرب اعمالهم قبيل انعقاد مؤتمر القمة . فندت ادعاء الحكم الاردني بتمثيل الشعب الفلسطيني وذكرت بمذابحه ضد هذا الشعب في ايلول ١٩٧٠ وتموز الاحرار ١٩٧١ . وذكرت بان سكان المناطق المحتلة اعلنوا اكثر من مرة « ان لا ممثل لهم الا ثورتهم ومنظماتهم ومجلسهم الوطني » . وقالت ان « الاغلبية الصامتة » التي يتحدثون عن تمثيلهم لها ، فما هي الا المقيمين في « فلسطين الشرقية الذين لا يستطيعون الجهر من الكبت والقهر » . وختمت الصحيفة تعليقها قائلة ، ان الشعب الفلسطيني « بقيادة ثورته قد امسك بزمام امره ، ولن يعود الى الوصايات تحت اي ظرف ولا يقبل تزييف ارادته تحت اي شكل » (الشعب ٧٤/١٠/٢٧) .

وتابعت « الشعب » تعليقها على اجتماعات وزراء الخارجية المعهدة لاجتماع القمة العربية بقولها ، ان الحل « البسيط والعادل » لحقوق الشعب الفلسطيني هو « وجوب عودة الامور الى ما كانت عليه قبل التقسيم المشؤوم : كيانا فلسطينيا واحدا يشمل المسلم والمسيحي واليهودي وفقا للاسس والمبادىء التالية :

١ — الفلسطيني هو كل فلسطيني او من اصل فلسطيني يحمل الجنسية الفلسطينية قبل قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

٢ — على كل فلسطيني وفق التعريف السابق العودة الى دياره واملاكه دون قيد او شرط ، مع وجوب اعادة كل من هو غير فلسطيني تواجد في البلاد عام ١٩٤٧ الى بلاده الاصلية التي وفد منها ، واجبار الدولة التي نزح عنها باستقباله واعادته الى مواطنيته ورعويته الاصلية مع اعادة املاكه وحقوقه التي تخلى عنها كاملة .

٣ — تقوم في البلاد دولة فلسطينية ديمقراطية تمثل كل الطوائف من غير تمييز وبكل ما في المساواة الكاملة من حقوق وواجبات .

٤ — والى ان يزول الاحتلال ، وكل الاسباب والاثار الاخرى ، تقوم على كل شبر يتحرر سلطة وطنية فلسطينية تكون ذراعا لمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها البديل الوحيد لعودة النظام الاردني او بقاء الاحتلال واستمراره » . وقالت الصحيفة : « وما لم يتحقق هذا ايها الملوك والرؤساء ، فستظل كل الاطراف تغرس رأسها في رمال الوهم والباطل كالنعامة » (الشعب ٧٤/١٠/٢٨) .

وما ان صدرت قرارات مؤتمر الرباط الفلسطينية حتى بدا التحول شاملا وملموسا لصالح منظمة التحرير الفلسطينية . وقد تبدى ذلك الشمول من التأييد في تصريحات بعض الوجهاء الذين عرفوا بتأييدهم التقليدي للملك حسين او اؤلئك الذين لم يبدوا موقفا سياسيا منحازا لاي من اطراف الصراع على تمثيل الشعب الفلسطيني . فصرح الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم الذي عرف بتأييده للحكم الاردني لمحطة تلفزيون س.بي.اس الاميركية ، بان منظمة التحرير الفلسطينية « تتمتع بتأييد شامل في الضفة الغربية » . واضاف معلقا على قرارات الرباط « بشعور من الارتياح والغبطة » ، ان هذه هي « المرة الاولى في الحقيقة التي يعطى فيها الفلسطينيون الفرصة لتمثيل انفسهم ومعالجة

قضيتهم من قبل ابناء الشعب ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية». وقال أن هناك «دعما كاملا بين الجميع » لمنظمة التحرير الفلسطينية . ونفى ان يكون وجهاء الضفة الغربية قد بعثوا برسالة تأييد للملك حسين في مؤتمر القمة ، وقال عن نفسه اننا لن نفعل ذلك مطلقا وان توزيع تلك الانباء يقصد بها « اثارة الشكوك من حول التمثيل الشرعي والوحيد لشعبنا الممثل في منظمة التحرير الفلسطينية » (الشعب ٧٤/١٠/٢٩) .

اما جريدة القدس المعروفة هي الاخرى بولائها الشديد للملك حسين ، فلم تملك غداة صدور قرارات الرباط الفلسطينية سوى الاشادة بهذه القرارات ووصفها بالتاريخية . فقالت في افتتاحيتها الرئيسية : « لا شك ان قرار مؤتمر القمة العربي السابع الذي اعتبر منظمة التحرير ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني واكد حق هذا الشعب في اقامة حكمه الوطني على الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها سلما او حربا هو قرار تاريخي من شأنه ان يحمل المنظمة مسؤولية كبرى بالنسبة لمستقبل القضية الفلسطينية » . واضافت قائلة : « سوف يكون لهذا القرار اثره البارز على تطور القضية كلها في المستقبل سواء في تعامل العرب مع اسرائيل او في تعاملهم مع العالم الذي بدأ يستيقظ على الثقل الدولي الذي يشكله العرب في الساحة الدولية . اننا ونحن نرحب بهذا القرار التاريخي ، ليملأنا الامل في المستقبل ، ويملأنسا الايمان بان هذا المستقبل سيكون في مستوى امالنا الكبار لاحقاق الحق وانتصار منطق العدل والسلام » (القدس ٧٤/١٠/٢٩) .

وذكر من ناحية اخرى رئيس بلدية جنين ، وهو الذي لم يعرب عن رأيه السياسي في السابق « ان الغالبية الساحقة من اهالي الضفة الغربية تفضل تسليم مقاليد الامور لمنظمة التحرير الفلسطينية وليس للملك حسين » . واضاف ان اهالي الضفة الغربية « يشعرون بان منظمة التحرير التي اعترفت بشرعيتها معظم الدول العربية يجب ان تمثل كافة الفلسطينيين » . (القدس ٧٤/١٠/٢٩) .

وقالت صحيفة الشعب في معرض سردها لمظاهر ردود الفعل التي عمت المناطق المحتلة عقب قرارات الرباط الفلسطينية : « عمت الفرحة والبهجة مدن الضفة الغربية والقدس . وقد تجلى ذلك بوضوح على وجوه المواطنين الفلسطينيين الذين اعربوا عن ابتهاجهم وغبطتهم للقرار التاريخي الذي صدر من مؤتمر الملوك والرؤساء العرب وعلى تأييدهم المطلق لهذا القرار » . ومن نابلس نقل مراسل « الشعب » ردود الفعل على قرارات مؤتمر الرباط فقال : « خرج طلاب وطالبات المدارس جماعات متراصة بشكل تظاهري في شوارع المدينة . وكان كل منهم يحيي الاخر باشارة النصر باصبعيه . وكانت تسمع من الطلاب صيحات « نحن هنا ولا اردن بعد اليوم ». كما شهد اهالي نابلس ومنذ الساعات المبكرة عددا من الشخصيات التقليدية التي خرجت الى الشارع واخذت توزع التحيات والتهاني على من تمر بهم سواء كانوا تجارا او موظفين » (الشعب ٧٤/١٠/٣٠) .

وحول نفس الموضوع كتبت صحيفة يدعوت احرونوت الاسرائيلية مقالا نقلته « الشعب » وجاء فيه : « مؤتمر القمة العربي يشغل وجهاء الضفة الغربية المحتلة بسبب موجة لا سابق لها من الاشاعات والانباء وكلهم يشاركون في الرأي بأن المسألة الفلسطينية دخلت مرحلة متطورة وكلهم ينشرون الشائعات بانهم سيشكلون حكومة فلسطينية في المنفى برئاسة ياسر عرفات . وفي هذا الوضع بدأ يظهر في الاونة الاخيرة اتجاه لتغيير الخط السياسي بين الزعامة في المناطق . ويبدو التغيير كبيرا الى درجة انه يمكن القول ان امال الملك حسين بالعودة الى الضفة والعثور فيها على مؤيدين وصلت الصفر . والزعامة التقليدية التي التصقت منذ حرب حزيران بخط سياسي كان من الصعب معه تحديد فيما اذا كانت تؤيد الحكم الهاشمي او المنظمات ، قررت الان الظهور علنا وهي تؤيد المنظمات » . واضافت الصحيفة الاسرائيلية : « ان الانتقال من التأييد المستتر للملك حسين الى التأييد العلني للمنظمات بدأ واضحا بعد حرب اكتوبر فورا ، فالقوى القومية في المناطق اظهرت شعور النصر بعد الحرب واثارت الشعور داخل الضفة . وشعر التقليديون بانهم يحشرون في الهامش ، وبدأوا في التنظيم بسرعة تحسبا مما سيأتي . وفي البداية حج بعضهم الى عمان ليجسوا ماذا سيكون الرد

الاردني اذا غيرت الزعامة التقليدية علاقتها المؤيدة للاردن ، وارادوا ايضا ان يعرفوا ماذا تنوي ان يفعل الاردن لتنقذ المناطق من يد المنظمات اذا اخلتها اسرائيل . ورد الاردنيون بتمتمة ولم ينجحوا في تقديم رد كاف » . واضاف ان هذه الزعامة « قلقة بشكل اساسي من حقيقة ان نشيطين قوميين كانوا في الضفة وابعدتهم اسرائيل، احتلوا مراكز حساسة في قيادة المنظمات منهم عبد الجواد الصالح الذي انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وسيكون عضوا في وفد فلسطين الى الامم المتحدة » (الشعب ٣٠/١٠/ ٧٤) .

وذكرت الفجر من جانبها ان عددا كبيرا من اهالي المدينة المقدسة ومنطقتها ، شباب وشابات ومعلمين وموظفين واطباء قد عبروا عن « فرحتهم وارتياحهم وسرورهم للقرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي حول تمثيل الفلسطينيين واقامة السلطة الوطنية في الضفة الغربية بزعامة منظمة التحرير » . وقالت ان سكان المدينة قد تبادلوا التهاني « في حين وزعت الحلويات للتعبير عن الشعور هذا » (الفجر ٣٠/١٠/٧٤) .

ولم تملك صحيفة مثل صحيفة الانباء التي تشرف عليها الحكومة الاسرائيلية غير تقرير حقيقة ردود الفعل الايجابية في الضفة الغربية ازاء قرارات الرباط الفلسطينية . فقالت ان عددا كبيرا من أهالي مدينة نابلس والقضاء قد أعربوا « عن فرحتهم وارتياحهم من القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي في الرباط حول تمثيل الفلسطينيين واقامة السلطة الوطنية في الضفة الغربية . وقد شهدت نابلس نشاطا ملحوظا وتبادل عدد كبير من أهالي المدينة التهاني في حين وزعت الحلويات للتعبير عن هذا الشعور . وعلم انه من المقرر ان يجري التوقيع على عشرات من العرائض من قبل المواطنين في المدينة والمخيمات تؤيد منظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وسترسل هذه العرائض الى زعماء الدول العربية » (جريدة الانباء الاسرائيلية ٣٠/١٠/٧٤). وقالت صحيفة الانباء في عددها لليوم التالي ان سكان محافظة الخليل قد استقبلوا ايضا قرارات الرباط « بالارتياح والبهجة » . وقالت انه « لوحظ ذلك على وجوه المواطنين ومن خلال نقاشهم ومتابعتهم للاخبار. هذا ويعتبر المواطنون ان مؤتمر القمة حقق نجاحا كبيرا سيضمن حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته » (الانباء ٣١/١٠/٧٤). وفي اريحا « قوبلت قرارات مؤتمر القمة السابع بالارتياح العام من قبل المواطنين في مدينة اريحا وبقية المدن في الضفة الغربية . وفي المساء عقدت اجتماعات مصغرة بين بعض الناس وراحوا يتحدثون عن القرارات التي أسفر عنها مؤتمر الرباط وعن النجاح الذي حققه المؤتمر بالنسبة للشعب الفلسطيني » (الانباء ٣١/١٠/ ٧٤). وذكرت جريدة القدس ان « مذكرة موقعة من عدد كبير من السجناء العرب في الضفة الغربية وسجون اسرائيل تحمل التأييد المطلق من السجناء لمقررات مؤتمر القمة العربي » . وارسلت المذكرة عن « طريق احدى الهيئات السياسية » (القدس ١/١١/٧٤).

يوم فلسطين في الامم المتحدة

تحت عنوان « يوم مشهود عاشته الضفة الغربية أمس ... اضرابات ومظاهرات عارمة تأييدا لمنظمة التحرير » ، نشرت صحيفة الفجر تفاصيل ردود الفعل الوطنية في الضفة الغربية لانطلاق صوت فلسطين من على منبر الامم المتحدة، فكتبت تقول : « رغم الاجراءات الامنية الصارمة التي اتخذتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، ورغم الحملات التي سبقت هذه الاجراءات خرجت جموع الشعب في مظاهرات صاخبة تعبيرا عن تأييد هذه الجموع لظهور منظمة التحرير الفلسطينية أمام الجمعية العامة للامم المتحدة بمناسبة مناقشة قضية فلسطين » . وانتقلت الصحيفة الى سرد تفاصيل ردود الفعل هذه في مختلف مناطق الضفة الغربية ، فقالت : « ففي القدس العربية نظمت عدة مظاهرات صغيرة صباح أمس ، وكان فريق من رجال الشرطة والمخابرات يطوف في الشوارع مطالبا التجار بفتح حوانيتهم ومحذرا اياهم من مغبة اغلاقها . أما مدينة نابلس فقد شهدت اضرابا شاملا للمحال التجارية ،وبدت المدينة مقفرة تماما ولم يكن يشاهد في الشوارع سوى الدوريات الاسرائيلية الكثيفة المحمولة والراجلة عندما انطلقت المظاهرات الصاخبة التي اشتركت فيها كل فئات المواطنين والطلبة . وانقض رجال الجيش الاسرائيلي من مظليين وحرس حدود على

المتظاهرين . وقد أصيب نتيجة لذلك أكثر من خمسين طالبا وطالبة تم نقلهم الى المستشفى واعتقلت السلطات عددا آخر من الطلبة يقدر بـ ٥٠٠ طالب وطالبة . وانتهت المظاهرة في حوالي الساعة الثامنة صباحا بعد ان استمرت أكثر من ساعة . وكان رجال المخابرات الاسرائيلية اثناء تفريق المظاهرة يسحبون الهويات من الشباب. ولوحظ ان افراد الشرطة من العرب كانوا يشاركون قوات الجيش الاسرائيلي في تفريق المظاهرات » . وفي معرض سردها للتفاصيل ذكرت الصحيفة ان السلطات الاسرائيلية قد اعتقلت الصحفية ريموندا طويل ثم أفرجت عنها بعد ست ساعات . وذكرت ان المجلس البلدي لنابلس اجتمع في التاسعة صباحا على غير العادة لبحث التطورات الناجمة عن اغلاق المحلات التجارية والمظاهرات . وخلال الاجتماع اتصل الحاكم العسكري تليفونيا برئيس البلدية يطلب منه اذاعة الامر العسكري التالي نصه : « بأمر من الحاكم العسكري يجب على جميع أصحاب المحلات التجارية فتح محلاتهم قبل الساعة الحادية عشرة وكل من يخالف هذا الامر يعرض نفسه للعقوبات باغلاق محله نهائيا مع غرامات مالية » . وقد اذيع هذا الامر بالفعل من مكبرات السيارات والمساجد وتم فتح المحلات التجارية على اثر هذا الامر . وقد غطت أنباء المظاهرات هذه وفود من رجال الصحافة الاجانب والاسرائيليين ومراسلي التلفزيون . واضافت « الفجر » ان طلاب المدارس والمعاهد التربوية في رام الله والبيرة قد انتشروا في ساحات مدارسهم وتم اعتقال ستة طلاب من المدرسة الهاشمية في البيرة لمحاولتهم القيام بمظاهرة ، كما أضربت طالبات مركز تدريب الفتيات والمعلمات بالطيرة قرب رام الله واعتصمت طالبات دار المعلمات الحكومية في رام الله امام قاعة الطعام وتحت الشمس . كما تغرق طلاب مركز تدريب المعلمين بالمدينة داخل مراكزهم . وقامت السلطات الاسرائيلية على اثر ذلك بزيارات للمدارس والمعاهد واجتمعت مع المدراء في محاولة لحث طلابهم على مواصلة الدراسة وعدم التظاهر او الاخلال بالامن . وذكرت « الفجر » ان الدوريات المحمولة والراجلة ظلت تجوب شوارع المدينة طول النهار . وقالت كذلك : « جرت مظاهرة مماثلة في حلحول ودورا . ففي حلحول سار اكثر من ألف طالب وطالبة في مظاهرة عارمة وخرجوا يهتفون بحياة الثورة الفلسطينية . وحضرت على الفور قوات من الجيش وحرس الحدود تقدر بـ ٤٠٠ جندي ووقعت اشتباكات أصيب نتيجتها عدد من أفراد الجيش واعتقلت السلطات مجموعة من الطلاب ، وضرب الجنود الطالبات أمام رئيس البلدية . وأما في دورا فقد خرج طلاب المدارس في البلدة في مظاهرة هاتفين بحياة الثورة الفلسطينية الا ان قوات الجيش الاسرائيلي التي حضرت على الفور فرقت المظاهرة ووضعت علامات مميزة على أبواب المحلات التجارية المغلقة ، واستخدمت هذه القوات العيارات النارية باطلاقها في الهواء لتفريق المتظاهرين ولكن لم يصب أحد من الطلاب » (الفجر ١٤/١١/٧٤).

أما صحيفة القدس التي غدت تطلق على الضفة الغربية اسم فلسطين فقد وصفت يوم فلسطين في الضفة الغربية على النحو التالي : « اتخذت قوات الجيش والبوليس الاسرائيلي أمس اجراءات أمن مشددة لمنع حدوث أية اضطرابات بمناسبة دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية أمام الجمعية العامة . هذا وكان الجنود الاسرائيليون يجوبون شوارع مدن الضفة الغربية « فلسطين » بملابس الميدان الكاملة تحسبا للاضطرابات ، وأمروا الكثيرين من أصحاب الحوانيت بفتح محلاتهم واستئناف أعمالهم التجارية » . وقالت الصحيفة على لسان مراسليها في مدن الضفة الغربية : « ان اضرابا عاما شمل معظم مرافق الحياة جرى أمس . كما شلت الحركة التجارية والمدرسية وذكر بعض المراسلين ان القوات الاسرائيلية قامت بالقاء القبض على العديد من الافراد » . وقالت ان ألف متظاهر انطلقوا في نابلس الى ساحة المدينة « وهم يطلقون الهتافات والشعارات المؤيدة لياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ... وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف جابت شوارع المدينة عشرات السيارات العسكرية وانتشر الجنود في الميادين العامة وفوق أسطح المنازل ورابطوا أمام مختلف المدارس » . ومن ناحية اخرى أصدرت الهيئات النسائية بيانا جاء فيه : « بمناسبة عرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة فان الهيئات

النسائية لتؤيد الزعامة الفلسطينية الممثلة للشعب في عرضها للقضية على المسرح الدولي » . وجاء في البيان ان الهيئات النسائية في الضفة الغربية وقطاع غزة « تطالب بتأليف لجنة قومية لمعالجة الاوضاع والعمل على توفير القوت للمواطنين ».

أما في غزة فقد ذكرت « القدس » ان المحلات التجارية قد أغلقت حتى الساعة التاسعة صباحا « وطلبت الشرطة من أصحاب المحلات فتح محلاتهم وهددت بتقديمهم الى المحاكمة اذا استمروا في اغلاق محلاتهم . وقام عدد من طلاب المدارس بمظاهرة في الشوارع بمحلة الرمال وتوقفت الدراسة في بعض المدارس » (القدس ١٤/١١/ ١٩٧٤) .

وحول الخطاب الذي القاه السيد ياسر عرفات في الجمعية العمومية للامم المتحدة قالت «الشعب» في افتتاحيتها الرئيسية : « باسم فلسطين ، وقف ياسر عرفات ينقل من فوق أعلى منبر دولي دعوة شعب فلسطين لسلام العالم كله ، وليضع الحقائق كاملة واضحة عن قضية هذا الشعب منذ ان رسم هرتزل الصهيوني بداية الطريق (مراقبة) . كان رئيس منظمة التحرير وقائد الثورة صادقا واضحا وهو يحمل غصن الزيتون مع بندقية الثائر داعيا دول العالم الى الاختيار بينهما ، فاما ان تقف مع الحق والعدل والسلام واما ان تتخلى عن مسؤولياتها وتتحلل من مواثيق وعهود منظمتها وتدع صاحب الحق ينطلق مواصلا طريقه الى اهدافه » . واضافت الصحيفة « هذا هو الوجه الفلسطيني يقف أمام العالم ولاول مرة وجها لوجه ويرسم له الصورة واضحة . . ولقد أصغى العالم الى الرئيس الفلسطيني باهتمام وصفق له طويلا تصفيق المعجب المؤيد المقدم » (الشعب ١٤/١١/٧٤).

وعلقت « القدس » حول الموضوع نفسه قائلة : « لقد لخص ياسر عرفات اماني الشعب الفلسطيني وآماله وشروطه لتحقيق اهدافه والتي تتمثل في حق تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية والعودة. ولا نظن ان ثمة ما يمكن ان يكون أصفى ضميرا وأخلص نية وارحب انسانية من قول الفلسطيني ياسر عرفات ، بالنيابة عن الفلسطينيين اينما كانوا ، من ان الاضطهاد والظلم والتشريد ، الذي حل بشعبنا لم يجعله حاقدا يحلم بالانتقام » (القدس ١٤/١١/٧٤) .

أما صحيفة الفجر فقالت : « لقد عرض عرفات على العالم كله دعوة السلام والعدل ، فاضاء بذلك كل العتمات التي كان يحاول أعداء شعبنا الفلسطيني أن يصمونا بها . وقد أعطى عرفات كل المعاني الانسانية العميقة التي يؤمن بها الفلسطينيون رغم حرمان الفلسطينيين سنينا من حقوقهم الانسانية هذه . لم يكن عرفات متشنجا ولا حاقدا . كان ثائرا يؤمن بحقه ويدعو له ويؤمن بكل حقوق الاخرين ويعمل ايضا من أجلها » . وختمت الصحيفة تعليقها قائلة : « وبعد ، فان العالم كله استمع الى عرفات ، وتفاعل مع دعوته وآماله ، بقي ان يسمع الطرف الاخر ، الطرف الاسرائيلي ، وان لا يرفض اليد الممدودة للسلام » (الفجر ١٤/١١/٧٤).

عيسى الشعيبي

[٢]

سكان المناطق المحتلة يرحبون بقرارات مؤتمر الرباط وسلطات اسرائيل تشن حملة مضادة

استقبل سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بالفرح والارتياح ، وعلى جميع الاصعدة والمستويات ، مقررات مؤتمر الرباط ، التي تقضي بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني ، وحق هذا الشعب باقامة السلطة الوطنية في أي جزء يتم تحريره من الارض الفلسطينية ، فقد رحب بذلك ، بل واحتفل به الوجهاء والعمال والفلاحون والطلاب والصحافة ، مما أغضب الرأي العام الاسرائيلي وكذلك السلطات الاسرائيلية ، حيث اخذت مختلف الجهات تطلق التهديد والوعيد ، وخاصة ضد الصحف العربية الصادرة في القدس الشرقية ، بعد ان

اتهمتها بالتحريض واثارة القلاقل ضد الامن وضد السلطات . وفيما يلي نستعرض أهم ردود الفعل لدى العرب هناك ومدى استقبالهم لقرارات مؤتمر الرباط ، ولدعوة م.ت.ف. للاشتراك في مناقشة القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية ، ثم ردود الفعل والحملة الاسرائيلية التي رافقت ذلك.

« لو جرى في هذه الايام استفتاء عام بين سكان الضفة الغربية والقدس الشرقية بالنسبة لمستقبلهم السياسي ، وكان عليهم الاختيار بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن ، فمما لا شك فيه ان منظمة التحرير كانت ستحظى بأغلبية حاسمة » — هكذا وصف أحد المعلقين الاسرائيليين (يهودا ليطني — هآرتس ، ٧٤/١٠/٢٩) الوضع في المناطق المحتلة، مستطردا : « قال أحد المؤيدين المتحمسين للملك حسين ، انه حسب تقديره ، لا يوجد أكثر من ١٠٪ من بين السكان يؤيدون الاردن الان . وحتى ان الصحف التي كانت معروفة بميولها للاردن ، أخذت تغير من لهجتها وخطها ، وذلك بعد قبول منظمة التحرير كمراقب في المناقشات المتعلقة بقضية فلسطين في الجمعية العمومية . فكتبت « القدس » تقول : « ان قرار الجمعية العمومية هو أسعد يوم بالنسبة للعرب وانه أسوأ يوم بالنسبة للاسرائيليين منذ اقامة دولتهم » .

واضاف ليطني : « ان هؤلاء الذين شكلوا « الاغلبية الصامتة » في الضفة الغربية قبل حرب يوم الغفران ، والعمال والفلاحين الذين لم يجرؤوا في الماضي على ابداء آراء سياسية ، سواء الى هنا ام لهناك ، يميلون اليوم بوضوح لاعتبار زعماء منظمة التحرير الفلسطينية بأنهم أبطالهم » (المصدر نفسه) .

كما أخذت القوة السياسية لمنظمة التحرير في التزايد بحيث أصبحت تضفي طابعها على أكثر من المليون فلسطيني الموجودين في الضفة وقطاع غزة . « ويرفض الجمهور هناك بأغلبيته الساحقة، واكثر من أي وقت مضى اعتبار القضية الفلسطينية قضية انسانية للاجئين ، المحتاجين للاسكان من خلال الشفقة والرحمة . لا يوجد — حسب رأيهم — مشكلة دفع تعويضات او تصفية المخيمات المزدحمة . ولهذا لا يزعجهم بصورة خاصة قانون التعويضات لسكان القدس الشرقية ، الذي تقوم حكومة اسرائيل باعداده . كما ان مشروع الاحياء الجديدة بالقرب من مخيمات اللاجئين في غزة لا يحظى تقريبا بأي اهتمام . وان مشكلة الفلسطينيين الان هي مشكلة سياسية وقومية من الدرجة الاولى » (دافار ، ٧٤/١٠/٢٨) .

وكانت الدوائر الاسرائيلية قد تنبهت الى حدوث تغير في موقف سكان المناطق المحتلة منذ فترة غير قصيرة ، بينما تطرق أحد المعلقين الاسرائيليين الى ذلك بقوله : « ان كل من يتحدث في هذه الايام مع وجهاء الضفة ورؤساء البلديات فيها يشعر بتغير الجو . لم يبق تقريبا شيء من الاحساس بضرورة العيش سوية مع اسرائيل . فقد تغير الجو بصورة كبيرة منذ حرب يوم الغفران . وانه لا حاجة للابتعاد كثيرا من أجل جميع الاثباتات ، اذ يكفي النظر في الصحافة العربية التي تصدر في القدس . ومنها مثلا صحيفة « الفجر » التي تصف المخربين الفلسطينيين « بالثوار » وتصفهم بأنهم هم الذين يمثلون الشعب الفلسطيني . كما ان صحيفة « الشعب » تحاول التفوق على كافة الصحف بتطرفها ، وهي التي وصفت المعركة التي دارت بين الفدائيين وبين الجيش الاسرائيلي في نهاريا على انها « معركة البطولة » . كما ان هناك الكثير من المقالات والتعليقات التي تؤيد جميعها منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات الفدائيين » (يهوشواع تدمور — دافار ، ٧٤/٧/١٩).

واضاف تدمور : « واذا سنحت لك الفرصة وزرت مدن الضفة وحاولت التحدث الى الوجهاء ورؤساء البلديات فانهم لا يترددون (في الحديث) عن ذلك . ففي الماضي كانوا يحاولون التقليل من الكلام ، واما الاتجاه اليوم فهو عكس ذلك . انهم مستعدون للكلام والقول حازمين ، ان الممثلين الحقيقيين للفلسطينيين في الضفة هم رجال منظمة التحرير وانه بدونهم لن تتحقق التسوية . وهناك من هو مستعد لان يحذر ، مثل حمدي كنعان ، بانه اذا لم توافق اسرائيل على التسوية على أساس حدود ١٩٤٧ ، فانها يمكن ان تخسر كافة التسويات . كما تسمع هنا وهناك لهجة التهديد » (المصدر نفسه) .

وتطرق معلق آخر (داني روبنشتاين — دافار ، ٧٤/٧/٢٢) الى عمليات الطرد والابعاد التي

تنفذها السلطات الاسرائيلية ضد الشخصيات الوطنية من الضفة ، وانعكاس ذلك على المواطنين هناك مشيرا الى « انه بعد فترة قصيرة من حرب يوم الغفران ، عندما ازدادت موجة النشاط التخريبي في الضفة الغربية ، قام الحكم العسكري بطرد عدد من الشخصيات العربية ، مثل عبد الجواد صالح وعبد المحسن ابو ميزر والدكتور وليد قمحاوي ، وكذلك القس ايليا خوري من رام الله ، الذين تم تعيينهم في مراكز حساسة في منظمة التحرير الفلسطينية » . واستطرد الكاتب مؤكدا ان هذا تم « لاعطاء مزيد من التمثيل لسكان المناطق المحتفظ بها بأيدي اسرائيل . وسواء كان هذا أم ذاك ، فان منظمات الفدائيين هي جزء من لحم المواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الحكم الاسرائيلي . ان عرب المناطق سواء كانوا متطرفين أم معتدلين، بالنسبة لنظرتهم الى اسرائيل، فانهم يشبهون تماما اخوانهم الموجودين في الاردن او المنتشرين في المخيمات في لبنان والبلدان العربية الاخرى . انهم يشكلون شريحة مخلصة للشعب الفلسطيني ، بكل فئاته المختلفة ، ويبرز لديهم التأييد والتماثل مع منظمات « الفدائيين » الذين يحاربون من أجلهم . وان الاصوات العربية التي تسمع هنا في المناطق ، تحت الحكم الاسرائيلي ، بانها أصوات الشعب الفلسطيني ، هي صرخات ضد توحيد القدس والاعتقالات والابعاد والمطاردات . ويكفي القاء نظرة على الصحف اليومية في المناطق ، وعلى المجلات الاسبوعية والنشرات السرية والاستماع الى بعض ما يقوله المتحدثون باسم هؤلاء السكان ، للوقوف على وجهة نظرهم . فالمجلة الاسبوعية « البشير » الصادرة في بيت لحم تكتب دائما بالاسلوب المعروف « حكومة تل ابيب » ، وابو غسان في « الشعب » يصف الحكم الاسرائيلي « بالمجموعة » وهو يعني هنا « العصابة » . وكان قد كتب ايضا ان هذه « المجموعة » لا تحارب الفلسطينيين في حياتهم فقط وانما بعد موتهم ايضا . وان السياسة الاسرائيلية كما بدت أمام مليون فلسطيني في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ، ليست هي بالذات التي أمنت مصادر العمل ورفعت مستوى الحياة ومستوى الخدمات ، وانما هي التي صادرت الاراضي ، وهي التي قتلت واعتقلت المئات والالاف من ابنائهم » (المصدر نفسه) .

علق بعض الزعماء والمواطنين في المناطق المحتلة على قرارات مؤتمر الرباط معبرين عن تأييدهم المطلق لها . فقد أعلن رئيس بلدية جنين ، أحمد كمال السعدي : « ان قرار مؤتمر القمة العربي في الرباط يمثل ارادة الشعب الفلسطيني . والان من الواضح للجميع ان زعماء هذا الشعب هم زعماء منظمة التحرير الفلسطينية — وليس حسين » (معاريف ، ٧٤/١٠/٣١) . كما ادلى رئيس بلدية بيت لحم ، الياس فريج ، بتصريح مماثل . وقال عدد من الوجهاء : « لا يوجد لدينا ما نقوله حول الموضوع . وان منظمة التحرير تخوض معركتنا . يجب علينا ان نمكن المنظمات من ان تقول كلمتها. فهم أبطال الشعب الفلسطيني والمتحدثون الشرعيون والوحيدون باسمه » (المصدر نفسه) .

وقام مراسل الاذاعة الاسرائيلية بجولة في الضفة الغربية ، ليطلع على مواقف وآراء المواطنين حول قرار مؤتمر الرباط . وقد التقى بعدد كبير من المواطنين ، الذين أبدوا جميعهم ارتياحهم وسرورهم لهذا القرار. فقال أحد المواطنين « نفتخر بذلك ، لانها المرة الاولى منذ ٢٧ عاما ، التي يتقرر فيها ان الشعب الفلسطيني قائم كسائر الشعوب » . وأضاف آخر « انه انتصار للشعب الفلسطيني . ولاول مرة يشعر الشعب الفلسطيني بأن له كلمة في العالم » . ويضيف مراسل الاذاعة « ان الحماس في الضفة لا حد له ، وان اللغة السائدة هنا هي لغة المنظمات الفدائية. المواطنون يريدون دولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية وعلمانية » (ر.ا.ف. ، ٧٤/١١/٥).

لم يتوقف رد الفعل لدى سكان المناطق المحتلة على التأييد فقط وانما دعوا حكومة اسرائيل الى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية لانه ليس بمقدور زعماء اسرائيل تجاهلها ، بعد ان اعترفت جميع أمم العالم بها على انها هيئة رسمية . ويقول احد الصحافيين من نابلس : « كل واحد منا منظمة تحرير فلسطينية . اننا نؤيدها بكل ما نملك ، وما من قوة في العالم — لا الابعاد ولا السجون ولا العقوبات الاخرى لديكم — ستغير ذلك » (معاريف ، ٧٤/١١/٥) .

ازاء ردود الفعل هذه من قبل السكان في المناطق المحتلة ، حاولت السلطات الاسرائيلية التحرك

للعمل على تطويقها والحد من امتدادها ، اذ قام وزير الدفاع الاسرائيلي ، شمعون بيرس ، باجراء سلسلة من اللقاءات مع بعض الوجهاء في المناطق، من مؤيدي عمان . كما أجرى وزير الشرطة ، شيلومو هيلل لقاءات مماثلة . والهدف من هذه اللقاءات ، كما لمحت الى ذلك المصادر الاسرائيلية، هو خلق زعامة عربية في المناطق معارضة لمنظمة التحرير . ولكن تلك المصادر نفسها اعترفت بأن القطار قد فات السلطات الاسرائيلية ، حيث ان العالم بأسره يعترف بمنظمة التحرير ويؤيدها . ولهذا ليس باستطاعة أي زعيم في المناطق ان يدعي العكس (دافار ، ٧٤/١٠/٢٨) .

وتؤكد المصادر الاسرائيلية ايضا انه قد يتم فتح جبهة اخرى ضد اسرائيل — وهي جبهة المناطق المحتلة . ويشهد على ذلك الفرح الجامح لدى سكان الضفة وقطاع غزة ازاء الاعتراف بمنظمة التحرير في المجالين الدولي والعربي . فقد علق حفاي ايشد (دافار ، ٧٤/١١/١) على ذلك بقوله : « يتوقع الان تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى وجيش فلسطيني وكذلك نشاطات كثيفة أكثر في الضفة والقطاع ، لزيادة ارتباط سكانها بمنظمة التحرير وبالحكومة التي سيتم تشكيلها في المستقبل واخلاصهم لها . ولهذا السبب اسرعت حكومة اسرائيل الى توجيه تحذير لسكان الضفة والقطاع ، بعدم الانجراف أكثر مما يجب في تأييدهم لمنظمة التحرير . وستكون هناك ضرورة للتوضيح لهم ، بأن منظمة التحرير ، بالنسبة لاسرائيل ، هي جبهة معادية يجب محاربتها بكافة الوسائل ».

حملة عنيفة ضد الصحف العربية الصادرة في القدس

تقوم دوائر اسرائيلية متعددة ، رسمية كانت أم شعبية ، منذ مدة بتوجيه حملات عنيفة ضد بعض الصحف العربية الصادرة في المناطق المحتلة، متهمة اياها بانها أداة بأيدي المنظمات الفلسطينية، وانها تزرع الشك بين المواطنين ، كما انها عامل محرض ضد السلطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة . وقد وصلت هذه الحملة الى ذروتها مؤخرا ، بعد مقررات مؤتمر الرباط ، اذ أيدت هذه الصحف تلك المقررات ودعت المواطنين الى الالتفاف حول القيادة الفلسطينية ومقاومة سلطات الاحتلال ، مما اثار تلك السلطات ودفعها الى توجيه التهديدات العلنية والمبطنة ضد هذه الصحف . وقبل ان نأتي على ذكر مضمون هذه الحملة ، لا بد لنا من التطرق ولو قليلا الى ما تعانيه الصحف هناك ، وخاصة الوطنية منها ، من اضطهاد ومعاملة سيئة .

وقد علق احدهم (داني روبنشتاين — دافار ، ٧٤/٩/٥) على اوضاع الصحف العربية في المناطق المحتلة والقيود المفروضة عليها ، مشيرا الى ان تلك القيود هي جزء من الحظر على النشاطات السياسية في المناطق المحتلة بأسرها ، وان الغاية من الحظر هو منع أي تنظيم او تجمع يبادر اليه السكان هناك . « وهناك تمييز في حرية النشر والرقابة بين الصحف العربية التي تصدر في المناطق المحتفظ بها وبين حرية النشر والرقابة المفروضة على الصحف في اسرائيل . فصحيفة « الاتحاد » الصادرة في حيفا ، لها حرية النشر من ناحية الرقابة أكثر مما للصحف الصادرة في القدس الشرقية . كما ان الرقابة في اسرائيل هي عسكرية — أمنية في الاساس ، واما بالنسبة للرقابة على الصحف العربية (في المناطق المحتلة) فهناك طابع سياسي . وباستطاعة الصحيفة التي تصدر في اسرائيل (مثلا) ان تترجم مادة معادية لاسرائيل كانت قد نشرت في الدول العربية ، كما تريد ، وان تقتبس من صحف الفدائيين ومحطات الاذاعة التي تنادي بالحل بواسطة السلاح فقط ، الخ. وكذلك تستطيع نشر المواد السرية التي توزع على الجمهور العربي والمليئة بالنصوص المعادية لاسرائيل . واما الصحف العربية (في المناطق المحتلة) فلا يحق لها ان تفعل ذلك » (المصدر نفسه) .

وهنا نأتي على الحملة العنيفة التي تشنها السلطات الاسرائيلية بكافة وسائلها ضد الصحف العربية ، وهي الحملة التي وصلت الى ذروتها بعد نشر هذه الصحف تعليقات تشيد فيها بمقررات مؤتمر الرباط ، حيث ارتفعت أصوات تطالب بتقييد حرية التعبير لدى تلك الصحف . كما طرحت التساؤلات حول احجام السلطات عن منع نشر أقوال التحريض « المتطرفة » ، مثل المقال الافتتاحي لجريدة « الشعب » الذي طالب ... بتصفية دولة اسرائيل واقامة دولة فلسطينية

بموجب مفهوم عرفات » (معاريف ، ٧٤/١٠/٣١). كذلك اشترك في هذه الحملة رئيس بلدية القدس ، تيدي كوليك ، حيث اجتمع الى رئيس الحكومة يتسحاق رابين ، وبحث معه موضوع التحريض في الصحف العربية خلال انعقاد مؤتمر القمة في الرباط . وتمنى كوليك على الحكومة بأن تتخذ كافة الوسائل المتوفرة لديها للجم المحرضين (ر.ا.ا. ، ٧٤/١٠/٣٠) . وحذر كوليك ايضا من ان اوساطا متطرفة تحاول الان تحريض الجمهور العربي في القدس الشرقية ، في اعقاب قرارات مؤتمر الرباط . وقال ان محاولات التحريض تجد تعبيرا عنها ، في هذه المرحلة بالذات ، على صفحات الجرائد ، ولكن أي ابداء للضعف من قبل السلطات الاسرائيلية يمكن ان يؤدي الى التدهور والى ظواهر التحريض في الشارع العربي. كما طالب بضرورة الاستعداد واظهار « اليد القوية » في حال اشتداد محاولات التحريض (معاريف ، ٧٤/١٠/٣١) .

ومن جهة اخرى طالب عضو الكنيست ، أمنون لين (ليكود) باجراء مناقشة عاجلة في الكنيست حول التحريض ضد اسرائيل الذي يظهر في الصحف العربية في القدس ، معلنا انه لوحظ تصعيد في التحريض بين الاوساط المتطرفة ، وانه ما لم يتم عمل شيء لاسكاتهم فسينتقلوا من الكلام الى الافعال (ر.أ.أ. ، ٧٤/١٠/٣٠) .

ولم تتوقف الاجراءات الاسرائيلية عند حد التهديد والوعيد ، وانما وصلت الى حد ابعاد رئيس تحرير صحيفة « الشعب » ، علي الخطيب ، من القدس الشرقية ، بالاضافة الى ثلاثة من نشيطي « الجبهة الوطنية الفلسطينية » : عزام عبد الحق من نابلس ، والدكتور مصطفى ملحم من طولكرم ، وداوود عريقات من اريحا ، حيث تم ابعادهم عن طريق الحدود الشمالية الى لبنان ، وذلك بتهمة العمل ضد أمن وسلامة الدولة . وقد تم اتخاذ قرار ابعاد الاربعة خلال مناقشة على مستوى عال ، كما اقرت الحكومة هذا القرار بصورة نهائية . كذلك تقرر توجيه تحذير الى كافة المواطنين في الضفة الغربية ، الذين وقعوا على العريضة التي أرسلت الى مؤتمر الرباط ، معربين فيها عن تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقام ضباط الحكم العسكري بابلاغهم هذا التحذير (هآرتس ، ٧٤/١١/٥) .

وقد لاقى قرار الابعاد هذا استنكارا وتنديدا عنيفين من كافة الاوساط في المناطق المحتلة ، فندد صحيفتا « الفجر » و « الشعب » بهذا القرار ، واحتجتا على ذلك بعدم صدورهما ليوم واحد . كما استنكرت ذلك المجالس البلدية في نابلس والخليل واريحا وطولكرم ، واعتبرت ذلك مناقضا لميثاق جنيف (هآرتس ، ٧٤/١١/٦) . وفي اليوم التالي لعملية الابعاد صدرت صحيفة الشعب ، وهي تحمل على صدر صفحتها الاولى صورة رئيس تحريرها ، علي الخطيب ، ومقابلها على الصفحة نفسها صورة لياسر عرفات .

حمدان بدر

(٤) اسرائيليات

[١]

استمرار مساعي التسوية السلمية في المنطقة يفجر ازمة حكم في اسرائيل

مع انتهاء زيارة الدكتور هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركي ، للمنطقة قبل اسبوعين وعلى الرغم من تأكيد المسؤولين الاسرائيليين ان الهدف من تلك الزيارة لم يكن الا « استيضاح الاحتمالات للتوصل الى اتفاق بين الاطراف على الخطوات والمبادىء التي ستجري المفاوضات على ضوئها » في المرحلة المقبلة من التسوية، على حد تعبيريغئال آلون ، وزير خارجية اسرائيل (ر.أ.ا. ، ١٩/ ١٠/ ٧٤) ، لم تكد المشاورات التي رافقت تلك الزيارة تنتهي حتى وجدت الحكومة الاسرائيلية نفسها في مواجهة اوضاع سياسية داخلية تهددها بالسقوط ، بعد ان نشطت المعارضة في العمل ضدها .

بدأت الزوبعة السياسية التي ثارت في وجه الحكومة الاسرائيلية في منتصف هذا الشهر ، عندما قامت جماعة من اليهود المتدينين ، تطلق على نفسها اسم كتلة ايمونيم ، بمحاولة للاستيطان في عدة أماكن في الضفة الغربية المحتلة ، بهدف وضع الحكومة أمام الامر الواقع ومنعها من « التنازل عن اجزاء من أرض — اسرائيل » . وقد قوي هذا الاتجاه بشكل خاص بعد ان كثرت خلال الشهرين المنصرمين تصريحات المسؤولين الاسرائيليين عن وجود « خرائط مفصلة » لديهم للانسحاب من المناطق المحتلة ، بما في ذلك الضفة الغربية ، وهي الخرائط التي ستعرض على أية دولة عربية توافق على اجراء محادثات سلام مع اسرائيل ، ثم الاعلان عن استعداد اسرائيل للموافقة على تسوية مع العرب مقابل « انهاء حالة الحرب » ودون التوقيع على اتفاق سلام . وكان رئيس حكومة اسرائيل ، يتسحاق رابين ، قد عاد وأكد موقف حكومته هذا ، في تصريح للاذاعة الاسرائيلية ، بقوله : « اذا كان الطرف الاخر غير مستعد لعقد اتفاق سلام دفعة واحدة ، فاننا مستعدون لان نعقده على مراحل... وان السياسة التي تستهدف السلام مع الاردن من خلال اتباع خط عدم التنازل عن أي شبر ارض ، هي سياسة خاطئة » (ر.أ.ا. ، ٢٢/١٠/٧٤) .

انطلاقا من موقفها هذا ، ومن مواقفها السابقة المعلنة بمنع الاستيطان غير المرخص والمصادق عليه سلفا في المناطق المحتلة ، نشطت الحكومة الاسرائيلية ، مستعينة بقوات من الجيش ، في منع محاولات الاستيطان هذه ، وذلك في الوقت الذي أعلن فيه بعض زعماء الحزب الديني القومي (المفدال) ، مع انصارهم ، عن تأييدهم لمحاولات الاستيطان تلك ، بينما تبعهم حالا التكتل اليميني (ليكود) . وقد استطاعت الحكومة الاسرائيلية ، في نهاية الامر احباط محاولات الاستيطان تلك ، بعد ان تم اخراج المستوطنين عنوة من المناطق التي دخلوا اليها في الضفة الغربية . ولكن ما ان انتهت قوات الجيش من ذلك حتى كان ليكود يتزعم حملة للتوقيع على عريضة موجهة الى البرلمان الاسرائيلي تطالبه « بتأمين عدم تسليم يهودا والسامرة (الضفة الغربية) الى حكم اجنبي » استنادا الى « حق شعبنا في ارض — اسرائيل » وكذلك الى « حقه في الامن والاستيطان والسلام » (أنظر نص العريضة في معاريف ، ٢١/١٠/٧٤).

ديان يوقع على عريضة ليكود ويهدد بالتصويت ضد الحكومة

ربما كانت عريضة ليكود ستمر دون احداث ازمة حكم في اسرائيل لو لم يقم موشي ديان ، مع ثلاثة من زملائه من قائمة رافي ، بالتوقيع على تلك العريضة ثم اعلانه انه « اذا اثيرت في الكنيست قضية تسليم الضفة الغربية الى حكم اجنبي ، فانه سيصوت ضد هذه الخطوة » (ر.أ.ا. ، ٢٤/١٠/٧٤) ، بينما ترددت انباء عن وجود تنسيق بينه وبين زعيم المعارضة ، مناحم بيغين. والواضح ان تصويت ديان على هذا الشكل في الكنيست ، سيكون له تأثيره على مصير الحكومة ، التي تستند الى أكثرية صوت واحد (٦١ من ١٢٠ صوتا) فقط في البرلمان ، خاصة وان موقف ديان

هذا قد يؤثر على عدد من بين زملائه السبعة في كتلة رافي ، المحسوبين على الحكومة ، باعتبار كتلتهم جزءا من حزب العمل ، الذين قد يقفون الى جانبه . ورغم عدم التأكد من قوة مركز ديان داخل رافي وقدرته على حمل الكتلة لتأييده في موقفه ، خاصة وان شمعون بيريس نفسه « في وضع جيد للغاية بصفته وزيرا للدفاع ، ولا يبدو عليه انه ينظر الى هذا المنصب وكأنه وديعة ديان . وان وضع جاد يعقوبي (الوزير الثاني في كتلة رافي) يشبه وضع بيريس الى حد كبير... ورغم الشعور (داخل رافي) بالتعب من ديان ، ووجود الكثيرين — ربما الكثيرين جدا — الذين لا يريدون ان يسمعوا عن انشقاق جديد » (ران كسليف — هآرتس ، ٧٤/١٠/٢٧) ، فقد كان واضحا ان ثلاثة نواب على الاقل من رافي ، وهم اولئك الذين وقعوا مع ديان على عريضة ليكود ، سيصوتون الى جانب ديان وليكود ، ومنهم حتى من اعلن عن عزمه على ذلك — مما سيعني فقدان الحكومة لاكثريتها الضئيلة وسقوطها . وكانت بعض دوائر التجمع العمالي (معراخ) الحاكم متيقظة لامكان حدوث مثل هذا التطور منذ ان شكلت حكومة رابين الحالية ، وحاولت العمل على التصدي لها بضم المفدال (١٠ نواب) للحكومة . وقد طالت المفاوضات حول ضم هذا الحزب للحكومة ، وتعرقلت اكثر من مرة ، ولكن هذه المساعي تكللت خلال الاسبوع الماضي بالنجاح ، عندما وافقت اللجنة المركزية للمفدال على ذلك . ولكن يبدو ان هذه الخطوة ايضا لن تستطيع تأمين الاكثرية التي تسعى الحكومة اليها ، اذ اتضح عند التصويت ان ما يقارب ٤٠٪ من اعضاء اللجنة المركزية للمفدال (١٩٣ من ٥٠١ عضو) يعارضون الانضمام للحكومة ، ينتمي معظمهم الى كتلة شباب الحزب ، بزعامة عضو الكنيست زفولون هامر ويهودا بن — مئير والى الكتلة المركزية ، بزعامة الدكتور زيراح فيرهافتيغ ، وزير الاديان سابقا (موشي مايزلس — معاريف ، ٧٤/١٠/٢٢) . وقد تعرض زعماء الجناح المعارض الى ضغوط شديدة من قبل مؤيديهم ومن قبل ليكود ومؤيديه لمنعهم من الانضمام للحكومة ، حيث ان هذا يعتبر دعما لاولئك الذين يريدون « التنازل عن ارض — اسرائيل الكاملة » (شموئيل كاتس — معاريف ، ٧٤/١٠/٢٤) ، بحيث اضطروا الى الاعلان انهم سيرفضون تعيينهم في المناصب الوزارية التي قد تسند اليهم ، فيما ترددت انباء عن عزمهم على الانشقاق عن الحزب اذا أصر على قرار الاكثرية والانضمام الى الحكومة. وفي الوقت نفسه ، ومع الاعلان عن قرار المفدال أعلنت حركة حقوق المواطن (٣ نواب) التي تتزعمها شولاميت الوني ، انها ستنسحب من الحكومة وستستقيل الوزيرة الوني من منصبها اذا انضم المفدال فعلا الى الحكومة ، نظرا للخلافات الشديدة في وجهات النظر ، القائمة بين هذه الحركة وبين المفدال حول الشؤون الداخلية (التشريع الديني ، مثلا) والخارجية (السياسة تجاه المناطق المحتلة) .

الخلاف حول التسوية على الجبهة الاردنية

كانت التطورات التي أشرنا لها موضوع اهتمام جهات عديدة في اسرائيل ، شغلت بمحاولة الوقوف على ابعادها وامكانات تأثيرها على الاوضاع السياسية داخل اسرائيل ، كحدوث انشقاقات في الاحزاب الاسرائيلية الكبرى وسقوط الحكومة ثم اجراء إنتخابات جديدة باشتراك تكتلات سياسية جديدة : وبالتالي تأثير كل ذلك على مواقف اسرائيل المستقبلية من الصراع العربي الاسرائيلي. ففي معاريف (٧٤/١٠/١٨) تحدث يوسف حاريف عما يعتبره سببا للازمة الحالية التي تواجهها الحكومة الاسرائيلية بقوله ان الحديث كثر في الاونة الاخيرة عن ضرورة الوصول الى تسوية اقليمية مع الاردن ، حتى لا تجد اسرائيل نفسها فجأة في مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو الرأي الذي يطرحه الوزير كول « ويؤيده في ذلك وزراء مبام والوزيرة شولاميت الوني وحتى وزراء المعراخ مثل يهوشواع رابينوفيتش وابراهام عوفر، وهناك من يقول انه حتى اهارون ياريف غير بعيد عن هذا الرأي » . غير انه في مقابل ذلك ، هناك اراء اخرى داخل الحكومة الاسرائيلية ، فوزير الخارجية يؤيد تسوية مؤقتة ، بينما يعارض الوزير غليلي ذلك ويؤيده في موقفه هذا وزيرا رافي ، بيريس ويعقوبي ، في حين يطالب رئيس الحكومة بالتريث «الى ما بعد مؤتمر الرباط...» ولكن على الرغم من ذلك فان معظم الوزراء يميلون الى اجراء مفاوضات مع الاردن « واتخاذ

قرارات » في كل مرحلة من مراحل المفاوضات ، شرط ألا يتم انسحاب من أي جزء من الضفة قبل اجراء انتخابات عامة في اسرائيل ، وهذا بحد ذاته كان السبب المباشر ، بحسب رأي حاريف ، الذي « دفع ديان ... للبدء بمعركة ضد حكومة رابين، بشأن مستقبل يهودا والسامرة . وسيتوقف عنف هذه المعركة على نشاط الحكومة . ان ديان ، بقدر ما تسمح له امكاناته ، لن يوافق على ... قيام الحكومة باجراء مفاوضات واتخاذ قرارات ثم ، في مرحلة ما وبعد ان تقبل بتنازلات ، تتجه للانتخابات عارضة على الناخبين (موقفها) النهائي : هذه هي التسوية التي يمكننا الوصول اليها والحصول على سلام ، اما سلام عملي — اذا كان الحديث عن تسوية مؤقتة — او الحرب ... واذا طرح السؤال على الناخبين على هذا الشكل — سلام (على أساس تسوية اقليمية) او حرب ، فمن الطبيعي الا يصوت الناخب من اجل ... « الحرب » . ولكن ديان يعتقد انه ينبغي توضيح الحقيقة للشعب قبل أن تتورط الحكومة في تنازلات وقرارات ... » (المصدر نفسه) .

لم يكن موقف ديان هذا ، المعروف بمواقفه السياسية المتناقضة ، من المواقف الملازمة له في الماضي ، وبالطبع لم يكن هذا موقفه عندما كان وزيرا للدفاع ، ولكن يظهر ان مواقفه السابقة لا تشغل باله كثيرا ويبدو ان هدفه هو اسقاط الحكومة ، وربما ترك التجمع العمالي والانضمام الى التكتل اليميني ، خاصة وانه يجد نفسه في وضع لا يخسر معه كثيرا من جراء ذلك ، بعد ان اجبر على الخروج من الحكم اثر اتهامه «بالتقصير» في حرب تشرين . « من الصعب ان نفترض ان ديان يتجه لاخضاع الحزب مرة اخرى للاخذ برأيه ، كما فعل المرة تلو الاخرى في الماضي ... ان الحزب ، والاكثر من ذلك حكومة رابين ، لا تستطيع السماح لنفسها هذه المرة ... باستسلام كهذا ، الذي يعني الغاء كل الخيارات الممكنة لمفاوضات مع الاردن ... لانه حتى وان كان يتسحاق رابين لا يعتقد بأن مفاوضات كهذه لن تؤدي الى نتائج عملية ، فانه لا يستطيع الا الدخول فيها . وعليه ، فهدف ديان هو اسقاط الحكومة حالا ، او في احدى الجولات المقبلة ، بينما يستعد لهذه المهمة من الان . ويعني هذا من ناحية ديان او رافي ، او جزء منها ، الانشقاق عن حزب العمل والانضمام الى المعسكر المضاد — معسكر ليكود . وقد كان الاعتقاد السائد حتى الان ان ديان مستعد لاتجاه كهذا شرط ان يؤدي الى قيام بداية ... ولكن من الممكن ان يكون ديان على استعداد للانشقاق اليوم ، حتى اذا لم تكون اقامة حكومة مع ليكود امكانا فوريا . ففي نهاية الامر يجد ديان نفسه اليوم في وضع لن يخسر معه كثيرا » (ران كسليف — هآرتس ، ٧٤/١٠/١٨) .

خارطة سياسية جديدة ؟

ازاء هذا الوضع ، كثرت في اسرائيل الدعوات الى اجراء انتخابات جديدة ، استنادا الى هذه المعطيات وحتى وان أدى ذلك الى انقسام الاحزاب الاسرائيلية على بعضها البعض . « ان عدم التأكد من الحصول على اكثرية في الكنيست حول موضوع مهم مثل (مصير) يهودا والسامرة والحاجة الى استعمال الجيش والشرطة ضد موجات من تسلل (المستوطنين) الاستفزازي الى الضفة الغربية يخلقان وضعا غير طبيعي . ولو كان ... رابين رئيس حكومة ، حظي بمنصبه في انتخابات عامة ... لربما كان باستطاعته — او لربما كان ملزما — بالتمسك بحكومته وشن حرب سياسية حتى اخر صوت في الكنيست . ولكنه لا يستطيع حتى الاستناد على هذا » جدعون ساموط — (هآرتس ، ٧٤/١٠/١٨) . وبعد أن يسخر الكاتب من اولئك الذين يعلنون ان الخلاف لا يتعلق بالمسائل الاقليمية ، داعيا الى اجراء انتخابات جديدة لحسم هذا الخلاف ، يضيف مؤكدا « ان المسألة الاقليمية ، لا غيرها ، هي القضية المركزية التي تقف بيننا وبين الدول العربية ، وبدون تسوية اقليمية لن يكون اتفاق. ومن يعتقد غير ذلك يسخر من نفسه او من الاخرين وحتى بالنسبة لمن لا يؤمن بالتسوية اصلا ، فالمسألة الاقليمية هي الحاسمة ... ان هذا هو السؤال المطروح الان بكل حدة وتتعلق به كل مركبات الصراع السياسي : ضم المدال للحكومة ، موقف ديان ورافي ، عمليات الاستيطان وبالطبع الاتصالات مع الولايات المتحدة ، وهذا السؤال يقسم الشعب بخط يمر في مكان ما في

منتصفه ... » (المصدر نفسه) .

ويتفق اكثر من معلق اسرائيلي مع سامط في رأيه هذا ، فالياهو اغرس (دافار ، ١٨/١٠/ ٧٤) يرى أيضا انه لا بد من اجراء انتخابات في اسرائيل بأسرع ما يمكن ، ذلك « لان نتائج الانتخابات للكنيست ، التي جرت في اواخر كانون الاول ١٩٧٣ ، لا تعبر عن رأي الناخبين في اسرائيل بعد حرب يوم الغفران . فقوائم المرشحين لم تتغير ، والاشخاص الذين يتحملون مسؤولية اخطر تقصير في تاريخ دولة اسرائيل ، كانوا مرشحين في الاماكن الاولى من قائمة المعراخ . فحقيقة استبدال وثيقة غليلي بوثيقة النقاط الاربع عشر ، الاكثر حمائمية ، والحديث فيها صراحة عن تسوية اقليمية ، لم يكن حاسما لانه لم يكن لدى زعماء مباي التاريخي الشجاعة للمطالبة صراحة بالغاء وثيقة غليلي . وهكذا بقيت الامور دون حسم وخاضعة لتفسيرات مختلفة . لقد تغير الوزراء الكبار الثلاثة حقا ، وبدلا من غولدا مئير وموشي ديان وابا ايبن جاء يتسحاق رابين وشمعون بيريس ويغئال الون . ولكن لا تفويض هناك لهذه الحكومة ، حكومة الاستمرار (والتغيير ؟) لاحداث تغييرات جوهرية في السياسة التي قررت من قبل سابقتها . ان كل خطوة تقاس بميزان وحدة الحزب والاخطار التي تواجهه . ان حزب العمل لا يستطيع الاستمرار والعمل في وضع مشوش . وسيضطر للحسم بشكل حاد لجانب او ضد تسوية اقليمية ذات مغزى كبير للغاية من اجل اتفاق سلام » (المصدر نفسه) . واذا كان اغرس يكتفي بهذا القدر من النصائح، فان زميله شلومو اهرونسون (هآرتس ، ١٨/١٠/ ٧٤) يذهب ابعد منه ، داعيا رابين الى استغلال المناسبة التي قدمها ديان « والتحول من نكرة الى زعيم » ، ولذلك بالعمل على توحيد قوى مبام واحدوت همعوداه ومباي ، ثم « مواجهة الجمهور بشعار سياسة خارجية وأمن واقعية ومساومة ، كتلك التي خدمت في الماضي مباي القديم كثيرا ، دون أن يتنازل عن أمن اسرائيل » . ولهذا فان « دفع ديان ورفاقه الثلاثة من المعراخ ونفيهم الى اليمين ، نحو ليكود وباباوات المفدال ، قد يكون خطوة سياسية مفيدة ، بالنسبة لرابين ، في الساعة المناسبة . وعندها سيصبح مرة واحدة واضع خارطة سياسية داخلية جديدة ، والزعيم المعلن لحزب سياسي موحد من جديد على أساس عقائدي مشترك » (المصدر نفسه) .

كذلك تطرق اربيه افنيري الى هذه الناحية مشيرا (دافار ، ٢٢/١٠/٧٤) الى الخطر الذي ستتعرض له اسرائيل ، بحسب رأيه ، من جراء سياسة ديان وليكود الداعية الى ضم المناطق المحتلة وتأثير ذلك على طابع اسرائيل اليهودي — الصهيوني . ولهذا « لا مناص من مجابهة علنية مع ديان وافكاره ، وقبل كل شيء داخل حزب العمل نفسه . وينبغي على الحزب الذي يدير دفة الدولة ان يكون ، اولا وقبل كل شيء، متحدا من الداخل حول هذه النقطة الحاسمة » . ولا بد ايضا من ان تتخذ ايضا باقي الاحزاب مواقفها الموحدة الخاصة بها ، وعندئذ « وبعد ان تقرر الاحزاب طابعها الحقيقي وتعرف من يمثل من وماذا ، لا مناص من اجراء انتخابات عامة للكنيست ، يعطي تقسيم الاصوات فيها حول المسألة صورة واضحة ، وكأنها استفتاء ... ولا مناص (عندها) من الحسم » (المصدر نفسه) . اما يحيئيل ليمور ، مراسل معاريف (٢١/١٠/٧٤) في الكنيست فيعلق على الدورة الثانية ، الحالية ، للكنيست الثامن ، التي افتتحت قبل ١٠ ايام ، بقوله « ان هذه الدورة ستكون « حامية » وربما مليئة بالمفاجآت التي لن تنبعث من مقاعد المعارضة فقط ، وانما حتى من بين صفوف الائتلاف . ان انضمام المفدال للائتلاف سيغير ، ظاهريا ، الخارطة البرلمانية ، ولن تستند الحكومة بعد على اغلبية ضئيلة من ٦١ صوتا ، في حين يهرع اعضاء موكيد وراكاح الى مساعدتها من وقت لاخر عند التصويت على (مواضيع) هامة ... ان الصفوف الحزبية غير « مستقيمة » ، واعضاء كنيست من المعراخ اثبتوا أنهم لا يسيرون حسب الخط — ان تم ذلك بواسطة الغياب عند التصويت او بالتوقيع على عرائض ليكود » . ويضيف ليمور ان دورة الكنيست هذه قد تكون الاخيرة « واذا تم فعلا الاسراع في الخطوات السياسية ، بشأن مصير يهودا والسامرة ، وبشكل يضطر الشعب معه الى الاعراب عن رأيه ، خلال الاشهر القريبة ، حول « التسوية الاقليمية » — فسيتم ، بحسب وعد

الحكومة ، اجراء انتخابات جديدة » (المصدر نفسه) . اما بوعز عفرون فقد علق على هذا الوضع بقوله (يديعوت احرونوت ، ١٠/٢٥/ ٧٤) انه « اذا كان قصد يتسحاق رابين الوصول الى أكثرية ثابتة تؤيد الحكومة وتؤمن جانبه من ضربة سكين من قبل ديان وزملائه ، فهناك امكانات جيدة للغاية بأن تضمن مناورة ادخال المفدال للحكومة ذلك . ولكن بما ان الهدف من قيام الحكومة ليس وجودها بحد ذاته ، وانما قدرتها على تنفيذ سياسة معينة ، من الصعب ان نرى كيف يستطيع رابين ان يتحرك نحو مرونة سياسية» مع وجود المفدال في حكومته . ولهذا « يتضح اذن ، اكثر فأكثر ، انه لا مناص من اجراء انتخابات جديدة ، تدور هذه المرة صراحة حول مبدأ التسوية الاقليمية والسلام ، ضد مبدأ الضم والحرب » .

لا الاردن ولا منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ان الاراء التي أشرنا لها لم تكن الاراء الوحيدة التي طرحت حول أزمة الحكم التي تجابه اسرائيل حاليا، اذا سمعت الى جانبها اراء اخرى تدعو الى التريث وعدم دفع الاحزاب نحو الانشقاق على بعضها البعض ، لان المشاكل التي تجابهها اسرائيل على صعيد سياستها الخارجية لا تستوجب ذلك ، بل على العكس ستجد معظم الاحزاب الاسرائيلية نفسها ، على الرغم من الخلافات التي تسودها ، متحدة للتصدي للاخطار التي قد تواجه اسرائيل . وينطلق اصحاب هذا الرأي من توقعهم اعتراف العرب والعالم بـ م.ت.ف. وحقها في اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحيث ستضطر اسرائيل ، نظرا لرفضها الاعتراف بهذه الخطوة من جهة ولعدم تمكنها من الاستمرار في المفاوضات مع الاردن من جهة اخرى الى تنفيذ « مشروع الون » بمنح « حكم ذاتي للفلسطينيين » في الضفة ، يكون على علاقة مع اسرائيل بدلا من الاردن ، وهو ما قد يحظى بموافقة معظم حمائم وصقور اسرائيل. وفي هذا الصدد ذكر حفاي ايشد (دافار ، ١٠/٢٤/ ٧٤) أن المشكلة التي تجابهها اسرائيل ليست تنفيذ مشروع التقسيم لسنة ١٩٧٤ ولا مشروع الون ، اذ أن « الخطر الحقيقي يكمن في مشروع اخر تماما ، وهو الذي يشكل موضوعا للبحث الان ويحظى بتأييد دولي متزايد . انه مشروع اقامة دولة « ثالثة » في يهودا والسامرة وقطاع غزة ، اضافة الى الاردن واسرائيل ... انه هذا عمليا مشروع الحد الادنى » المشترك بين الـ ١٠٥ دولة التي صوتت في الجمعية العمومية للامم المتحدة الى جانب دعوة ممثل م.ت.ف. ، وليس من المستبعد ان تبذل محاولة لفرضها على اسرائيل ، باختيارها او رغما عنها. وكل من يريد الموافقة على هذا المشروع ملزم ، من ناحيته ، بالعمل منذ الان على الانشقاق ثم بلورة اكثرية تؤيد المشروع وتكون مستعدة لقبوله. ان أي انقسام يحدث الان في حزب العمل او المفدال سيساعد على تنفيذ « مشروع عرفات » وليس ، مع الفارق ، « مشروع الون » ... واضاف ايشد معربا عن رأيه بضرورة الاسراع الى التفاوض مع سكان الضفة الغربية وحل المشكلة معهم ، بدلا من الانهماك في العمل على انشقاق الاحزاب الاسرائيلية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن يغئال الون وزير خارجية اسرائيل ، كان قد لمح في احدى تصريحاته الاخيرة الى ان اسرائيل قد تجد نفسها مضطرة اخيرا الى ايجاد حل خاص بها لمسألة الضفة الغربية ، وذلك بقوله ـ اثناء رده في الكنيست على اقتراح لجدول الاعمال ، قدمه ليكود بشأن دعوة م. ت. ف. الى الجمعية العمومية ـ « انه اذا قامت الاوساط المتطرفة في العالم العربي بتجميد المساعي السياسية ، فسنجد وسيلة بفضل سيادتنا ، لضمان مصالحنا السياسية والامنية، وذلك من خلال احقاق الحق مع المواطنين العرب المقيمين في المناطق المحتلة بها . ولهذا الغرض... لسنا بحاجة الى اي عامل اجنبي مع أن حكومة اسرائيل قررت في حينه ، ان هذه المشكلة يمكن حلها من خلال تسوية النزاع بين اسرائيل والاردن» (را ، ١٠/٢١/ ٧٤) . ويبدو ان هذا التلميح ينم عن بوادر اتجاه جديد في اسرائيل ، الى ان رئيس حكومة اسرائيل كان قد نفى بشكل قاطع قبل نحو شهر ونصف الشهر (في مقابلة مع دافار، ٩/١٦/ ٧٤) ان تكون اسرائيل على استعداد للتفاوض حول مصير الضفة الغربية سياسيا مع أية زعامة محلية هناك ـ في حين يظهر ان احتمال اجراء انتخابات جديدة ، رغم انضمام المفدال للحكومة ، يزداد من يوم لاخر .

ص.ج.

[٢]

قرارات مؤتمر الرباط تربك اسرائيل وتدفعها نحو مزيد من التصلب

أثارت قرارات مؤتمر القمة العربي السابع ، المنعقد في الرباط في نهاية الشهر الماضي ، حول القضية الفلسطينية والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني وحق هذا الشعب في اقامة سلطته المستقلة على اي جزء من الارض المحتلة من جهة ، ثم اعلان الدول العربية رفضها التسويات الجزئية المنفردة لحل أزمة المنطقة من جهة اخرى ، موجة من الغضب والاستياء في اسرائيل ، وهي الموجة التي كانت قد بدأت مع منتصف الشهر الماضي، عندما صادقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على دعوة م.ت.ف. للاشتراك في مناقشة القضية الفلسطينية . وقد أثارت تلك القرارات الاستياء في اسرائيل ، بشكل خاص ، كما يستدل على ذلك من مختلف التصريحات الرسمية وغير الرسمية الصادرة هناك ، بسبب معارضتها للمواقف الاسرائيلية المعلنة ، التي لا تزال تسعى للوصول الى حلول جزئية منفردة مع الدول العربية لحل ازمة المنطقة ، بينما تصر على حل القضية الفلسطينية مع الاردن بالذات ، دون م.ت.ف. كذلك ازداد تحسب اسرائيل ، بعد الاعلان عن تلك القرارات، من امكان حدوث تغيير في الموقف الاميركي تجاه حل مشاكل المنطقة .

تصلب الموقف الاسرائيلي

تشير معظم ردود الفعل الاسرائيلية على قرارات مؤتمر الرباط الى ازدياد التصلب في الموقف الاسرائيلي ، بعد « خيبة الامل » من تلك القرارات ، في حين يدعو البعض الى القيام بمحاولات للالتفاف حولها ومن خلال التمني بأنها قد تبقى حبرا على ورق . وكانت اعنف ردود الفعل على قرارات ذلك المؤتمر تلك التي صدرت عن المسؤولين الاسرائيليين بالذات ، اذ اعلن يتسحاق رابين ،رئيس حكومة اسرائيل ، بعد الاعلان عن تلك القرارات ، في محاضرة القاها في فرع حزب العمل في القدس (هآرتس ، ٧٤/١٠/٣١) ان « منظمات الارهاب لن تكون شريكة في المفاوضات مع اسرائيل ، حتى ولو وضعت على وجهها هذا القناع او ذاك . ولست ارى أية ظروف او احوال يمكن ان توافق اسرائيل فيها على اجراء مفاوضات مع منظمات الارهاب . لا يوجد لدينا ما نقوله لهذه المنظمات بمواقفها الحالية » . ومضى رابين قائلا، في المناسبة نفسها : « ان مؤتمر الرباط يهمني في امرين : أ ــ هل مصر مستعدة بعد المؤتمر لمتابعة المفاوضات من أجل التقدم نحو السلام ؟ حتى الان ليس لدي جواب على ذلك . ب ــ هل لدى الاردن توكيل لاجراء مفاوضات معنا بكل ما يتعلق بمستقبل السلام في حدودنا الشرقية ؟ » . وكان رابين قد صرح في اجتماع كتلة حزب العمل في الكنيست بأنه : « بدون الاردن لا يوجد من نتفاوض معه في الشرق الاوسط ... ان المسألة الرئيسية هي : هل تخطو مصر نحو السلام على انفراد ؟ » (داغار ، ٧٤/١١/١) .

وعاد رابين وصرح في مناسبة اخرى : « ان قرارات الرباط لا تلزم بتغيير سياسة اسرائيل . وهي ليست الكلمة الاخيرة بالنسبة لنا ، ولا بالنسبة للاردن ... » (داغار ، ٧٤/١١/٥) . وفي خطاب القاه امام المؤتمر الرابع لاتحاد الكنس اليهودية في القدس ،اعلن رابين : « اننا نعيش في دولة اسرائيل ، التي تعتبر خطوطها الدفاعية من أفضل ما عرفته دولة يهودية في أي وقت كان » (داغار ، ٧٤/١١/٥) . وشجع رابين في كلمته الاستيطان اليهودي في غور الاردن ومشارف رفح.

وفي ٧٤/١١/٥ عقد الكنيست اجتماعا لمناقشة قرارات مؤتمر الرباط.وتحدث رابين في الجلسة فهاجم اعتراف الامم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم شكر اليهود الذين تظاهروا في نيويورك ضد دعوة ممثلي م.ت.ف. الى الامم المتحدة وادعى ايضا ان قرارات مؤتمر الرباط « هي استمرار لقرارات الخرطوم » . ولعله اراد في ذلك صد بعض اتهامات المعارضين في داخل اسرائيل ، القائلة بأن اسرائيل تقابل قرارات العرب «بلاءات الخرطوم» الخاصة بها . وفي ختام حديثه ، تطرق رابين الى سياسة حكومته تجاه قرارات مؤتمر الرباط بقوله : « ان سياسة الخرطوم والرباط

لن تمر . ولدينا القدرة لمنع تحقيقها . ان موقف اسرائيل تجاه قرارات الرباط غاية في الوضوح :

ا ـ ترفض حكومة اسرائيل ، جملة وتفصيلا، قرارات مؤتمر الرباط ، التي يقصد منها عرقلة التقدم نحو السلام ، وتحريك مصادر الارهاب ، وافشال كل خطوة نحو التعايش بسلام مع اسرائيل .

ب ـ بموجب قرارات الكنيست ، لن تتفاوض حكومة اسرائيل مع المنظمات الارهابية ، التي سياستها المعلنة السعي لتدمير اسرائيل ووسيلتها العنف الارهابي .

ج ـ اننا نحذر القادة العرب من ان يظنوا خطأ ان التهديد او استعمال سلاح العنف او القوة العسكرية سيؤدي الى الحل السياسي . هذا وهم خطر . هدف الميثاق الوطني الفلسطيني لا يتحقق ، لا بعمليات الارهاب ، ولا بالحرب المحدودة ولا بالحرب الشاملة ... ان قرارات الرباط لا تبرر اتخاذ قرارات اضافية (من جانب اسرائيل) ، بل تضيف تأكيدا جديدا على قراراتنا السابقة ... » (دافار ، ٧٤/١١/٦) .

وقد صادق الكنيست بأغلبية الاصوات على بيان رابين هذا ، مؤيدا موقف الحكومة السابق الداعي الى حل القضية الفلسطينية عن طريق المفاوضات مع الاردن ، على أساس وجود دولتين : « دولة يهودية ، عاصمتها القدس ، ودولة عربية اردنية ـ فلسطينية الى الشرق من اسرائيل » ، وهو الموقف الذي صادق عليه البرلمان الاسرائيلي عندما اصبح رابين رئيسا للحكومة ، وصادق عليه للمرة الثانية في ٧٤/٨/٢١ ، بعد مناقشة الحكومة الاسرائيلية « القضية الفلسطينية » يومها لاول مرة . وقد أثر بيان الحكومة هذا بأصوات الائتلاف ، بينما عارضه النواب الباقون ، لاسباب مختلفة ، في حين دعا عدد قليل منهم ، ومن هؤلاء المنتمون لاحزاب صهيونية مختلفة ، الحكومة الى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية شرط ان تغير موقفها من اسرائيل .

اما كتلة ليكود (التكتل اليميني المعارض) فقد أعلنت عن معارضتها لهذا الموقف ، داعية الى اتخاذ قرارات متشددة اكثر . وفي اجتماعات الكنيست تحدث زعيم الكتلة مناحم بيغن وكذلك شركاؤه بلهجة النقد المرير . وقد وصف بيغن حكومة رابين بأنها « حكومة العار » ، وقال ان قرارات الرباط هدمت كل الاسس التي قامت عليها سياسة الحكومة الاسرائيلية . وفي ٧٤/١٠/٣١ أصدرت كتلة ليكود بيانا حول قرارات الرباط ، جاء فيه : « ان جواب اسرائيل على قرارات مؤتمر الرباط يجب ان يكون واضحا : ١ ـ لا مفاوضات بعد الان مع الدول العربية حول يهودا والسامرة (الضفة الغربية) . ٢ ـ يجب اقامة حكومة تكتل وطني . ٣ ـ استيطان واسع في يهودا والسامرة ... » (هآرتس ، ٧٤/١٠/٣١) . وبالاضافة الى ذلك ، دعا بعض زعماء ليكود الى فرض القانون الاسرائيلي على الضفة الغربية كرد على قرارات الرباط ، أي ضمها رسميا الى اسرائيل .

وقد علقت صحيفة دافار شبه الرسمية في افتتاحيتها ليوم ٧٤/١١/٦ على مواقف الاطراف الاسرائيلية المختلفة هذه بقولها انه لا « لا يوجد تناقض بين موقف الحكومة وموقف ليكود ازاء منظمات الارهاب ، ولكن التوجه لدى الطرفين مختلف : فالتجمع العمالي مستعد للمصالحة الاقليمية ، اما ليكود فغير مستعد للتنازلات في الضفة الغربية ، حتى مقابل السلام ... » . وكانت الصحيفة نفسها قد علقت في افتتاحيتها لليوم السابق (٧٤/١١/٥) على موقف اسرائيل من قرارات مؤتمر الرباط ، التي أشرنا لها ، بقولها « يوجد (الان) اجماع في الوزارة والاحزاب الصهيونية على عدم المفاوضات مع م. ت. ف... والان علينا ان نرى الى أي حد سوف ينجح كيسنجر في منع الجمود والتدهور » .

اهتمام بالموقف الاميركي

رغم التأكيدات الاميركية حول عدم حدوث تغيير في سياسة اميركا ازاء م. ت. ف. ، تسود الكيان الصهيوني التساؤلات والشكوك حول امكانية تغيير هذه السياسة ، خاصة بعد تصريح الرئيس الاميركي فورد عن وجوب استمرار المفاوضات « مع الاردن او منظمة التحرير الفلسطينية » . وقد علق مراسل هآرتس (٧٤/١١/٣) في اميركا على تصريح فورد هذا بقوله : « حسب مصادر البيت الابيض ، قد تعترف الولايات المتحدة بمنظمة

التحرير الفلسطينية بهدف انقاذ مساعي كيسنجر ، فيما اذا أبدت المنظمة اعتدالا في نشاطاتها وظهرت كقوة سياسية ناضجة ... » ، مضيفا ان « عثرة لسان » فورد أعدت مسبقا . وكان سفير اسرائيل في واشنطن ، سمحه دينيتس ، قد اجتمع في واشنطن مع جوزيف سيسكو ، فور اذاعة تصريح فورد واستفسر عن موقف اميركا ، فوعده سيسكو بأن « لا تغيير في سياسة واشنطن القائمة على وجوب اجراء المفاوضات مع الاردن وليس مع م. ت. ف. » (هآرتس ، ٧٤/١٠/٣١) .

ومن جهة أخرى ، استدعى وزير خارجية اسرائيل السفير الاميركي في اسرائيل ، كيتينغ ، واجتمع معه مستفسرا عن تصريح فورد . ونشر ان السفير الاميركي اعتبر هذا التصريح على انه « قد يكون زلة لسان ... » (المصدر نفسه) . وذكرت مصادر أخرى ان السفير تحدث مع آلون بلهجة العتاب قائلا : « لقد قلنا لكم ... اترون الان ؟! » (معاريف ، ٧٤/١١/٣) .

ولكن على الرغم من ذلك « هناك مخاوف في القدس من امكانية تغيير السياسة الاميركية ازاء مسألة المفاوضات مع م. ت. ف. وتلمح واشنطن الى أن اسرائيل ساعدت في خلق الوضع الجديد ... » (هآرتس ، ٧٤/١١/٣) . وقد علق احدهم (موشي زاك — معاريف ، ٧٤/١١/١) على هذا الوضع بقوله « انه تم الاتفاق بين الاسرائيليين والاميركيين على انه ليس المهم ماذا ستكون قرارات مؤتمر الرباط . فالامر الاهم هو اذا كان باستطاعة المصريين بدء المجرى العملي للمفاوضات ، وفيما اذا كانوا سيرسلون ممثليهم الى المحادثات في واشنطن ، التي ستجري بوساطة اميركية ، أم انهم سيكونون مقيدين بقرارات الرباط ... » . واما اريئيل غيناي ، المراسل السياسي لصحيفة « يديعوت أحرونوت » (٧٤/١٠/٣٠) فقد أبدى تخوفه من « ان يتصاعد الضغط السياسي على اسرائيل بهدف الحصول على موافقتها على اجراء مفاوضات مع من يعرفون بأنهم أعداؤنا الحقيقيون . وليس من المستبعد أن يسأل الاميركيون اسرائيل فيما اذا لم يكن هناك مجال للتفاوض مع م. ت. ف. وحقيقة ان كيسنجر لم يلغ رحلته الى المنطقة ، بعد قرارات الرباط ، تدفع الى الافتراض ان هذا هو موقف اميركا...».

موقف الاردن :

حظي موقف الاردن من القضية الفلسطينية اثناء اجتماعات مؤتمر الرباط وبعده باهتمام بالغ من قبل دوائر اسرائيلية عديدة ، رسمية وغيرها ، وقد حاول بعض الوزراء الاسرائيليين تبرير سياستهم الرافضة لتقديم اية تنازلات للاردن في الضفة الغربية ، متخذين قرارات الرباط وسيلة لذلك . اذ أعلن مثلا وزير الدفاع ، شمعون بيريس ، ان « قرارات الرباط بددت الاوهام ... ويجب ان نكون مسرورين لاننا لم ننزلق نحو تقديم التنازلات لحسين في يهودا والسامرة ، بهدف تعزيز مكانته ... » (دافار ، ٧٤/١١/٦) .

وفي الوقت نفسه ، أشار بعض المراقبين الاسرائيليين الى أن الملك حسين واغق على القرار الفلسطيني مرغما « وسوف يعمل كل شيء من اجل افشاله » (معاريف ، ٧٤/١١/١) بينما ذكر آخرون (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٤/١٠/٣٠) « اننا في حاجة الى وقت معين لفهم كامل معنى قرار الرباط ، وذلك عندما نقف على كيفية تنسيق العمل بين مصر وسوريا والاردن و م.ت.ف. ومهم أيضا ان نرى الى اي حد سيتعاون حسين مع شركائه الجدد ... » . وذكر ايضا ان السبب الرئيسي الذي دفع الملك حسين للتراجع لصالح م. ت. ف. هو القرار بمنح الاردن ٣٠٠ مليون دولار من قبل دول النفط . بينما أشار معلق آخر (عوديد زراي — هآرتس ، ٧٤/١٠/٣١) الى نواح اخرى بقوله : « يبدو أن حسين عاد من الرباط ومعه خياران مفتوحان ومن الممكن تحقيقهما بصورة فعالة فيما اذا تمسكت كل من اسرائيل والولايات المتحدة بموقفهما تجاه المخربين : ١ — تطبيق قرار رسمي سابق حول تجميد نشاط الاردن السياسي وحول الاشتراك في مؤتمر جنيف ، بحيث يؤدي الجمود في نهاية الامر الى قرع أبواب الملك حسين من قبل العرب ، والطلب منه الدخول في مفاوضات مع اسرائيل . ٢ — الخيار الثاني نابع من بقاء الاردن طرفا في القضية ، ووجوب تنسيق العمل معه . وبموجب هذا الخيار يعترف الاردن بحق م. ت. ف. في استلام الضفة ولكن بعد « تحريرها » واعدادها للتسليم بواسطة حسين . وهذا بالطبع بموجب « تنسيق العمل » بين دول المواجهة و م. ت. ف.

ولكن حتى ذلك الوقت يجب توقع حدوث تطورات ، ومن ضمنها تطورات مبادر اليها ، بحيث لن تكون معها ضرورة او امكانية لتنفيذ التسليم ... » ، خاصة وانه لدى الاردن مجال للمناورة ومتسع من الوقت . اما يهوشواع حلميش ، مراسل يديعوت احرونوت (٧٤/١٠/٣٠) فقد اشار الى ان القرار الذي اتخذ حول وجوب عقد رباعي بين مصر وسوريا والاردن وم. ت. ف. معناه ان « هناك خلافات لم يتم التوصل لحلها حتى الان ... » ، في حين نقلت هآرتس (٧٤/١٠/٣١) عن « مصادر الضفة الغربية » قولها ان تراجع الملك حدث بسبب الغليان الذي يسود الجيش الاردني وطلب ضباط كبار في الجيش منه « باسم الجيش الاردني » ان يتراجع لصالح م. ت. ف. لتهدئة الغليان ولتجنب عزلة الاردن في العالم العربي .

« مات مؤتمر جنيف »

أوضح وزير الاعلام الاسرائيلي ، أهارون ياريف ، موقف اسرائيل من مؤتمر جنيف بعد الرباط بقوله : « ان معنى قرار مؤتمر الرباط هو انه اذا تفاوضت اسرائيل مع الاردن حول الانسحاب فان المنطقة (التي ستنسحب منها) ستسلم الى م. ت. ف. وستقام في الضفة الغربية دولة فلسطينية . واسرائيل ترفض اقامة دولة فلسطينية مستقلة .. لذلك لا يوجد ما نتحدث عنه في جنيف...» (يديعوت احرونوت، ٧٤/١٠/٣٠).

أما الدكتور هرتسل روزنبلوم ، رئيس تحرير يديعوت احرونوت (٧٤/١٠/٣٠) فقد لخص قرارات مؤتمر القمة في الرباط ، تحت عنوان « مات مؤتمر جنيف » ، على النحو التالي : « ١ ــ ضعف التأثير الاميركي ، الداعي الى الاعتدال ، على العرب وازداد التأثير السوفييتي الحربي عليهم . ٢ ــ يمكن بكل تأكيد النظر الى مؤتمر جنيف انه قد مات ، مهما كانت « الصيغة » التي سيتوصل اليها اقطاب الرباط . ٣ ــ نتيجة لهذين الافتراضين ، من الممكن النظر الى الحرب في المنطقة كخطر قريب جدا الينا » . بينما اشارت معاريف (٧٤/١٠/٢٩) في افتتاحيتها حول الموضوع نفسه ، الى انه « اذا صحت الانباء حول وقوف مؤتمر الرباط بالاجماع الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية واعترافه بها كممثل وحيد للفلسطينيين اينما كانوا ، وانها ستستلم كل منطقة تجلو اسرائيل عنها ، فان مؤتمر الرباط يكون قد اغلق الطريق نهائيا على المساعي السلمية ، وعلى احتمالات مؤتمر جنيف ... ان من يقرر ان المفاوضات ستجري مع ياسر عرفات يكون قد قرر في الواقع انه لن تكون هناك مفاوضات » .

والواضح ان اسرائيل ، التي لم تكن متحمسة أبدا لمؤتمر جنيف ، والتي حاولت طوال الوقت عرقلته بكل الوسائل تريد اتخاذ قرارات القمة في الرباط حجة لذلك ، رغم انها دعت منذ حرب حزيران ١٩٦٧ وحتى حرب تشرين الاول ١٩٧٣ الى اجراء «المفاوضات المباشرة» مع العرب ، دون شروط مسبقة، مما دفع بعض المعلقين الاسرائيليين الى الاشارة الى ان اسرائيل ما دعت الى المفاوضات في حينه ، الا لانها كانت تعلم في تلك الظروف ان العرب سيرفضون ذلك .

نقد ودعوة الى التغيير

دفعت الانجازات الفلسطينية الاخيرة العديدين من الاسرائيليين الى الحوار فيما بينهم حول سياسة اسرائيل تجاه العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص. وقد عقدت الاجتماعات والندوات حول هذا الموضوع في جامعات اسرائيل وفي وسائط الاعلام المختلفة . ومع ان الخط العام الذي ساد هذا النقاش هو استمرار التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني ، فقد انتقدت بعض الاصوات سياسة الحكومة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني ، بينما دعا بعضها للعودة الى أساس القضية ، وهو الصراع بين الصهيونية والشعب الفلسطيني . ففي داڤار (٧٤/١١/٥) انتقد دانيئيل بلوخ السياسة الاسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧ ، ووصفها بأنها كانت « سياسة النعامة » ، حيث انها لم تحل القضية مع الاردن من جهة ولم تسمح بقيام قيادة فلسطينية في المناطق المحتلة كبديل لمنظمة التحرير الفلسطينية من جهة اخرى . وأضاف : « رغم التصريحات المتشددة من قبل رئيس الحكومة ووزير الخارجية وغيره من الوزراء ، ربما لن يكون لنا مناص في احد الايام من اجراء الحوار مع م. ت. ف. ومع ياسر عرفات . ولكي لا نفعل ذلك مرغمين بواسطة اميركا والعالم ، يجب ان

نفكر جديا منذ الان كيف نخرج من الورطة السياسية التي انزلقنا اليها ، ليس بذنبنا فقط ، ولكن بسبب سياستنا ايضا . يجب أن نذكر ان الصراع بدأ بين العرب واليهود في أرض اسرائيل (فلسطين) ، أي انه يجب حل هذا الصراع عن طريق الحوار بين هؤلاء . ورغم اهمية التسوية مع مصر وسوريا ، فان هذه التسوية لن تحل المشكلة من أساسها ... علينا ان نقوم بمبادرة حول الضفة الغربية ، تقوم على أساس ان نهر الاردن هو الحد الدفاعي لاسرائيل ، ولكنه ليس حدها السياسي أو القومي . علينا أن نعرض خطة أصيلة وجريئة تجاه الفلسطينيين ، تجعلهم يتخون موقف الدفاع ، اذا رفضوها ... علينا أن نطلق فكرة الكونفدرالية الاسرائيلية — الفلسطينية — الاردنية مقابل شعار الدولة الديمقراطية . علينا أيضا أن نمتنع عن الاكثار من التصريحات حول من لا نريد الجلوس معهم ، بل نقول اننا نريد الجلوس مع كل دولة او منظمة تعمل على منع الارهاب وتقبل قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ . وهذا التوجه يجمع قوى برلمانية اكبر » .

كذلك انتقد عاموس كينان في يديعوت احرونوت (٧٤/١٠/٣٠) سياسة اسرائيل بقوله : « يجب ان تكون لدينا مقدرة خارقة على الاستهجان لكي نفكر ان الفلسطينيين سيتخلون عن شخصيتهم وحلمهم بالاستقلال السياسي ، لان موشي ديان يسمح لهم بنقل البندورة عبر جسر اللنبي ... وتلزمنا المقدرة نفسها لكي نفكر اننا سنستمر في الاستيطان في المناطق (المحتلة) وان العرب سينظرون الى ذلك كدليل قاطع على رغبتنا القوية في السلام العادل لكلا الشعبين ... في اليوم الذي اعترفت فيه الامم المتحدة بـ م. ت. ف. أفلست السياسة الاسرائيلية افلاسا كاملا . فالخط الذي سار عليه غولدا — ديان — غليلي تابعه رابين . هذا الخط آمن بالمستحيل ، والان مات المستحيل ... » . وينتقد كينان انضمام الحزب الديني القومي (مفدال) الى الائتلاف الحكومي في اليوم الذي اعترفت به الامم المتحدة بـ م. ت. ف. لان « هذه صورة بائخة تنبعث منها رائحة البارود . وكل ما تحتوي عليه هو الدماء والدموع ... واذا لم يجد يتسحاق رابين الجرأة لكي يأتي الى الشعب ويقول له الحقيقة من ان علينا أن نتصالح مع الفلسطينيين ، فانه سيكون مسؤولا عن الجولة القادمة وكل ما سيترتب عليها » .

يوسف حمدان

[٣]

اسرائيل تحاول اصلاح اوضاعها الاقتصادية المتدهورة وتخفيض قيمة الليرة

أقرت الحكومة الاسرائيلية ليلة الاحد ، ١٠/١١/٧٤ ، خطة اقتصادية جديدة لمعالجة الوضع الاقتصادي المتدهور ، وخاصة العجز في ميزان المدفوعات والانخفاض في فائض العملة الصعبة في اسرائيل . واساس هذه الخطة هو تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية من ٤٫٢٠ ليرة للدولار الى ٦ ليرات للدولار . وهذه هي تاسع مرة تقدم فيها اسرائيل على تخفيض قيمة عملتها ، منذ قيامها . فحتى ١٩٤٩/٩/١٨ كانت ٠٫٢٤٨ ليرة اسرائيلية تساوي دولارا ، وفي ١٩٤٩/٩/١٩ انخفضت قيمتها فأصبحت كل ٠٫٣٥٨ ليرة تساوي دولارا . في ١٩٥٢/٢/١٨ أعلن عن سعرين آخرين رسميين لليرة ، بالاضافة الى سعرها السابق : ٠٫٧١٤ ، و٠٫٠٠٠١ ليرة للدولار . وفي ١٩٥٣/٥/١٩ أضيف سعر رابع : ١٫٨٠٠ ليرة للدولار . وفي ١٩٥٤/١/١ استبدلت كل الاسعار السابقة بتسعيرة موحدة : ١٫٨٠٠ ليرة للدولار . واستمرت قيمة الليرة في الهبوط بعد ذلك . ففي ١٩٦٢/٢/١٠ أصبحت كل ٣ ليرات تساوي دولارا ، ثم انخفضت مرة اخرى ، في ١٩٦٧/١١/١٩ الى ٣٫٥٠ ليرة للدولار ، ثم في ١٩٧١/٨/٢٢ الى ٤٫٢٠ ليرة للدولار (كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٥) ، واخيرا في ١٩٧٤/١١/١٠ الى ٦ ليرات للدولار .

وبالاضافة الى تخفيض قيمة الليرة تقرر تخفيض المساعدات الحكومية لفروع الاقتصاد المختلفة

بمليارى ليرة، ومنع استيراد نحو ٣٠ سلعة ، منها السيارات ، والسجاد والمشروبات وأجهزة التلفزيون وما شابه ، لمدة ٦ اشهر ، وفرض ضرائب جديدة ، بنسبة ١٠ ٪ (جمارك) و١٠ ٪ اخرى (ضريبة شراء) ، على ٣٩ سلعة كمالية ، من بينها البيرة والاقمشة والسجاد والادوات الكهربائية . كما سيضطر المستوردون الى دفع ١٥ ٪ ضريبة أمن على القروض التي يحصلون عليها من البنوك . وبموجب الخطة سيستمر أيضا تجميد التسليف المصرفي بحجمه الحالي ، مع التشديد على فرض الغرامات على السيولة . كما تقرر تحديد المكافآت على التصدير وجعلها ١ر٠٤ — ١ر٢٠ ليرة للدولار ، مقابل ١ر٧٢ — ١ر٨٠ ليرة للدولار في السابق (ر ا ا ، هآرتس ودافار ، ٧٤/١١/١٠) .

ونتيجة لقرار الغاء المساعدات الحكومية ، طرا ارتفاع على اسعار المواد الاساسية ، مثل السكر والخبز والزيت والطحين والشاي والقهوة والزبدة والحليب ومنتوجاته ، واللحوم والارز والطيور ومواد اخرى غيرها . فقد ارتفع ، مثلا ، سعر كيلو السكر من ٢ر٠٥ ليرة الى ٦ ليرات بينما زاد سعر كيلو الزيت بـ ٢ر٦٠ ليرة . كذلك ارتفع سعر رغيف الخبز من ٥٥ قرشا الى ليرة ، وليتر الحليب من ليرة الى ١ر٦٠ ليرة . كما ارتفع سعر البنزين (٩٤ أوكتان) الى ٢ر٨٠ ليرة لليتر ، في حين ارتفع سعر علبة الزبدة الى ليرتين ، وقارورة الغاز الى ٣٠ ليرة وليتر المازوت الى ١ر٠٤ ليرة ، وكيلوغرام من اللحم المجلد الى ٢٠ ليرة . وقد ارتفع ايضا ثمن السجاير ، بمعدل ٢٥ قرشا للعلبة الواحدة (ر ا ا ، ٧٤/١١/١٠) ، ونظرا لارتفاع سعر البنزين ومشتقاته يتوقع ارتفاع اسعار الكهرباء أيضا (دافار ، ٧٤/١١/١٠) . كما أدى انخفاض قيمة الليرة والزيادة التي فرضت على ضريبة السفر (من ٦٠٠ ليرة الى ٧٥٠ ليرة) ، الى ارتفاع اسعار تذاكر السفر بالطائرة الى الخارج، بنسبة كبيرة جدا .

تحدث وزير المالية ، بهوشواع رابينوفيتش ، عن الخطة الاقتصادية الطارئة التي قررت الحكومة اتباعها ، في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٧٤/١١/١٠ ، بعد انتهاء جلسة الحكومة ، قائلا : « تدرك الحكومة المسؤولية الملقاة على عاتقها ، وقد اقرت الليلة سلسلة خطوات هدفها تقليص الهوة بين الصادرات والواردات، وذلك لمنع تلاشي احتياطي العملة الصعبة ، وتكييف معيشتنا مع المهمات الصعبة التي سنواجهها » .

وفسر وزير المالية دوافع الحكومة لتخفيض قيمة الليرة بقوله ان « لهذا التخفيض في قيمة العملة عدة اسباب : اولا ، رفع اسعار الواردات ، اذ ان جميع المواد المستوردة من الخارج سترتفع أسعارها ، وهذه الحقيقة تسري على المواد الخام والمواد الجاهزة على السواء ... ولكي لا يكون التحول كبيرا جدا ، فقد خفضت الضرائب الامنية المفروضة على استيراد من ٣٥ ٪ الى ١٥ ٪ . ثانيا ، جاء تخفيض قيمة العملة لزيادة التصدير . اذ أن قيمة الليرة الجديدة ، والحوافز (التي ستمنحها الحكومة) للتصدير تكفي لجعل المصدر الاسرائيلي يتغلغل في اسواق العالم لتصدير بضائعه . وبهذا الاسلوب تنخفض عمليات بيع المنتوجات في البلاد بدل تصديرها ... » . واضاف رابينوفيتش مؤكدا « ان تبديل قيمة العملة لا يمكن ان ينجح دون خطوات اخرى ، ودون ان يتجسد في جميع المجالات . وأحد هذه المجالات — وبحتمل أن يكون أصعبها — هو مجال أسعار المواد الغذائية الاساسية والوقود ... » (ر ا ا ، ٧٤/١١/١٠) .

كذلك أعلن رابينوفيتش ظهر يوم الاحد ، ١٠/ ٧٤/١١ ، في مؤتمر صحافي ، مبررا اقرار هذه الخطة الاقتصادية ، ان حكومته اختارت « هذا الطريق الصعب لانه لا يوجد خيار آخر أمامنا ، ولانه لا يوجد مناص ، ولان البديل هو ان نصل بعد ستة أشهر الى حالة من الاضطرابات الخطيرة ، وذلك بسبب بطالة يبلغ حجمها مائة الف عامل ، نتيجة للنقص في العملات الصعبة لاستيراد المواد الخام ... اننا نهدف من وراء هذه السياسة الى الحفاظ على قوتنا الامنية ، وعلى موقف اسرائيل السياسي في العالم » (المصدر نفسه) .

كما أصدر رئيس الحكومة ، يتسحاق رابين ، بيانا تحدث فيه عن الخطة الاقتصادية الجديدة ، مناشدا الاسرائيليين تفهم دوافع القرارات الاقتصادية الاخيرة . وجاء في بيان رابين هذا قوله : « ... اننا نعيش في فترة ما بعد حرب

يوم الغفران . انها فترة صعبة ، فترة نمر خلالها بعدة مجالات من النضـــال : النضال الامني ، وزيادة التعاظم العسكري ، والنضال السياسي للبحث على كل الطرق للتقدم نحو السلام . ومن ثم النضال الاقتصادي والاجتماعي ، وذلك لكي نخلق قاعدة جدية للقوة الامنية ، وحرية المناورة السياسية ، وكذلك من اجل احتمال زيادة عدد سكان البلد بواسطة الهجرة ... » .

واضاف رابين : « لقد كانت حرب يوم الغفران حربا صعبة ، والذي يميزها انها كانت حربا غير منتهية ، حتى بمفاهيم حروبنا السابقة . وفور انتهاء الحرب تدفقت الاسلحة على الدول العربية. وكان علينا ... ان نعصر كل ما في جيوبنا لتعزيز قوتنا ، ولضمان ألا نفاجـأ مرة أخرى ، ولكي نستطيع الصمود أمام القـوة المتعاظمة لـدى عدونا ...

« من ناحية اخرى حدثت تبدلات في الاقتصاد العالمي ، وجزء منها نابع من حرب يوم الغفران ، ومن استغلال القوة الاقتصاديـة الموجودة لدى الدول العربية . وقد أدت هذه ، تقريبا ، الى أزمة في اقتصاد دول العالم الحر ، اذ ارتفعت اسعار النفط بأربعة اضعاف ... واذا قارنا الذي استوردناه قبل سنة بالذي نستورده الان ، فان معدل الزيادة يبلغ نحو مليار دولار . نحن ملزمون بأن نصمد في جميع النضالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ... » .

كذلك تحدث رابين عن الخطة الاقتصادية الاولى التي اعتمدتها الحكومة في أواخر تموز الماضي ، مشيرا الى أن الهدف منهـا كان وقف التضخم المالي . « وفعلا تم كبح جماح التضخم المالي ، خلال الاشهر الاربعة الاخيرة » . اما الهدف من الخطة الاقتصادية الجديدة ، فهو بحسب رأيه ، « منع نضوب الاحتياطي من العملة الصعبة . اذ أن اسرائيل تستورد الكثير ، وبقاؤهـا متعلق بالاستيراد ، استيراد الاسلحة ، والمواد الخام ومواد اخرى » . وأنهى رابين بيانه قائلا : « لن تكون هذه الخطوة الاخيرة التي ستتبعها الحكومة، وكان يسعدني لو انني استطعت ان اعدكم بأنه لن تحدث أزمات اخرى في الاقتصاد » (المصدر نفسه) .

ردود الفعل : استياء يعم سكان اسرائيل

كان رد الفعل الاولي على الخطة الاقتصادية الجديدة ، هو قرار الهستدروت بمطالبة الحكومة باعادة النظر في رفع الاسعار ، ودفع تعويضات كاملة للعائلات الفقيرة والمحتاجة ، ومن ثـم الاصرار على دفع علاوات غلاء المعيشة كاملـة للعمال ، ابتداء من شهر كانون الثاني . ووفق الخطة الاقتصادية ، ستدفع الحكومة تعويضات على الغلاء للعائلات الفقيرة ، يبلـغ ١٠٠ ليرة شهريا للعائلة المكونة من ٤ أفراد و٥٠ ليرة مقابل كل طفل ابتداء من الطفل الثـالث في العائلات الكثيرة الاولاد (دافار ، ٧٤/١١/١٠) .

كما أثارت الخطة الاقتصادية الجديدة ردود فعل عنيفة بين العمال والطبقة الفقيرة في اسرائيل . فقد طالب عمال ميناء أشدود بتعويضات كاملة مقابل الغلاء « والا سيقررون استعمـال جميع الوسائل المتاحة لهم » (ر ا ، ٧٤/١١/١٠) . كما أضرب نحو ١٨٠٠ عامل في حيفا ، بعد سماعهم بالاجراءات الاقتصادية الجديدة . ويبدو ان مصدر الاستياء بينهم ناجم عن رفع الاسعار ، وخاصة بالنسبة للسلع الاساسية . وكان اضخم رد فعل في حي هتكفا في تل ابيب ، وهو مجمع للعائلات الفقيرة في المدينة ، اذ سارت تظاهرة كبيرة ، تخللتها أعمال العنف ، ضد رفع الاسعار وتخفيض قيمة الليرة وقد تدخلت الشرطة لتفريقها بعد أن اعتقلت عددا من المتظاهرين . كما سارت تظاهرة اخرى في تل ابيب ، نظمها عمال « امكور » حيث سار المتظاهرون حتى وصلوا امـام مبنى اللجنة التنفيذية للهستدروت .

تدهـور الوضـع الاقتصـادي وراء الخطـة الاقتصادية الجديدة :

يبدو انه لم يكن هناك مفر من اعتماد الخطة الاقتصادية الجديدة ، نظـرا للوضع الاقتصادي المتدهور في اسرائيل ، وبعد أن ظهر ان الخطة الاقتصادية التي اعتمدت في شهر تموز الماضي ، لم تكن كافية لتحسين الوضع . أما الاسباب التي أدت الى هذا الوضـع فهـي التضخم المالي ، والعجز في ميزان المدفوعات الذي أصبح المشكلة الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي . وكان محافظ بنك اسرائيل ، موشي زنبار ، قد وصف هـذا

الوضع بقوله : « سيصل العجز المتوقع هذه السنة في ميزان المدفوعات ، الى ٣ر٦ مليار دولار — وهو المبلغ الذي يزيد بـ ٢ر٥ مليار دولار عن العجز في سنة ١٩٧٢ . ان ٩٠٠ مليون دولار من هذا العجز تعود الى الزيادة في الاستيراد الامني ، اما الباقي فناتج عن الزيادة في الاستهلاك الفردي . وتشير المعطيات الى ان الاسعار هذه السنة ستكون اكثر ارتفاعا بنسبة ٢٧ ٪ عن مستواها في السنة الماضية .

« وهناك ايضا مجرى مقلق يتمثل في الانخفاض في فائض العملة الصعبة في الدولة . فقد انخفضت هذه الفوائض خلال الاشهر العشرة الاخيرة ، بما يزيد عن ٧٠٠ مليون دولار ، وأصبحت اليوم أقل من مليار دولار — وهو المبلغ الذي يكفي بصعوبة، لتمويل متطلبات الاستيراد المدني لشهرين فقط » (يديعوت احرونوت ، ٧٤/١٠/٢٧) .

وأضاف زنبار انه « في موازاة انخفاض الفوائض ، استمرت ديون الدولة بالعملة الصعبة بالارتفاع ، حتى وصلت في شهر حزيران الى ٦ر٥ مليار دولار ، مقابل ٥ مليار دولار ، في نهاية سنة ١٩٧٣ .

« كذلك فان أزمة الاقتصاد العالمي ستصيب اسرائيل بالضرر ... فأزمة الطاقة وارتفاع أسعار المواد الغذائية في العالم خلقت ضغوطا تضخمية في معظم الدول ، وزادت من عجزها التجاري . لذلك ، فقد اتبعت حكومات كثيرة ، خطوات لتقليل الطلب ، وهذا من شأنه ان يضر بالصادرات الاسرائيلية .

« والخطر الاخر المتوقع لاسرائيل ناتج عن رغبة الدول المصدرة للنفط ، في السيطرة على الاطارات المالية الدولية . واذا نجحت في ذلك ، فسيمس هذا قدرة اسرائيل على تجنيد الاموال » (المصدر نفسه) .

أما وزير المالية ، يهوشواع رابينوفيتش فكان قد ذكر (في مقابلة مع داغار ، ٧٤/١١/١) ان مصاريف الامن المتزايدة هي وراء هذا الوضع ، اذ « ان علينا ان نفهم امرا واحدا هو اننا شعب آخر بعد حرب يوم الغفران . فقبل الحرب وعندما كانت نفقات الامن تعادل ١٧٪ من الدخل القومي القائم خططت الحكومة لسلسلة من النشاطات في مجال الخدمات . وقد رفعت هذه الخدمات مستوى المعيشة والاستهلاك في البلد . غير ان هذا قد توقف بعد الحرب فمع ارتفاع نفقات الامن الى ثلث الدخل القومي ، لا يمكننا التصرف كما تصرفنا في الماضي . ان نفقات الامن هي استثمارات ضخمة ولا ارى أية امكانية لتقليصها ، لا ... في السنة المقبلة ، ولا في السنوات التي تليها . واذا أضفنا الى ذلك نفقات استيعاب الهجرة ، التي ستزداد ، فانه ليس لدي ادنى شك بأن هذه النفقات يجب ان تؤدي الى اسلوب حياة مختلف عند الجمهور ... ».

« ... يجب ان ينتقل الجمهور الى خطوط اخرى في مجال الاستهلاك . أعتقد انه اذا ادرك الجمهور هذا الامر ، سيكون بالامكان تصحيح الوضع الاقتصادي . وسأعطي مثالا على ذلك ، مدعوما بالارقام . ارتفع الدخل الحقيقي عندنا ... في سنة ١٩٧٢ بـ ٥ر٥٪ ، وفي عام ١٩٧٣ بـ ٥٪ . وحتى في عام ١٩٧٤ ، سيرتفع حسب توقعاتنا بـ ٣ر٤٪ . على ضوء هذا الارتفاع ، انا مقتنع ، بأن الجمهور يستطيع تحمل الكبح وخفض مستوى المعيشة . وعلينا ان نتصرف هكذا ، اذا ما كنا نرغب بعدم الوصول الى أوضاع صعبة جدا . اذا لم نغير اسلوب معيشتنا ، فسنواجه انخفاض احتياطي العملة الصعبة ... ».

« ... لا يمكننا التعرض الى نفقات الامن ، فنحن مضطرون لصرفها . وتبلغ ديوننا بالعملة الصعبة ، الملزمين بدفعها ، في السنة الحالية ، ٦ مليارات دولار ، وهذا بند لا يمكن الامتناع عن دفعه . وهذا عن ذلك ، اننا ننفق اموالا طائلة في تشجيع الصادرات . وهذا لا يمكن توفيره ، اذ انه الامل الوحيد لنا لتحسين ميزان المدفوعات . لذلك من الواضح ان مستوى الضرائب ، رغم انه وصل الى ٥٧ر٦٪ من سائر الدخل القومي ، فاننا لا نستطيع تخفيضه ... » (المصدر نفسه).

« الدولة قد تفلس » والبطالة امر محتم

يبدو ان مشكلة النقص في العملة الصعبة ، التي بلغ احتياطها في مطلع عام ١٩٧٤ نحو ١٫٨ مليار دولار ، وانخفض منذ ذلك الوقت بمعدل ٨٠ — ١٠٠ مليون دولار شهريا ، حتى وصل الان الى أقل من مليار دولار ، تثير قلق الاسرائيليين ،

ويظهر انها كانت أحد الدوافع الاساسية وراء الخطة الاقتصادية الجديدة . وقد تطرق احد المعلقين الاقتصاديين الى وصف هذا الوضع ، محذرا مما أسماه خطر « افلاس الدولة » ، فقال « مخطىء من يعتقد ان الدولة لا تستطيع ان تعلن عن افلاسها ... ان افلاس الدولة يختلف عن افلاس شركة تجارية . فعندما تفلس الدولة ، لن يكون بامكانها تجنيد المزيد من الاموال في السوق التجارية (البنوك التجارية) ، بينما تستطيع تجنيد الاموال من الدول المختلفة مقابل « بيع سياسي بالمزاد العلني » فقط . وبالاضافة الى جميع المصائب ، فان الازمة الاقتصادية ، التي تمر على العالم ، ستجعل من الصعب على اليهود ان يحملوا الدولة اليهودية على اكتافهم » (تسفي كسلر — يديعوت احرونوت ، ٧٤/١١/١٢) .

كذلك يتوقع حدوث بطالة في اسرائيل في السنة المقبلة ، نظرا للنقص في فائض العملة الصعبة ، اذ ان هذا النقص سيؤثر على استيراد المواد الخام التي تعتمد عليها الصناعة الاسرائيلية . وهناك ثلاثة فروع تعتمد عليها اسرائيل في مجال استيرادها ، هي (١) الاستيراد الامني ، (٢) استيراد المواد الغذائية ، (٣) استيراد المواد الخام الضرورية للصناعة . وبما ان اسرائيل لا تستطيع الاستغناء عن النوعين الاولين ، فانها ستقلص استيرادها خلال السنة المقبلة ١،٥ مليار دولار ، اذ يتوقع ان يصل العجز التجاري في عام ١٩٧٥ ، الى ٤ مليارات دولار ، بينما لن تتجاوز المساعدات المتوقعة من الولايات المتحدة ويهود العالم ٢،٥ مليار دولار . « ويعتبر استيراد المواد الخام للصناعة ، البند الوحيد الذي يمكن تقليصه ، اذ يبلغ ما ينفق على هذا الاستيراد ٢،٢٥ مليار دولار سنويا . ولكن تقليص استيراد المواد الخام معناه عدد أقل من الاليات وكمية أقل من المواد الخام — أي انتاج أقل . وبعبارتين : انكماش وبطالة (يديعوت أحرونوت ، ٧٤/١١/٥) .

علاج الوضع الاقتصادي

كان وزير المالية ، رابينوفيتش ، قد ذكر ، قبل اعتماد الخطة الاقتصادية الجديدة ان اصلاح الوضع الاقتصادي يجب ان يتم على مرحلتين : « في المدى القصير علينا ان نعمل على منع انخفاض احتياط (العملة الصعبة) بواسطة استيراد رؤوس الاموال ، كما فعلت ذلك جميع البلدان في العالم التي تضررت من الهزة التي انتابت الاقتصاد العالمي خلال السنة الاخيرة . مقابل ذلك ، يجب تقديم علاج لاصلاح الاقتصاد من خلال تكييف نهج حياتنا من أجل الخروج من الضائقة . أما على المدى البعيد ، فعلينا ان نتبع عدة خطوات . اولا ، يجب ان يكون هنالك وعي أكبر للتوفير في العملة الصعبة ... فنحن غارقون في المليارات وقد فقدنا كل حاسة للتوفير ... (ثانيا) علينا زيادة الانتاج ، اذ ان هذا الموضوع ذو أهمية اولى . وتهتم بهذا الموضوع لجنة أترأسها أنا شخصيا ، وأعضاؤها هم سكرتير عام الهستدروت يروحام ميشل ، ورئيس اتحاد الصناعيين مارك موشفيتش . (ثالثا) طالما نعيش في هذا المستوى من نفقات الامن ، علينا ان نتبع سياسة أجور ومداخيل متزنة . ويجب ان تكون هذه السياسة بالتنسيق مع الهستدروت وارباب العمل ... » (دافار ، ٧٤/١١/١) .

وتطرق رابينوفيتش الى المساعدات الاميركية ، وما يمكن ان تساهم به في حل المشاكل الاقتصادية في اسرائيل ، مؤكدا « ان المساعدات الاميركية ، على المدى القصير ، هي مساعدات حيوية . وانطلاقا من وجهة النظر هذه ، ومن خلال المعرفة بأن زيادة الصادرات وحدها هي التي تمنحنا امكانية تخطي الثغرات الكبيرة في الميزان التجاري ، فقد توصلنا الى تفاهم مع الولايات المتحدة ، لمحاولة تشجيع الاستثمارات الاميركية في اسرائيل . وتعمل اللجان المشتركة التي أقيمت — لتشجيع التجارة ، والاستثمارات وتبادل الخبرة وتزويد المواد الخام — في اتجاه بلورة القرارات قبيل التقائي مع وزير المالية الاميركي سايمون ، وذلك قبيل توقيع اتفاق اقتصادي مشترك بين اسرائيل والولايات المتحدة ، يجد حلا لبعض المشاكل الاساسية في هذا المجال (المصدر نفسه) .

كما أعرب سكرتير الهستدروت يروحام ميشيل في مقابلة معه في معاريف (٧٤/١١/٤) ، عن رأيه في علاج الوضع الاقتصادي المتدهور قائلا « ان الهستدروت ستؤيد خطة طوارىء اقتصادية ، يكون أساسها المساواة في حمل العبء .. والمساواة ، بالنسبة لي ، تعني توزيعا عادلا لحمل العبء ،

أي ان يتجاوز عطاء الغني ، (عطاء) الفئة المتوسطة التي تعيش على الراتب ... » .

وكان عدد من الخبراء الاقتصاديين في اسرائيل قد نصحوا ، حتى قبل اعتماد الخطة الجديدة ، بتخفيض قيمة الليرة ، كعلاج وحيد لمشكلة العجز في ميزان المدفوعات ، ولتجنب حدوث انكماش اقتصادي. فقد أعلن بروفيسور حاييم بن — شاحر « انه من أجل تخفيض العجز في ميزان المدفوعات بدون انكماش ، على الحكومة ان تتبع خطوتين . غالى جانب تخفيض الطلب الفائض (الذي تمثل بتخفيض نفقات الحكومة عن طريق الاقتطاع من ميزانيتها ، ورفع الضرائب وجميع عمليات الكبح الاخرى) عليها ان تحدث تخفيضا هاما في قيمة الليرة . وسيؤدي مثل هذا التخفيض الى زيادة اسعار المواد المستوردة ، ولذلك فان انخفاض الطلب سيتمثل في تقليل التهافت على السلع المستوردة بمدى أكبر نسبيا ، من انخفاض الطلب على المنتوجات المحلية . كما ان تخفيضا كهذا سيؤدي الى زيادة الفائدة في التصدير . وسيكون التصدير بمثابة مخرج لذلك الجزء من الانتاج ، الذي لم يجد له سوقا محلية بسبب قلة الطلبات. وبدلا من البطالة والانكماش ، في أعقاب انخفاض الطلب المحلي ، ستزداد العمالة ، وذلك للتصدير ، على حساب الانتاج للسوق المحلي ، وهذا سيؤدي الى تخفيض العجز في ميزان المدفوعات » (يديعوت أحرونوت ، ٧٤/١١/١) . كما دعا بروفيسور ميخائيل برونو ، من الخبراء الاقتصاديين المعروفين في اسرائيل ، الى تخفيض قيمة العملة الاسرائيلية ومن ثم ايتاف ربط الليرة بالدولار حيث تقوم هيئة مشكلة من وزارة المالية وبنك اسرائيل بالاجتماع خلال كل شهر أو خلال فترات قصيرة ، كما يتطلبه الوضع ، وتعين قيمة الليرة حسب الوضع في الاسواق العالمية (من مقابلة معه في معاريف ، ١٩٧٤/١١/١).

حنه شاهين

[٤]

علاقات اسرائيل الدولية
نصف دول العالم لا علاقات لها مع اسرائيل

ما زال بعض الاسرائيليين يرددون ما قاله وزير خارجيتهم السابق ابا ايبن ، من انه اذا ما قرر العرب ان يقترحوا على الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخاذ قرار يقول بأن الارض مسطحة لا كروية، فان هذا الاقتراح سيقر بأغلبية ٤٧ صوتا، ومعارضة ١٧ صوتا وامتناع الاخرين ! وان دل هذا القول على شيء ، فانه يدل على مدى ضيق اسرائيل ومعاناتها من العزلة التي تعيش فيها داخل المجتمع الدولي المتمثل في الامم المتحدة بدولها الـ ١٣٨ .

يعتقد الاسرائيليون عندما يدرسون ويتيمون النحو الذي توزعت عليه الاصوات في الامم المتحدة خلال السنوات الماضية ، حول القضايا العربية وأزمة الشرق الاوسط ، ان هناك أكثر من ٨٠ صوتا مضمونا الى جانب المطالب العربية ، وهذه الاصوات موزعة على ٢٠ دولة عربية و١٣ دولة شيوعية و٢٩ دولة افريقية و٦ دول اسيوية ودولة اوروبية غربية (هي اسبانيا) ودولة اميركية لاتينية (هي غوايانا) بالاضافة الى ١٠ دول اخرى على الاقل من تركيا الى اكوادور مرورا بقبرص والارجنتين وغيرهما (ايلي ايال — معاريف ، ٧٤/٩/٢٧) .

وبرغم اهتمام اسرائيل ومتابعتها الدقيقة لما سيتخذ في الدورة الحالية للجمعية العمومية للامم المتحدة من قرارات ، وخاصة بعد ان أعلن عن عزم جامعة الدول العربية طرح القضية الفلسطينية بندا مستقلا على جدول أعمالها ، فان المسؤولين الاسرائيليين ، لم يملكوا ، ومنذ البداية ، الا الاعراب عن اعتقادهم بأن نجاح العرب في مسعاهم حول هذه المسألة مضمون ، وقد تأكد ذلك عبر ادراج القضية على جدول الاعمال اولا ثم تصويت ١٠٥ دول في الجمعية العمومية يوم ٧٤/١٠/١٤ ، الى جانب دعوة م.ت.ف. للمشاركة في مناقشة القضية الفلسطينية وباعتبارها ممثلة الشعب

الفلسطيني ، وذلك بمعارضة ٣ دول الى جانب اسرائيل هي الولايات المتحدة والدومينيك وبوليفيا.

وخلال السنوات الماضية ، أكثرت المصادر الاسرائيلية من القول ان النحو الذي تصوت عليه هذه الدولة أو تلك في الامم المتحدة ، لا يعبر بالضرورة عن حقيقة نوعية علاقة الدولة المعنية باسرائيل ، وظلت مواقف اسرائيل حول المواضيع الواردة في جدول اعمال الجمعية العمومية وذات العلاقة بها ، تنقل الى الدول المعنية عبر ممثليها في هذه الدول ولكن هذا التقليد خرق منذ ان بدأ الاعداد للدورة الحالية من دورات الجمعية العمومية ، « حيث ابلغت اسرائيل مواقفها الى الدول المعنية في لقاءات مع سفرائها في اسرائيل ، وذلك بهدف التأكيد على ان التصويت في الامم المتحدة على بعض البنود حول موضوع الصراع الاسرائيلي العربي ، ليس مجرد تصويت آخر ، وانما هو ، بالنسبة لنا أمر جوهري » (المصدر السابق) .

ومنذ بدء جلسات الدورة الحالية للجمعية العمومية ، بل وقبل ذلك بأسابيع ايضا ، لم يترك وزير الخارجية الاسرائيلي ، يغئال آلون ، مناسبة للحديث عن هذه الدورة ، الا وقال عنها انها الاصعب بالنسبة لاسرائيل ، وان احتمال نجاح العرب فيها ، واقرار ما يقدمونه من مشاريع قرارات مؤكد . وقاد ذلك ، في اسرائيل ، الى حملة عنيفة على الامم المتحدة ، دفعت بعضهم الى « ابتكار » افكار جديدة ، حيث « لا فائدة من الدفاع في جلسات الجمعية العمومية . ان الهجوم هناك هو أسلوب الشرح والتوضيح الوحيد . ولم تأت من قبل ساعة ملائمة أكثر من هذا الوقت لشن هجوم شامل وعام ومتهم ضد المؤسسة العربية . لقد تحولت المؤسسة العربية الشاملة لتصبح الاداة الاكبر في العالم للسلب والقتل والاستغلال والهدم، ولقد بدأ العالم يحس بذلك على جلده ، مهما كان هذا الجلد غليظا » (اليعيزر ليفنه — هآرتس ، ٧٤/٩/٢٧) .

وبمناسبة انعقاد الدورة الجديدة للجمعية العمومية للامم المتحدة ، كثرت التصريحات والتعليقات الاسرائيلية عن علاقات اسرائيل بدول العالم المختلفة ، واظهرت غالبية هذه التصريحات والتعليقات قلقا اسرائيليا ازاء تزايد سوء وضع اسرائيل على الساحة الدولية .

نقطة اللقاء : الصراع العربي الاسرائيلي

ان هناك العديد من دول العالم ، التي تكاد ان تكون خطوطها السياسية متوازية ، ولا تلتقي هذه الخطوط وتتقاطع الا عند نقطة واحدة هي نقطة الصراع العربي الاسرائيلي ، حيث تؤيد هذه الدول المواقف العربية ضد اسرائيل .

ولعل من بين ابرز هذه الدول الصين ويوغسلافيا، وتفسر معاريف (٧٤/٨/٩) موقف الصين بأن « للصين مصلحة في الشرق الاوسط . وهذه المصلحة هي ايقاف التوسع السوفييتي ، وخوف الصينيين الان ليس مقصورا على التهديد الروسي في الشمال ، وانما من عمليات التفاف سوفييتية من الجنوب ، عن طريق المحيط الهندي . ووصل الخوف بالصينيين من حدوث اختراق روسي من الجنوب ، عن طريق الخليج الفارسي وقناة السويس ، حد انهم لم يردوا ولو بكلمة احتجاج واحدة على تمركز الاميركيين في جزر دياغو غارسيا في المحيط الهندي ، ولقد احتجت الهند وكذلك الاتحاد السوفييتي على التوسع الامبريالي ... أما الصينيون فسكتوا ... » .

وبدراسة الاسرائيليين وتحليلهم للسياسة الصينية ، يجدون « ان مواقف الصين تناقض دائما مواقف الاتحاد السوفييتي « دون الالتفات الى الايديولوجية الشيوعية ، ففي السودان مثلا ، أيد الصينيون النميري الذي اعتقل الشيوعيين وقتلهم ، لان الروس عملوا على اسقاط النميري. وكذلك أيد الصينيون بيافرا لان الروس أيدوا نيجيريا » ، ولهم — أي للصينيين — كما يقول البروفيسور شيفرين ، الاستاذ في فرع الدراسات الصينية في الجامعة العبرية في القدس ، « عالم ايديولوجي معلن ، وعالم استراتيجي ممارس » . لكن « اسرائيل بالنسبة للصينيين أصغر من ان يروا فيها عاملا قويا بحيث يصبح من الجدير بدولة كبيرة أن تقيم معها علاقات ديبلوماسية ، والتسبب بذلك في اثارة العالم العربي واصدقائه الكثيرين ضدها ، وبكلمات اخرى ، فان اسرائيل لا تشغل بال الصينيين » (المصدر السابق) .

وغير الصين ، هناك يوغوسلافيا ايضا ، هذه

الدولة غير العضو في حلف وارسو ، ولكنها مع ذلك تلتقي دائما مع دول هذا الحلف لدى اتخاذه مواقف ضد اسرائيل . ويستغرب الكاتب الاسـرائيلي يهوشواع غلبواع الذي تطرق الى سياسـة يوغسلافيا ازاء اسرائيل (معاريف ، ٧٤/٨/١٨) «التوافق بين يوغسلافيا ومعسكر الدول الاشتراكية رغم ان يوغسلافيا ليست عضوا في حلف وارسو ، وتحاول دائما ان تظهر عدم تبعيتها لدول الحلف ، خاصة وان هذا التوافق غير قائم الا عند نقطة واحدة ، هي نقطة الصراع العربي الاسرائيلي » . ثم يعيد الكاتب الى الذاكرة ان يوغسلافيا اشتركت في لقاء قمة دول حلف وارسو الذي عقد يوم ٩ حزيران ١٩٦٧ ، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل على غرار دول الحلف الاخرى ، رغم ان احدى دول ذلك الحلف ، وهي رومانيا ، لم تقطع علاقاتها باسرائيل .

لكن ذلك لا يمنع الاسرائيليين مـن رؤية ما يعتبرونه «علامات ايجابية» في العلاقات الاسرائيلية اليوغسلافية ، « حيث ازدادت التجارة بين البلدين اتساعا ، وذلك بعد ، ورغم قطع العلاقـات الدبلوماسية. كما ان السياحة نشطة بين البلدين، اضافة الى وجود عمال يوغسلاف ، عملوا ويعملون في اسرائيل » (المصدر السابق) .

الدعوة الى الحوار مع الاتحاد السوفييتي

مرت العلاقات الاسرائيلية مع دول المعسـكر الاشتراكي منذ حزيران ١٩٦٧ وحتى الان بأطوار مختلفة ، راوحت بين التوتر الشديد حينا ، وخاصة اثناء حرب الاستنزاف التي توقفت بقبول مشروع روجرز في آب ١٩٧٠ واثناء حرب تشرين ، وبين اللين الى حد توقع موعد لاعلان اعادة العلاقات بين دول هذا المعسكر واسرائيل .

وتكاد اسرائيل ان تقصر كلامها، وهي في معرض التحدث عن العلاقات بمعسكر الدول الاشتراكية ، بالاتحاد السوفييتي . وكانت آخر المناسبات التي تحدثت فيها المصادر الاسرائيلية عن احتمال اعادة العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل والاتحـاد السوفييتي ، اثناء المرحلة الاولى من انعقاد مؤتمر جنيف ، حين التقى وزير الخارجية السـوفييتي اندريه غروميكو ، بأبا ايبن ، وزير خارجية اسرائيل آنذاك ، ثم قول الزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف بعد ذلك ان هناك احتمالا للتقدم خطوات على طريق اعادة العلاقات مع اسرائيل الى طبيعتها في مرحلة متقدمة من مراحل مؤتمر جنيف .

ولقد قابل الاسرائيليون بارتياح قول غروميكو في الامم المتحدة ، اثناء القاء كلمته في الجمعيـة العمومية في الشهر الماضي، « ان الاتحاد السوفييتي يؤيد وجود وتطور اسرائيل كدولة مستقلة ذات سيادة » ، واعتبر جان دانيئيل (دافار ، ٧٤/٩/٣٠) هذا القول بمثابة « مفاجأة سارية ... اذ رغم ان هذا الموقف السوفييتي كان امرا مفروغا منه قبل حرب الايام الستة ، فان امورا كثيرة تغيرت منذ ذلك الوقت وحتى الان ، ولاول مرة منذ سنين عديدة يقف سياسي سوفييتي مسؤول ، يحتل مرتبة عالية ، ليؤكد علنا وبوضوح ، ان دولته معنية باستمرار وجود اسرائيل . وهـذا هـو التجديد » .

وازاء ذلك دعا دوف ايفل (دافار، ٧٤/١٠/٢) الى فتح حوار مع الاتحاد السوفييتي وصولا الى اعادة العلاقات بين البلدين الى طبيعتها ، واقامة علاقات دبلوماسية . ويبرر ايفل دعوته هذه بقوله « ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي، وليس الكونغرس الاميركي ، هو الذي يمسك بمفتاح حل مشكلتنا الديموغرافية ، حيث ان مستودع الهجرة البادي للعيان موجود في الاتحاد السوفييتي لا في الولايات المتحدة » .

العلاقات مع أوروبا

تعتبر اسرائيل ان علاقاتها وديـة مـع دول المجموعة الاوروبية ، الدول التسع الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة . فالمجموعة الاوروبية، على حد قول موشي آلون ، سفير اسرائيل في بروكسل ، ومندوبها لدى مؤسسات السـوق الاوروبية « ليست ضد اسرائيل ، انها تتفق معنا حول نقاط معينة ، مثل مسألة الحدود ، الا انني لن اكون صادقا اذا قلت ان المجموعة غير ودية تجاه اسرائيل ... ان الدول التسع دول ودية تماما تجاه اسرائيل » (في مقابلة مع معاريف ، ٧٤/٨/٧) . واضاف آلون معلقا على مواقف هذه الدول بعد حرب تشرين بقوله « كانت هنالك في البداية مرحلة صعبة ، بلغت حد اتخاذ وزراء خارجية دول السوق المشتركة يوم ١٩٧٣/١٠/٦

قرارهم المعروف المؤيد للعرب ولحقوق الفلسطينيين، وقد اثار هذا القرار الرأي العام في اوروبا ضد كل ما من شأنه ان يلحق الضرر بدولة اسرائيل . ولقد صدر القرار المذكور تحت تأثير «رعب النفط»، وبعد فترة قصيرة فقط ، تأكد الاوروبيون ان هذه ليست الطريق لاحراز مطالبهم ، وقد توصلوا الى نتيجة كالتي نقول بها نحن ، وهي ان قضية علاقات اسرائيل والدول العربية شيء ، وقضية النفط والطاقة شيء آخر ، وانه يجب معالجة هذين الموضوعين باعتبارهما منفصلين عن بعضهما البعض» (المصدر نفسه) .

وتبدي اسرائيل اهتماما واضحا بعلاقاتها مع دولتين من دول اوروبا الغربية ، هما المانيا وفرنسا ، ذلك ان الدولتين المذكورتين هما اللتان « تعطيان النغمة » في اوروبا ، « المانيا من الناحية الاقتصادية ، وفرنسا من الناحية السياسية » (ايلي ايال — معاريف ، ٧٤/٩/٢٧) . ورغم ان المانيا الغربية لم تترجم بعد قوتها الاقتصادية في اوروبا الى قوة سياسية « فان هناك اشارات على انها ستقوم بذلك ، ومثل هذا التطور قد يفيد اسرائيل ، حيث ان نظام المستشار هيلموث شميت يعمل على توثيق علاقاته بالولايات المتحدة أكثر من نظام ويلي برانت . الا انه ليس لدى الجيل الجديد في المانيا شعور بالمسؤولية عن الكارثة (أيام العهد النازي) وهو يفضل بناء « علاقات طبيعية » مع اسرائيل ، دون التزام ادبي تجاه الدولة اليهودية » وذلك ما لا ترتاح له اسرائيل ، لانه يخلص المانيا من الابتزاز الذي تمارسه عليها اسرائيل .

وفيما يتعلق بالعلاقات مع فرنسا ، فان الاسرائيليين يبدون دائما اهتماما خاصا بها ، وكثيرا ما تحدثوا عن علامات اعتبروها نقاطا ايجابية في سياسة فرنسا تجاه اسرائيل ، وقد علق جاك موريس ، مراسل دافار (٧٤/٩/٢٩) في باريس على العلاقات بين فرنسا واسرائيل قائلا انه « بعد سنة على حرب تشرين تبدو مكانة اسرائيل في فرنسا افضل مما كانت عليه منذ أن الغى الجنرال ديغول المعاهدة غير المكتومة ، التي كانت قائمة بين البلدين ، وذلك في اعقاب النزاع عام ١٩٦٧ ، وخلال الاسابيع القليلة المقبلة ، فان وزير الخارجية الفرنسي جان سوفانيارغ سيزور اسرائيل ، وتكون هذه اول زيارة رسمية يقوم بها وزير فرنسي لاسرائيل منذ انشائها » .

ولاحظ موريس « انهم في وزارة الخارجية الفرنسية ينظرون الى رابين على انه اكثر ليونة واقل تعنتا من سابقته . وأكثر انفتاحا لتقبل وجهات النظر غير القابلة بالاسس التي كانت تعتبر حتى الان مقدسة في خطوط السياسة الاسرائيلية . وكانوا في الخارجية الفرنسية يخشون من أن لا يتمكن رابين بالاغلبية الضئيلة التي يستند اليها في الكنيست من الصمود ، الا ان مواجهته للمعارضة اليمينية بـ ٦٠ صوتا مقابل ٥٠ صوتا في الكنيست قوبلت بالارتياح في باريس واعتبرت علامة على مقدرة رابين في الاستمرار بسياسته المعتدلة وعلى احتمال نجاحها » (المصدر نفسه) .

أما أشر بن ناتان ، سفير اسرائيل لدى فرنسا فقد أعلن (في مقابلة مع معاريف ، ٧٤/٩/٣٠) ان فرنسا أظهرت نظرة عدائية لاسرائيل اثناء حرب يوم الغفران ، وغازلت العرب طمعا في احراز مكاسب لنفسها ، ولكنها حصدت الريح . ان سياسة فرنسا برئاسة ديستان متمسكة بالشعارات التي طرحت ايام ديغول ، الا انها في سياستها العملية تحول هذه الشعارات في غالبيتها الى شعارات مفرغة من أي جوهر ، ومفتقرة الى أي معنى كما توقع أن تكون زيارة وزير الخارجية الفرنسي لاسرائيل ، والتي ستتم هذا الشهر ، وكذلك زيارة يغئال آلون لباريس قبل نهاية العام الحالي ، عاملا يساعد على اعادة الهدوء للعلاقات الاسرائيلية الفرنسية . ولكن وقبل ان يمر شهر على هذه التوقعات المتفائلة ، جاء تصويت فرنسا في الجمعية العامة للامم المتحدة يوم ٧٤/١٠/١٤ الى جانب دعوة م.ت.ف. للمشاركة في مناقشة القضية الفلسطينية هناك ، واعتبار المنظمة الممثل للشعب الفلسطيني ، ليثير ضجة قوية في اسرائيل ضد فرنسا وسياستها . ثم تبع ذلك لقاء وزير خارجية فرنسا مع عرفات ليزيد من قوة تلك الضجة ، التي لم تكن قد توقفت بعد عندما اعلن الرئيس الفرنسي ديستان ضرورة ان يكون للفلسطينيين وطن .

وعن علاقات اسرائيل ببريطانيا، تقول المصادر الاسرائيلية أنها في ظل حكومة العمال افضل مما كانت في ظل حكومة المحافظين ، رغم ان الرسميين

الاسرائيليين يرغضون الاعتراف بذلك (معاريف ، ٧٤/٩/٢٧) . ويفسر شلومو غينوسار (دافار، ٧٤/٨/١١) حسن العلاقات مع بريطانيا بردها الى سببين ، « اولهما العلاقة التقليدية التي تربط حزب العمال وحركة النقابات المهنية في بريطانيا بالمؤسسات والاجهزة الموازية لها في اسرائيل ، وثانيهما ميل السياسة الخارجية الحالية لبريطانيا نحو الولايات المتحدة وليس نحو اوروبا». وعلى ضوء انعقاد مؤتمر سفراء اسرائيل في اوروبا ، الذي افتتح في اسرائيل يوم ٧٤/٨/١٩، قال الكاتب ان باستطاعة السفراء التحدث عن « الريح الجديدة » التي تهب على تفكير القارة الاوروبية بقضايا الشرق الاوسط ، « وموقع لندن داخل اطار « اعادة التفكير » الذي بدأت اوروبا مؤخرا الاهتمام به ، ليس موضع شك » . والشعور عموما في اسرائيل بأن ضعف بريطانيا امر غير جيد بالنسبة لاسرائيل ، « وهي في ذلك مثل ايطاليا ، حيث ان ايطاليا ضعيفة ومنهارة غير جيدة بالنسبة لاسرائيل » (معاريف ، ٢٧ /٧٤/٩) .

ممحية من افريقيا ، وسيئة في آسيا ، ومقلقة مع اميركا اللاتينية

واخيرا ، فان الاسرائيليين لا ينسون حقيقة ان اسرائيل مرتبطة بعلاقات ديبلوماسية مع ٦٠ دولة فقط من الدول الاعضاء في الامم المتحدة . وان لا وجود بأية صورة من الصور تقريبا لاسرائيل في افريقيا منذ حرب تشرين ، وان في آسيا دولا عديدة لا تقيم علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل ، ومن بين هذه الدول التي تعطي لاسيا طابعها ، الهند وباكستان واندونيسيا وماليزي وافغانستان وسيلان وبنغلادش والصين الشعبية ، وان العلاقات مع اليابان وخاصة بعد استخدام سلاح النفط اثناء حرب تشرين ليست على ما يرام ، والامر نفسه ينطبق على كمبوديا .

وتنظر اسرائيل الى مستقبل علاقاتها بدول اميركا اللاتينية بعين الريبة والقلق ، اذ بعد « شطب » كوبا من قائمة حسابات العلاقات الاسرائيلية ، تنظر اسرائيل الى توجه دول اميركا اللاتينية الى اقامة علاقات مع كوبا على انها علامة على تحول هذه الدول عن سياستها التقليدية ، باتجاه اكثر تحررا من السياسة الاميركية ، الامر الذي يتوقع ان يكون له مردود سلبي على علاقات تلك الدول باسرائيل . وحتى في السنة الماضية اثناء التصويت على حقوق الفلسطينيين في الامم المتحدة اقترعت ضد مشروع القرار الخاص بهذا الصدد اربع دول اميركية لاتينية فقط ، هي بربادوس وبوليفيا وكوستاريكا ونيكاراغوا ، في حين انقسمت بقية دول القارة الاميركية الجنوبية بين الامتناع (البرازيل والبهاما والدومينيك وسلفادور وجمايكا والمكسيك وباراغواي وفنزويلا وهندوراس وبيرو وترينيداد وتوبوغو) وتغيبت بنما . وكل ذلك يحسب في اسرائيل على انه علامات بارزة لسوء علاقات اسرائيل الدولية، ويفسر الاهتمام مؤخرا بضرورة القيام بمبادرات واسعة لتحسين هذه العلاقات والعمل على المحافظة واستعادة ما كان لاسرائيل في القارة اللاتينية، خاصة بعد الميل الذي بدأ واضحا للتخلي عن تأييد اسرائيل في البرازيل ، كبرى دول القارة (معاريف ، ٧٤/٩/٨) .

ان اكثر من نصف دول العالم لا تعترف باسرائيل ، ولا تقيم معها علاقات ديبلوماسية ، بل حتى أن علاقات اسرائيل بالدول الستين التي تقيم معها علاقات ، هي علاقات سيئة ، ولا يستبعد الاسرائيليون ان تزداد سوءا رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها وزير خارجية اسرائيل ، ورغم الضغوطات الاميركية لمصلحة اسرائيل .

عماد شقور

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

١ ــ ماذا يعني وصول « الميغ ــ ٢٣ » الى المنطقة

يتحدث القادة الاسرائيليون منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) عن التسليح العربي ، وقيام الاتحاد السوفياتي بتزويد الدول العربية بأسلحة متطورة ، ويطالبون الولايات المتحدة بمزيد من الدعم العسكري لتعديل ميزان القوى في الشرق الاوسط ، وتحقيق التفوق الجوي على الدول العربية . وأخشى ما تخشاه اسرائيل في هذا السباق التسليحي ، هو حصول العرب على أسلحة ومعدات تجرد الطيران الاسرائيلي من تفوقه ، وتحرم الدولة الصهيونية بالتالي من القوة الضاربة الاساسية التي تعتمد عليها استراتيجيتها العدوانية .

ولقد تزايد حديث اجهزة الاعلام الاسرائيلية والغربية في الآونة الاخيرة عن الاسلحة السوفياتية التي وصلت الى سوريه والعراق وليبيه بكميات ضخمة ، وعن عودة الاتحاد السوفياتي الى تزويد مصر بالاسلحة والمعدات الحربية . ففي ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ ذكرت المصادر الاسرائيلية نقلا عن مصادر الاستخبارات الاميركية ان ليبيه ستحصل من السوفيات على ٥٠ طائرة حربية حديثة على الاقل من طراز « ميغ ــ ٢٣ » . وكانت صحيفة « واشنطن بوست » (٥/١٠/ ١٩٧٤) قد ذكرت بأن سلاح الطيران السوري يمتلك ٤٥ طائرة من هذا النوع ، وان في سوريه ٥٠ طيارا قادرين على قيادتها ، الامر الذي يقلق خبراء البنتاغون الى حد بعيد . وكانت اذاعة اسرائيل قد ذكرت منذ شهر ايلول (سبتمبر) ان مصر والعراق حصلتا على هذه الطائرات ، وان الدول العربية هي اول دول من خارج حلف وارسو تتمكن من الحصول على هذا النوع الحديث جدا من الطائرات السوفياتية .

ويرجع اهتمام الاوساط الاميركية والاسرائيلية بهذه الطائرة الى ما يمثله وصولها الى الشرق الاوسط من معان استراتيجية كبيرة . ويمكن ايجاز هذه المعاني بالنقاط التالية :

أ ــ مجابهة طائرة الفانتوم ، وتجريد اسرائيل من السيطرة الجوية على أجواء المنطقة ، تلك السيطرة التي ظهرت آثارها الردعية بعد حرب ١٩٦٧ ، وخلال حرب الاستنزاف ، وحالة « اللاحرب واللاسلم » التي تلتها ، وبقيت سائدة حتى أوجدت الجيوش العربية في حرب ١٩٧٣ الحل اللازم للحد من حرية عمل السلاح الجوي الاسرائيلي ، عن طريق استخدام الثنائي « صاروخ ــ مطاردة » .

وتتمتع طائرة « الميغ ــ ٢٣ » بميزات تسمح لها بهذه المجابهة ، وتؤمن لها النجاح في المعارك الجوية ضد طائرة « فانتوم ف ــ ٤ اي » ، فهي أسرع منها في الارتفاعات العالية (٢٫٣ ماك مقابل ٢٫٢) رغم تساوي سرعتي الطائرتين في الارتفاعات المنخفضة (١٫٢ ماك على ارتفاع سطح البحر) ويزيد المدى القتالي لطائرة « ميغ ــ ٢٣ » عن المدى القتالي لطائرة « فانتوم » (١١٢٦ كم مقابل ١٠٥٦ كم) . وهذا يعني انها أقدر على البقاء في الجو والاشتباك في المعارك الجوية مدة اطول . وتتمتع طائرة « ميغ ــ ٢٣ » بميزتين كبيرتين تتعلق أولاهما بأنها ذات هندسة متغيرة (أجنحة متحركة) ، وتتعلق الثانية بالنسبة المئوية بين الوزن ودفع المحركات ، فهي تزن عند الاقلاع ١٣٦٨٠ كغ وتبلغ قوة محركها ١٢٧٠٠ كغ وهذا يعني ان النسبة بين الدفع والوزن تصل الى ٩٧ ٪ تقريبا على حين ان هذه النسبة في الفانتوم تصل الى ٧٥ ٪ فقط (الوزن ٢١٥٠٠ كغ ، وقوة دفع المحركين مع حراق خلفي ١٦٢٤٠ كغ) . الامر الذي يجعل طائرة « ميغ ــ ٢٣ » اقدر على التسارع والقيام بالمناورات الجوية من طائرة « الفانتوم » .

ومن المؤكد انه لا يمكن مقارنة الحمولة الحربية لطائرة « ميغ ــ ٢٣ » ، مع مثيلتها بالنسبة الى طائرة « فانتوم » . فالاولى مقاتلة معترضة ، والثانية مقاتلة قاذفة معترضة . بيد ان الحمولة الحربية التي تدخل عند حساب القوة النارية ، لا تدخل في الحسابات الخاصة بالقتال الجوي ، بل ان الطائرات القاذفة ــ المعترضة تتخلص من حمولتها الحربية ومن خزانات وقودها الاضافية

أحيانا لتخفف سرعتها وتزيد مرونتها اذا ما اضطرت للاشتباك مع طائرات معترضة .

ولا يستطيع سلاح الطيران الاسرائيلي الحفاظ على ميزان القوى الجوي الذي كان قائما بعد حرب ١٩٧٣ الا اذا حصل على طائرة « تومكات ف ــ ١٤ » الاميركية الصنع لمجابهة طائرة « ميغ ــ ٢٣ ». وهذا يعني تحميل ميزانية اسرائيل أعباء باهظة نظرا لان ثمن طائرة « تومكات ف ــ ١٤ » الواحدة مع قطع غيارها يصل الى ٣٠ مليون دولار .

ب ــ السيطرة على سماء البحار ، اذ تستطيع طائرات « ميغ ــ ٢٣ » السورية والمصرية السيطرة على شرقي البحر الابيض المتوسط الذي لا يتجاوز عرضه ٦٠٠ كيلومتر ، وتستطيع الطائرات « ميغ ــ ٢٣ » الليبية السيطرة على القسم الاوسط من البحر الابيض المتوسط ، بين جزيرتي صقلية وكريت . وبوسع طائرات « ميغ ــ ٢٣ » المصرية العاملة من مطارات الصعيد او السودان تغطية البحر الاحمر كله والمشاركة في عمليات الخنق الاستراتيجي في الجزء الجنوبي من هذا البحر ، والتصدي لطائرات « الفانتوم » الاسرائيلية المحدودة التي لا يمكنها الوصول الى هذا الجزء من البحر الا اذا تمونت من الجو . ومن المعروف ان الطائرات المقاتلة وطائرات الصهريج تكون خلال عملية التموين بالوقود من الجو في وضع حساس يساعد على ضربها بكل سهولة . أما طائرات « الميغ ــ ٢٣ » العراقية المنطلقة من مطارات جنوب العراق فان بوسعها السيطرة على أجواء الخليج العربي حتى البحرين وقطر .

وانه لما يزيد من قدرة مصر على مد سيطرتها الجوية الى جنوبي البحر الاحمر ، بل والى خليج عدن ايضا ، قدرتها على استخدام جزيرة « بريم » التي وافقت جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية في مؤتمر القمة السابع (الرباط ١٩٧٤) على السماح للقوات العربية باستخدامها وتحصينها ووضع اجهزة الرصد والانذار الجوي فيها ، واستخدامها كحاملة طائرات ثابتة عند اللزوم ، في سبيل السيطرة على باب المندب عند اندلاع اي حرب ، واحباط النشاط الاسرائيلي الرامي الى خلق وجود عسكري في بعض الجزر الواقعة قرب باب المندب .

وتؤدي السيطرة الجوية العربية على البحرين الاحمر والابيض المتوسط الى نتائج هامة جدا ، لانها لا تسهل عملية الخنق الاستراتيجي البعيد فحسب ، ولكنها تعطي البحريتين الحربيتين المصرية والسورية تغطية جوية كاملة ، وتمنحهما حرية عمل واسعة ، وتحد من حرية عمل البحرية الاسرائيلية ، الامر الذي يسمح للقوات البحرية العربية بالتالي باستخدام تفوقها على البحرية الاسرائيلية ، والعودة الى ممارسة دورها القتالي في العمليات غير المباشرة ، وعمليات الانزال ، وقصف الشواطىء الفلسطينية ، والمراكز الصناعية والسكانية الكثيفة الممتدة من رأس الناقورة حتى عسقلان .

ج ــ حماية منابع النفط العربية من عمليات القصف الاسرائيلي التي كثيرا ما هدد بها القادة الاسرائيليون قبل حرب ١٩٧٣ ، خاصة وان المسافة بين المطارات الاسرائيلية والكويت تزيد عن ١٣٠٠ كيلومتر ، والمسافة بين هذه المطارات ومنابع النفط السعودية تتراوح بين ١٣٠٠ و١٦٠٠ كيلومتر . أي انها تفوق المدى الاقصى لطائرة الفانتوم ، على حين ان المسافة بين المطارات العراقية ومنابع النفط السعودية لا تزيد عن ٩٠٠ كيلومتر . وهذا يعني ان بوسع الطائرات « ميغ ــ ٢٣ » العراقية المنطلقة من جنوب العراق ، التصدي لطائرات اسرائيل في لحظات التموين بالمحروقات والاشتباك معها واسقاطها او منعها من التموين ، او اسقاط طائرات الصهريج ، الامر الذي يؤدي بالتالي الى سقوط « الفانتوم » الخالية من الوقود . ومن المؤكد ان عبء عملية الاعتراض هذه لن تقع على عاتق طائرات « الميغ ــ ٢٣ » العراقية وحدها ، ولكنها ستتم بالمشاركة بين هذه الطائرات ، والطائرات المعترضة السعودية والكويتية ، وشبكات الصواريخ ارض ــ جو في هذين البلدين .

د ــ تعريض العمق الاسرائيلي للقصف الجوي . ولا يتم القصف في هذه الحالة بطائرات « ميغ ــ ٢٣ » نفسها ، ولكنه يتم بقاذفات القنابل العربية التي يمكن ان تتوغل في الاجواء المعادية تحت حماية مظلة من طائرات « الميغ ــ ٢٣ » التي يسمح لها مداها بالانطلاق من المطارات السورية او المصرية ، ومواكبة القاذفات حتى سماء تل

أبيب ، والاشتباك في معركة جوية ، والعودة الى قواعدها دونما حاجة الى التموين بالوقود . وانه لما يزيد أهمية هذه النتيجة احتمال امتلاك العراق وسورية لقاذفات متوسطة من طراز « توبوليف — تو ٢٢ » ، التي تفوق سرعتها سرعة الصوت (١٥٩٠ كيلومتر/ساعة) ، والقادرة على حمل كمية كبيرة من القنابل داخل جوفها (الكمية غير معروفة في النشرات العسكرية الجوية) ، والمزودة (النموذج « ب ») بصاروخ جو — أرض بعيد المدى من طراز « كيتشن » ، تستطيع الطائرة بفضله ضرب اهداف تبعد ٤٥٠ كيلومترا عن موقع تحليق الطائرة .

ان هذه النتائج تفسر قلق اسرائيل من حصول العرب على طائرة « ميغ — ٢٣ » ، كما تفسر سعيها الحثيث للحصول على طائرة « ف — ١٤ » او « ف — ١٥ » لمجابهة هذا الخطر الذي يقلب حساباتها الاستراتيجية رأسا على عقب .

٢ — تطور العدوان الاسرائيلي وتطور الرد

٢ — تطور العدوان الاسرائيلي وتطور الرد

كانت اسرائيل قبل حرب ١٩٧٣ تستخدم في قصف قواعد الثورة الفلسطينية ومخيماتها طائرات الهجوم الارضي « سكاي هوك أ — ٤ م » المحمية بمظلة من طائرات « فانتوم ف ٤ — ا » . وكانت تستخدم في قصف القواعد والمخيمات الواقعة على الشاطىء اللبناني مدافع الزوارق المسلحة وطائرات « سكاي هوك » ، كما تستخدم في مهاجمة القواعد قوات كوماندوس محمولة بالهليكوبتر .

ولقد تابعت اسرائيل عدوانها الجوي والبحري على القواعد والمخيمات بعد الحرب بغية تدمير القوة المادية للثورة الفلسطينية ، وفصل الجماهير عن الثورة ، وخلق تناقض لبناني — فلسطيني ، ورفع معنويات الاسرائيليين الذين أذهلتهم عمليات الثورة الانتحارية ، وأحبطت تدابيرهم الامنية بشكل واضح .

والملاحظ في العمليات الاسرائيلية الانتقامية بعد حرب ١٩٧٣ المظاهر التالية :

أ — عدم استخدام قوات الكوماندوس المحمولة جوا في المناطق التي يحتمل فيها وجود قواعد مسلحة للثورة . واستخدام هذه القوات فقط في المناطق التي انسحبت منها قواعد الثورة ، ولم يبق فيها سوى المزارعين (عملية الكوماندوس بعمق ٩ كيلومتر في خراج بلدة مجدل زون في منتصف ليلة ٥ — ١٩٧٤/١١/٦) .

ب — الاقلال من استخدام طائرات « سكاي هوك » في القصف الجوي ، والاستعاضة عنها بطائرات « فانتوم » (عملية قصف منطقة العرقوب في ١٩٧٤/١١/١١ التي استخدمت فيها ١٢ طائرة « فانتوم ») .

جـ — الاستمرار في عمليات القصف المدفعي .

د — الاستمرار في عمليات القصف البحري للمخيمات الساحلية (عملية قصف مخيم الرشيدية من قبل ٨ زوارق اسرائيلية في ليلة ٣٠ — ١٠/٣١/ ١٩٧٤ وعملية ليلة ١٧ — ١١/١٨ من قبل زورقين قصفا مخيم الرشيدية ومنطقة رأس العبد المجاورة لها) .

ويمكن تفسير المظهرين (أ) و(ب) ، في ان القيادة الاسرائيلية أخذت تضع في الحسبان امكانية استخدام قوات الثورة الفلسطينية لصواريخ الكتف السوفياتية الصنع المضادة للطائرات من طراز « ستريلا » (سام — ٧) ، التي تعتقد اسرائيل انها موجودة في القواعد والمخيمات ، وقدرة هذه الصواريخ على اسقاط طائرات الهليكوبتر وطائرات « سكاي هوك » التي تقل سرعتها عن سرعة الصوت (٩ر٠ ماك على سطح البحر) وعدم قدرتها على اسقاط طائرات « الفانتوم » بسبب سرعة الطائرة وقلة مدى وسرعة الصاروخ، الامر الذي أثبتته خبرات حرب ١٩٧٣ على الجبهتين السورية والمصرية . اما تفسير المظهرين (جـ) ، و(د) فهو يتمثل في ضعف الرد الفلسطيني المباشر على هذا النوع من العمليات نظرا لعدم اعداد الوسائط النارية اللازمة لذلك .

بيد ان بوسع الثورة الفلسطينية — ذاتيا وضمن حدود امكاناتها الحالية — الرد على القصف

المدفعي والقصف البحري . ويتم الرد على رمايات المدفعية بفاعلية اذا ما جهزت الثورة المخيمات والمناطق الحدودية بـ « راشدات » محمولة على عربات ، وقادرة على تحديد مواقع بطاريات مدفعية العدو . واعداد مجموعات صاروخية احتياطية متحركة ، مزودة بقذائف صاروخية من طراز كاتيوشا (عيار ٢٤٠ مم ومدى ٨ كيلومترات) . وتكون « الراشدات » على اتصال لاسلكي مع المجموعات الصاروخية المتحركة لتحديد احداثيات بطاريات العدو التي تقوم بالقصف ، الامر الذي يساعد المجموعات الصاروخية على الحركة بسرعة الى مواقع الرمي القريبة من الحدود ، والقيام بالرمي « معاكس البطاريات » اذا كانت البطاريات المعادية ضمن مدى رمي القذائف الصاروخية ، او الرمي « معاكس المدن » الردعي اذا كانت هذه البطاريات خارج مدى رمي القذائف الصاروخية ، وتبديل مواقع الرمي بسرعة قبل ان يقوم العدو برمي « معاكس معاكس البطاريات » ، وقبل ان يقصف مواقع الرمي بالطائرات .

ويمكن نجاح هذا التكتيك المضاد للقصف المدفعي اذا توفرت عدة شروط أهمها ارتفاع المستوى التدريبي الفني للعناصر ، وسرعة الحركة ، ودقة الاتصالات اللاسلكية بين «الراشدات» والمجموعات الصاروخية الاحتياطية المتحركة وقيادات الدفاع من المخيمات . ويصل هذا النجاح الى حدوده القصوى في العمليات الليلية التي تؤمن حماية « المجموعات الصاروخية الاحتياطية المتحركة » من الاخطار الجوية المعادية .

ولا يمكن الرد في الظروف الحالية على القصف البحري الذي تقوم به زوارق سريعة تقف بعيدا عن الشاطىء ، الا باستخدام زوارق استطلاع مدنية سريعة ، متصلة لاسلكيا بشكل دائم مع زوارق الطوربيد الانتحارية النظامية ، او اية زوارق انتحارية مبتكرة (زورق صغير وسريع محمل بالمتفجرات التي تنفجر بالمصادمة) . لان سرعة هذه الزوارق ، وفاعليتها ، واستخدامها لتكتيك « هجوم الذئاب » يجعلها قادرة على اغراق زوارق العدو الحربية بأقل خسارة ممكنة ، الامر الذي يجعل القيادة المعادية تحجم عن القيام بعمليات القصف البحري التي ستكلفها غاليا . ومن المؤكد أن الثورة الفلسطينية التي استطاعت خلق مجموعات انتحارية للعمل داخل الارض المحتلة ، قادرة على خلق بحارة انتحاريين لمجابهة زوارق العدو .

ويبقى الرد الايجابي على قصف طائرات « الفانتوم » ، حتى الان ، خارج حدود امكانات الثورة الفلسطينية القادرة على تنفيذ الرد السلبي (تمويه ، ملاجىء ، حفر فردية .. الخ) . لان الرد الايجابي يتطلب معدات قتالية متطورة لا تملكها الثورة الفلسطينية ، ولا تملكها القوات المسلحة اللبنانية نفسها (صواريخ ارض — جو). ولا يمكن تنفيذ مثل هذا الرد الا عربيا .

واذا جزأنا المسألة الى مسألتين فرعيتين ، وجدنا ان هنالك مهمة حماية القواعد والمخيمات القريبة من الحدود السورية ، ومهمة حماية القواعد والمخيمات البعيدة عنها . ولا تسمح طبوغرافية الحدود السورية اللبنانية (وجود جبل الشيخ ووجود زوايا ميتة) للصواريخ « سام—٦ » الموجودة على هضبة الجولان من التصدي للطائرات التي تقوم بالقصف قرب الحدود ، كما لا تسمح ميزات الصاروخ « سام — ٦ » (المدى) بحماية القواعد والمخيمات البعيدة عن الحدود ، وليس في سورية ، حتى الان ، زوارق حربية مسلحة بصواريخ سطح — جو لتقف في البحر وتحمي مخيمات الشاطىء اللبناني من القصف الجوي المعادي . ولذا فان حماية سماء لبنان ، التي تؤدي الى حماية المخيمات ، لا يمكن ان تتم الا بعد دخول القواعد الصاروخية العربية المضادة للطائرات الى الارض اللبنانية ، او تزويد القوات المسلحة اللبنانية بمثل هذه القواعد ، الامر الذي يقلب مسألة الدفاع عن قواعد الثورة ومخيمات اللاجئين من « مسألة عسكرية — تقنية » الى « مسألة سياسية » .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٠/١٣ — ١٩٧٤/١١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
١	١٠/١٠	—	ريشون لتسيون/ جنوبي تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد		تدمير وحرق عدد من المحلات التجارية	—	—	—	رقم٧٤/٢٨٧ ١٠/١١
٢	١٠/١٠	—	رمات جان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير محطة للوقود كما دمرت عدة صهاريج للوقود وعدد من السيارات الاخرى	—	—	—	رقم٧٤/٢٨٨ ١٠/١١
٣	١٠/ ٦	—	بئر السبع	تصفية	—	١	—	تم تصفية رجل المخابرات الصهيوني دفيد دمجي والاستيلاء على سلاحه وأوراقه	—	—	—	رقم٧٤/٢٨٩ ١٠/١٣
٤	١٠/١٤	٢٤٠٠	جفعتايم/شرقي تل ابيب(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة بعض المنازل في شارع عاليات هنوعر بأضرار بالغة	—	—	—	رقم٧٤/٢٩٠ ١٠/١٥
٥	١٠/١٤	—	حيفا(٢)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		تدمير مصنع هامبكة فولفن واشتعال النيران فيه	—	—	—	رقم٧٤/٢٩١ ١٠/١٥
٦	١٠/١٦	١٣٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		تدمير قسم كبير من مستودعات النفط غربي مدينة القدس قرب المحطة المركزية لسكة الحديد « البقعة » وامتداد النيران الى مستودعات للاخشاب	—	—	—	رقم٧٤/٢٩٢ ١٠/١٧
٧	١٠/١٤	—	كفار سابا شمال شرقي تل ابيب(٣)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير قسم كبير من المدرسة العسكرية	—	—	—	رقم٧٤/٢٩٣ ١٠/١٧

٨	١٠/١٣	—	هرتسليا/شمال تل ابيب(٤)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	—	—	—	اندلاع النيران في مصنع للنسيج وامتدادها لمستودع المواد الاولية والحوانيت المجاورة	رقم٧٤/٢٩٤ ١٠/١٧
٩	١٠/١٦	—	بين نابلس والقارعة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	رقم٧٤/٢٩٥ ١٠/١٨
١٠	١٠/١٧	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	—	—	تدمير سيارة لرجل مخابرات اسرائيلي	رقم٧٤/٢٩٦ ١٠/١٨
١١	١٠/ ٧	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	—	—	تدمير شاحنة عسكرية	رقم٧٤/٢٩٧ ١٠/١٨
١٢	١٠/١٣	٢٤٠٠	غور القارعة/ شمال اريحا	قصف	صواريخ	غيرمحدد		—	—	تدمير أجزاء من معسكر الجفتلك للمشاة والدروع	رقم٧٤/٢٩٨ ١٠/١٨
١٣	١٠/١٩	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	تم اكتشاف العبوة قبل انفجارها	رقم٧٤/٢٩٩ ١٠/١٩
١٤	١٠/١٨	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	ادعى العدو بأن العبوة تم اكتشافها أمام مقر الحاكم العسكري قبل انفجارها	رقم٧٤/٣٠٠ ١٠/٢٠
١٥	١٠/١٩	—	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	٣ واصابات أخرى		—	—	تدمير جزء كبير من محطة الكهرباء المركزية في ايلات وقطع التيار الكهربائي	رقم٧٤/٣٠١ ١٠/٢٠
١٦	١٠/١٩	—	المحطة المركزية للكهرباء/القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		—	—	قطع التيار الكهربائي عن مدينة القدس وضواحيها حتى صباح اليوم التالي	رقم٧٤/٣٠٢ ١٠/٢٠
١٧	١٠/٢٠	١٨٠٠	اورعقيبا/شمال غرب الخضيرة(٥)	تصفية	—	١	—	—	—	قتل ضابط المخابرات الصهيوني شلومو سعدون الذي كان في مقهى كالينورنيا	رقم٧٤/٣٠٣ ١٠/٢١
١٨	١٠/٢٢	٧٠٠	طريق كفارعسيون/ بين بيت لحم والخليل	هجوم	قنابل يدوية	غيرمحدد		—	—	—	رقم٧٤/٣٠٤ ١٠/٢٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة استشهد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه	
١٩	١٠/٢٣	—	ناثانيا(٦)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة المقهى الذي يرتاده ضباط وعملاء العدو بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٠٥	١٠/٢٣
٢٠	١٠/٢٣	٢٠٤٠٠	خان يونس(٧)	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	٢	١	—	—	—	—	رقم٧٤/٣٠٦	١٠/٢٤
٢١	١٠/٢٦	١٥٤٣٠	نيفي اوت/جنوب شرق العريش	كمين	الغام مسيطر عليها	٣٠ اصابة		تدمير سيارة باص سياحية	—	—	—	رقم٧٤/٣٠٧	١٠/٢٧
٢٢	١٠/٢٥	—	طريق بئر السبع	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٠٨	١٠/٢٧
١٣	١٠/٢٧	١٣٤٣٠	ناثانيا	تفجير	عبوات ناسفة	١ وعدد آخر		اصابة المحلات والمباني المجاورة لمحطة الباصات المركزية بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٠٩	١٠/٢٧
٢٤	١٠/٢٧	—	طولكرم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء كبير من مكتب العمل الصهيوني	—	—	—	رقم٧٤/٣١٠	١٠/٢٨
٢٥	١٠/٢٦	—	شمال شرق نهاريا	اشتباك	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد		—	—	—	—	رقم٧٤/٣١١	١٠/٢٨
٢٦	١٠/٢٩	٣٤٣٠	يفتاح	هجوم وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		اصابة عدد من المنشآت والمعدات بأضرار في المستوطنة	٣	—	—	رقم٧٤/٣١٢	١٠/٢٩
٢٧	١٠/٣٠	٢٣٤٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة أحد ضباط المخابرات واصابة المباني المجاورة بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣١٤	١٠/٣١
٢٨	١٠/٢٨	—	غرب مدينة بانياس	كمين	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد		—	—	—	—	رقم٧٤/٣١٥	١١/٢
٢٩	١١/ ٣	١٨٤٠٠	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		اعطاب سيارة عسكرية ومقتل وجرح عدد من جنود العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣١٦	١١/٤

٣٠ — ١١/١٠	٧٤٠٠	بئر السبع	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير جزء من مبنى لضباط المخابرات بعبوات ناسفة ايضا	— — —	رقم٧٤/٣١٧	١١/١٠
٣١ — ٩ /١١	—	نابلس	تصفية	—	١ —		قتل الضابط الصهيوني بعد اطلاق النار عليه في السوق الرئيسي	— — —	رقم٧٤/٣١٨	١١/١٠
٢٢ — ١١/١١	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشعال النيران في المجمع الصناعي وأتت النيران على المتجرة المهنية كما امتدت الى محل فنس الصهيوني ومعمل روتيك للنسيج .	— — —	رقم٧٤/٣١٩	١١/١١

---

١ — اعترف العدو بانفجار عبوة ناسفة قرب مدخل منزل سائق السيارة شلومو ابشالوم وادعى العدو بأن الدافع كان نزاع شخصي . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٩ ، ص ٣٦٧ ، بتاريخ ٧٤/١٠/١٥).

٢ — ادعى العدو بأن سبعة عمال أصيبوا بجراح بفعل انفجار دلوين كانا في كومة خردوات وقد تسببت الحرارة بانفجارهما . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٩ ، ص ٣٦٨ ، بتاريخ ٧٤/١٠/١٥) .

٣ — اعترف العدو بالانفجار في ساحة مدرسة « بن تسفي » وادعى بأن الانفجار وقع على اثر نزاع بين اولياء امور الطلاب وبين ادارة المدرسة . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٩ ، ص ٣٥٧ ، بتاريخ ٧٤/١٠/١٥).

٤ — اعترف العدو بأن النيران اشتعلت في دكاكين بهرتسليه وقدر الاضرار بمئات آلاف الليرات . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٨ ، ص ٣١٦ ، بتاريخ ٧٤/١٠/١٤) .

٥ — ادعى العدو بأن مسلحا برشاش عوزي ، قام باطلاق الرصاص داخل المقهى مما أدى الى مقتل اثنين وزعم العدو بأنه لم يعثر على القاتل . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٦١ ، ص ٤٥١ ، بتاريخ ٧٤/١٠/٢١) .

٦ — زعم العدو بأن القنبلة التي انفجرت في المقهى من انتاج جيش الدفاع الاسرائيلي وبأن الشاب الذي أصابته كان يلعب بها برفقة زملائه . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٦٤ ، ص ٥٧٥ ، بتاريخ ٧٤/١٠/٢٤) .

٧ — ادعى العدو بأن أحد أفراد جيش الدفاع الاسرائيلي ويدعى ابراهام هليلي قد قتل وجرح اثنان آخران اثر حادث سيارة . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٦٥ ، ص ٦٢٩ ، بتاريخ ٧٤/١٠/٢٥) .

ملاحظة : تصدر التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٠/١٣ ــ ١٩٧٤/١١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	١٠/١٠	ــ	ريشون لتسيون	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تدمير دكان للحلويات	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٥٧ص٢٨٢	١٠/١٢
٢	١٠/١٩	١٠٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تم اكتشاف العبوة وابطال مفعولها أمام المحكمة المركزية التي تحاكم المطران كبوجي	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٦٠ص٤٠٩	١٠/١٩
٣	١٠/٢٣	ــ	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	٢	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٦٤ص٥٧٩	١٠/٢٤
٤	١٠/٢٧	ــ	ناشانيا	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تم اكتشاف العبوة في أحد الباصات في المحطة المركزية وابطل مفعولها	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٦٧ص٦٨٨	١٠/٢٨
٥	١٠/٢٧	ــ	طولكرم	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	لم تقع أية اصابات أو اضرار في مكتب العمل	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٦٨ص٧٤١	١٠/٢٩
٦	١٠/٢١	ــ	برمنيت/الجليل الغربي	قصف	صواريخ كاتيوشا	ــ	ــ	لم تقع أية اصابات	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٧٠ص٨٢٩	١٠/٣١
٧	١١/ ٢	ــ	كريات شمونة	قصف	صواريخ كاتيوشا	ــ	ــ	لم تقع أية اصابات	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٧٢ص٣٤	١١/٢
٨	١١/ ٣	١٨٤٠٠	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	ــ	١	اصابة سيارة باضرار	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٦٧٣ص٥٥	١١/٤

ن ــ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخليـــة والخارجية ، مع امتداداتها وأبعادها داخـــل اسرائيل وداخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتأثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من أخبار وبرامج، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد الثالث :

استمرار مساعي التسوية السلمية في المنطقة يفجر ازمة حكم في اسرائيل ـــ القضية الفلسطينية في الامم المتحدة : « ارجاع الساعة ٢٧ سنة الى الوراء » ـــ اسرائيل تشكو من النشاط الفدائي وتعمل على كبحه ـــ ازمة اقتصادية تواجه اسرائيل : تضخم مالي وعجز في ميزان المدفوعات وخطر حدوث انكماش اقتصادي ـــ اسرائيل ومشكلة النفط : دولة منتجة في معسكر الدول المستهلكة ـــ علاقات اسرائيل الدولية : نصف دول العالم لا علاقات لها مع اسرائيل .

وتقرأ في العدد الرابع :

قرارات مؤتمر الرباط تربك اسرائيل وتدفعها نحو مزيد من التصلب ـــ سكان المناطق المحتلة يرحبون بقرارات مؤتمر الرباط وسلطات اسرائيل تشن حملة مضادة ـــ زيارة سوفانيارغ الى اسرائيل تنتهي بالفشل ـــ اسرائيل تحاول علاج اوضاعها الاقتصادية المتدهورة وتخفض قيمـــة عملتها ـــ استعدادات عسكرية واسعة في اسرائيل وتحسب من نشوب حرب جديدة ـــ تفاهم اميركي سوفييتي حول الهجرة من الاتحاد السوفييتي واستعدادات اسرائيلية لاستيعاب المهاجرين .

رئيس التحرير : صبري جريس

العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت ـــ لبنان ، تلفون ٣٥١٢٦٠/١

بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للافراد ٣٠ ل.ل.

المكتب الجزائري للشرق

نقليات الجزائري ــ ش.م.ل.

نقل جميع أنواع البضائع
بطريقة الترانزيت الدولي والعربي ــ تخليص ووكالات بحرية
في الشرق الاوسط وجميع بلدان العالم
برا ــ بحرا ــ جوا

* * *

المركز الرئيسي : بيروت لبنان ــ شارع المرفأ ــ بناية بولص فياض
صندوق البريد ١٤٠٢
هاتف : ٢٥١٩٧٠. ــ ٧١ ــ ٧٢
تلكس : ٢٠٨٧١ و ٢٠٨٧٢
تلغرافيا : لجميع المكاتب « عبجز »

* * *

فروع ووكالات : سوريا ــ العراق ــ الاردن ــ السعودية ــ
الكويت ــ ايران ، وجميع انحاء العالم العربي
والاوروبي . **دائما في خدمتكم**

أطلب منشورات مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلة

شؤون فلسطينية

في

الجمهورية العربية السورية

من

مكتبة دار ميسلون

هاتف ١١٣٥٩٠ ، ص.ب ٢٦٧٥ ــ دمشق

أطلب منشورات مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلة

شؤون فلسطينية

في

الجمهورية العراقية

من

المكتبة الفلسطينية

شارع السعدون ، عمارة العطية ، مقابل الخطوط الجوية العراقية ،

هاتف : ٨٧٨٢٧ ، ص.ب ٣٢٣٩ ــ بغداد

اوروبا

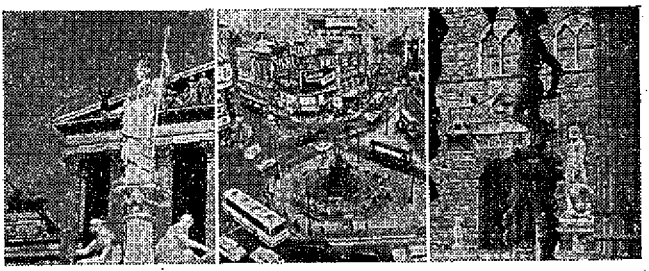

مشاهد رائعة

مرح وتسلية

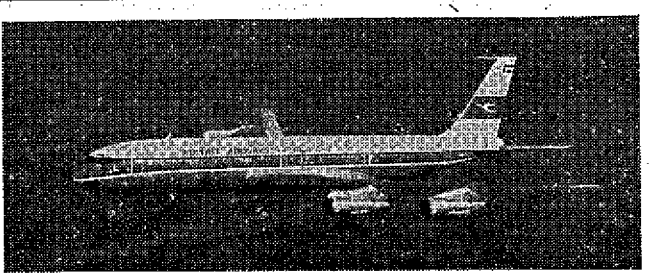

ما أسهل الوصول اليها بطائرات الخطوط الجوية الكويتية

الخطوط الجوية الكويتية تستطيع ان توفي الجودة اهتمامها الأول وان تحتفظ بالكثير من اساليبها الخاصة ، فهي تحيط المسافرين على خطوطها بعناية اضافية وتوفر لطائراتها صيانة ممتازة وتحافظ على المواعيد بدقة متناهية. واليوم تؤدي طائرات الخطوط الجوية الكويتية رحلات منتظمة الى ٢٣ بلداً في كافة أنحاء العالم . فإذا اعتزمتم السفر الى اوروبا تذكروا بأن الخطوط الجوية الكويتية تستطيع ان تهيئ لكم رحلة مريحة ومريحة ومحققة.

الكويتية ٢٠ عاماً

الخطوط الجوية الكويتية

عروض سينمائية و ٦ اقنية مختلفة من الموسيقى المنوعة

الشركة اللبنانية للبناء والمقاولات ش.م.ل

بنايك سنتر اند - شارع الحمراء - بيروت ، لبنان

العنوان البرقي : كورن - تلفون : ٣٤١٩١٠ - ١١ - ٣٤٢٢٢٠ - ص.ب : ٦٣١٧

تلكس : ٢٠٥١٧ كورن

دار القدس

شارع بشارة الخوري ، بناية مكرزل ، هاتف ٢٩١٤١١
ص. ب ١١٢٤٨٩ ، برقيا : مقدسبريس

مختارات ساطع الحصري
خلاصة مختارة لافكار الكاتب العربي الكبير ، صدرت باشراف الدكتور خلدون ساطع الحصري في جزءين، ٦ ، ٨ ل.ل.

قصة النفط ، مازن البندك
تغطية شاملة ومركزة لقصة النفط في العالم وفي الوطن العربي ، بما في ذلك تاريخ الامتيازات في البلاد العربية واحتمالات بدائل للنفط في المستقبل ، ٨ ل.ل.

استراتيجية المستقبل ، الجنرال بوفر ، ترجمة أكرم الديري
عرض مبسط وشيق للمشاكل العسكرية المعاصرة ، للقراء العاديين والمختصين العسكريين ، ٤ ل.ل.

فخري البارودي ، نهال صدقي
سيرة المناضل والفنان والسياسي الفذ التي هي جزء من تاريخ سوريا الحديث ، ١٠ ل.ل.

مقام العقل عند العرب ، قدري طوقان
٦ ل.ل.

الخالدون العرب ، قدري طوقان
٦ ل.ل.

ابن خلدون ، رشدي صالح
قصة مفكر عربي عظيم في اسلوب روائي شيق ومتابعة لأهم أفكار هذا الفيلسوف الفذ ، من سلسلة : الخالدون العرب ، ٤،٥٠ ل.ل.

المعتمد بن عباد ، علي ادهم ، ٧،٥ ل.ل.

شخصيات تاريخية ، علي أدهم
٨ ل.ل.

السيدة خديجة ، د. أحمد الشرباصي
سيرة زوجة الرسول الاولى واعظم سيدات العرب في بداية الدعوة ، من سلسلة اسلاميات ، ٣ ل.ل.

محاكمة نيرون ، د. عصمت سيف الدولة
مسرحية سياسية تناقش الاوضاع الراهنة من خلال أحداث تاريخية ، ٤ ل.ل.

تروتسكي في المنفى ، بيتر فايز ، ترجمة أنطون فرزلي
احدى روائع المسرح السياسي التي تعرض تاريخ الثورة الروسية باسلوب مسرحي فريد ، ٤،٥ ل.ل.

هاملت ، وليم شكسبير ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا
أرقى ترجمة عربية لمسرحية شكسبير الخالدة، ٦ ل.ل.

ووترغيت : فضيحة العصر ، رفيق المعلوف ٢ ل.ل.

ميزان التسلح العربي الاسرائيلي منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ٢ ل.ل.

المساعدات العسكرية الامريكية لايران ، سلمى حداد ٣ ل.ل.

جيش الانقاذ ١٩٤٧ ــ ١٩٤٩ ، هاني الهندي
دراسة تاريخية لتجربة عربية اولى أريد بها ان تكون طليعة رائدة، ٢،٥ ل.ل.

دليل الطائرات المدنية والعسكرية
٥ ل.ل.

المجموعة ٧٧٨ ، توفيق فياض
قصة رائعة لاخطر وأول تنظيم فدائي في الارض المحتلة كما رواها المؤلف ابطال التنظيم حين التقوا جميعا في سجون العدو الاسرائيلي .
كتاب يجب ان يقرأه كل عربي ٥ ل.ل.

تاريخ فلسطين ١٩١٤ــ١٩٤٨، د. محمود زايد
دراسة تاريخية مبسطة لتاريخ القضية الفلسطينية وضرورية للمواطن العادي والشباب الجديد والمرأة وطلبة المدارس العليا ، ولمكتبة كل اسرة عربية ، ٥ ل.ل.